توضيح المقاصد وتصحيح القواعد

في شرح

الشافية الكافية في العقائد

«نونية الإمام ابن قيم الجوزية»

تأليف

العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي الحنبلي

(١٢٥٧م - ١٣٢٩هـ)

حقق على نسختين خطيتين

يطبع كاملا لأول مرة بزيادة الثلث عن المطبوع

دراسة وتحقيق

د. عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجبرين

الأستاذ المساعد في كلية الجبيل الصناعية

الجزء الثاني

دار الخزانة

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد

في شرح

الشافية الكافية في العقائد

«نونية الإمام ابن قيم الجوزية»

(٢)

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

دار الخزانة

هاتف: ٠٠٩٦٥٩٠٩٠٩٢١١ - ٠٠٩٦٥٥٥٩٥٧١٠٣

هاتف المملكة العربية السعودية:
٠٠٩٦٦٥٦٢٠٠٠٧٣٣ - ٠٠٩٦٦٥٦٨٤٨٠٠١٩
dar.alkhezanah@gmail.com

شركة دار اللؤلؤة للطباعة والنشر

Daralloloaa@hotmail.com
٠٠٩٦١٧٠٦٥٤٤٦٠

لبنان - بيروت
@daralloloaa

سلسلة الرسائل الجامعية (١)

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد
في شرح
الشافية الكافية في العقائد

«نونية الإمام ابن قيم الجوزية»

تأليف

العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي الحنبلي

(١٢٥٧هـ - ١٣٢٩هـ)

يطبع كاملا لأول مرة بزيادة الثلث عن المطبوع

محقق على نسختين خطيتين

دراسة وتحقيق

د. عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجبرين

الأستاذ المساعد في كلية الجبيل الصناعية

الجزء الثاني

دار الخزانة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصل[1]

في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن

وأتى فريق ثم قال ألا اسمعوا ... قد جئتكم من مطلع الإيمان

من أرض طيبة من مهاجر أحمد ... بالحق والبرهان والتبيان

سافرت في طلب الإله فدلني الـ ... ـهادي عليه ومحكم القرآن

مع فطرة الرحمن جل جلاله ... وصريح عقلي فاعتلى بنيان

فتوافق الوحي الصريح وفطرة الـ ... ـرحمن والمعقول في إيمان

شهدوا بأن الله جل جلاله ... متفرد بالملك والسلطان

وهو الإله الحق لا معبود إلا ... وجهه الأعلى العظيم الشان

بل كل معبود سواه فباطل ... من عرشه حتى الحضيض الداني

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان

فقيام دين الله بالإخلاص ... والإحسان إنهما له أصلان

لم ينج من غضب الإله وناره ... الا الذي قامت به الأصلان

«ينج...» بفتح الياء وضم (ع/١٦٣ب) الجيم مبني للفاعل: أي لم ينج من غضب (د/١٠٦أ) الإله وناره إلا الذي قام به الإخلاص والإحسان[2].

---

(١) في حاشية (ع): «بلغ قراءة على المؤلف».

(٢) سيأتي بعد قليل نقله لكلام القاضي عياض على المقصود: الإخلاص والمتابعة.

والناس بعد فمشرك بإلهه ... أو ذو ابتداع أو له الوصفان
والله لا يرضى بكثرة فعلنا ... لكن بأحسنه مع الإيمان
فالعارفون مرادهم إحسانه ... والجاهلون عموا عن الاحسان

يشير إلى قول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، قال: «أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة»[1].

❁ ❁❁

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذاك[2] قد شهدوا بأن الله ذو ... سمع وذو بصر هما صفتان
وهو العلي يرى ويسمع خلقه ... من فوق عرش فوق ست ثمان[3]
فيرى دبيب النمل في غسق الدجى ... ويرى كذاك تقلب الأجفان
وضجيج أصوات العباد بسمعه ... ولديه لا يتشابه الصوتان
وهو العليم بما يوسوس عبده ... في نفسه من غير نطق لسان
بل يستوي في علمه الداني مع ... القاصي وذو الإسرار والإعلان
وهو العليم بما يكون غدا وما ... قد كان والمعلوم في ذا الآن

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٩٥).

(٢) في (د) «وكذلك».

(٣) الأصل أن يقول: ست وثمان، لكن حذفت الواو لضرورة الشعر، والمراد: الجمع فتكون أربع عشرة، وهي السموات السبع والأرضون السبع. انظر: الكافية الشافية (١/ ١٨١).

وبكل شيء لم يكن لو كان كيـ ... ـف يكون موجودا لذي الأعيان

وهو القدير فكل شيء فهومقـ ... ـدور له طوعا بلا عصيان

وعموم قدرته تدل بأنه ... هو خالق الأفعال للحيوان

هي خلقه حقا وأفعال لهم ... حقا ولا يتناقض الأمران

لكن أهل الجبر والتكذيب بال ... أقدار ما انفتحت لهم عينان

نظروا بعيني أعور إذ فاتهم ... نظر البصير وغارت العينان

فحقيقة القدر الذي حار الورى ... في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد ... لما حكاه عن الرضى الرباني

قال الإمام شفا القلوب بلفظةٍ ... ذات اختصار وهي ذات بيان

أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الأبيات (ع/ ١٦٤أ) إلى إثبات صفات الله تعالى التي نطق بها كتابه وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات صفات الله تعالى التي ورد بها الكتاب وصحيح السنة وحسنها إثباتًا بلا تمثيل (د/ ١٠٦ب) وتنزيهًا بلا تعطيل. خلافًا للجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

والأمر كما قال نعيم بن حماد الخزاعي[١] شيخ البخاري: «من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهًا»[٢] انتهى، بل هو إثبات على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

(١) هو: نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي «صدوق يخطئ كثيرًا فقيه عارف بالفرائض من العاشرة». مات سنة (٢٢٧هـ). التقريب (ص١٠٠٦).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٣٢ ح٩٣٦)، وابن عساكر -كما في المختصر- (٨/ ٢٨)، والذهبي في السير (١٠/ ٦١٠)، والعرش (٢/ ٢٣٨)، والعلو (٢/ ١٠٩٣) بإسناد صحيح.

قوله:

وبكل شيء لم يكن لو كان كيف يـكـون............................ إلخ

وذلك نحو خبر الله عن أهل النار أنهم: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨]، وأنه: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣]، وأنه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، وأنه: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢]، وأنه: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة:٤٧]، وأنه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١] ونحو ذلك وقد تقدمت الإشارة إلى إثبات الحرف والصوت في كلام الله تعالى وكذلك تقدم الكلام في خلق أفعال العباد.

وأما الكلام في القدر فهو طويل ولكن (د/ ١٠١أ) نشير إلى ذلك إشارة فنقول: قول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

لـكـن أهـل الجـبـر والـتـكـذيـب بالـ إقـدار............................ إلخ

أي أن الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر حتى جعلوا العباد مجبورين على أفعالهم من الطاعات والمعاصي، فأفعال العباد عندهم بمنزلة تحريك الهواء للأشجار وبمنزلة حركة المرتعش وقابلهم النفاة للقدر (ع/ ١٦٥ب) وهم الذين جعلوا أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى.

وقد روى مسلم، وأبو داود والترمذي، والنسائي، وابن ماجة عن يحيى بن يعمر[١]، قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني[٢]، فانطلقت

---

(١) يحيى بن يعمر أبو سليمان العدواني البصري قاضي مرو، كان فقيها مقرئ مرو، ويكنى أبا عدي، مات قبل التسعين. انظر: السير (٤/ ٤٤١).

(٢) معبد بن عبد الله بن عويمر الجهني، نزيل البصرة، أدرك زمن الصحابة، حدث عن عمران =

أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري[(١)] حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله ابن عمر داخلًا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي.

فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء وأنهم مني برءآء، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم قال: حدثني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد.

=ابن حصين، ومعاوية وابن عباس وغيرهم، وحدث عنه معاوية بن قرة وزيد بن رفيع وقتادة ومالك بن دينار وغيرهم، وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: صدوق في الحديث.

قال الجوزجاني: كان قوم يتكلمون في القدر، احتمل الناس حديثهم لما عرفوا من اجتهادهم في الدين والصدق والأمانة، ولم يتوهم عليهم الكذب، وإن بلوا بسوء رأيهم منهم معبد الجهني وقتادة ومعبد رأسهم. قال الحسن: إياكم ومعبدً الجهني فإنه محتال مضل، وقال طاووس: احذروا قول معبد فإنه كان قدريًا، قال صدقة بن يزيد: كان الحجاج يعذب معبدًا الجهني بأصناف العذاب ولا يجزع ثم قتله.

مات قبل التسعين، وربما التبس أمره على بعض المتسرعين بمعبد بن خالد الجهني، وهو صحابي فاضل أحد من حمل ألوية جهينة يوم الفتح، ويوجد في طبقة صاحب الترجمة معبد بن خالد الكوفي الذي تولى القضاء، ومات (١١٨هـ)، وهو ثقة عابد. انظر: السير (٥/ ٢٠٥)، التقريب (ص٩٥٧)

(١) أدرك أبا هريرة، وقال عنه في التقريب (ص٢٧٥): «ثقة فقيه من الثالثة». مات سنة (٩٥هـ). انظر: السير (٤/ ٢٩٣).

حتى جلس إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**» قال: صدقت.

فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته** (د/١٠٧ب) **وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»، قال: فانطلق فلبثت ثلاثًا، وفي رواية مسلم «مليًا» ثم قال: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**»[(١)].

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبادة بن الوليد بن عبادة[(٢)] حدثني أبي[(٣)] قال: دخلت على عبادة[(٤)] وهو مريض (ع/١٦٦أ) أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (١/ ٣٦)، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٢) هو: عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري، ويقال له: عبد الله، ثقة من الرابعة، التقريب (ص٤٨٥).

(٣) هو: عبادة الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري المدني، أبو عبادة، ولد في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ثقة، من كبار الثانية مات بعد السبعين، انظر التقريب (ص١٠٣٨).

(٤) هو: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي أبو الوليد صحابي مشهور، شهد بدرًا وكان أحد النقباء بالعقبة، وآخى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين أبي مرثد الغنوي وشهد المشاهد كلها بعد بدر، وهو أول من ولي قضاء فلسطين، مات سنة (٣٤هـ) وقيل غير ذلك. انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٢٠١)، والإصابة (٢/ ٢٦٠).

أوصني واجتهد لي فقال: أجلسوني فقال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره.

قلت: يا أبتاه كيف أعلم ما خير القدر وشره قال: أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك يا بني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن اول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**» يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار.

ورواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب(١).

وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى وإحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:١٢].

وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سُئل عن القدر قال: «القدر: قدرة الرحمن»(٢) واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد كما ذكره الناظم(٣)، والمعنى أنه لا يمنع عن قدرة الله شيء.

ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى فضلوا عن سواء السبيل، وقد قال بعض السلف: «ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا وأن جحدوه كفروا».

---

(١) أخرجه الترمذي في القدر (٣/ ٢٠١) -نصار -، باب ما جاء في الرضا بالقضاء. وقال بعد إيراده: «هذا حديث غريب من هذا الوجه».

(٢) انظر: مسائل ابن هانئ (٢/ ١٥٥).

(٣) نقله عنه ابن بطة في الإبانة (١/ ١٤١).

وفي المسند وسنن أبي داود عن ابن الديلمي (د/١٠٨أ) -واسمه عبدالله ابن فيروز[(١)]- قال: أتيت أُبي بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي، قال: لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم ولو انفقت مثل أُحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار.

قال: فأتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك ثم أتيت زيد بن ثابت قال فحدثني عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ذلك وأخرجه ابن ماجه[(٢)].

وقال العماد ابن كثير[(٣)] رَحِمَهُ اللهُ عن سفيان عن منصور[(٤)] عن ربعي بن خراش[(٥)] عن رجل عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) أبو بشر ابن الديلمي، قال عنه في التقريب (ص٥٣٥): «ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة»، وانظر: تهذيب الكمال (٥/ ٥٤٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٣٤) (٥/ ٢٣٧)، وأبو داود (٥/ ٧٥)، وابن ماجة (١/ ٣٠) وغيرهم من طرق عن سليمان بن قرة والثوري كلاهما عن سعيد بن سنان عن عبد الله بن فيروز الديلمي قال: [لقيت أبي بن كعب فقلت: يا أبا المنذر إنه وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعله يذهب من قلبي قال:«...فذكره»، وإسناده حسن لحال سعيد بن سنان.

(٣) في تفسيره (٧/ ٤٦٠).

(٤) منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة السلمي أبو عتاب الكوفي، قال في التقريب (ص٩٧٣): «ثقة ثبت». مات سنة (١٣٢هـ)، وانظر: تهذيب الكمال (١٠/ ١١٩).

(٥) هو: ربعي بن حراش -بكسر المهملة وآخره معجمة- ابن جحش بن عمرو الغطفاني قال العجلي:«تابعي ثقة من خيار الناس لم يكذب كذبة قط»، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة (١٠٠هـ) وقيل غير ذلك، انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٤٥٣).

«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره».

وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شميل[(١)] عن شعبة عن منصور به ورواه من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة عن ربعي عن علي فذكره[(٢)]. وقد ثبت (ع/١٦٧ب) في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب[(٣)] وغيره عن أبي هانىء الخولاني[(٤)] عن أبي عبد الرحمن الحبلي[(٥)] عن عبد الله بن عمرو قال: قال: رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة زاد ابن وهب وكان عرشه على الماء»**.

رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب[(٦)].

وكل هذه الأحاديث وما في معناها فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم ومن مذهبهم تخليد أهل

---

(١) هو: النضر بن شميل أبو الحسن المازني البصري النحوي، قال في التقريب (ص١٠٠١): «ثقة ثبت من كبار التسعة مات سنة أربع ومائتين».

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١١٨)، والترمذي في جامعه (٤/ ٣٩٣)، وابن ماجه في سننه (١/ ٣٢)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٠٤)، وغيرهم، عن منصور عن ربعي بن خراش عن علي بن أبي طالب، به. وصححه الضياء في المختارة (٢/ ٦٥).

(٣) هو: وهب بن مسلم القرشي الفهري أبو محمد المصري،قال الحافظ: «ثقة حافظ عابد من التاسعة، مات سنة ١٩٧هـ». التقريب (ص٥٥٦).

(٤) هو: حميد بن هانئ أبو هانئ الخولاني المصري «لا بأس به من الخامسة». مات سنة (١٤٢هـ). التقريب (ص٢٧٦).

(٥) هو: عبد الله بن يزيد المعافري أبو عبد الرحمن الحبلي المصري،: «ثقة من الثالثة». مات سنة (١٠٠هـ). انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٧٠٧).

(٦) أخرجه مسلم في الصحيح (٤/ ٢٠٤٤)، والترمذي في جامعه (٣/ ٢٠٢) - نصار - وفيه: قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

المعاصي في النار وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم المعاصي وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر فقد حكموا على انفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا وهذا لازم لهم على مذهبهم هذا وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر وعدم (د/١٠٨ب) تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار والله أعلم.

۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وله الحياة كمالها فلأجل ذا	**ما للممات عليه من سلطان**
وكذلك القيوم من أوصافه	**ما للمنام لديه من غشيان**
وكذاك أوصاف الكمال جميعها	**ثبتت له ومدارها الوصفان**
فمصحح الأوصاف والأفعال وال	**أسماء حقا ذانك الوصفان**
ولاجل ذا جاء الحديث بأنه	**في آية الكرسي وذي عمران**
اسم الإله الأعظم اشتملا على اسـ	**ـم الحي والقيوم مقترنان**
فالكل مرجعها إلى الإسمين يد	**ري ذاك ذو بصر بهذا الشان**

أي ومصحح الأوصاف والأفعال والأسماء حقًّا ذانك الوصفان، وهما الحي القيوم[1].

---

(١) بمعنى أن الأسماء والأفعال والأوصاف ترجع إلى إسمي الحي والقيوم، فالحي تدور عليه صفات الذات، والقيوم تدور عليه صفات الأفعال.

انظر: التعليق المختصر على شرح القصيدة النونية لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (١/١٠٨) ط. دار الإمام أحمد،الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

وقوله:

ولأجـــل ذا جـــاء الحـــديـــث ....إلخ

أي جاء الحديث بأن الحي القيوم هما أسما الله الأعظم يشير إلى ما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وحسنه الترمذي وصححه من حديث أسماء بنت يزيد(١) رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين:** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾، **وفاتحة سورة آل عمران:** ﴿الم ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾»(٢) وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه.

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بأبي عياش زيد ابن الصامت(٣) وهو يصلي وهو يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد (ع/١٦٨أ) لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**» رواه وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وزاد هؤلاء الأربعة يا حي يا قيوم وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وزاد الحاكم

---

(١) هي: أسماء بنت يزيد بن السكن، أم عامر الأنصارية بنت عمة معاذ بن جبل، من المبايعات المجاهدات، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة من الأحاديث، عاشت إلى دولة يزيد بن معاوية».
انظر: السير (٢/ ٢٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة (٢/ ١٦٨)، والترمذي في الدعوات (٥/ ٤٨٣)، وابن ماجة (٢/ ١٢٦٧)، والدارمي في سننه (٢/ ٤٥٠)، وابن حميد في المنتخب (ص٤٥٦)، وأحمد في المسند (٦/ ٥٠٩). من طريق عبيد الله بن زياد القداح عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد، به، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) هو: أبو عياش الزرقي الأنصاري، صحابي، شهد أُحدًا وما بعدها. مات بعد الأربعين.
انظر: الإصابة (١/ ٥٥٠)، والتقريب (ص١١٨٧).

في رواية له أسألك الجنة وأعوذ بك من النار[١]. وفي جلاء الأفهام للناظم[٢] قال وفي مسند أبي يعلى الموصلي (د/ ١٠٩) عن بعض الصحابة أنه طلب أن يعرف اسم الله الأعظم فرأى في منامه مكتوبًا في السماء بالنجوم يا بديع السماوات والأرض ياذا الجلال والإكرام[٣] انتهى.

٭٭٭

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٨٣)، من طريق خلف بن خليفة عن حفص بن عمر عن أنس، به.

(٢) انظر: جلاء الأفهام (ص١٨٧).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣/ ١٦٥) برقم (٧٢٠٦) من طريق السري بن يحي عن رجل من أهل طيء -وأثنى عليه خيرًا- قال: كنت أسأل الله تعالى أن يريني الاسم الأعظم، فرأيت مكتوبًا في الكواكب في السماء «يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام»، قاله السيوطي في «الدر المنظم في الاسم الأعظم» (١/ ٣٩٦- من الحاوي للفتاوي)، والسرى ثقة وليس في الأثر أن الرجل صحابي كما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

استفدت ذلك من تعليق مشهور حسن على جلاء الأفهام (ص٢٩٧).

بقي الكلام عن الاسم الأعظم، وقد سلك فيه العلماء مسالك شتى:

١- منهم من قال: الأعظمية الواردة في الأخبار إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك.

٢- وقيل: المراد بالاسم الأعظم: كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به مستغرقًا بحيث لا يكون فكره حالتئذ في غير الله تعالى، فإن تأتى ذلك استجيب له، ونُقِل معنى هذا عن جعفر الصادق.

٣- وقال بعضهم: استأثر الله تعالى بعلم الاسم الأعظم ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه.

٤- وأثبته آخرون معينًا واضطربوا وفي ذلك، وجملة ما ذكر في ذلك أربعة عشر قولًا:

الأول: أن الاسم الأعظم هو «هو» نقله الرازي عن بعض أهل الكشف، وهوقول ضُلَّال المتصوفة.

والثاني: أنه «الله»؛ لأنه اسم لم يطلق على غيره.

والثالث: أنه «الله الرحمن الرحيم»، ومستندهم حديث ضعيف.

والرابع: أنه «الرحمن الرحيم الحي القيوم» لحديث عند الترمذي من رواية شهر بن حوشب وهو ضعيف.

والخامس: أنه «الحي القيوم» لحديث أبي أمامة عند ابن ماجة. =

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وله الإرادة والكراهة والرضى ... وله المحبة وهو ذو الإحسان
وله الكمال المطلق العاري عن ... التشبيه والتمثيل بالانسان
وكمال من أعطى الكمال بنفسه ... أولى وأقدم وهو أعظم شان
أيكون قد أعطى الكمال وماله ... ذاك الكمال أذاك ذو إمكان
أيكون إنسان سميعًا مبصرًا ... متكلمًا بمشيئة وبيان
وله الحياة وقدرة وإرادة ... والعلم بالكلي والأعيان
والله قد أعطاه ذاك وليس هذا ... وصفه فاعجب من البهتان
بخلاف نوم العبد ثم جماعه ... والأكل منه وحاجة الأبدان
إذ تلك ملزومات كون العبد محـ ... ـتاجا وتلك لوازم النقصان

= والسادس: أنه «الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم».
السابع: أنه «بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام».
الثامن: أنه «ذو الجلال والإكرام».
التاسع: أنه «الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحدًا».
العاشر: أنه «رب رب ».
الحادي عشر: أنه دعوة ذي النون وهي الواردة في سورة الأنبياء: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.
الثاني عشر: أنه «الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم».
الثالث عشر: هو مخفي في الأسماء الحسنى.
الرابع عشر: أنه كلمة التوحيد يعني لا إله إلا الله.
والذي يظهر -والله أعلم- أن اسم الله تعالى الأعظم لا يعلمه إلا هو سبحانه، فإن الله تعالى أخفاه عن عباده كما أخفى ليلة القدر، لكي يستمر العباد في المواظبة على الدعاء بجميع ما ورد من الأسماء رجاء أن يقعوا على الاسم الأعظم، فيحصل النفع للعباد بدعائه بجميع تلك الأسماء موافقة للآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾.
انظر: فتح الباري (١١/ ٢٢١) (١١/ ٢٢٧-٢٢٨).

وكذا لوازم كونه جسدا نعم ... ولوازم الإحداث والإمكان

يتقدس الرحمن جل جلاله ... عنها وعن أعضاء ذي جثمان

قوله:

وله الكمال المطلق ....

اعلم أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل(١) يستوي فيه الأصل والفرع ولا بقياس شمول(٢) تستوي أفراده فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء فلا يجوز أن يمثل بغيره ولا يجوز أن يدخل هو وغيره في قضية كلية تستوي أفرادها ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى اليقين بل تناقضت أدلتهم وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها.

ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى(٣) سواء كان تمثيلاً أو شمولاً كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠] (د/١٠٩أ) مثل أن يعلم أن كل كمال (ع/١٦٩ب) ثبت للممكن(٤) أو للمحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه وهو ما كان كمالاً

(١) قياس التمثيل: هو الحكم على جزئي بما حكم به على غيره لاشتراكهما في معنى عام لهما.
انظر: غاية المرام للآمدي (ص١٢٢)، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، والنبوات لابن تيمية (ص٩٥)، وبيان تلبيس الجهيمة (٢/ ٧٣)، والتعريفات للجرجاني (ص٩١).

(٢) قياس الشمول: هو الاستدلال بكلي على جزئي بواسطه اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت كلي.
انظر: شرح الأصبهانية (٨/ ٤٦).

(٣) قياس الأولى: هو أن ما كان من لوازم الكمال فثبوته للخالق أولى منه للمخلوق، فكل ما ثبت للمخلوق من صفات الكمال فالخالق أحق به وأولى به؛ لأنه أكمل منه ولأنه هو الذي أعطاه الكمال. انظر: درء التعارض (٤/ ٣٤)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٧).

(٤) الممكن قد يطلق على ما ليس بممتنع وعلى ما لا ضرورة في وجوده ولا في عدمه، وقيل: هو ما يفتقر إلى مرجح فاعل، ويقال: هو ما لا يتم وجوده ولا عدمه إلا بأمر خارج عن ذاته، وهو متوقف في كلا طرفيه عليه.
انظر غاية المرام (ص٢٣، ٤٢).

للموجود غير مستلزم للعدم فالواجب[١] القديم أولى به وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق المربوب المعلول المدبر فإنما استفاده من خالقه وربه ومدبره فهو أحق به منه وأن كل نقص وعيب في نفسه وهو ما تضمن سلب هذا الكمال إذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات، فإنه يجب نفيه عن الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى بطريق الأولى وأنه أحق بالأمور الوجودية من كل موجود

وأما الأمور العدمية فالممكن المحدث بها أحق ونحو ذلك.

ومثل هذه الطرق هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب، كما استعمل نحوها الإمام أحمد ومن قبله وبعده من أئمة الإسلام، وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير أصول الدين في التوحيد والصفات والمعاد ونحو ذلك أفاده شيخ الإسلام في كتاب العقل والنقل[٢].

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[٣]:

والله ربـي لم يـزل متـكلمًا وكـلامـه المسـموع بـالآذان

صـدقًا وعـدلًا احكمت كلماته طـلبًا وإخـبـارًا بـلا نقصـان

شرع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في إثبات صفة الكلام وقد ذهب جمهور أهل الحديث وأئمتهم إلى أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به

(١) هو ما يقابل الممكن، وهو الذي تكون علة وجوده من ذاته لا من عامل خارجي. انظر: التعاريف للمناوي (ص٧١٦).، أبحاث نحو فلسفة إسلامية معاصرة (ص٧٠) المعهد العالمي للفكر.

(٢) درء التعارض (١/ ٣٠)، وانظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٤٦)، ومجموع الفتاوى (٣/ ٢٩٧).

(٣) زيادة لا بد منها.

الآثار والقرآن وغيره من الكتب الإلهية وهو كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه ولا مخلوق.

ولا يقولون: إنه صار متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا ولا إن كلام الله من حيث هو هو حادث بل ما زال متكلمًا إذا شاء، وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته فكلامه لا ينفد كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف:١٠٩] الآية.

ويقولون بما جائت به النصوص النبوية الصحيحة، ودلت عليه العقول الزكية الصريحة.

فلا ينفون عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفات الكمال ويجعلونه (د/ ١١٠أ) كالجمادات التي لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر فلا تكلم عابديها ولا تهديهم سبيلًا ولا ترجع اليهم قولًا ولا تملك لهم ضرًّا ولا نفعًا ومن جعل كلام الله لا يقوم إلا بغيره كان المتصف به هو ذلك الغير فتكون الشجرة هي القائلة لموسى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه:١٤].

ولهذا اشتد نكير السلف على من قال ذلك وقالوا هذا نظير قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤] أي هذا كلام قائم بغير الله وهذا كلام قائم بغير الله.

وأهل هذا القول المخالفون للسلف يقولون (ع/ ١٧٠أ) إن الرب كان مسلوب صفات الكمال في الأزل وأنه كان عاجزًا عن الكلام(١) حتى حدث له قدرة عليه كالطفل(٢).

---

(١) في هامش (ع) بخط المؤلف «بلغ قراءة على مؤلفه».

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٤)، والجملة فيها إشكال واضح، وقد كتب الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ في حاشية هامش (ع): «وأهل هذا القول الموافقون للسلف... الخ، في هذا الكلام إشكال يحتاج إلى تأمل» اهـ. =

والذين يقولون: إن القرآن مخلوق يجعلون الكلام لغيره فيسلبونه صفات الكمال ويقولون إنه لا يقدر على الكلام في الأزل لا على كلام مخلوق ولا غيره وهم وإن لم يصرحوا بالعجز عن الكلام فهو لازم لقولهم[1].

قوله:

....	وكلامه المسموع بالآذان

أي أن كلام الله تعالى يسمع كما يسمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وكما سمع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

۞۞۞

قال الناظم [رَحِمَهُ اللَّهُ][2]:

ورسوله قد عاذ بالكلمات من	لدغ ومن عين ومن شيطان
أيعاذ بالمخلوق حاشاه من الـ	إشراك وهو معلم الإيمان
بل عاذ بالكلمات وهي صفاته	سبحانه ليست من الأكوان
وكذلك القرآن عين كلامه الـ	مسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه	لفظا ومعنى ما هما خلقان
تنزيل رب العالمين وقوله	اللفظ والمعنى بلا روغان
لكن أصوات العباد وفعلهم	كمدادهم والرق مخلوقان
فالصوت للقاري ولكن الكلا	م كلام رب العرش ذي الإحسان

= وبعد التأمل ظهر لي أن العبارة صحيحة؛ فابن تيمية ذكر أقوال الناس في الكلام،فذكر القول السادس فقال: «والقول السادس قول الجمهور وأهل الحديث »، ثم استطرد، فأشار إلى بعض الأقوال المنحرفة، ثم رجع على الكلام عن القول السادس.

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٤).

(٢) من (د).

هـذا إذا مـا كـان ثـم وسـاطـة ... كـقـراءة المـخـلـوق لـلـقـرآن

فـإذا انـتـفـت تـلـك الـوسـاطـة مثلما ... قـد كـلـم المـولـود مـن عـمـران

فهنالك المخلوق نفس السمع لا ... شـيء مـن المسمـوع فـافـهـم ذان

هـذي مـقـالـة أحمـد ومحـمـد ... وخصومهم مـن بـعـد طائفتان

إحداهـمـا زعـمـت بـأن كـلامـه ... خـلـق لـه ألـفـاظـه ومـعـان

والآخـرون أبـوا وقـالـوا شطره ... خـلـق وشـطـر قـام بـالـرحمـن

زعـمـوا الـقـران عـبـارة وحكاية ... فـلـنـا كـمـا زعـمـوه قـرآنـان

هـذا الـذي نـتـلـوه مخـلـوق كـما ... قـال الـولـيـد وبـعـده الـفـئـتـان

والآخـر المعنى الـقـديم فقائم ... بـالـنـفـس لم يسمـع مـن الـديـان

والأمـر عـين الـنـهـي واستفهامه ... هـو عـين إخـبـار وذو وحـدان

وهـو الـزبـور وعـين تـوارة وإنـ ... ـجيل وعـين الـذكـر والـفـرقـان

الـكـل شـيء واحـد في نفسه ... لا يقبل الـتـبـعـيـض في الأذهـان

مـا إن لـه كـل ولا بـعـض ولا ... حـرف ولاعـربـي ولا عـبرانـي

ودلـيـلـهـم في ذاك بـيـت قـالـه ... فيما يـقـال الاخـطـل النصراني

يـا قـوم قـد غـلـط الـنـصـارى قبل في ... مـعـنـى الـكـلام ومـا اهـتـدوا لبيان

ولأجـل ذا جـعـلـوا المسيح إلههم ... إذ قـيـل كـلـمـة خـالـق رحمـن

ولأجـل ذا جـعـلـوه نـاسـوتـا ولا ... هـوتـا قـديمًا بـعـد مـتـحـدان

ونـظـير هـذا مـن يـقـول كلامه ... مـعـنـى قـديـم غـير ذي حـدثـان

والـشـطـر مخـلـوق وتـلـك حروفه ... نـاسـوتـه لـكـن هـمـا غـيران

فـانـظـر إلى ذا الإتـفـاق فـإنـه ... عـجـب وطـالـع سـنـة الـرحمـن

وتـكـايـسـت أخـرى وقـالـت إن ذا ... قـول محـال وهـو خمـس معان

تلك التي ذكرت ومعنى جامع ... لجميعها كالأس للبنيان
فيكون أنواعًا وعند نظيرهم ... أوصافه وهما فمتفقان
إن الذي جاء الرسول به لمخـ ... ـلوق ولم يسمع من الديان
والخلف بينهم فقيل محمد ... أنشاه تعبيرا عن القرآن
والآخرون أبوا وقالوا إنما ... جبريل أنشاه عن المنان
وتكايست أخرى وقالت إنه ... نقل من اللوح الرفيع الشان
فاللوح مبدؤه ورب اللوح قد ... أنشاه خلقا فيه ذا حدثان
هذي مقالات لهم فانظر ترى ... في كتبهم يا من له عينان
لكن أهل الحق قالوا إنما ... جبريل بلغه عن الرحمن
ألقاه مسموعًا له من ربه ... للصادق المصدوق بالبرهان

قوله:

ورسوله قد عاذ بالكلمات ... إلخ ....

أقول: احتج الإمام أحمد (د/ ١١٠ب) وغيره على أن كلام الله غير مخلوق بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعاذ بكلمات الله في غير حديث فقال أعوذ بكلمات الله التامه ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوذ الحسن (ع/ ١٧١ب) والحسين أعيذكما بكلمات الله التامة وذكر الحديث[(١)].

وفي صحيح مسلم عن خولة بنت حكيم[(٢)] أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لو أن أحدكم إذا نزل منزلًا قال أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شيء حتى يرحل من**

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء من صحيحه (٢/ ١٠٤١) برقم (٣٣٧١).
(٢) هي: خولة بنت حكيم بن أمية السلمية، امرأة عثمان بن مظعون، أم شرك، صحابية مشهورة، وهي غير الأنصارية. انظر: تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٣) برقم (٢٧٧٨).

منزله ذلك»[1] وفي صحيح مسلم (ع/ ١٧٢أ) عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من قال حين يمسي أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»** وذكر الحديث[2] وذلك في أحاديث أُخر.

قال أحمد[3] وغيره: ولا يجوز أن يقال أعيذك بالسماء أو بالجبال أو بالأنبياء أو بالملائكة (د/ ١١١ب) أو بالعرش أو بالارض أو بشيء مما خلق الله ولا يتعوذ إلا بالله أو بكلماته.

قال البيهقي[4]: ولا يصح أن يستعيذ من مخلوق بمخلوق فدل على أنه استعاذ بصفة من صفات ذاته وذاته غير مخلوقة ثم قال وبلغني عن أحمد بن حنبل أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق.

وقول الناظم:

هو قول ربي كله لا بعضه .... **إلخ**

هذا إشارة إلى قول أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب[5] ومن اتبعه

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر (٤/ ٢٠٨١)، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء مع اختلاف في بعض ألفاظه.

(٢) أخرجه ابن حبان بهذا اللفظ (٣/ ٣٩٩) وأصله في مسلم في كتاب الذكر والدعاء من صحيحه (٤/ ٢٠٨١)، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

(٣) انظر: شفاء العليل لابن القيم (١/ ٢٧٢).

(٤) في كتابه الاعتقاد (ص٨٦)، ط. دار الآفاق الجديد بتحقيق أحمد عصام الكاتب.

(٥) عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، ولقب كلابًا لأنه كان يجتذب الخصم إليه بقوته في المناظرة، كما يجتذب الكلب الشيء إليه، وكان رأس المتكلمين بالبصرة في زمنه، وكان يرد على المعتزلة والجهمية، وكانت له معهم مناظرات ومجادلات، وهو الذي دمَّر المعتزلة في مجلس الخليفة المأمون وفضهحم ببيانه، كان يثبت الأسماء الحسنى وبعض الصفات الخبرية والفعلية، وينفي الصفات الاختيارية، وكان يقول: لم يزل الله راضيًا عمن يموت مؤمنًا وإن كان أكثر عمره كافرًا، =

كالقلانسي[(١)] وأبي الحسن الأشعري وغيرهم: إن كلام الله معنى قائم بذات الله هو الأمر بكل مأمور أمر به والخبر عن كل مخبر أخبر الله عنه إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا والأمر والنهي والخبر ليست أنواعًا له ينقسم الكلام إليها وإنما كلها صفات له إضافيه كما يوصف الشخص واحد بأنه ابن لزيد وعم لعمرو وخال لبكر.

والقائلون بهذا القول: موافقون للمعتزلة في أن هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف مخلوق وإنما الخلاف بين الطائفتين أن المعتزلة لم تثبت لله كلامًا سوى هذا والأشعرية أثبتت الكلام النفسي القائم بذاته تعالى وأن المعتزلة يقولون: إن المخلوق كلام الله والأشعرية لا يقولون إنه كلام الله نعم يسمونه كلام الله مجازًا.

هذا قول جمهور متقدميهم.

وقالت طائفة من متأخريهم: لفظ الكلام يقال على هذا الكلام المنزل الذي نقرؤه ونكتبه في مصاحفنا وعلى الكلام النفسي بالاشتراك اللفظي[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)]: لكن هذا ينقض أصلهم في إبطال قيام الكلام

=لم يزل ساخطًا عمن يموت مؤمنًا وإن كان أكثر عمره كافرًا، وصنف في التوحيد وإثبات الصفات، وكان حيًّا قبل الأربعين ومئتين، انظر: السير (١١/ ١٧٤).

(١) هو: أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي أبو العباس من معاصري أبي الحسن الأشعري من تلاميذه كما قال الأهوازي، وهو من جملة العلماء الأثبات، واعتقاده موافق لاعتقاد الأشعري، ولم أجد من أرّخ وفاته.

انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري لابن عساكر (ص٣٩٨).

(٢) انظر: منهاج السنة (٢/ ٢٢٢)، واجتماع الجيوش (ص١٧٩)، والاشتراك اللفظي، هو الدال على معنيين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة كالقرء الذي معناه الطهر والحيض. انظر: نهاية الزين للجاوي (ص٢٢٧).

(٣) كما في مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢١). وانظر: الجواب الصحيح (٤/ ٤٨١- ٤٨٢).

بغير المتكلم به وهم مع هذا لا يقولون إن المخلوق كلام الله حقيقة كما يقوله المعتزلة مع قولهم إن كلامه حقيقة بل يجعلون القرآن العربي كلامًا لغير الله وهو كلامه حقيقة[(١)].

قال شيخ الإسلام[(٢)]: وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه فقول المعتزلة أقرب.

قال: وقول الآخرين (ع/ ١٧٣ب) وهو قول الجهمية المحضة لكن المعتزلة في المعنى (د/ ١١٢أ) موافقون لهؤلاء وإنما ينازعونهم في اللفظ

الثاني: إن هؤلاء يقولون كلام الله هو معنى قديم قائم بذاته، والخَلَقية[(٣)] يقولون لا يقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر لكن جمهور المحققين من علماء السلف يقولون إن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلامًا له حقيقة غير المخلوق لأنهم يقولون عن الكلام النفسي إنه معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانيه كان إنجيلًا.

وجمهور العقلاء يقولون: إن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام فإنا إذا عربنا التوراة والإنجيل لم يكن معناهما معنى القرآن بل معاني هذا ليست معاني هذا وكذلك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] ليس هو معنى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد:١]، ولا معنى آية الكرسي آية الدين[(٤)] وقالوا إذا جوزتم أن تكون

(١) انظر: الفرق بين الفرق (ص١٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢١).

(٣) أي: القائلون بأن كلامه -تعالى- مخلوق، وهم المعتزلة.

(٤) الواردة في سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

الحقائق المتنوعة شيئًا واحدًا فجوزوا أن يكون العلم والقدرة الكلام والسمع والبصر صفة واحدة فالتزم أئمة هذا القول بأن هذا الإلزام ليس لهم عنه جواب عقلي، ثم منهم من قال: الناس في الصفات أما مثبت لها وإما ناف لها وأما إثباتها واتحادها فخلاف الإجماع وممن اعترف بأن ليس له جواب أبو الحسن الآمدي.

وقول الناظم:

لكن أصوات العباد وفعلهم ....إلخ

أي إن مذهب أئمة أهل الحديث كالإمام أحمد والبخاري وغيرهما أن القرآن كلام الله غير مخلوق والسلف والأئمة متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق والقرآن بلغه جبريل عن الله إلى محمد وبلغه محمد إلى الخلق، والكلام المبلغ عن قائله لا يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه بل هو كلام لمن قاله مبتدئًا لا كلام من بلغه عنه مؤديًا.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»(١)، وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد حتى وصل إلينا كان من المعلوم أنا إذا سمعناه من المحدث به إنما سمعنا كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (د/ ١١٢ب) الذي تكلم به بلفظه ومعناه وإنما سمعناه من المبلغ عنه بفعله وصوته ونفس الصوت الذي تكلم به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم نسمعه وإنما سمعنا صوت المحدث عنه والكلام كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ع/ ١٧٤أ) لا كلام المحدث.

فمن قال: إن هذا الكلام ليس كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مفتريًا وكذلك من قال: إن هذا لم يتكلم به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما أحدثه في غيره أو أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) سبق تخريجه.

لم يتكلم بلفظه وحروفه بل كان ساكتًا أو عاجزًا عن التكلم بذلك فعلم غيره ما في نفسه فنظم هذه الألفاظ ليعبر عما في نفس النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو نحو هذا الكلام.

فمن قال: هذا كان مفتريًا ومن قال إن هذا الصوت المسموع صوت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مفتريًا فإذا كان هذا معقولًا في كلام المخلوق، فكلام الخالق أولى بإثبات ما يستحقه من صفات الكمال وتنزيه الله أن تكون صفاته وأفعاله هي صفات العباد وأفعالهم أو مثل صفات العباد وأفعالهم فالسلف والأئمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل المسموع من القارئين كلام الله كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ليس هو كلامًا لغيره لا لفظه ولا معناه ولكن بلغه عنه جبريل وبلغه محمد عن جبريل ولهذا أضافه الله إلى كل من الرسولين لأنه بلغه وأداه لا لأنه أحدث لا لفظه ولا معناه إذ لو كان أحدهما هو الذي أحدث ذلك لم يصح إضافة الإحداث إلى الآخر فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة:٤٠-٤٢]، فهذا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢١]، فهذا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقد توعد تعالى من قال: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]، ومن قال إن هذا القرآن (د/ ١١٣أ) قول البشر فقد كفر وقال بقول الوحيد الذي أوعده الله سقر[1]، ومن قال إن شيئًا منه قول البشر فقد قال ببعض قوله ومن قال إنه ليس بقول رسول كريم وإنما هو قول شاعر أو مجنون أو مفتر أو قال هو قول شيطان نزل به عليه ونحو ذلك فهو أيضًا كافر ملعون.

---

(١) يعني به الوليد بن المغيرة، سماه الله تعالى وحيدًا كما قال تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر:١١] الآية.

وقد علم المسلمون الفرق بين أن يسمع كلام المتكلم منه أو من المبلغ عنه، وأن موسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة وأنا نحن إنما نسمع كلام الله من المبلغين عنه وإذا كان الفرق ثابتًا بين من سمع كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه ومن سمعه من الصاحب (ع/١٧٥ب) المبلغ عنه فالفرق هنا أولى لأن أفعال المخلوق وصفاته أشبه بأفعال المخلوق وصفاته من أفعاله وصفاته بأفعال الله وصفاته[1].

قوله:

هذي مقالة أحمد ومحمد وخصومهم من بعد طائفتان

إحداهما زعمت بأن كلامه خلق له ألفاظه ومعان

أقول: هذا مذهب الجهمية والمعتزلة وقد تقدم حكاية كلامهم في الكلام بما أغنى عن إعادته.

قوله:

والآخرون أبوا وقالوا شطره خلق وشطر قام بالرحمن

هذا قول الأشعرية والكلابية كما سيأتي الكلام على ذلك.

قوله:

زعموا القرآن عبارة .... إلخ

أي قالت الأشاعرة: إن القرآن عبارة عن المعنى وابن كلاب ومن تابعه قالوا حكاية.

---

(١) من قوله: «والسلف والأئمة متفقون على أن القرآن غير مخلوق...» إلى هنا منقول من «درء التعارض» (١/ ٢٥٦-٢٥٨).

قوله:

ودليلهم في ذاك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني

أي ودليلهم على إثبات الكلام النفسي قول الأخطل(١):

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا(٢)

ومن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره وقالوا إنهم فتشوا دواوينه، فلم يجدوه، وهذا يروى عن أبي محمد بن الخشاب(٣).

وقال بعضهم لفظه:

إن البيان لفي الفؤاد ....(٤)

---

(١) هو: غياث بن غوث بن التغلبي، أبو مالك الشاعر النصراني المشهور، في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح أمراء وملوك بني أمية، مات سنة (٩٠هـ)، وله «ديوان شعر» مطبوع.انظر: الأعلام (٥/ ١٢٣)، ومعجم المؤلفين (٨/ ٤٢).

(٢) نسبه إليه الجاحظ في البيان والتبين (١/ ١٢٣)، وذكر ابن الباقلاني في تمهيد الأوائل (ص٢٨٤)، [مؤسسة الكتب الثقافية، بتحقيق عماد. الدين حيدر، سنة ١٩٨٧م، أولى]، أن البيت هكذا:

إن الكلام من الفؤاد وإنما ....

والصحيح أن هذا البيت مختلق.

قال فى الإمتاع والمؤانسة: «البيت موضوع على الأخطل، فليس هو فى نسخ ديوانه، وإنما هو لابن ضمضام ولفظه: إن البيان لفى الفؤاد...» الخ.

(٣) عبد الله بن أحمد بن أحمد البغدادي المعروف بابن الخشاب، إمام النحو وكان يضرب به المثل في العربية،فاق أهل زمانه في علم اللسان، وكان عالمًا في الحديث، مات سنة (٥٦٧هـ).انظر: السير (٢٠/ ٥٢٣).

(٤) هذا أصل البيت المنسوب إلى الأخطل، لكنهم غيروه إلى معنى فاسدٍ فقالوا:

إن الكلام لفي الفؤاد.... وإنما.......................................إلخ

قال السجزي في رسالته على أهل زبيد (ص١٤٦): «لو كان حقيقة الكلام مايتعلق بالفؤاد؛ لكان كل ذي فؤاد ناطقًا متكلمًا في حال سكوته، ووجود الآفة به كالأخرس، والطفل النائم، ولاخلاف بين العقلاء في أن الرضيع أول مايولد غير متكلم، وأن الأخرس والساكت ليسا بمتكلمين، وكذلك النائم في الغالب... ولاخلاف بين (صدور !!) علماء المسلمين في أن من قال =

ومن العجب أنه لواحتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحن عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقالوا هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول.

وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بالإسناد لا واحد ولا أكثر من واحد ولا تلقاه (د/ ١١٣ب) أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلا عن مسمى الكلام.

ويقال -أيضًا-: مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة وعرفوا معناه في لغتهم كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل.

وأيضًا: فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للألفاظ في معانيها لا بما يذكرونه من الحدود فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم إن الرأس كذا واليد كذا والكلام كذا واللون كذا بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها فتعرف لغتهم من إستعمالهم فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة وإنما أراد إن كان قال ذلك ما فسر به المفسرون للشعر أي أصل الكلام من الفؤاد هو المعنى.

فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به، وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين (ع/ ١٧٦أ)، وذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ولهذا قال الأخطل قبل ذلك:

=في نفسه: عبدي حر، من غير أن ينطق بذلك؛ لم يعتق عبده، ولو قال: عبدي حر نطقًا، ثم قال: لم أنو بها قلت عتقه، حكم بعتق العبد، ولم يلتفت إلى نيته...»إلخ، وهو كلام نفيس جدًّا، ولولا خوف الإطالة لسقت كلامه كاملًا في هذه المسألة.وانظر: (ص٨٣) من رسالته المذكورة، درء التعارض(١/ ٢٧٨) (٢/ ٨٦).

لا يعجبنك خطيب خطبة[١] حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل ولهذا قال حتى يكون مع الكلام أصيلًا، وقوله: «مع الكلام..... » دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلامًا، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه. وهذا حجة عليهم، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا، بل قوله مع الكلام مطلق[٢].

وقوله:

إن الكلام لفي الفؤاد ....

أراد به أصله ومعناه والمقصود به، واللسان دليل على ذلك. وبالجملة: فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب والفرس والروم والترك وسائر

(١) في (ع، د) البيت هكذا:

لا يعجبنك من امرئ حتى يكون مع الكلام اصيلا

وكتب في هامش (ع) «منطق »المثبت من كتاب الإيمان لابن تيمية وهو الصواب؛ والمؤلف ينقل عنه الآن، وفي بعض النسخ، هكذا:

لا يعجبنك من اثير حظه حتى يكون مع الكلام اصيلا

انظر: شرح شذور الذهب لابن هشام الأنصاري (١/ ٣٥)، وتمهيد الأوائل للباقلاني (ص٢٨٤)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ١٣٩)، كتاب الإيمان له (ص١١٤)، طبعة مكتب الإسلامي.

(٢) وملخص الكلام: أن هذا البيت مردود من ستة أوجه، أولها: أنه بيت موضوع مختلق، ليس في ديوان الأخطل، وأكثر من نسبه إليه ليسو بثقات ثانيًا: أنه محرف؛ قيل: أصله: (إن البيان لفي الفؤاد) فغيروه، ثالثًا: أنه خبر واحد نصراني، لا يلتفت إلى قوله، ولو نقله مسلم كذّاب لم يقبل قوله، فكيف بنصراني كافر رابعًا: أن النصارى قد ضلوا في مسألة الكلام، فاعتبروه مخلوقًا، واعتبروا المخلوق عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الله، خامسًا: أنه كلام بغير سند، سادسًا: أن معناه فاسد، كما سبق، والله أعلم.

أجناس بني آدم بقول شاعر فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم، ثم هو من المولدين ليس من الشعراء القدماء وهو نصراني كافر مثلث واسمه الأخطل، -والخطل فساد في الكلام (د/ ١١٤ا)- وهو نصراني والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله، ولهذا قال الناظم:

يا قوم قد غلط النصارى قبل في ... معنى الكلام وما اهتدوا لبيان

قال شيخ الإسلام في التسعينية[1] -بعد كلام سبق-: وأيضًا فهم يعني الأشاعرة في لفظ القرآن الذي حروفه واشتماله على المعنى لهم مضاهاة قوية بالنصارى في جسد المسيح الذي [هو][2] متدرع اللاهوت؛ فإن هؤلاء متفقون على أن حروف القرآن ليست من كلام الله بل هي مخلوقة كما أن النصارى متفقون على أن جسد المسيح لم يكن من اللاهوت بل هو مخلوق ثم يقولون المعنى القديم لما أنزله بهذه الحروف المخلوقة فمنهم من يسمي الحروف كلام الله حقيقة كما يسمي المعنى كلام الله حقيقة ومنهم من يقول بل هي كلام الله مجازًا كما أن النصارى منهم من يجعل [جسد المسيح] لاهوتًا حقيقة لاتحاده باللاهوت[3] واختلاطه به ومنهم من يقول هو محل اللاهوت ودعاؤه ثم النصارى تقول هذا الجسد إنما عبد لكونه مظهر اللاهوت وإن لم يكن هو إياه ولكن صار هو إياه بطريق الاتحاد وهو محله بطريق الحلول فعظم لذلك.

وهؤلاء يقولون[4]: هذه الحروف ليست من كلام الله، ولا يجوز أن

---

(١) انظر: التسعينية (٣/ ٨٦٤).

(٢) ما بين معكوفتين سقطت من (ع) و(د) واستدركناها من الفتاوى الكبرى لابن تيمية.

(٣) بمعنى أن عيسى عليه السلام لما اتحد بالإله -تعالى الله عن قولهم- صار إلهًا على الحقيقة.

(٤) يعني الأشاعرة.

يتكلـم الله بهـا ولا تكلم بها بل لا يدخل في قدرته أن يتكلم بها ولكن خلقها فأظهر بها (ع/ ١٧٧ب) المعنى القديم ودل بها عليه فاستحقت الإكرام والتحريم لذلك حيث تدخـل في حكمه، بحيث لا يفصـل بينهما أو يفصل بأن يقال هذا مظهر هذا ودليله وجعلوا ما ليس هو كلام الله ولا تكلم الله به قط كلامًا لله معظمًا تعظيم كلام الله كما جعلت النصارى الناسـوت الذي ليس هو بإله قط هو الكلمة إلها وعظموه تعظيم الإله الذي هو كلمة الله عنده.

ومنها أن النصارى على ما حكى عنهم المتكلمون كابن الباقلاني أو غيره ينفون الصفات ويقولون: إن الأقانيم التي هي الوجود والحياة والعلم هي خواص هي صفات نفسية للجوهر ليست صفات زائدة على الذات ويقولون إن الكلمة هي العلم ليست هي كلام الله فإن كلامه صفة فعل وهو مخلوق فقولهم في هذا كقول نفاة الصفات من (د/ ١١٤ب) الجهمية المعتزلة وغيرهم.

وهذا يكون قول بعضهم ممن خاطبه متكلموا الجهمية من النسطورية[1] وغيرهم وممن تفلسف منهم على مذهب نفاة الصفات من المتفلسفة ونحو هؤلاء

---

(١) النسطورية: فرقة من فرق النصارى تنتسب إلى نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وقال: إن الله تعالى ثلاثة أقانيم وهو أقنوم واحد، الأب والابن وروح القدس، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو.
وزعم أن الكلمة -(كن)- اتحدت بجسد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ كإشراق الشمس في كوة البلور، أو كظهور النقش في الخاتم، وقد اختلف أتباعه من بعده اختلافًا كثيرًا. فمنهم من يقول بأن لله صفات أخر بمنزلة القدرة والإرادة، ولم يجعلوها أقانيم، ومنهم من أطلق القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة هو ناطق إله. وبعضهم زعم أن الابن لم يزل متولدًا في الأب وإنما تجسد واتحد في جسد المسيح حين ولد، وقالوا: إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته لأن الإله لا تحله الأجسام.
=

وإلا فلا ريب أن في النصارى مثبتة للصفات بل غالية في ذلك كما أن اليهود أيضًا فيهم المثبتة والنفاة.

والمقصود هنا: أن تسميتهم للعلم كلمة دون الكلام الذي هو الكلام[1] ثم ذلك العلم ليس هو أمرًا معقولًا كما نعقل الصفات القائمة بالموصوف ضاهاهم في ذلك هؤلاء الذين يقولون الكلام هو ذلك المعنى القائم بالنفس دون الكلام الذي هو الكلام ثم ذلك المعنى ليس هو المعقول من معاني الكلام فحرفوا اسم الكلام ومعناه كما حرفت النصارى اسم الكلمة ومعناها انتهى كلامه.

قوله:

وتكايست أخرى وقالت إن ذا قول محال وهو خمس معان

تكايست قال في القاموس[2]: الكيس خلاف الحمق والجماع والطب والجود والعقل والغلبة بالكياسة وقد كاسه يكيسه ثم قال بعد ذلك تكيس تظرف وكايسه غالبه في الكيس.

قال الآمدي في أبكار الأفكار[3]:

فإن قيل: إذا قلتم إن الكلام قضية واحدة، وإن اختلاف العبارات عنها بسبب المتعلقات الخارجة فلم لا جوزتم أن تكون الإرادة والعلم والقدرة وباقي الصفات

= أما المصلين -وهي من فرق النسطورية- فقالوا: مثل ما قال نسطور إلا أنهم قالوا: إذا اجتهد الرجل في العبادة وترك التغذي باللحم والدم ورفض الشهوات الحيوانية يصفى جوهره حتى يبلغ ملكوت السموات ويرى الله جهرًا، وينكشف له ما في الغيب.

انظر: الملل والنحل (٢/ ٢٥١-٢٥٣).

(١) هكذا في الأصل.

(٢) انظر: القاموس (ص٧٣٨).

(٣) انظر: أبكار الأفكار للآمدي (١/ ٣٠١-٣٠٢).

راجعة إلى معنى واحد ويكون اختلاف التعبيرات عنه بسبب المتعلقات لا بسبب اختلافه في (ع/١٧٨أ) ذاته وذلك بأن يسمى إرادة عند تعلقه بالتخصيص وقدرة عند تعلقه بالإيجاد وهكذا سائر الصفات وإن جاز ذلك فلم لا يجوز أن يعود ذلك كله إلى نفس الذات من غير احتياج إلى الصفات.

قال: أجاب الأصحاب عن ذلك بأنه يمتنع أن يكون الاختلاف بين القدرة والإرادة بسبب التعلقات والمتعلقات إذ القدرة معنى من شأنه تَأَتِّي الإيجاد به والإرادة معنى من شأنه تَأَتِّي التخصيص الحادث بحال دون حال وعند اختلاف التأثيرات (د/ ١١٥أ) لابد من الاختلاف في نفس المؤثر وهذا بخلاف الكلام فإن تعلقاته بمتعلقاته لا يوجب أثرًا فضلًا عن كونه مختلفًا.

قال: وفيه نظر وذلك أنه وإن سلم امتناع صدور الآثار المختلفة عن المؤثر الواحد مع إمكان النزاع فيه فهو موجب للاختلاف في نفس القدرة وذلك لأن القدرة مؤثرة في الوجود والوجود عند أصحابنا نفس الذات لا أنه زائد عليها وإلا كانت الذوات ثابتة في العدم وذلك مما لا نقول به وإذا كان الوجود هو نفس الذات فالذوات مختلفة، فتأثير القدرة في آثار مختلفة فيلزم أن تكون مختلفة كما قرروه وليس كذلك وأيضًا فان ما ذكروه من الفرق وإن استمر في القدرة والارادة فغير مستمر في باقي الصفات كالعلم والحياة والسمع والبصر لعدم كونها مؤثرة في أثر ما.

قال: والحق أن ما أوردوه من الأشكال على القول باتحاد الكلام وعود الاختلاف إلى التعلقات والمتعلقات مشكل وعسى أن يكون عند غيري حله ولعسر جوابه فر بعض أصحابنا إلى القول بأن كلام الله القائم بذاته خمس صفات مختلفة وهي الأمر والنهي والخبر والاستخبار والنداء انتهى كلامه.

قلت: وهذا الذي ذكره الآمدي هو الذي أراده الناظم بقوله:

وتـــكـــايـــســـت أخـــرى .... إلخ

فيكون الأمر والنهي والخبر والاستخبار والنداء صفات للمعنى النفسي على ما ذكره الآمدي عن هؤلاء والصواب: أن الأمر والنهي والخبر والاستخبار والنداء أنواع للكلام والله أعلم.

قوله:

وتـكـايـسـت أخـرى وقـالـت إنـه   نـقـل مـن الـلـوح الـرفـيـع الـشـان

قال الأصفهاني[١] في أوئل تفسيره[٢]: اتفق أهل السنة والجماعة على أن القرآن منزل واختلفوا في معنى الإنزال فمنهم من قال إظهار القراءة ومنهم من قال إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال عن المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط (ع/٧٩ب) في المكان وفي التنزيل طريقان:

أحدهما: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انخلع (د/ ١١٥ب) من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل.

والثاني: أن الملك انخلع إلى [الصورة][٣] البشرية حتى يأخذه الرسول منه والأول أصعب الحالين. انتهى.

---

(١) هو: محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم، مفسر محدث نحوي، شاعر، وهو رأس المعتزلة، وله كتاب «جامع التأويل لمحكم التنزيل»، مات سنة (٣٢٢هـ). انظر: معجم المؤلفين (٩/ ٩٧).

(٢) حكاه عنه السيوطي في الإتقان (١/ ١٢٤- ١٢٥).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

وقال القطب الرازي[1] في حواشي الكشاف[2]: الإنزال لغة: بمعنى الإيواء وبمعنى تحريك الشيء من علو إلى اسفل وكلاهما لا يتحققان في الكلام فهو مستعمل فيه في معنى مجازي.

فمن قال: القرآن معنى قائم بذات الله تعالى، فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ.

ومن قال: القرآن هو الألفاظ، فإنزاله مجرد إثباته في اللوح المحفوظ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولًا عن المعنيين اللغويين.

ويمكن أن يكون المراد بإنزاله: إثباته في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللوح المحفوظ، وهذا مناسب للمعنى الثاني، والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفًا روحانيًّا أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم انتهى.

وذكر بعضهم: أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف[3] وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله انتهى

وقال بعضهم: في المنزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اللفظ والمعنى، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به.

---

(١) محمد بن محمد الرازي الشافعي الشهير بالقطب التحتاني، حكيم منطقي عارف بالتفسير والمعاني والنحو والعلوم الشرعية توفي بدمشق سنة (٧٦٦هـ). من آثاره: «حاشية على الكشاف» للزمخشري، وغيرها. انظر: كشف الظنون (٢/ ١٤٧٨)، ومعجم المؤلفين (١١/ ٢١٧).

(٢) ونقله السيوطي في الإتقان (١/ ١٢٥).

(٣) قاف: هو جبل محيط بجميع الأرض، وأن السماء عليه كالقبة.
وأكثر العلماء على بطلانه، أنه من خرافات زنادقة بني إسرائيل.
انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٣).

والثاني: أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤].

والثالث: أن جبريل ألقى إليه المعنى وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك انتهى.

ولما أشار الناظم إلى هذه الأقوال التي ما أنزل الله بها من سلطان ناسب أن نذكرها ليعلم حقيقة حالها ويتحقق بطلانها والله أعلم.

قوله:

لكن أهل الحق قالوا إنما ... جبريل بلغه عن الرحمن

أقول: قال أبو الحسن محمد بن عبدالملك (د/ ١١٦أ) الكرجي الشافعي[1] في كتاب الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول[2] -وذكر اثني عشر إمامًا وهم: الشافعي ومالك والثوري وأحمد والبخاري وابن عيينة وابن المبارك والأوزاعي والليث بن سعد[3] وإسحق (ع/ ١٨٠أ) بن راهويه[4] ....

---

(١) محمد بن عبد الملك بن محمد الكرجي الشافعي، أبو الحسن الفقيه المحدث المفسر الأديب، مات سنة (٥٣٢هـ). من آثاره: «الذرائع في علم الشرائع»، و«الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول»، وغيرها. انظر: كشف الظنون (٢/ ١٢٧١)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٢٥٨).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٩٥).

(٣) هو: الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث الإمام المصري. ثقة ثبت إمام مشهور، مات سنة (١٧٥هـ). التقريب (ص٨١٧).

(٤) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المعروف بـ(ابن راهويه) ثقة حافظ مجتهد، له كتب منها: المسند. مات سنة (٢٣٨هـ)، وكان ممن أوصى أن تدفن كتبه معه.
انظر: التقريب (ص١٢٦)، الأعلام (١/ ٢٩٢).

وأبو زرعة[(١)] وأبو حاتم[(٢)]- [ثم قال فيه][(٣)]: سمعت الإمام أبا منصور محمد ابن أحمد[(٤)] يقول سمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن أحمد[(٥)] يقول سمعت الشيخ أبا حامد الإسفراييني[(٦)] يقول:

مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مسموعًا من الله تعالى والصحابة سمعوه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعًا ومكتوبًا ومحفوظًا ومنقوشًا وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين انتهى.

---

(١) هو: عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ الرازي أبو زرعة، إمام حافظ ثقة مشهور من الحادية عشرة. مات سنة (٢٦٤هـ). السير (١٣/ ٦٥)، والتقريب (ص٦٤٢).

(٢) هو: محمد بن إدريس بن المنذر، الإمام الحافظ الناقد، شيخ المحدثين الحنظلي الغطفاني، مات سنة (٢٧٧هـ). انظر: السير (١٣/ ٢٤٧)، التقريب (ص٨٢٤).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من (د، ع)، واستدركناه من درء التعارض.

(٤) يحتمل أن يكون أبو منصور محمد بن أحمد بن النقور المتوفي سنة (٤٩٧هـ)، ويحتمل أن يكون محمد بن أحمد القومساني المتوفي سنة (٤٢٣هـ). ولم أجد دليلًا أرجح به أحد الاحتمالين. انظر: السير (١٧/ ٤٤٢).

(٥) هو: ابن عبد الله المروزي الخراساني المشهور بـ«القفال»، لحذقه في صناعة الأقفال، كان وحيد زمانه فقهًا وحفظًا وورعًا وزهدًا، وله في المذهب من الآثار ما ليس لغيره من أهل عصره، وطريقته المهذبة في مذهب الشافعي التي حملها عنه أصحابه، أمتن طريقة، وأكثر تحقيقًا، رحل إليه الفقهاء من البلاد وتخرج به أئمة. مات سنة (٤١٧هـ).
انظر: السير (١٧/ ٤٠٥).

(٦) هو: أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني شيخ الشافعية ببغداد، قال الخطيب: كان ثقة، وقال أبو إسحاق في الطبقات انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا ببغداد. مات سنة (٤٠٦هـ). انظر: السير (١٧/ ١٩٣).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصل

في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن

وإذا أردت مجامع الطرق التي … فيها افتراق الناس في القرآن
فمدارها أصلان قام عليهما … هذا الخلاف هما له ركنان
هل قوله بمشيئة أم لا وهل … في ذاته أم خارج هذان
أصل اختلاف جميع أهل الأرض في الـ … قرآن فاطلب مقتضى البرهان
ثم الألى قالوا بغير مشيئة … وإرادة منه فطائفتان
إحداهما جعلته معنى قائما … بالنفس أو قالوا بخمس معان
والله أحدث هذه الألفاظ كي … تبديه معقولا إلى الأذهان
وكذاك قالوا إنها ليست هي الـ … قرآن بل مخلوقة دلت على القرآن
ولربما سمي بها القرآن تسـ … ـمية المجاز وذاك وضع ثان
وكذلك اختلفوا فقيل حكاية … عنه وقيل عبارة لبيان
إذ كان ما يحكى كمحكي وهـ … ـذا اللفظ والمعنى فمختلفان
ولذا يقال حكى الحديث بعينه … إذ كان أوله نظير الثاني
فلذاك قالوا لا نقول حكاية … ونقول ذاك عبارة الفرقان
والآخرون يرون هذا البحث لفـ … ـظيان وما فيه كبير معان

شرح الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بيان (د/١١٦ب) طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن العظيم وذكر أن اختلافهم يدور على أصلين وهما: هل قوله بمشيئة (ع/١٨١ب) وإردة أم هو بغير مشيئة وإرادة وهل كلامه تعالى في ذاته أم هو خارج الذات.

وذكر أن القائلين بأنه بغير مشيئة وإرادة طائفتان:

إحداهما: الكلابية والأشاعرة.

والطائفة الثانية: الاقترانية[١] وهم السالمية أتباع أبي الحسن بن سالم[٢].

وهذا هو البناء الأصيل والبرهان الذي يقوم عليه الدليل لا ما ذكره الدواني[٣] في معنى اختلاف الناس في القرآن من الكلام الجزاف والهذيان الذي بطلانه غير خاف وذلك أنه قال في شرحه للعقائد العضدية[٤]: لا خلاف بين أهل الملة في كونه تعالى متكلمًا أي موصوفًا بهذه الصفة لكن اختلفوا في تحقيق كلامه هل هو نفسي أو لفظي وحدوثه وقدومه وذلك أنهم لما رأوا قياسين متعارضي النتيجة وهما كلام الله تعالى صفة له وكل ما هو صفة له فهو قديم فكلام الله تعالى قديم وكلام الله تعالى مؤلف من حروف وأصوات مترتبة متعاقبة في الوجود وكل ما هو كذلك فهو حادث فكلام الله تعالى حادث، اضطروا إلى القدح في أحد القياسين ضرورة امتناع حقية النقيضين. فمنع كل طائفة بعض المقدمات.

فالحنابلة ذهبوا إلى أن كلام الله تعالى حروف وأصوات وهي قديمة! ومنعوا أن كل ما هو مؤلف من حروف وأصوات مترتبة فهو حادث؟. بل قال بعضهم بقدم (د/ ١١٧أ) الجلد والغلاف؟

---

(١) انظر: منهاج السنة (١/ ١٥٧) (٢/ ٣٦٠) (٢/ ٤٩٨)، معارج القبول (١/ ٣٨١).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن سالم، أبو عبد الله البصري، من كبار الصوفية، ومؤسس فرقة السالمية محمد بن أحمد الملقب بأبي عبد الله.

له أصحاب يسمون بالسالمية، وهجرهم الناس لألفاظ هُجنة أطلقوها على الناس، مات ابن سالم سنة بضع وخمسين وثلاثمائة. انظر: السير (١٦/ ٢٧٢). تنبيه: يوجود رجل يدعى أبا الحسن أحمد بن محمد بن سالم البصري، شيخ الصوفية الزاهد، وتلميذ سهل بن عبد الله التستري، وليس هو أبا لمحمد مؤسس السالمية.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) كما نقله عنه الألوسي في روح المعاني (١/ ١٩).

قال: قلت: ما بالهم لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد.

قال: وقيل: إنهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام اللفظي رعاية للأدب واحترازًا عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام النفسي كما قال بعض الأشاعرة: إن كلامه تعالى ليس قائمًا بلسان أو قلب ولا حالا في مصحف أو لوح ومنع اطلاق القول بحدوث كلامه وإن كان المراد هو اللفظي رعاية للأدب واحترازا عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام الأزلي.

والمعتزلة قالوا: بحدوث كلامه وإنه مؤلف من أصوات وحروف وهو قائم بغيره ومعنى كونه متكلمًا عندهم أنه موجد لتلك الحروف والأصوات في الجسم كاللوح المحفوظ أو كجبريل أو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو غيرها كشجرة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فهم منعوا أن المؤلف من الحروف والأصوات صفة لله تعالى قديمة.

والكرامية لما رأوا أن مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة أشنع من مخالفة الدليل، وأن ما التزمه المعتزلة من كون كلامه تعالى صفة لغيره وأن معنى كونه متكلمًا كونه خالقًا للكلام في الغير مخالف للعرف واللغة ذهبوا إلى أن كلامه (ع/ ١٨٢أ) تعالى صفة له مؤلفة من الحروف والاصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى فهم منعوا أن كل ما هو صفة له فهو قديم.

والأشاعرة قالوا: كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته تعالى قديم، فهم منعوا أن كلامه تعالى مؤلف من الحروف والأصوات.

ولا نزاع بين الشيخ والمعتزلة في حدوث الكلام اللفظي، وإنما نزاعهم في إثبات الكلام النفسي وعدمه، وذهب المصنف إلى أن مذهب الشيخ -يعني الأشعري- أن الألفاظ أيضًا قديمة وأفرد في ذلك مقالة ذكر فيها أن لفظ المعنى يطلق تارة على

مدلول اللفظ وأخرى على القائم بالغير، فالشيخ لما قال: هو المعنى النفسي فهم الأصحاب منه أن مراده به مدلول اللفظ وهو القديم عنده وأما العبارات فإنما سميت كلامًا مجازًا لدلالتها على ما هو الكلام الحقيقي حتى صرحوا بأن الألفاظ (د/١١٧ب) حادثة على مذهبه ولكنها ليست كلامًا له تعالى حقيقة إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطنين في الأحكام الدينية.

فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني، فيكون الكلام النفسي عنده أمرًا شاملًا للفظ والمعنى جميعًا، قائمًا بذات الله تعالى انتهى كلام الدواني الذي هو في الوهن مثل بيت العنكبوت وأحسن منه البكم والسكوت.

وفيه أشياء يتعين التنبيه عليها:

الأول: قوله: «إن الناس لما رأوا قياسين متعارضي النتيجة..» إلخ.

يقال: أكثر أهل الإسلام لم يرفعوا بالمنطق رأسا ولم يراعوا هذه القواعد وإذا شئت ان تعرف ذلك فانظر إلى ردود متكلمي أهل الإسلام على المنطق وبيان فساده وتناقضه كأبي سعيد السيرافي النحوي[1] والقاضي أبي بكر ابن الطيب والقاضي عبد الجبار المعتزلي والجبائي وابنه وأبي المعالي الجويني وأبي القاسم الأنصاري وشيخ الإسلام ابن تيمية فإن له في نقضه كتابين صغير وكبير وياللعجب أترى المعتزلة والكلابية والكرامية أسسوا مذاهبهم على قواعد المنطق فضلًا عن السلف وأتباعهم هذا لا يظنه إلا أجهل الخلق وأشدهم غفلة عن معرفة ديانات الناس ونحلهم.

---

(١) هو: الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي أبو سعيد، عالم مشارك في النحو والفقه واللغة والشعر والعروض والحساب والهندسة، مات سنة (٣٦٨هـ). من آثاره: «شرح كتاب سيبويه» في النحو، انظر: معجم المؤلفين (٣/ ٢٤٢).

الثاني: قوله: «بعض الحنابلة قال بقدم الجلد والغلاف» ثم تهكم بقوله» ما لهم لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد».

أقول: أنظر إلى هذا الكذب المجرد(١)، فبالله قل لي: من قال هذا القول منهم؟ وفي أي كتاب يوجد من كتبهم.

ونحو مما حكاه الدواني ما ذكره أبو المعالي الجويني (ع/١٨٣ب) قال(٢): وذهب الحشوية المنتمون إلى الظاهر إلى أن كلام الله تعالى قديم أزلي ثم زعموا أنه حروف وأصوات وقطعوا بأن المسموع من أصوات القراء ونغماتهم عين كلام الله تعالى، وأطلق الرعاع منهم القول بأن المسموع صوت الله تعالى عن قولهم وهذا قياس جهالاتهم.

ثم قالوا: إذا كتب كلام الله بجسم من الأجسام رقومًا ورسومًا وأسطرًا وكلمات فهي بأعيانها كلام الله القديم فقد كان إذ كان جسمًا حادثًا (د/١١٨أ) ثم انقلب قديمًا ثم قضوا بأن المرئي من الأسطر هو الكلام القديم الذي هو حرف وصوت وأصلهم أن الأصوات على تقطيعها وتواليها كانت ثابتة في الأزل قائمة بذات الباري تعالى وقواعد مذهبهم مبنية على دفع الضرورات انتهى كلامه.

قال شيخ الإسلام(٣) -بعد أن حكى هذا الكلام عن أبي المعالي-: ومعلوم أن هذا القول لا يقوله عاقل يتصور ما يقول.

ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين، ولا رأينا هذا في شيء من كتب المسلمين ولا سمعناه من أحد منهم فما سمعنا من أحد ولا رأينا في كتاب

(١) يقصد: الكلام المجرد عن الأدلة.
(٢) كما نقله عنه ابن تيمية في الدرء (٢/ ٣١٠)، وذكر نص كلامه ولم يسمه.
(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣١١).

أحد أن المداد الحادث انقلب قديمًا ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم بل رأينا عامة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ينكرون هذا القول وينسبون ناقله عن بعضهم إلى الكذب.

وأبو المعالي وأمثاله أجل من أن يقول الكذب، لكن القول المحكي قد يسمع من قائل لم يضبطه وقد يكون القائل نفسه لم يخبر قولهم بل يذكر كلامًا مجملًا يتناول النقيضين ولا يميز فيه بين لوازم أحدهما ولوازم آخر».

إلى آخر ما ذكره.

وأقبح من ذلك قوله -أي الدواني-: وقيل: إنهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام اللفظي رعاية للأدب واحترازًا عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام النفسي.

فيا لله العجب!! من هذا الاعتذار البارد، فإن الحنابلة لا يعتقدون ثبوت الكلام النفسي، بل ينفونه أشد النفي، ويرونه من أعظم الباطل، والكلام عندهم اسم اللفظ والمعنى جميعًا كما هو مذهب السلف رحمة الله عليهم.

ويسأل هذا المتحذلق: هل يوجد كلام لفظي ليس له معنى اللهم إلا كلام المجانين؟ واللفظ المهمل لا يسمى كلامًا[1] إذ ليس له معنى وهذا معنى قول النحاة الكلام لفظ مفيد فإنه لا يفيد حتى يكون له معنى.

الثالث: قوله: «والكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة...» إلخ، يقال: إن كان مخالفة الضرورة (د/١١٨ب) ضارًّا فأصحابك الأشاعرة قد خالفوا

---

(١) في النسخ الخطية العبارة هكذا: «واللفظ المهمل فهو.... » إلخ، وهي عبارة مقحمة من الناسخ؛ والكلام يستقيم بدونها، والله أعلم.

الضرورة في إثبات المعنى النفسي؛ فالتزموا أن الساكت متكلم (ع/ ١٨٤) والأخرس متكلم، وغير ذلك من الشناعات.

الرابع: قوله: «والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه وأنه مؤلف من أصوات وحروف وهو قائم بغيره...» إلخ، يقال: هذا في الحقيقة هو قول أصحابك الأشاعرة فإنهم قضوا بحدوث الحروف وأنها مخلوقة وصرحوا بأنها إنشاء جبريل أو إنشاء محمد ﷺ أو أنها خلقت في محل آخر كاللوح المحفوظ والشجرة أو أن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ فكان حقيقة قولهم إذا قالوا إن محمدًا ﷺ أنشأه هو قول من قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥].

ثم أصحابك أثبتوا شيئًا لا دليل على ثبوته، وهو المعنى النفسي، وخالفوا إجماع السلف والمعتزلة جميعًا[1]، فإن الكلام عند السلف والحنابلة اسم للفظ والمعنى جميعًا، وعند المعتزلة لا كلام لله تعالى إلا اللفظ المخلوق في محل وإنه غير قائم بالله تعالى.

وإلزم السلف وأصحابك المعتزلة: أن الكلام لا يكون كلامًا إلى لمن قام به الكلام ثم نقض من نقض من أصحابك هذا الالزام.

وقالوا: الكلام يطلق على المعنى واللفظ بالاشتراك فانهدم أصلهم الذي ردوا به على المعتزلة.

---

(١) المعتبر هو مخالفة النصوص، وأما المعتزلة فلاعبرة بمخالفتهم لأنهم من أهل البدع، لكن المؤلف أراد بذلك أن يبين أنهم خالفوا أصول المعتزلة التي تلقوها عنهم وبنوا عليها مذهبهم، لا أنهم خالفوا المعقول؛ لأن المعتزلة أيضًا قد خالفوا المعقول في مسألة الكلام وغيرها من الصفات، وبيينه الكلام الآتي، والله أعلم.

ولا خلاف بينكم وبين المعتزلة في الحقيقة، إذ الألفاظ عندهم مخلوقة كما هو قولكم، والمعنى الذي اثبتموه وخالفتم به جميع فرق الأمة هو شيء لا حقيقة له، وليس بأيديكم إلا بيت الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد .... إلخ

وهذا البيت لم ينقل عن قائله بإسناد لا واحد ولا أكثر، ولو احتج عليكم محتج بحديث مخرج في الصحيحين لم تقبلوه وقلتم هذه أخبار آحاد.

الخامس: أن أصحابك خالفوا فرق الأمة في إثبات هذا المعنى، والأمر كما قال الإمام أبو اليمن الكندي النحوي الحنفي[1] قال:

إن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلب الكلام اسمه وسماه: عبارة، وسلب الفكر والروية اسمها وسماهما: كلامًا.

السادس: قولك: «الأشاعرة قالوا: كلامه تعالى معنى واحد بسيط» ثم نقلت عن صاحب المواقف أنه أفرد لذلك مقالة (د/ ١١٩أ) حمل فيها كلام الشيخ أبي الحسن الأشعري لما قال هو المعنى النفسي أن ذلك يكون شاملًا للفظ والمعنى جميعًا ثم سكت عن إنكاره، فكيف كان في الأول بسيطًا ثم صار مركبًا من المعنى واللفظ.

السابع: أن تلميذك عفيف الدين الإيجي[2] قد رد مذهب أصحابك وقدح

---

(١) زيد بن الحسن بن زيد الكندي البغدادي الحنفي، تاج الدين، أبو اليمن، أديب شاعر نحوي، له «شرح ديوان المتنبي»، و«إتحاف الزائر وأطراف المقيم والمسافر». مات سنة (٦١٣هـ). انظر: الأعلام (٣/ ٥٧)، ومعجم المؤلفين (٤/ ١٨٩).

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي الشيرازي، عضد الدين، من كبار منظري الأشاعرة المتأخرين، وهو معاصر لابن تيمية، مات سنة (٧٥٦هـ).من آثاره: «الفوائد الغياثية في المعاني والبيان»، و«شرح منتهى السؤل»، و«المواقف في علم الكلام»، وله شروح كثيرة. انظر: معجم المؤلفين (٥/ ١١٩).

فيه غاية القدح فقال ما حاصله[١]: «إن هذا الذي تدعيه الأشاعرة من أن للكلام[٢] معنى آخر يسمى (ع/ ١٨٥ب) النفسي باطل، فإذا قلنا: زيد قائم فهناك أربعة أشياء:

الأول: العبارة الصادرة عنه.

والثاني: مدلول هذه العبارة وما وضع[٣] له هذه الألفاظ من المعاني المقصودة بها.

الثالث: علمه بثبوت تلك النسبة وانتفائها.

الرابع: ثبوت تلك النسبة وانتفاؤها في الواقع والأخيران ليسا كلامًا اتفاقًا.

والأول لا يمكن أن يكون كلام الله حقيقة على مذهبهم فبقي الثاني وكذا نقول في الأمر والنهي ها هنا ثلاثة أمور:

الأول: الإرادة والكراهة الحقيقية.

الثاني: اللفظ الصادر عنه.

الثالث: مفهوم لفظه ومعناه.

والأول ليس كلامًا اتفاقًا والثاني كذلك على مذهبهم، فبقي الثالث وبه صرح أكثر محققيهم.

وكونه كلامًا نفسيًّا ثابتًا لله -تعالى شأنه - محكوما عليه بأحكام مختلفة؛باطل من وجوه:

الأول: أنه مخالف للعرف واللغة فإن الكلام فيهما ليس إلا المركب من الحروف.

---

(١) بحثت عنه فلم أجده، والذي وجدته في كتاب «المواقف» موافقة الأشاعرة والانتصار لمذهبهم. انظر: المواقف لعضد الدين الإيجي (ص٢٩٣- ٢٩٦).

(٢) في (د) و(ع) «الكلام» وهو خطأ، ولعل ما أثبته هو الصواب.

(٣) العبارة صحيحة هنا، وهي جائزة التأنيث.

الثاني: أنه لا يوافق الشرع إذ قد ورد فيها لا يحصى كتابًا وسنة أن الله تعالى ينادي عباده ولا ريب أن النداء لا يكون إلا بصوت بل قد صرح به في الأخبار الصحيحة وباب المجاز وإن لم يغلق بعد إلا إن حمل ما يزيد على نحو مائة ألف من الصرائح على خلاف معناها مما لا يقبله العقل السليم

الثالث: أن ما قالوه من كون هذا المعنى النفسي واحدًا يخالف العقل فإنه لا شك أن مدلول اللفظ في الأمر يخالف مدلوله في النهي ومدلول الخبر يخالف مدلول الانشاء بل مدلول أمر مخصوص غير مدلول أمر آخر وكذا في الخبر ولا يرتاب عاقل أن مدلول اللفظ لا يمكن أن يكون غير القرآن وسائر الكتب السماوية.

فيلزم أن يكون كل واحد مشتملًا على ما اشتمل (د/ ١١٩ب) عليه الآخر وليس كذلك وكيف يكون معنى واحد خبرًا وإنشاء محتملًا للتصديق والتكذيب وغير محتمل وهو جمع بين النفي والإثبات[1] انتهى كلامه.

الثامن: قوله: «إن الكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة» يقال: كلا ليس هذا مأخذ الكرامية وإنما مأخذهم في ذلك أنهم شاركوا الجهمية والمعتزلة في الاستدلال على حدوث العالم بدليل الأكوان المشهور المبني على منع التسلسل فلهذا جعلوا لكلام الله تعالى أولًا كما جعلوا لفعله أولًا خوفًا من القول بالتسلسل فيسد ذاك عليهم إثبات الباري سبحانه وكلامه كفعاله الكل عندهم له بداية فوضح بطلان كلام الدواني من كل وجه.

وقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (ع/ ١٨٦أ):

ولـربمـا سمـي بـهـا الـقـرآن تسـ	ـمـيـة المجـاز وذاك وضـع ثـان

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحدين لنعمان بن محمود الألوسي (ص٣١٥) - مطبعة المدني- بتحقيق علي السيد صبحي المدني.

أي إن القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الحروف بعد اتفاقهم على أنها مخلوقة: هل تسمى كلام الله مجازًا أو يطلق الكلام عليها وعلى المعنى بالاشتراك وقد تقدم أن القول بالاشتراك[1] يهدم مذهبهم، لأنهم ألزموا المعتزلة أن الكلام لا يكون كلامًا إلا لمن قام به الكلام.

فإذا كان كلام الله يطلق على المعنى وعلى الألفاظ بالاشتراك لزمهم مذهب المعتزلة.

وقوله:

وكذلك اختلفوا فقيل حكاية عنه وقيل عبارة لبيان

أي إن القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الألفاظ الحادثة على مذهبهم هل يقال: هي حكاية عن المعنى القديم كما قاله ابن كلاب أو يقال عبارة كما قال الأشعري.

فابن كلاب قال: الحروف حكاية عن كلام الله وليست من كلام الله لأن الكلام لابد أن يقوم بالمتكلم والله يمتنع أن يقوم به حروف وأصوات فوافق الجهمية والمعتزلة في هذا النفي، فجاء الأشعري بعده -وهو موافق لابن كلاب على عامة أصوله- فقال: الحكاية تقتضي أن يكون مثل المحكي وليست الحروف مثل المعنى بل هي عبارة عن المعنى ودالة، وبعض القائلين بهذا القول يرون هذا البحث لفظيًّا لا طائل تحته (د/ ١٢٠أ) كما قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

(١) انظر: منهاج السنة (١/ ٣١٤).

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

فصل
في مذهب الاقترانية

والفرقة الأخرى فقالت انه ... لفظ ومعنى ليس ينفصلان
واللفظ كالمعنى قديم قائم ... بالنفس ليس بقابل الحدثان
فالسين عند الباء لا مسبوقة ... لكن هما حرفان مقترنان
والقائلون بذا يقولوا إنما ... ترتيبها في السمع بالآذان
ولها اقتران ثابت لذواتها ... فاعجب لذا التخليط والهذيان
لكن زاغونيهم قد قال إن ... ذواتها ووجودها غيران
فترتبت بوجودها لاذاتها ... يا للعقول وزيغة الأذهان
ليس الوجود سوى حقيقته ... الذي الأذهان بل في هذه الأعيان
لكن إذا أخذ الحقيقة خارجا ... ووجودها ذهنا فمختلفان
والعكس أيضًا مثل ذا فاذاهما ... اتحدا اعتبارا لم يكن شيئان
وبذا تزول[(١)] جميع اشكالاتهم ... في ذاته ووجوده الرحمن

شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في بيان مذهب (ع/ ٨٧ب) الاقترانية في القرآن وهم السالمية ومن وافقهم وذلك أن كلام الله عندهم حروف وأصوات قديمة أزلية ولها مع ذلك معان تقوم بذات المتكلم، ثم إن جمهور هؤلاء يقولون: إن تلك الأصوات هي الأصوات المسموعة من القراء وهم في ذلك تفاصيل ليس هذا موضع ذكرها.

---

(١) في بعض نسخ النونية «تزول» وكلاهما صحيح، وصححناه بالتاء بناءً على تعديل المؤلف له في الشرح. وانظر: الكافية الشافية (١/ ٢٠١-تعليق) ط. دار عالم الفوائد.

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

لكن زاغونيهم قد قال إن ذواتها ووجودها غيران

يعني: ابن الزاغوني[١] من أئمة هذه الطائفة قال: إن وجود هذه الكلمات غير ذواتها، فرد عليه الناظم بقوله:

.... يا للعقول وزيفة الأذهان

أي: كيف يكون وجود الشيء غير ذاته، ثم قرر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ما هو الحق في المسألة (د/ ١٢٠ب): وهو أن الوجود والماهية إن أخذا ذهنين فالوجود الذهني عين الماهية الذهنية، وكذلك إن أخذا خارجيين اتحدا أيضًا فليس في الخارج وجود زائد على الماهية الخارجة، بحيث يكون كالثوب المشتمل على البدن، هذا خيال محض وكذلك حصول الماهية في الذهن هو عين وجودها.

فليس في الذهن ماهية ووجود متغايرين، بل إن أخذا أحدهما ذهنيًّا والآخر خارجيًّا فأحدهما غير الآخر، ولما قرر المصنف هذا قال:

وبذا تزول جميع إشكالاتهم في ذاته ووجوده الرحمن

(١) هو: أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن الزاغوني البغدادي صاحب التصانيف.
قال الذهبي: «رأيت لأبي الحسن بخطه مقالة في الحرف والصوت عليه فيها مآخذ، والله يغفر له فيا ليته سكت». مات سنة (٥٢٧هـ). انظر: السير (١٩/ ٦٠٥).

قال الناظم:

فصل (١)

في مذهب القائلين بأنه متعلق بالمشيئة والإرادة

والقائلون بأنه بمشيئة … وإرادة أيضًا فهم صنفان
إحداهما جعلته خارج ذاته … كمشيئة للخلق والأكوان
قالوا وصار كلامه بإضافة الـ … ـتشريف مثل البيت ذي الأركان
ما قال عندهم ولا هو قائل … والقول لم يسمع من الديان
فالقول مفعول لديهم قائم … بالغير كالأعراض والأكوان
هذي مقالة كل جهمي وهم … فيها الشيوخ معلمو الصبيان
لكن أهل الإعتزال قديمهم … لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني
وهم الألى اعتزلوا عن الحسن الرضى … البصري ذاك العالم الرباني
وكذاك أتباع على منهاجهم … من قبل جهم صاحب الحدثان
لكنما متأخروهم بعد ذ … لك وافقوا جهما على الكفران
فهم بذا جهمية أهل اعتزا … ل ثوبهم أضحى له علمان
ولقد تقلد كفرهم خمسون في … عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عن … هم بل حكاه قبله الطبراني

شرع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بيان (ع/١٨٨) مذاهب القائلين بأن كلام الله تعالى (د/ ١٢١أ) متعلق بالمشيئة والإرادة، فذكر مذهب الجهمية القائلين بخلق القرآن ومن

---

(١) في هامش (ع) «بلغ قراءة على مؤلفه».

تبعهم من المعتزلة، وذلك أن الكلام عندهم صفة فعل[١]، قالوا وإنما سمي كلام[٢] الله للتشريف كما يقال بيت الله وإلا فالله تعالى عندهم ما تكلم ولا يتكلم كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فيما خرجه في الرد على الجهمية[٣] «بيان ما أنكرت الجهمية: أن الله كلم موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء.

قلنا: لم أنكرتم ذلك قالوا لأن الله لم يتكلم ولا يتكلم وإنما كون شيئًا فعبر عن الله وخلق صوتًا فسمع فزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان.

فقلنا: فهل يجوز لمكون أو لغير الله أن يقول لموسى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه:١٤]، فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية،

---

(١) في هامش (ع) «قول الشارح وذلك أن الكلام عندهم -أي عند الجهمية- صفة فعل، ليس كما قال، فلعل هذا صدر منه في حال ذهول، فإن قول أهل السنة: أنه صفة فعل -كما ذكره الناظم فيما يأتي من قوله، وهو قوله فيما يأتي بعد فصول عن الإمام أحمد: جعل الكلام صفة فعل قائم بالرب لم يفقد من الرحمن» اهـ.

والذي يظهر -والله أعلم- أن الصواب مع الشارح؛ فإن الجهمية والمعتزله يقولون: إن الكلام صفة فعل منفصل عن الموصوف لا صفة ذات، لأنهم يقولون: المتكلم من فعل الكلام ولو كان منفصلًا، والله لما أحدث الكلام في غيره صار متكلمًا.

ولعله التبس على المعلق قول أهل السنة: إن الكلام صفة فعل، مع أن أهل السنة يشتركون مع الجهمية والمعتزلة في قولهم: الكلام صفة فعل، لكن أهل السنة يفارقونهم في أن الكلام صفة فعل قائمة بالموصوف، لا يعقل في الوجود موصوف بغير صفات، ولا صفات غير قائمة بموصوفها.

أما الجهمية فلا ينسبون الكلام إلى الله تعالى بل يقولون: الكلام صفة فعل غير قائمة بموصوفها.

ويزيد أهل السنة أمرًا آخرًا: وهو أنه كما أن الكلام صفة فعل فهو صفة ذات أيضًا؛ لأنه صفة ذات من جهه أن الله موصوف به أزلًا، وصفة فعل من جهة أنه من الصفات الاختيارية التي تقوم بقدرته ومشيئته، والله أعلم.

انظر: منهاج السنة (٢/ ٣٧٦-٣٧٧)، والجواب الصحيح (٤/ ٨٠).

(٢) كذا في (ع).

(٣) (ص٣٤).

ولو كان كما زعم الجهمية أن الله كون شيئًا كأن يقول ذلك المكون: يا موسى إن الله رب العالمين لا يجوز أن يقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص:٣٠]، وقد قال جل ثناؤه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤] فهذا منصوص القرآن.

قال: وأما ما قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم فكيف يصنعون بحديث سليمان الأعمش عن خيثمة[١] عن عدي بن حاتم الطائي[٢] قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان**»[٣].

قال: وأما قولهم إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان أليس قال الله للسموات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١] أترى أنها قالت بجوف وشفتين ولسان وقال الله: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾ [الأنبياء:٧٩] أتراها أنها سبحت بفم وجوف ولسان وشفتين، والجوارح إذا شهدت على الكافر[٤] (ع/٨٩ب) فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾

---

(١) هو: خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة، واسمه: يزيد بن مالك بن عبد الله بن ذؤيب الجعفي، الكوفي، لأبيه وجده صحبة، ثقة، وكان يرسل من الثالثة». مات سنة (٨٠هـ).
انظر: التهذيب (٢/ ١٠٧)، التقريب (ص٣٠٤).

(٢) هو: من أحفاد امرئ القيس بن عدي الطائي. أسلم سنه تسع، وقيل سنه عشر، وثبت على إسلامه في الردة، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر، وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي، ومات بعد الستين وقد أسن. انظر: الإصابة (٢/ ٤٦٠-٤٦١).

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق (٤/ ٢٠٤٨)، باب من نوقش الحساب عذب، ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٠٣)، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.

(٤) لعلها الكفار.

[فصلت:٢١] (د/ ١٢١ب) أتراها نطقت بجوف وشفتين وفم ولسان ولكن الله أنطقها كيف شاء من غير أن يقول فم ولسان وشفتين.

قال: فلما خنقته الحجج.

قال: إن الله كلم موسى إلا أن كلامه غيره.

فقلنا: وغيره مخلوق.

قال: نعم.

قلنا: هذا مثل قولكم الأول إلا أنكم تدفعون الشنعة عن أنفسكم بما تظهرون، وحديث الزهري قال لما سمع موسى كلام ربه، قال: يا رب هذا الكلام الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو كلامي، وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الألسن كلها وأنا أقوى من ذلك وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك ولو كلمتك بأكثر من ذلك مت قال فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك فقال: سبحان الله وهل أستطيع أن أصفه لكم قالوا شبهه قال أسمعتم أشد ما يسمع من أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله(١).

قال: وقلنا للجهمية: من القائل لعيسى يوم القيامة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦] أليس الله هو القائل.

قالوا: يكوّن الله شيئًا يعبر عن الله كما كون لموسى فعبر فقلنا فمن القائل: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦] أليس الله هو الذي يسأل.

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة له (٢/ ٤٧٩)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢١٠).

قالوا: هذا كله إنما يكون الله شيئًا فيعبر عن الله

قلنا: قد أعظمتم على الله الفرية حين زعمتم أن الله لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله لأن الأصنام لا تتكلم ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان، فلما ظهرت عليه الحجة قال: أقول: إن الله قد يتكلم ولكن كلامه مخلوق.

قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، ففي مذهبكم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلامًا، فقد جمعتم بين كفر وتشبيه فتعالى الله عن هذه الصفة بل نقول: إن الله جل ثناؤه لم يزل متكلمًا إذا شاء ولا نقول إنه كان ولا يتكلم حتى خلق كلامًا، ولا نقول إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علمًا (د/ ١٢٢أ) فعلم ولا نقول إنه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة ولا نقول إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورًا ولا نقول إنه كان ولا عظمة حتى خلق لنفسه عظمة.

فقالت الجهمية لنا -لما وصفنا من الله هذه الصفات-: إن زعمتم أن الله ونوره والله وقدرته والله وعظمته فقد قلتم بقول النصارى حين (ع/ ١٩٠أ) زعمتم أن الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته.

فقلنا: لا نقول إن الله لم يزل وقدرته ولم يزل ونوره، ولكن نقول لم يزل بقدرته ونوره لا متى قدر ولا كيف قدر.

فقالوا: لا تكونون موحدين أبدًا حتى تقولوا كان الله ولا شيء.

فقلنا: نحن نقول كان الله ولا شيء ولكن إذا قلنا إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلها واحدًا بجميع صفاته.

وضربنا لهم مثلًا في ذلك فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم واحد سميت نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله جل ثناؤه وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد.

لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة له حتى خلق قدرة والذي ليس له قدرة هو عاجز، ولا نقول: انه قد كان في وقت من الأوقات ولا علم له حتى خلق فعلم والذي لا يعلم فهو جاهل ولكن نقول لم يزل الله قادرًا عالمًا مالكًا لا متى ولا كيف وقد سمى الله رجلًا كافرًا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي(١) فقال: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [المدثر:١١]، وقد كان لهذا الذي سماه الله وحيدًا عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله وحيدًا بجميع صفاته فكذلك الله وله المثل الأعلى هو بجيمع صفاته إله واحد» اهـ.

وفي التسعينية لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ(٢): ومما ينبغي أن يعلم أن الجهمية لما كانت في نفس الأمر قولها قول أهل الشرك والتعطيل ليس هو قول أحد من أهل الكتب المنزلة ولكن لم يكن لهم بد من موافقة أهل الكتب في الظاهر وإن كانوا في ذلك منافقين عالمين بنفاق أنفسهم كما عليه طواغيتهم الذين علموا (د/ ١٢٢ب) بمخالفة أنفسهم للرسل وأقدموا على ذلك وهؤلاء منافقون زنادقة وإما جهال بنفاق أنفسهم صاروا في الجمع بين تكذيبهم الباطن وتصديقهم الظاهر جامعين

---

(١) هو: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد شمس، من قضاة العرب في الجاهلية ومن زنادقتها، أدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد. انظر: الكامل لابن الأثير (٢/ ٧١-٧٢).

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى (٥/ ١٠٨).

بين النقيضين مضطرين إلى السفسطة في العقليات[١] والقرمطة في السمعيات[٢] مفسدين للعقل والدين.

وقولهم بخلق القرآن ونفي الصفات: من أصول نفاقهم، وذلك أنه من المعلوم ببدائه العقول: أن الحي لا يكون حيًّا إلا بحياة تقوم به، لا يكون حيًّا بلا حياة أو بحياة تقوم بغيره، وكذلك العالم والقادر لا يكون عالمًا قادرًا إلا بعلم وقدرة تقوم به لا يكون عالمًا قادرًا بلا علم ولا قدرة أو بعلم (ع/ ١٩١ب) وقدرة تقوم بغيره وكذلك

(١) السفسطة: هي قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته.
وقيل: السفسطة: هي إبطال الحقائق كلها كما لو قلت كلامًا فقيل لك: هذا ليس على ظاهرة.
والسفسطة في العقليات: هي المغالطة في الأمور البدهية المعلومة من العقل بالضرورة، والتي يجد العاقل من نفسه ضرورة إلى التسليم بها، كمعرفة أن الاثنين فوق الواحد والعلو مقابل للسفل، ووجه السفسطة أنهم جحدوا معاني نصوص الصفات مع علمهم بما دلت عليه تلك النصوص من المعاني المعروفة لغة وشرعًا، فسلكوا مسلك السوفسطائيه في التمويه وجحد الحقائق.
السوفسطائية طائفة من فلاسفة اليونان، وهم فرقة ينكرون الحسيات والبديهيات وغيرها، وأكثر القواعد العقلية التي يتبجح بها المعطلة ويذكرونها في مقدمات كتبهم في العقائد هي من هذا النوع، بل صرح الرازي أن الداخل في هذا العلم يحتاج إلى تغيير فطرته.
انظر: التعريفات للجرجاني (ص١٥٨)، والنبذة الكافية لابن حزم (ص٣٨)، ونقض التأسيس (١/ ٢٣٥)، وكشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ٣٦٨).

(٢) القرمطة في اللغة: هي التقارب في الخط والمشي، وقال بعضهم: القرمطة في الخط دقة الكتابة وتداني الحروف والسطور...، والقرمطة في المشي: مقاربة الخطو، يقال: قرمط الرجل في خطوه إذا قارب ما بين قدميه.
والقرامطة طائفة من الشيعة الإسماعيلية، وهم فرقة باطنية كافرة، تدعى أن للنصوص باطنًا يخالف ظاهرها. ومعنى قوله «يقرمطون في السمعيات» أي يؤولون النصوص تأويلًا يخرجها عن معانيها الصحيحة، لأن ظاهر النصوص هو المراد، فمن تأولها فقد أدعى أن لها معنى باطنًا يخالف ظاهرها، لأن الباطن يقابل الظاهر، وبهذا سميت القرامطة باطنية.
انظر: العين (٥/ ٢٥٩)، ولسان العرب (٧/ ٣٧٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ١١٨)، والتعريفات للجرجاني (ص١٢٤)، وإحصاء العلوم للفارابي (ص٨١)، وتاريخ الفلسفة ليوسف كرم (ص٤٥).

الحكيم والرحيم والمتكلم والمريد، لا يكون حكيمًا ولا رحيمًا أو متكلمًا أو مريدًا إلا بحكمة ورحمة أو كلام وإرادة تقوم به، لا يكون حكيمًا بلا حكمة و[لا][1] رحيماً بلا رحمة أو بحكمة ورحمة تقوم بغيره، ولا يكون متكلمًا ولا مريدًا بلا كلام ولا إرادة أو بكلام وإرادة تقوم بغيره.

وكذلك من المعلوم ببدائه العقول: أن الكلام والإرادة والعلم والقدرة لا تقوم إلا بمحل إذ هذه صفات لا تقوم بأنفسها ومن المعلوم ببدائه العقول أن المحل الذي يقوم به العلم يكون عالمًا والذي تقوم به القدرة يكون قادرًا والذي يقوم به الكلام يكون متكلمًا والذي تقوم به الرحمة يكون رحيمًا والذي تقوم به الإرادة يكون مريدًا.

فهذه الأمور مستقرة في فطر الناس تعلمها قلوبهم علمًا فطريًّا ضروريًّا والألفاظ المعبرة عن هذه المعاني هي من اللغات التي اتفق عليها بنو آدم فلا يسمون عالمًا قادرًا إلا من قام به العلم والقدرة ومن قام به العلم والقدرة سموه عالمًا قادرًا.

وهذا معنى قول من قال من أهل الإثبات إن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها إلى ذلك المحل، وكان ذلك المحل هو العالم المتكلم دون غيره، ومعنى قولهم إن الصفة إذا قامت بمحل اشتق له منها اسم كما يشتق لمحل العلم عليم ولمحل الكلام متكلم[2].

---

(١) ما بين معكوفتين سقطت من (د) و(ع) واستدركناها من الفتاوى الكبرى.

(٢) هذه القاعدة والتي قبلها من القواعد العقلية اللغوية التي استخدمها أهل السنة في الرد على القائلين بخلق القرآن -وذكر ابن تيمية أنها من أصول أهل السنة-؛ لأن المتكلم لا يكون متكلمًا إلا إذا قام الكلام بذاته لا بغيره.

ونص القاعدة: «أن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل، ولم يعد على غيره، واشتُق لذلك المحل منه اسم ولم يشتق لغيره، فإذا خُلق في محل حركه أو علمٌ أو قدرةٌ، كان ذلك =

ومعنى قولهم (د/١٢٣أ): «إن صدق المشتق لا ينفك عن صدق المشتق منه»[1] أي أن لفظ العليم المتكلم مشتق من لفظ العلم والكلام فإذا صدق في الموصوف أنه عليم لزم أن يصدق حصول العلم والكلام له[2].

ولهذا كان أئمة السلف الذين عرفوا حقيقة قول من قال: «مخلوق» وأن معنى ذلك: أن الله لم يقم به كلام بل الكلام قائم بجسم من الأجسام غيره -وعلموا

=المحل هو المتحرك العالم القادر، فهذه القاعدة كاملة شملت القاعدة الأولى التى ذكرها الشارح هنا والثانية.

فالشق الأول من القاعدة عقلي، والشق الثاني لغوي؛ لأنه يتعلق باشتقاق الاسم، والقاعدة الأولى ذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كثير من كتبه ورد بها على الجهمية المعتزلة في نفي الصفات.

فأحيانًا يذكر القاعدة الأولى على حده والثانية على حده كما في النص الذي أورده الشارح هنا نقلًا عن التسعينية.

وأحيانًا يدمج القاعدتين معًا وهو الذي يظهر أنه الأولى، لأن الاشتقاق لا يكون إلا بعد عود الصفة إلى المحل.

انظر: شرح الأصفهانية لابن تيمية (ص٢٣، ٨٩، ١٩٩)، ومنهاج السنة له (٢/ ٢٧) (٣/ ٣٥٥)، وبغية المرتاد (ص٣٥٣)، والرد على البكري (١/ ٣٣٩)، ودرء التعارض (٤/ ٦١)، واقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤١٩)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٢٦) (٨/ ١٢٧) (١٢/ ٢٧٣) (١٢/ ٥١٤).

(١) هذه القاعدة أيضًا من القواعد التي رد بها أهل السنة على المعتزلة وأثبتوا بها تناقضهم فقالوا للمعتزلة: إذا أثبتم حيًّا عليمًا قديرًا بلا حياة ولا علم ولا قدرة كان هذا تناقضًا مثل إثبات أسود بلا سواد، وأبيض بلا بياض، وطويل بلا طول، فإثبات اسم فاعل بلا مسمى مصدر يعد تناقضًا عقلًا وسمعًا. انظر: الصفديه (٢/ ٣٦).

(٢) فيجب إذا صدق اسم الفاعل والصفة المشبهة أن يصدق مسمى المصدر؛ فإذا قيل قائم وقاعد كان ذلك مستلزمًا للقيام والقعود، وكذلك إذا قيل فاعل وخالق، كان ذلك مستلزمًا للفعل والخلق وهكذا بقية الصفات.

انظر: النبوات (ص٤٦) حيث ذكر أنها من المسائل الأصولية. وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥)، والفتاوى الكبرى (١/ ٢٩٦)، ومنهاج السنة (٢/ ١٢٧).

أن هذا يوجب بالفطرة الضرورية أن يكون ذلك الجسم هو المتكلم بذلك الكلام دون الله وأن الله لا يكون متكلمًا أصلًا- صاروا يذكرون قولهم بحسب ما هو عليه في نفسه وهو أن الله لا يتكلم، وإنما خلق شيئًا تكلم عنه.

وهكذا كانت الجهمية تقول أولًا، ثم إنها زعمت: أن المتكلم من فعل الكلام ولو في غيره(١).

واختلفوا هل يسمى متكلمًا حقيقة أو مجازًا على قولين، فلهم في تسمية الله تعالى متكلمًا بالكلام المخلوق ثلاثة أقوال:

أحدها: وهو حقيقة قولهم وهم فيه أصدق لإظهارهم كفرهم أن الله لا تكلم ولا يتكلم

والثاني: وهم فيه متوسطون في النفاق أنه يسمى (ع/ ١٩٢أ) متكلمًا بطريق المجاز.

والثالث: وهم فيه منافقون نفاقًا محضًا أنه يسمى متكلمًا بطريق الحقيقة وأساس النفاق الذي ينبني عليه الكذب، فلهذا كانوا من أكذب الناس في تسمية الله متكلمًا بكلام ليس قائمًا به، وإنما هو مخلوق في غيره كما كانوا كاذبين مفترين في تسمية الله عالمًا قادرًا مريدًا متكلمًا بلا علم يقوم به ولا قدرة ولا إرادة ولا كلام.

وكانوا وإن نطقوا بأسمائه فهم كاذبون بتسميته بها، وهم ملحدون في الحقيقة كإلحاد الذين نفوا عنه أن يسمى بالرحمن ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان:٦٠].

(١) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (١/ ١٠١).

وبذلك وصفهم الأئمة وغيرهم ممن خبر مقالاتهم كما قال الإمام أحمد فيما خرجه في الرد على الجهمية(١):

فإذا قيل لهم: من تعبدون.

قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق.

قلنا: فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة.

قالوا: نعم.

قلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئًا إنما تدفعون (د/١٢٣ب) عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون.

وقلنا: لهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى قالوا لم يتكلم ولا يتكلم لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة والجوارح عن الله منفية فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيمًا لله ولا يعلم أنهم إنما يقودون قولهم إلى ضلالة وكفر انتهى كلامه.

قوله:

لكن أهل الإعتزال قديمهم   لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني

أي: أن قدماء المعتزلة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهما لم يذهبوا إلى القول بخلق القرآن ولكن متأخروهم بعد ذلك وافقوا الجهم على القول بخلق القرآن(٢) ولهذا قال الناظم:

فهم بذا جهمية أهل اعتزا   ل ثوبهم اضحى له علمان

---

(١) انظر: الرد على الجهمية (ص١٠٥).

(٢) القول بخلق القرآن لم يكن في قدماء المعتزلة، فإن أوائل المعتزلة وهم: واصل بن عطاء وأصحابه إنما كان شعارهم: المنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، وبه اعتزلوا الجماعة وسموا معتزلة، ثم جاء =

العلم: رسم الثوب ورقمه قاله في القاموس(١).

قوله:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر............................ إلخ

أي: أن القائلين بخلق القرآن كفرهم خمسمائة عالم من علماء المسلمين وهذا معنى قول الناظم:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشرٍ............................ إلخ

قوله:

واللالكائي الإمام حكاه عنهم .... إلخ

قال الإمام الحافظ أبو القاسم اللالكائي -وقد ذكر أقوال السلف والأئمة-: بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وما ورد عنهم من تكفير من يقول ذلك ثم قال(٢):

فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسًا وأكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخبيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام وفيهم نحو من (ع/١٩٣أ) مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم.

قال: ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة، لكن اختصرت فنقلت عن هؤلاء عصرًا بعد عصر لا ينكر عليهم منكر ومن أنكر قولهم استتابوه وأمروا بقتله أو نفيه أو صلبه.

=المتأخرون فأخذوا بعض مقالات جهم، فدخلوا في إنكار القدر بعد ذلك،ثم إنكار الصفات والقول بخلق القرآن إلى أن اكتملت أصولهم الخمسة المعروفة.

انظر: نقض التأسيس (١/ ٤١٩).

(١) انظر: القاموس (ص١٤٧٢).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٣٥٠).

قال: ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال القرآن مخلوق الجعد بن درهم في سني نيف وعشرين ثم الجهم بن صفوان فأما جعد فقتله خالد بن عبد الله القسري وأما جهم فقتل بمرو في خلافة هشام بن عبد الملك وسأذكر قصتهما إن شاء الله تعالى وقد حكى نحوًا من هذا الطبراني[1] كما ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

(١) سبق.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (د/ ١٢٤أ):

فصل
في مذاهب الكرامية

والقائلون بأنه بمشيئة ... في ذاته أيضًا فهم نوعان
إحداهما جعلته مبدوءا به ... نوعا حذار تسلسل الأعيان
فيسد ذاك عليهم في زعمهم ... إثبات خالق هذه الأكوان
فلذاك قالوا إنه ذو أول ... ما للفناء عليه من سلطان
وكلامه كفعاله وكلاهما ... ذو مبدء بل ليس ينتهيان
قالوا ولم ينصف خصوم ... جمجعوا وأتوا بتشنيع بلا برهان
قلنا كما قالوه في أفعاله ... بل بيننا بون من الفرقان
بل نحن أسعد منهم بالحق إذ ... قلنا هما بالله قائمتان
وهم فقالوا لم يقم بالله لا ... فعل ولا قول فتعطيلان
لفعاله ومقاله شر وأبـ ... ـطل من حلول حوادث ببيان
تعطيله عن فعله وكلامه ... شر من التشنيع بالهذيان
هذي مقالات ابن كرام وما ... ردوا عليه قط بالبرهان
أنى وما قد قال أقرب منهم ... للعقل والآثار والقرآن
لكنهم جاؤوا له بجعاجع ... وفراقع وقعاقع بشنان

شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في مذهب القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وإرادة فذكر مقالة الكرَّامية بتشديد الراء وهم اتباع أبي عبد الله محمد بن كرَّام أبو عبدالله (ع/ ١٩٤أ)

السجستاني[(١)] الزاهد شيخ الطائفة الكرامية مات سنة ٢٥٥ مئتان وخمسون.

وفي القاموس[(٢)] محمد بن كرَّام كشداد إمام الكرامية القائل بأن معبوده مستقر على العرش، وأنه جوهر تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا[(٣)].

مذهب الكرامية: أن كلام الله تعالى حادث قائم بذات الله بعد أن لم يكن متكلمًا بكلام بل ما زال (د/ ١٢٤ب) عندهم قادرًا على الكلام وهو عندهم لم يزل متكلمًا بمعنى أنه لم يزل قادرًا على الكلام وإلا فوجود الكلام عندهم في الأزل ممتنع كوجود الأفعال عندهم وعند من وافقهم من أهل الكلام كالمعتزلة وأتباعهم.

وهم يقولون: إنه حروف وأصوات حادثة بذات الرب بقدرته ومشيئته،

---

(١) هو: السجستاني المبتدع، شيخ الكرامية، كان زاهدًا عابدًا، لكنه يروي الواهيات، وقد خُذِلَ حتى التقط من المذاهب أردأها، ومن الأحاديث أوهاها،فكان يقول بأن الإيمان هو النطق باللسان مجردًا عن عقد القلب وعمل الجوارح، وسجن لأجل بدعته ثم نفي، مات بأرض المقدس سنة (٢٥٥هـ).انظر: السير (١١/ ٥٢٣)، والميزان (٤/ ٢١).

(٢) انظر: القاموس (ص١٤٨٩).

(٣) أما لفظ «استقر» فهو أحد المعاني الأربعه لتفسير «الاستواء». أما زعمه بأن الله «جوهر» فهو باطل، لأن الجوهر عند القائلين به هو: الجزء الذي لا يقبل القسمه، وما من شيء يفرضه الذهن إلا وهو أصغر منه، وهو ينافي اسم الله «الكبير»؛ فإن الله – تعالى – وصف نفسه بالكبير المتعال، وأنه تعالى أكبر من كل شيء، وكل شيء فالله تعالى أكبر منه وأعظم، وقد وردت الأحاديث الدالة على عظم العرش الذي استوى الرب عليه، ومعلوم أن العرش هو أعظم المخلوقات، والكرسي هو موضع القدمين، وهو بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في فلاة.

فهذا كله ينافي وصفه بـ«الجوهر» الذي أراده ابن كرام، وقد يكون مراده بالجوهر: الذي لم يدركه أحد بحسه، فإن كان هذا مراده فالله تعالى لا يدرك في الدنيا ولا في الآخرة لقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾، لكنه يرى في الآخرة.

والإدراك الحسي منفي في الدنيا، لأن الله تعالى غيب والحس شهادة، والإيمان بالغيب ميز الله به المؤمنين عن غيرهم، وهو الحد الفاصل بين المؤمن والكافر. والله أعلم.

ولا يقولون: إن الأصوات المسموعة والمداد الذي في المصحف قديم بل يقولون: إن ذلك محدث[(١)].

قوله:

إحداهما جعلته مبدوءًا به ....

إلى قوله:

وكلامه كفعاله وكلاهما ذو مبدء بل ليس ينتهيان

أي: أن الكرامية قالت: إن كلام الله تعالى له أول ولفعاله أول، ولكن لا نهاية لهما عندهم[(٢)].

وقوله:

حذار تسلسل الأعيان ....

أي: أن الكرامية قالوا هذا القول خوفًا من لزوم التسلسل[(٣)] وذلك لأنهم شاركوا الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم في الاستدلال على حدوث العالم بدليل الأعراض[(٤)] المشهور بين المتكلمين ومبنى الدليل على منع التسلسل، قالوا:

---

(١) من مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٢-١٧٣) برمته، وانظر (١٢/ ٥٩١) (١٧/ ٢٧٨) (٥/ ٧٣) من مجموع الفتاوى، ومنهاج السنة (٢/ ٣٦١)، ومختصر الصواعق (٤/ ١٣١٢-١٣١٣).

(٢) لأنهم زعموا أن كلامه وفعله محدث كائن بعد أن لم يكن.

(٣) هم قالوا بحدوث الكلام والأفعال فرارًا من التسليم بحوادث لا أول لها، لأنهم لو سلموا بذلك لما استطاعوا إثبات وجود الله تعالى عن طريق إثبات حدوث العالم، وحدوث العالم لا يصح عندهم إلا عن طريق دليل الأعراض، ودليل الأعراض يتناقض مع إثبات حوادث لا أول لها.

(٤) دليل الأعراض الذي استند عليه المتكلمون في قولهم بحدوث العالم يستند إلى مقدمات، مع التنبيه على أن الذي ابتدع هذا الدليل هم الجهمية والمعتزلة، ثم تبعهم على ذلك: الكلابية والأشعرية والماتردية والمشبهة، وكلهم جعلوه -باستثناء شيخي الكلابية والأشعرية- أصل دين المسلمين وقاعدة المعرفة وأساس الدين، فلا يحصل إيمان ولا دين ولا علم، ولا يمكن معرفة الله -تعالى- =

فلو كان الباري تعالى متكلمًا في الأزل بكلام لا أول له، وفاعلًا أفعالًا لا أول لها لزمنا القول بالتسلسل فبطل دليلنا الذي استدللنا به على حدوث العالم.

وقوله:

قالوا ولم ينصف خصوم جعجعوا............................ إلخ

أي قالت الكرامية لمن خالفهم من المتكلمين الذين شنعوا عليهم في مسألة الكلام إنا قلنا معشر الكرامية كما قلتم في أفعاله تعالى فإن لها أولًا عندكم فليكن كلامه كذلك وأنتم قلتم كلام الله وأفعاله غير قائمة به وهذا شيء غير معقول إذ لا يسمى متكلمًا إلا من قام به الكلام ولا فاعلًا إلا من قام به الفعل وأنتم قلتم هو

=وتصديق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزعمهم إلا بسلوك هذه الطريق، طريق الاستدلال بحدوث الأجسام والأعراض على حدوث العالم. وأوجبوا على الناس تعلم المنطق لأجل معرفة هذا الدليل الذي لا يوصف الجاهل به إلا بنقص الإيمان والمعرفة.

ويستند الدليل إلى مقدمات:

١- مقدمة كبرى مفادها: أن ما حلت به الحوادث فهوحادث.

٢- مقدمات ثانوية هي:

١. الأجسام لا تنفك عن الأعراض.

٢. الأعراض لازمة للأجسام، فكما أن الأجسام لا توجد من غير أعراض، كذلك الأعراض تفتقر إلى الأجسام.

٣. الأعراض حادثة.

٤. العالم مكون من أجسام.

إذًا: النتيجة هي: أن الأجسام حادثة، وعليه فالعالم حادث.

هذه طريقة المعتزلة، وهم وبقية المتكلمين متفقون عليها، لكنهم اختلفوا في الأصل الذي يستدل به على حدوث الأجسام:

هل يستدل على ذلك بملازمتها للأعراض جميعها أو لبعضها كالأكوان الأربعة (الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق) أو لبعض الأكوان كالحركة مثلًا، مع اتفاق الجميع على المقدمة الكبرى: ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعه مذهبهم في الصفات (١/ ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٤٨).

قائل بقول لا يقوم به وفاعل بفعل لا يقوم به فهذا تعطيل لفعاله ومقاله وهو شر من القول بحلول الحوادث، ولهذا قال الناظم:

هذي مقالات ابن كرام وما ... ردوا عليه قط بالبرهان

وقد قال الفخر الرازي في الأربعين[1]: إن مسألة حلول الحوادث تلزم عامة (ع/ ١٩٥ب) الطوائف، وذكر في الأربعين أنها تلزم أصحابه الأشاعرة أيضًا فقال[2]: إن الكرامية يجوزون ذلك وينكره (د/ ١٢٥أ) سائر الطواف.

وقيل: أكثر العقلاء يقولون به وإن أنكروه باللسان فإن أبا علي وأبا هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا إنه يريد بإرادة حادثة ويكره بكراهة حادثة لا في محل إلا أن صفة المريدية والكارهية محدثة وإذا حصل المرئي والمسموع حدث في ذاته تعالى صفة السامعية والمبصرية لكنهم إنما يطلقون لفظ التجدد دون الحادث، وأبو الحسين البصري[3] يثبت في ذاته علومًا متجددة بحسب تجدد المعلومات[4] والأشعرية يثبتون نسخ الحكم[5] مفسرين ذلك برفعه أو انتهائه والارتفاع والانتهاء عدم بعد الوجود.

ويقولون: إنه عالم بعلم واحد يتعلق قبل وقوع المعلوم بأنه سيقع وبعده يزول ذلك المتعلق ويتعلق بأنه وقع، ويقولون: بأن قدرته تتعلق بإيجاد المعين وإذا وجد

---

(١) انظر: الأربعين للرازي (ص١٦٨)- مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) انظر: درء التعارض (٢/ ٢٠٧).

(٣) محمد بن علي بن الطيب البصري، شيخ المعتزلة: المشهور بأبي الحسين،كان فصيحًا بليغًا، عذب العبارة، يتوقد ذكاءً، من آثاره «المعتمد في أصول الفقه». مات سنة (٤٣٠هـ). انظر: السير (١٧/ ٥٨٧).

(٤) انظر: درء التعارض (٢/ ٢٠٨).

(٥) انظر: درء التعارض (٢/ ٢٠٨).

انقطع ذلك التعلق لامتناع إيجاد الموجود وكذلك تعلق الإرادة بترجيح المعين وأيضًا المعدوم لا يكون مرئيًّا ولا مسموعًا وعند الوجود يصير مرئيًّا مسموعًا.

فهذه التعلقات حادثة، فإن التزم جاهل كون المعدوم مرئيًّا مسموعًا قلنا: الله تعالى يرى المعدوم معدومًا لا موجودًا وعند وجوده يراه موجودًا لا معدومًا لأن رؤية الموجود معدومًا أو بالعكس غلط وإنه يوجب ما ذكرنا.

والفلاسفة مع بُعدهم عن هذا، يقولون: بأن الإضافات وهي القبلية والبعدية والمعية موجودة في الأعيان فيكون الله مع كل حادث وذلك الوصف الإضافي حدث في ذاته.

وأبو البركات[(١)] من المتأخرين منهم: صرح في المعتبر بإرادات محدثة وعلوم محدثة في ذاته تعالى زاعمًا بأنه لا يمكن الاعتراف بكونه إلها لهذا العالم إلا مع هذا القول[(٢)] ثم قال الإجلال من هذا الإجلال والتنزيه من هذا التنزيه واجب.

قال الرازي[(٣)]: واعلم أن الصفة إما حقيقية عارية عن الإضافة كالسواد والبياض أو حقيقيه[(٤)] يلزمها إضافة كالعلم والقدرة فإنه يلزمها تعلق بالمعلوم والمقدور وهو إضافة مخصوصة بينهما وإما إضافية محضة (د/ ١٢٥ب) ككون الشيء قبل غيره وبعده ويمينه ويساره فإن تغير هذه الأشياء لا يوجب تغيرًا في الذات ولا في صفة حقيقية منها (ع/ ١٩٦أ) فنقول تغير الإضافات لا محيص عنه. وأما تغير الصفات الحقيقية فالكرامية يثبتونه وغيرهم ينكرونه.

(١) هو: هبة الله بن علي بن ملكا البلدي، كان يهوديًا ثم أسلم في آخر عمره وكان إمام الفلسفة والطب في زمانه، وله تصانيف في غاية الجودة. مات سنة (٥٥٠هـ).انظر: السير (٢٠/ ٤١٩).

(٢) منهاج السنة (١/ ٣٤٣).

(٣) انظر: درء التعارض (٢/ ٢١٠).

(٤) في الأصل «حقيقته»، والمثبت من درء التعارض.

فظهر الفرق بين مذهب الكرامية[(١)] [وغيرهم] لا نسمي[(٢)] ذلك صفة ولا نقول إن ذلك تغير في الصفات الحقيقية انتهى.

ونقل السيد الشريف[(٣)] في شرح المواقف[(٤)] قال: وقالت الكرامية أكثر العقلاء يوافقوننا في قيام الصفة الحادثة بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإن أنكروه باللسان فإن الجبائية[(٥)] قالوا بإرادة وكراهية حادثتين لا في محل لكن المريدية والكارهية قالوا حادثتان في ذاته تعالى وكذا السامعية والمبصرية تحدث بحدوث المسموع والمبصر، وأبو الحسين يثبت علومًا متجددة، والأشعرية يثبتون النسخ، وهو إما رفع الحكم القائم بذاته أو انتهاؤه، وهما عدم بعد الوجود فيكونان حادثين انتهى.

قوله:

لكنهم جاؤوا له بجعاجع .... إلخ

الجعجعة صوت الرحى، والقعاقع تتابع أصوات الرعد فرقع الأصابع نقضها فتفرقعت وافرنقعت قاله في القاموس[(٦)].

---

(١) ما بين معكوفتين من درء التعارض، وكانت في الأصل هكذا: «فظهر الفرق بين الكرامية لا يسمى ذلك صفة...» إلخ، وكتب هامش (ع): «كذا والعبارة فيها إشكال».

(٢) في الأصل: «لا يسمى» والتصحيح من درء التعارض، وقوله: (لا نسمي ذلك صفة...) إلخ من تعليق شيخ الإسلام.

(٣) هو: علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية مات سنة (٨١٦هـ). من آثاره: «التعريفات»، و«شرح مواقف الإيجي»، وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٧).

(٤) المواقف للإيجي (٣/ ٥٧)، ط. دار الجيل.

(٥) الجبائيه: أصحاب أبو علي الجبائي المعتزلي قالوا: الله متكلم بكلام مركب من حرف وصوت يخلقه الله في جسم، ولا يرى في الآخرة، والعبد خالق لفعله ومرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر ولا كرامة للأولياء.

انظر: الفرق بين الفرق (١/ ١٦٧)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٧٨)، والتعاريف للمناوي (١/ ٢٢٨).

(٦) انظر: القاموس (ص٩٧٤).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ(١):

فصل
في ذكر مذهب أهل الحديث

والآخرون أولو الحديث كأحمد ... ومحمد وأئمة الإيمان
قالوا بأن الله حقًّا لم يزل ... متكلمًا بمشيئة وبيان
إن الكلام هو الكمال فكيف يخـ ... ـلوعنه في أزل بلا إمكان
ويصير فيما لم يزل متكلمًا ... ماذا اقتضاه له من الإمكان
وتعاقب الكلمات أمر ثابت ... للذات مثل تعاقب الأزمان
والله رب العرش قال حقيقة ... حم مع طه بغير قران
بل أحرف مترتبات مثلما ... قد رتبت في مسمع الإنسان
وقتان في وقت محال هكذا ... حرفان أيضًا يوجدا في آن
من واحد متكلم بل يوجدا ... بالرسم أو بتكلم الرجلان
هذا هو المعقول أما الإقترا ... ن فليس معقولا لذي الأذهان
وكذا كلام من سوى متكلم ... أيضًا محال ليس في الإمكان
إلا لمن قام الكلام به فذا ... ك كلامه المعقول في الأذهان
أيكون حيًا سامعًا أو مبصرًا ... من غير ما سمع وغير عيان
والسمع والإبصار قام بغيره ... هذا المحال وواضح البهتان
وكذا مريد والإرادة لم تكن ... وصفًا له هذا من الهذيان
وكذا قدير ماله من قدرة ... قامت به من واضح البطلان

---

(١) في هامش الأصل: «بلغ قراءة على المؤلف عفا الله عنه».

والله جل جلاله متكلمٌ ... بالنقل والمعقول والبرهان
قد أجمعت رسل الإله عليه لم ... ينكره من أتباعهم رجلان
فكلامه حقًّا يقوم به وإ ... لا لم يكن متكلمًا بقران
والله قال وقائل وكذا ... يقول الحق ليس كلامه بالفاني
ويكلم الثقلين يوم معادهم ... حقًّا فيسمع قوله الثقلان
وكذا يكلم حزبه في جنة الـ ... ـحيوان بالتسليم والرضوان
وكذا يكلم رسله يوم اللقا ... حقا فيسألهم عن التبيان
ويراجع التكليم جل جلاله ... وقت الجدال له من الإنسان
ويكلم الكفار في العرصات تو ... بيخًا وتقريعًا بلا غفران
ويكلم الكفار أيضًا في الجحيم ... أن اخسؤوا فيها بكل هوان

شرع الناظم (د/ ١٢٦أ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في مذهب (د/ ١٢٦ب) النوع الثاني من القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وإرادة وأنه سبحانه يتكلم من ذاته وهم أهل (ع/ ١٩٧ب) الحديث فقال:

والآخرون أولو الحديث كأحمد ... ومحمد...........................إلخ

أي أن أصحاب الحديث كالإمام أحمد والبخاري وغيرهما من الأئمة قالوا[1] بأن الله تعالى لم يزل متكلمًا بمشيئته وقدرته إذا شاء وذلك أن الكلام من صفات الكمال فالذي لا يتكلم أو حدث له الكلام بعد أن لم يكن متكلمًا ناقص وهذا هو معنى قول الناظم:

إن الكلام هو الكمال فكيف ... يخلو عنه في أزل بلا إمكان

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٣٤٥، ٣٧٠، ٢/ ٩)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٦٢٢)، والصفدية (١/ ٤٦، ٥٢)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٥٣٥)، ومنهاج السنة (٢/ ٣٨٣).

ويصير فيما لم يزل متكلمًا ... ماذا اقتضاه له من الإمكان

أي كيف صار متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا؟

وقوله:

والله رب العرش قال حقيقة ... (حم) مع (طه) بغير قران

بل أحرف مترتبات مثلما ... قد رتبت في مسمع الإنسان

هذا إشارة إلى رد مذهب السالمية ومن وافقهم القائلين بأن كلامه تعالى حروف وأصوات قديمة أزلية وأن لها اقترانًا ثابتًا لذواتها وأن السين لا تسبق الباء... إلخ.

ولهذا قال الناظم:

وقتان في وقت محال هكذا ....

أي كما أنه لا يمكن أن يوجد وقتان في وقت فمحال أن يوجد حرفان في آن أي في (ع/١٩٨أ) وقت من متكلم واحد بل يمكن ذلك في الرسم أي في الخط أو بتكلم رجلين، فذلك يمكن أن يكون في وقت واحد.

وأما النطق بحرفين معًا فهو محال غير ممكن ثم أشار إلى رد مذهب الجهمية والمعتزلة القائلين بأن كلامه تعالى هو ما يخلقه في غيره وذلك محال أيضًا فلا يسمى متكلمًا إلا من قام به الكلام، وكذا لا يسمى سامعًا[1] أو مبصرا إلا من قام به السمع والبصر والا فلا يسمى سامعًا أو مبصرًا بسمع أو بصر قائم بغيره وكذا لا يسمى مريدًا وقديرًا إلا من قامت به الإرادة والقدرة لا يسمى مريدًا أو قديرًا بارادة أو قدرة بغيره ثم قال الناظم:

والله جل جلاله متكلم ... بالنقل والمعقول والبرهان

(١) في (ع) «سامع» والتصويب من (د).

وقد تقدم بسط الكلام في ذلك لما ذكرنا مذهب الجهمية والمعتزلة في القرآن بما أغنى عن إعادته.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

والله قد نادى الكليم وقبله ... سمع الندا في الجنة الأبوان
وأتى الندا في تسع آيات له ... وصفًا فراجعها من القرآن
وكذا يكلم جبرئيل بأمره ... حتى ينفذه بكل مكان
واذكر حديثًا في صحيح محمد ... ذاك البخاري العظيم الشان
فيه نداء الله يوم معادنا ... بالصوت يبلغ قاصيًا والداني
هب أن هذا اللفظ ليس بثابت ... بل ذكره مع حذفه سيان
ورواه عندكم البخاري المجسـ ... ـم بل رواه مجسم فوقان[1]
أيصح في عقل وفي نقل ندا ... ء ليس مسموعًا لنا بأذان
أم أجمع العلماء والعقلاء من ... أهل اللسان وأهل كل لسان
أن النداء الصوت الرفيع وضده ... فهو النجاة كلاهما صوتان
والله موصوف بذاك حقيقة ... هذا الحديث ومحكم القرآن
واذكر حديثًا لابن مسعود صريـ ... ـحًا أنه ذو أحرف ببيان
للحرف منه في الجزا عشر من الـ ... ـحسنات ما فيهن من نقصان
وانظر إلى السور التي افتتحت ... بأحرفها ترى سرًّا عظيم الشان
لم يأت قط بسورة إلا أتى ... في إثرها خبر عن القرآن
إذ كان إخبارًا به عنها وفي ... هذا الشفاء لطالب الإيمان

(١) صحة الوزن أن يكون صدر البيت هكذا: «وروى البخاري المجسم عندكم..» إلخ.

ويــدل أن كــلامــه هــو نفسها لا غــيرهــا والحـــق ذو تـبـيـان

فانظـر إلى مـبـدا الـكـتـاب وبعدها الأعـــراف ثـم كـذا إلى لقمان

مـع تـلـوهـا أيـضًـا ومـع حـم مع يـس وافـهــم مـقـتـضـى الـفـرقـان

قوله:

وأتـــى الــنــدا في تـسـع آيـــات له .... إلخ

وهي قوله تعالى في سورة (د/١٢٧أ) الأعراف: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ (ع/١٩٩ب) [الأعراف:٢٢] الآية، وفي مريم: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم:٥٢]، وفي طه (د/١٢٧ب): ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١١-١٢] الآية، وفي سورة الشعراء: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء:١٠]، وفي النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل:٨]، وفي القصص: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص:٣٠]، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ [القصص:٤٦]، ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [القصص:٦٢، ٧٤]، في موضعين: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥]، وفي الصافات: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ [الصافات:١٠٤-١٠٥]، وفي النازعات: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات:١٥-١٦].

وقوله:

وكـــذا يـكـلـم جـبرئـيـل بـأمـره ....

يشير إلى حديث النواس بن سمعان[1] قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا

---

(١) هو: الكلابي، ويقال الأنصاري، صحابي مشهور سكن الشام، انظر: الجمع بين رجال الصحيحين لأبي نصر الكلاباذي (٢/ ٥٣٥)، وتهذيب الكمال (١٠/ ٣٥٧).

أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدًا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل[(١)] فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عَزَّوَجَلَّ» رواه ابن أبي حاتم[(٢)].

وقوله:

واذكر حديثا في صحيح محمد .... إلخ

يشير إلى حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القصاص وقد تقدم.

وقوله:

ورواه عندكم البخاري المجسم .... إلخ[(٣)]

يحكى عن الصاحب بن عباد[(٤)] أنه قال عن البخاري أنه مجسم[(٥)].

---

(١) كما قال تعالى عنهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

(٢) كما في تفسير ابن كثير (٦/ ٥٠٤)، وقال ابن أبي حاتم بعد إيراده: «ليس هذا الحديث بالشام عن الوليد بن مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ» اهـ. ومعناه: أن الرواية التي أشار إليها الشارح معلولة، وأصل هذا الحديث في البخاري (٤/ ٢٣٣٥) كتاب التوحيد، عن ابن مسعود من قوله.

(٣) في الأصل البيت هكذا:
ورواه البخاري المجسم عندكم....إلخ، والتصحيح من متن النونية.

(٤) هو: إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، كان وزيرًا في دولة ابن بويه، ولقب بـ(الصاحب)، لصحبته مؤيد الدولة من صباه، وغلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر، وكان شيعيًا معتزليًا مبتدعًا تياهًا صلفًا جبارًا، ثم تاب بعد ذلك. مات سنة (٣٨٥هـ). انظر: السير (١٦/ ٥١٣)، والأعلام (١/ ٣١٦).

(٥) قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في السير (١٦/ ٥١٢) في ترجمة الصاحب بن عباد:«قيل:إنه ذكر له البخاري فقال: ومن البخاري؟ حشوي لايعول عليه» اهـ.

قوله:

ايصح في عقل وفي نقل ندا ....

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة[(١)]: النداء لا يكون إلا صوتًا باتفاق أهل اللغة وسائر الناس.

وقول الناظم:

وأتى الندا في تسع آيات له .... إلخ

بل أتى النداء في عشرة مواضع (ع/ ٢٠٠أ) أو أكثر كما في المنهاج[(٢)].

قوله:

واذكر حديثًا لابن مسعود ....

هو ما رواه الترمذي من طريق عبدالله بن مسعود عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ (د/ ١٢٨أ) **فله عشر حسنات**» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[(٣)] ورواه غيره من الأئمة وفيه «**أما إني لا أقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف**»[(٤)].

قوله:

وانظر إلى السور التي افتتحت .... إلخ

---

(١) انظر: منهاج السنة (٥/ ٤٢٣).

(٢) انظر: منهاج السنة (٥/ ٤٢٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٠) في فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٤٢٩) عن قبيصة عن سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي الأحوص عن ابن مسعود من قوله.
وإسناده حسن لحال عطاء، وسفيان ممن روى عنه قبل اختلاطه.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في كتاب بدائع الفوائد[١]: تأمل سر الم كيف اشتملت على هذه الأحرف الثلاثة فالألف إذا بدىء بها أولًا كانت همزة وهي أول المخارج من أقصى الصدر واللام من وسط مخارج الحروف اعتمادا على اللسان والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف أعني الحلق واللسان والشفتين وتنزلت في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية.

فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة التي يتفرع منها ستة عشر مخرجًا فيصير منها تسع وعشرون حرفًا عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين مع تضمنها سرًّا عجيبًا وهو أن الألف للبداية واللام للتوسط والميم للنهاية فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينهما وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه فمشتملة على تخليق العالم وغايته وعلى المتوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر.

وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن، فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها وهي الجهر والشدة والاستعلاء والقلقلة والإطباق والسين حرف مهموس رخو مستفل صفير منفتح فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء إلا حرف يقابلها كالسين والهاء فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف وتأمل السور التي اجتمعت على الحروف المفردة كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف فمن ذلك ق والسورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن وذكر الخلق وتكرر القول مراجعته مرارا والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين قول العبد وذكر الرقيب وذكر السائق والقرين وذكر القبل مرتين وتشقق الأرض

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ٦٩٢).

وإلقاء الرواسي فيها وبسوق النخل والرزق وذكر (ع/ ٢٠١ب) القوم وحقوق الوعيد (د/ ١٢٨ب) ولو لم يكن إلا تكرار القول والمحاورة.

وسر آخر وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة والجهر والعلو والانفتاح.

وإذا أردت زيادة ايضاح فتأمل ما اشتملت عليه سورة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخصومات المتعددة فأولها خصومة الكفار مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقولهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص:٥]، إلى آخر كلامهم ثم اختصام الخصمين عند داود ثم تخاصم أهل النار ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم وهو الدرجات والكفارات ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم ثم خصامه ثانيًا في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم.

فليتأمل اللبيب الفطن هل يليق بهذه السورة غير صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسورة ق غير حرفها وهذه قطرة من بعض أسرار هذه الحروف والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم.

آخر كلامه.

قال الناظم:

فصل
في إلزامهم القول بنفي الرسالة إذا انتفت صفة الكلام

والله عز وجل موص آمر ... ناه مثيب مرسل لبيان

ومخاطب ومحاسب ومنبىء ... ومحدث ومخبر بالشان

ومكلم متكلم بل قائل ... ومحذر ومبشر بأمان

هاد يقول الحق يرشد خلقه ... بكلامه للحق والإيمان

فإذا انتفت صفة الكلام فكله ... ذا منتف متحقق البطلان

وإذا انتفت صفة الكلام كذلك الـ ... إرسال منفي بلا فرقان

فرسالة المبعوث تبليغ كلا ... م المرسل الداعي بلا نقصان

وحقيقة الإرسال نفس خطابه ... للمرسلين وإنه نوعان

نوع بغير وساطة ككلامه ... موسى وجبريل القريب الداني

منه إليه من وراء حجابه ... إذ لا تراه هاهنا العينان

والآخر التكليم منه بالوسا ... طة وهو أيضًا عنده ضربان

وحي وإرسال إليه وذاك في الـ ... ـشورى أتى في أحسن التبيان

مضمون هذا الفصل إلزام المعطلة النافين لصفة الكلام نفي الرسالة إذ حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل فإذا انتفت صفة الكلام لزم نفي الرسالة، ثم ذكر (ع/١٢٠٣) أن حقيقة الإرسال نفس خطابه تعالى للمرسلين وهو نوعان بغير وساطة ككلامه تعالى لجبريل وموسى من وراء حجاب والنوع الثاني تكليم بالوساطة

كتكليمه سبحانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على لسان جبريل كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى:٥١] الآية.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصل
في إلزامهم التشبيه للرب بالجماد الناقص إذا انتفت صفة الكلام

فإذا انتفت صفة الكلام فضدها ... خرس وذلك غاية النقصان

فلئن زعمتم أن ذلك في الذي ... هو قابل من أمة الحيوان

والرب ليس بقابل صفة الكلا ... م فنفيها ما فيه من نقصان

فيقال سلب كلامه وقبوله ... صفة الكلام أتم للنقصان

إذ أخرس الإنسان أكمل حالة ... من ذا الجماد بأوضح البرهان

فجحدت أوصاف الكمال مخافة ... التجسيم والتشبيه بالإنسان

ووقعت في تشبيه بالجامدا ... ت الناقصات وذا من الخذلان

الله أكبر هتكت أستاركم ... حتى غدوتم ضحكة الصبيان

قول الناظم:

فاذا انتفت صفة الكلام فضدها ... خرس وذلك غاية النقصان

لاشك أن الكلام صفة كمال وكل كمال اتصف به المخلوق إذا لم يكن فيه نقص بوجه ما، فالخالق أحق به لأنه هو الذي خلقه وكل كمال اتصف به موجود ممكن وحادث، فالموجود الواجب (د/١٢٩ب) القديم أولى به وكل نقص تنزه عنه مخلوق موجود حادث فالخالق أولى بتنزيهه عنه.

قوله:

فلئن زعمتم أن ذلك في الذي هو قابل.......................... إلخ

قالت النفاة من الباطنية من المتفلسفة وغيرهم -لما قيل لهم: إذا لم يوصف بالعلم والقدرة والحياة والكلام لزم أن يتصف بما يقابل ذلك كالعجز والجهل والموت والبكم- فقالوا: إنما يلزم ذلك لو كان قابلًا للإتصاف بذلك، فإن المتقابلين تقابل السلب والإيجاب كالوجود والعدم إذا عدم أحدهما ثبت الآخر، وأما المتقابلان تقابل العدم والملكة كالحياة والموت والعمى والبصر فقد يخلو المحل عنهما كالجماد، فإنه لا يوصف لا بهذا ولا بهذا.

فقال لهم أهل الإثبات: فررتم عن تشبيهه بالحيوان الناقص الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم مع إمكان ذلك منه (ع/٢٠٣ب) فشبهتموه بالجماد الذي لايقبل الاتصاف لا بهذا ولا بهذا، فكان ما فررتم إليه شرًّا مما فررتم منه.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصل
في إلزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله سبحانه

أو ليس قد قام الدليل بأن أفـ ... ـعال العباد خليقة الرحمن

من ألف وجه أو قريب الألف يحـ ... ـصيها الذي يعنى بهذا الشان

فيكون كل كلام هذا الخلق عين ... كلامه سبحان ذي السلطان

إذ كان منسوبًا إليه كلامه ... خلقًا كبيت الله ذي الأركان

هذا ولازم قولكم قد قاله ... ذو الاتحاد مصرحًا ببيان

حَذَرَ التناقض إذ تناقضتم ولـ ... ـكن طرده في غاية الكفران

فلئن زعمتم أن تخصيص القرا ... ن كبيته وكلاهما خلقان

فيقال ذا التخصيص لا ينفي العموم ولا ... الخصوص كرب ذي الأكوان

ويقال رب العرش أيضًا هكذا ... تخصيصه لإضافة القرآن

لا يمنع التعميم في الباقي وذا ... في غاية الإيضاح والتبيان

هذا الإلزام الذي ذكره الناظم هو إلزام مشهور للسلف (د١١٣٠) ألزموا به الجهمية القائلين بأن كلام الله مخلوق، وأن إضافته إلى الله إضافة تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله، فألزمهم السلف بأن جميع كلام الخلق عين كلام الله.

قال سليمان بن داود الهاشمي: من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر، وإذا كان القرآن مخلوقًا كما زعموا فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار إذ قال:

﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وزعموا أن هذا مخلوق وقال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤]، فقد ادعى ما ادعى فرعون فلما صار فرعون أولى بأن يخلد في النار إذ قال: أنا ربكم الأعلى من هذا وكلاهما عنده مخلوق فأخبر بذلك أبو عبيد فاستحسنه وأعجبه ذكر ذلك البخاري في كتاب خلق أفعال العباد(١). وكذلك ذكر نظير هذا عبد الله بن المبارك وعبد الله بن إدريس(٢) ويحيى ابن سعيد القطان(٣).

ولهذا قال الناظم:

هـذا ولازم قـولـكـم قـد قـالـه ذو الاتحاد ....

أي أن الاتحادية صرحوا بهذا اللازم فقالوا:

وكـل كـلام في الـوجـود كلامه سـواء علـيـنـا نـثـره ونـظـامـه(٤)

ولكن طرد هذا كما قال الناظم في غاية الكفران (ع/٢٠٤أ): أي أن القول بهذا هو غاية الكفران بل لا أكفر ممن يقول ذلك نعوذ بالله.

قوله:

فلئن زعمتم أن تخصيص القران .... إلخ

أي كما أنه إذا قيل رب الأكوان ورب المخلوقات فالعرش داخلٌ في عموم الأكوان والمخلوقات فإذا قلتم إن إضافة القرآن إليه تعالى للتشريف لزمكم أن جميع كلام الخلق كلام الله والتخصيص في القرآن لا ينفي العموم كما إذا قيل رب العرش ورب الأكوان كما لا يخفى والله أعلم.

---

(١) خلق أفعال العباد (٢/ ٣٦)، ط. أطلس، بتحقيق الدكتور فهد الفهيد.

(٢) هو: عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن أبو محمد الأودي الكوفي، ثقة فقه عابد مات بالكوفة سنة (١٩٢هـ). انظر: السير (٩/ ٤٢)، التقريب (ص٤٩١).

(٣) هو: يحيى بن سعيد بن فرُّوخ القطان، أمير المؤمنين في الحديث، أبو سعيد التميمي الأحول مات سنة (١٩٨هـ). انظر: السير (٩/ ١٧٥).

(٤) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص١٨٤)، ط. المكتب الإسلامي.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصل
في التفريق بين الخلق والأمر

ولقد أتى الفرقان بين الخلق والـ	أمر الصريح وذاك في الفرقان
وكلاهما عند المنازع واحد	والكل خلق ما هنا شيئان
والعطف عندهم كعطف الفرد من	نوع عليه وذاك في القرآن
فيقال هذا ذو امتناعٍ ظاهرٍ	في آية التفريق ذو تبيان
فالله بعد الخلق أخبر أنها	قد سخرت بالأمر للجريان
وأبان عن تسخيرها سبحانه	بالأمر بعد الخلق والتبيان
والأمر إما مصدرٌ أو كان مفـ	ـعولًا هما في ذاك مستويان
مأموره هو قابل للأمر كالـ	ـمصنوع قابل صنعة الرحمن
فإذا انتفى الأمر انتفى المأمور كالـ	ـمخلوق ينفى لانتفا الحدثان
وانظر إلى نظم السياق تجد به	سرًّا عجيبًا واضح البرهان
ذكر الخصوص وبعده متقدمًا	والوصف والتعميم في ذا الثاني
فأتى بنوعي خلقه وبأمره	فعلًا ووصفًا موجزًا ببيان
فتدبر القرآن إن رمت الهدى	فالعلم تحت تدبر القرآن

قوله:

ولقد أتى الفرقان بين الخلق والـ	أمر..............................إلخ

أي أن الله فرق بين الخلق والأمر في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فجعل الخلق غير الأمر، ولكن الجهمية ومن تبعهم قالوا: إن الخلق

هنا هو الأمر، وقالوا: العطف لا يقتضي المغايرة، بل هو من عطف الخاص على العام(١).

وهذا معنى قول الناظم:

والعطف عندهم كعطف الفرد من نـوع..............................إلخ

وهذا مردود، لأن الله سبحانه أخبر في هذه الآية أنها بعد الخلق قد سخرت بالأمر.

قوله:

والأمـــــر إمـــا مـــصـــدر..... ....

أي أن الأمر في الآية إما أن يكون مصدرًا كما هو الأظهر وإما أن يكون المراد به المأمور كما يقوله أهل التأويل فهما سواء فإن المأمور لابد له من آمر ولذلك سمي مأمورًا كما أن المصنوع لابد له من صانع(٢) ولذلك سمي مصنوعًا، فإذا انتفى الأمر انتفى المأمور كما أن المخلوق ينفى إذ انتفى الحدثان.

وقال الشيخ بدر الدين (د/ ١٣١أ) محمد بن عبد الله الزركشي(٣) -في شرح جمع الجوامع-: قال البويطي(٤) (ع/ ٢٠٥ب) عن الشافعي: إنما خلق الله الخلق بكن فلو

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم (ص١٦٥).

(٢) في (د) و(ع): «صنع»، وهو تحريف، والمثبت هو الصواب، لدلالة سياق الكلام عليه.

(٣) محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، أبو عبدالله، بدر الدين، فقه شافعي، له مصنفات كثيرة. مات سنة (٧٩٤هـ). انظر: العلام للزركلي (٦/ ٦٠).

(٤) يوسف بن يحيى المصري البويطي، صاحب الشافعي، وسيد الفقهاء، كان إمامًا في العلم، قدوة في العمل، زاهدًا، ربانيًا متهجدًا، دائم الذكر كان ممن امتحن في مسألة خلق القرآن فثبت، والأثر ذكره الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة البويطي، مات البويطي مسجونًا بالعراق سنة (٢٣١هـ). انظر: السير (١٢/ ٥٨).

كانت هي مخلوقة فمخلوق خلق مخلوقًا[١].

قال الأئمة: ولو كان كن الأول مخلوقًا فهو مخلوق بأخرى وأخرى إلى ما لا يتناهى وهو مستحيل وقال سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]: الأمر القرآن، ففصل بين المخلوق والأمر، ولو كان الأمر مخلوقًا لم يكن لتفصيله معنى.

قال ابن عيينة: فرق بين الأمر والخلق فمن جمع بينهما فقد كفر وأما أن القرآن هو الأمر فلقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٣-٤]، وروي هذا الاستنباط عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى الذهلي[٢] وأحمد بن سنان[٣] وغيرهم من الأئمة.

وذكر البيهقي بإسناد صحيح عن عمرو بن دينار[٤] قال: سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله ليس مخلوقًا.

قال: ومشيخته جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وجابر وابن الزبير[٥] وأكابر التابعين، ثم قال: ورويناه هذا القول عن الليث به سعد وسفيان

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ١١١).

(٢) هو: محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي، الحافظ أبو عبدالله النيسابوري. قال الخطيب: كان أحد الأئمة العارفين والحفاظ المتقنين والثقات المأمونين. مات سنة (٢٥٨هـ).
انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٣٢٧).

(٣) هو: أحمد بن حبان أبو جعفر الواسطي القطان، ثقة حافظ من الحادية عشرة، مات سنة (٢٥٦هـ) وقيل غير ذلك. التقريب (ص٩٠).

(٤) الجمحي، مولاهم المكي الأثرم، ثقة عابد مستقيم الحديث. مات سنة (١٢٥هـ)، أما قول الذهبي: «... فالأولى أنه من طبقة تابعيهم» يعني تابعي التابعين، فقول غريب. انظر: السير (٥/ ٣٠٠).

(٥) هو: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد الأسدي أبو بكر، صحابي مشهور، =

وابن المبارك وحماد ابن زيد[١] وابن مهدي والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد والبخاري ومشيخة سواهم، وإنما أحدث هذه البدعة الجعد بن درهم وعنه كان يأخذ الجهم فذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى انتهى[٢].

=كان أول مولود في الإسلام بالمدينة، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. بويع له بالخلافة سنة (٦٤هـ) عقب موت يزيد بن معاوية فحكم مصر، والحجاز، واليمن، وخراسان، والعراق، وأكثر الشام، وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، انتهت بمحاصرة الحجاج له في مكة، فقتل سنة (٧٣هـ). انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٦)، والجرح والتعديل (٥/ ٥٦)، وطبقات ابن سعد (٩/ ١١٧)، والأعلام (٤/ ٨٧).

(١) هو: حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل البصري مولى آل جرير بن حازم، ثقة ثبت فقيه من كبار الثامنة، مات سنة (١٧٩هـ). التقريب (ص٢٦٨).

(٢) الاعتقاد للبيهقي (ص١٠٥).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصل

في التفريق بين ما يضاف إلى الرب تعالى من الأوصاف والأعيان

والله أخبر في الكتاب بأنه ... منه ومجرور بمن نوعان
عين ووصف قائم بالعين فالـ ... أعيان خلق الخالق الرحمن
والوصف بالمجرور قام لأنه ... أولى به في عرف كل لسان
ونظير ذا أيضًا سواء ما يضا ... ف إليه من صفة ومن أعيان
فإضافة الأوصاف ثابتة لمن ... قامت به كإرادة الرحمن
وإضافة الأعيان ثابتة له ... ملكا وخلقا ما هما سيان
فانظر إلى بيت الإله وعلمه ... لما أضيفا كيف يفترقان
وكلامه كحياته وكعلمه ... في ذي الإضافة إذ هما وصفان
لكن ناقته وبيت إلهنا ... فكعبده أيضًا هما ذاتان
فانظر إلى الجهمي لما فاته الـ ... ـحق المبين وواضح الفرقان
كان الجميع لديه بابًا واحدًا ... والصبح لاح لمن له عينان

قوله:

والله أخبر في القرآن بأنه ... . إلخ

أي كما في (د/١٣١ب) قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ (ع/٢٠٦أ) [الأنعام:١١٤]، وقال تعالى عن المسيح: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١]، ومن لابتداء الغاية

وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣]، ومن لابتداء الغاية.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[١]: المضاف إلى الله تعالى إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائمة به وامتنع اضافته إضافة مخلوق مربوب وإذا كان المضاف عينًا قائمة بنفسها كجبريل وعيسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ وأرواح بني آدم امتنع أن يكون صفة لله تعالى لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره لكن الأعيان المضافة إلى الله تعالى على وجهين:

أحدهما: أن تضاف إليه بكونه خلقها وأبدعها فهذا شامل لجميع المخلوقات كقولهم سماء الله وأرض الله فجميع المخلوقين عبيد الله وجميع المال مال الله.

والوجه الثاني: أن يضاف إليه لما خصه به من معنى يحبه ويأمر به ويرضاه كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره وكما يقال في مال الخمس والفيء هو مال الله ورسوله.

ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره فهذه إضافة تتضمن ألوهيته وشرعه ودينه وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه انتهى ملخصًا[٢].

---

(١) انظر: درء التعارض (٢/ ٨٤).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٦٤).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصل

وأتى ابن حزم بعد ذاك فقال ما　　للناس قرآن ولا إثنان

بل أربع كل يسمى بالقرا　　ن وذاك قول بين البطلان

هذا الذي يتلى وآخر ثابت　　في الرسم يدعى المصحف العثماني

والثالث المحفوظ بين صدورنا　　هذي الثلاث خليقة الرحمن

والرابع المعنى القديم كعلمه　　كل يعبر عنه بالقرآن

وأظنه قد رام شيئًا لم يجد　　عنه عبارة ناطق ببيان

إن المعين ذو مراتب أربع　　عقلت فلا تخفى على إنسان

في العين ثم الذهن ثم اللفظ ثـ　　ـم الرسم حين تخطه ببنان

وعلى الجميع الإسم يصدق لكن الـ　　أولى به الموجود في الأعيان

بخلاف قول ابن الخطيب فإنه　　قد قال إن الوضع للأذهان

فالشيء شيء واحد لا أربع　　فدهى ابن حزمٍ قلة العرفان

ابن حزم هو الإمام (د/١١٣٢) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي (ع/٢٠٧ب) الظاهري المشهور عالم الأندلس صاحب المصنفات المشهورة كالملل والنحل والمحلى شرح المجلى وكتاب الإجماع وكتاب الإيصال وغير ذلك وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ[١]: ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وسمع من أبي عمر

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤٦).

أحمد بن الجسور[(١)] ويحيى بن مسعود[(٢)] ويوسف بن عبد الله القاضي! وحمام بن أحمد القاضي[(٣)] وعبد الله بن ربيع التميمي[(٤)] وأبي عمر الطلمنكي[(٥)]، وخلق روى عنه أبو عبد الله الحميدي[(٦)] فأكثر، وابنه أبو رافع الفضل[(٧)] وطائفة.

---

(١) في (د) و(ع): «الحسور»، وهو تصحيف، والتصحيح من التذكرة وكتب التراجم.
هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب الأموي مولاهم القرطبي المشهور بـ (ابن الجسور)، كان خيرًا صالحًا شاعرًا، عالي الإسناد واسع الرواية صدوقًا، مات سنة (٤٠١هـ). انظر: السير (١٨/ ١٤٨).

(٢) هو: الشيخ الثقه المعمر يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود بن موسى القرطبي أبوبكر، عرف بـ(ابن وجه الجنه)، سمع من قاسم بن أصبغ وغيره، وكان خيرًا دينًا، مات سنة (٤٠٢هـ). انظر: السير (١٧/ ٢٠٤).

(٣) هو: حمام بن أحمد بن عبد الله بن محمد الأطروش، من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر، كان واحد عصره في البلاغة وفي سعة الرواية ضابطًا لما قيده، ولي قضاء يابرة، وشنترين والأثبوية أيام المظفر وأخيه، مات سنة (٤٢١هـ) بقرطبة. انظر: الصلة لابن بشكوال (١/ ١٥٥).

(٤) هو: عبد الله بن الربيع بن عبد الله التميمي أبو محمد، سكن قرطبة، سمع أبا بكر محمد بن معاوية القرشي وعبد الله بن محمد بن عثمان وأبا علي إسماعيل بن القاسم القالي اللغوي. مات سنة (٤١٥هـ). انظر: جذوة المقتبس (ص٢٦١).

(٥) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري، أبو عمر الأندلسي الطلمنكي، نسبة إلى طلمنكة، من ثغر الأندلس الشرقي، محدث، ومقرئ، ونحوي، ولغوي، ومفسر، وفقيه، ومؤرخ، سكن قرطبة، وتوفي بطلمنكة في سنة (٤٢٩هـ). من آثاره: «الدليل إلى معرفة الجليل»، كتاب في «تفسير القرآن» وغيرها. انظر: معجم المؤلفين (٢/ ١٢٣-١٢٤).

(٦) محمد بن أبي فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي الميورقي، صاحب ابن حزم، وتلميذه، طوف البلاد، حتى صار كما قال الذهبي: «المتقن الحافظ، شيخ المحدثين». له كتاب «الجمع بين الصحيحين». مات سنة (٤٨٨هـ). انظر: السير (١٩/ ١٢٠).

(٧) انظر: السير (١٨/ ١٨٥)، وأبو رافع هو: الفضل بن علي بن حزم، ذكره الحميدى في ترجمة جهور بن محمد التجيبي الذي نعته بالرئيس وله فيه:

رايت ابن حزم ولم القه ... فلما التقيت به لم اره
لأن سنا وجهه مانع ... عيون البرية ان تبصره

وهذه مبالغة. ولم أجد من أرخ وفاته. انظر: جذوة المقتبس (ص١٨٩).

وكان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شافعيًّا ثم انتقل إلى القول بالظاهر ونفى القول بالقياس وتمسك بالعموم والبراءة الأصلية[١] وكان صاحب فنون فيه دين (د/ ١٣٢ب) وتورع وتزهد وتحر للصدق وكان أبوه[٢] وزيرًا جليلًا محتشمًا كبير الشأن.

وكان لأبي محمد كتب عظيمة لا سيما كتب الحديث والفقه وقد صنف كتابًا كبيرًا في فقه الحديث سماه الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام والحلال والحرام أورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم والحجة لكل قول وله كتاب الأحكام لأصول الأحكام مجلدان وكتاب المحلى في الفقه على مذهبه واجتهاده مجلد وشرحه وهو المجلى في ثماني مجلدات وكتاب الفصل في الملل والنحل ثلاث مجلدات وكتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للكتابين التوراة والانجيل وكتاب التقريب[٣] لحد المنطق والمدخل إليه بألفاظ أهل العلم لا بألفاظ أهل الفلسفة ومثله بالأمثلة الفقهية أخذ المنطق عن محمد بن حسن المذحجي[٤] وأمعن فيه فبقي فيه قسط من نحلة الحكماء.

---

(١) راجعْ إبطال القياس في الأحكام» لابن حزم (٧/ ٣٦٨).

(٢) هو: أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الأموي، مولاهم الأندلسي، كان وزيرًا في الدولة العامرية، ومن أهل العلم والأدب والخير، وكان له في البلاغة يد قوية، مات قريبًا من (٤٠٠هـ). انظر: جذوة المقتبس (ص١٢٦).

(٣) ذكره الذهبي في السير (١٨/ ١٩٥) وقال: «كتبه بالألفاظ العامية».

(٤) يعرف بـ(ابن الكتاني)، أبو عبد الله، له مشاركة قوية في علم الأدب والشعر، وله تقدم في علوم الطب والمنطق، وله كلام في الحكم ورسائل وكتب، مات قريبًا من (٤٢٠هـ). انظر: جذوة المقتبس (٤٩)، ونفح الطيب (٣/ ١٧٥)، ومعجم المؤلفين (٩/ ١٨٧).

قال أبو حامد الغزالي: وجدت في أسماء الله تعالى كتابًا ألفه أبو محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه[١].

وقال صاعد بن أحمد[٢]: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغه والشعر (ع/٢٠٨) ومعرفته بالسنن والآثار.

أخبرني ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربعمائة مجلد يحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة[٣].

قال الحميدي: كان أبو محمد حافظًا للحديث وفقهه مستنبطًا للاحكام من الكتاب والسنة متقنا في علوم جمة عاملًا بعلمه ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين وكان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل ما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه وشعره كثير جمعه على حروف المعجم.

قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي[٤] صحبت ابن حزم سبعة أعوام وسمعت منه جميع مصنفاته سوى المجلد الأخير من كتاب الفصل وقرأنا عليه من

---

(١) ذكره الذهبي في السير (١٨/ ١٨٧).

(٢) هو: القرطبي، أبو القاسم، عاصر ابن حزم، وله: «طبقات الحكماء». مات سنة (٤٢٥هـ). انظر: السير للذهبي (١٨/ ٢١١)، وكشف الظنون (٢/ ١٠٨٣).

(٣) انظر: اللسان لابن حجر (٤/ ٧٢٦).

(٤) تحرفت في (ع) و(د) إلى «المغربي»، وهو عبد الله بن محمد بن العربي الإشبيلي، والد القاضي أبي بكر -صاحب العارضة-، صحب ابن حزم وأكثر عنه، ثم ارتحل بولده أبي بكر، فسمعا من طراد الزيني وعدة، وكان ذا بلاغة ولسان وإنشاء، مات بمصر سنة (٤٩٣هـ). انظر: السير (١٩/ ١٣٠-١٣١).

كتاب الإيصال سبع مجلدات في سنة ست وخمسين وهو أربعة وعشرون (د/ ١٣٣أ) مجلدًا[١]، ومن تآليفه كتاب الصادع في الرد على من قال بالتقليد وكتاب شرح أحاديث الموطأ وكتاب الجامع في صحيح الحديث باختصارالأسانيد، وكتاب منتقى الإجماع وكتاب كشف الالتباس لما بين الظاهرية وأصحاب القياس، وله السيرة النبوية في مجلد وتصانيفه كثيرة.

قال أبو مروان بن حيان[٢]: «كان ابن حزم حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة وله كتب كثيرة لم يخل فيها من غلط لجراءته في التسور على الفنون لاسيما المنطق فإنهم زعموا أنه زل هنالك وضل في سلوك المسالك وخالف أرسطو واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض ومال أولا في النظر إلى الشافعي وناضل عنه حتى وسم به فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء وعيب بالشذوذ ثم عدل عن ذلك إلى الظاهر فنقحه وجادل عنه.

ولم يكن يلطف صدعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج بل يصك به معارضه صك الجندل، وينشقه انشقاق الخردل، فتنفر عنه القلوب وتقع به الندوب، حتى استهدف إلى فقهاء وقته فتمالؤوا عليه وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو منه فطفق الملوك يقصدونه ويسيِّرونه

---

(١) السير (١٨/ ١٩٩).

(٢) هو: حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأندلسي، مورخ أديب بحاث، من أهل قرطبة، مات سنة (٤٦٩هـ). من آثاره: «المقتبس في تاريخ الأندلس» وهو من أشهر مؤلفاته وأهمها، ولكنه مفقود عثر على جزء بسيط منه. انظر: بغية الملتمس (ص٢٧٥).

عن بلادهم إلى أن انتهوا به منقطع أثره وهي بلدة من بادية لبلة وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع...»(١).

إلى آخر كلام أبي حيان تركته اختصارًا انتهى (ع/٢٠٩ب).

توفي سنة ستة وخمسين وأربعمائة وله اثنتان وسبعون سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ(٢).

وقوله في القرآن قول مهجور لا نعلم قائلًا به، وهو من جملة مجازفته وتهوره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولكن الناظم لما ذكر جميع ما قاله الناس في القرآن العظيم ذكر هذا القول لأنه من جملة الأقوال التي قيلت وإلا فشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قد ذكر في المسألة المصرية(٣): أقوال الناس في القرآن فبلغت سبعة أقوال (د/١٣٣ب) أو ثمانية، ولم يذكر قول ابن حزم هذا، وحيث ذكره الناظم فلا بد من بيان معناه

فقوله:

بل أربع كل يسمى بالقرآن ....

[فالأول](٤) هذا الذي يتلى والثاني المكتوب في المصاحف والثالث المحفوظ في الصدور والمراد بالرسم الخط وقوله هذه الثلاث خليقة الرحمن وهذا القول من أبطل الأقوال التي قيلت في القرآن.

ولذلك قال الناظم:

.... **وذاك قول بين البطلان**

(١) انظر: الذخيرة في محاسن الجزيرة (١/ ١٦٨)، والمُغرِب (١/ ٣٥٥)، ولسان الميزان (٤/ ٧٢٨-٧٢٩).

(٢) زيادة لابد منها.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٣).

(٤) انظر: السير (١٨/ ١٩٩).

قوله:

والرابع المعنى القديم ....إلخ

كأنه والله أعلم وافق الأشاعرة والكلابية في إثبات المعنى النفسي وقد تقدم القول في المعنى النفسي بما أغنى عن الإعادة(١).

وقول الناظم:

وأظنه قد رام شيئًا لم يجد ....

إلى قوله:

إن المعين ذو مراتب اربع ....إلخ

أي أن المعين كزيد مثلًا له أربع وجودات وجود خارجي ووجود ذهني(٢) ووجود لفظي أي في اللفظ إذا تلفظت بلفظ زيد ووجود رسمي أي خطي فهذه الوجودات الأربعة وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق:١-٤].

فذكر المراتب الأربعة وهي الوجود العيني الخارجي الذي هو خلقه، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي، فمذهب ابن حزم أن القرآن في المراتب الثلاثة مخلوق وهي وجوده العيني واللفظي والرسمي ولكن الأولى بالتسمية بالقرآن وهو وجوده العيني بقي عنده المعنى القديم فهو غير مخلوق كالعلم(٣).

---

(١) انظر: لمع الأدلة لأبي المعالي الجويني (ص١٠٤)، ط. عالم الكتب، بتحقيق فوقيه محمود.

(٢) قال شيخنا: «الذهني هو العلمي».

(٣) الذي نص عليه ابن حزم في كتبه أن القرآن يطلق على خمسة معانٍ:

الأول: المتلو بالألسنة. =

وقول الناظم:

بخلاف قول ابن الخطيب .... إلخ

أي أن قول ابن الخطيب -أي الفخر الرازي- قال: إن الكلام موضوع لما في الذهن وهو المعنى النفسي على ما هو معروف من مذهب الأشاعرة وإنه معنى واحد والله أعلم(١).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ(٢):

والله أخبر أنه سبحانه ... متكلم بالوحي والفرقان

وكذاك أخبرنا بأن كلامه ... بصدور أهل العلم والإيمان

= والثاني: المكتوب في المصاحف.
والثالث: المحفوظ في الصدور.
والرابع: المعنى المفهوم من التلاوة.
والخامس: المعنى القائم بذات الله -تعالى-.
فالأربعة الأولى مخلوقة، وأما المعنى الخامس فهوغير مخلوق، وهو بهذا موافق للأشاعرة مع شدة منافرته لهم وكثرة ردوده عليهم.
والذي عليه أهل السنة أن القرآن له خمسة أوجه ليس هو فيها مخلوق: حفظه بالقلب، وتلاوته باللسان، وسماعه بالأذن، ونظره بالبصر، وخطه باليد، فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق، والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور غير مخلوق، والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق، فهم يميزون بين ما قام بالعبد وما قام بالرب، فالقرآن عندهم جميعه كلام الله، حروفه، ومعانيه غير مخلوقة، وأصوات العباد، وحركاتهم، وآداؤهم، وتلفظهم، كل ذلك مخلوق.
انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٣٠٦، ٣١٤)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٤-١٨)، والدرة فيما يجب اعتقاده (ص٢٥٥-٢٥٧)، ونونية ابن القيم (٢/ ٢٣٢- محققة) تعليق.

(١) حز الغلاصم لأبي الحسن بن حيدرة (ص٩٣).

(٢) في هامش (ع) «بلغ قراءة على يد مؤلفه عفا الله عنه».

وكـذاك أخبر أنـه المكتوب في صحف مطهرة من الشيطان
وكـذاك أخبر أنـه المتلو والـ ـمقروء عند تلاوة الإنسان
والكـل شيء واحـد لا إنـه هو أربع وثلاثة واثنان
وتـلاوة القرآن أفعال لنا وكذا الكتابة فهي خط بنان
لكنما المتلو والمكتوب والـ ـمحفوظ قول الواحد المنان
والعبد يقرؤه بصوت طيب وبضده فهما له صوتان
وكـذاك يكتبه بخطٍ جيدٍ وبضده فهما له خطان
أصواتنا ومدادنا وأداتنا والرق ثم كتابة القرآن
ولقد أتى في نظمه من قال قو ل الحق فيه وهو غير جبان[1]
إن الذي هو في المصاحف مثبت بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آيه وحروفه ومدادنا والرق مخلوقان
فشفى وفرق بين متلو ومصنوع وذاك حقيقة العرفان
الكل مخلوق وليس كلامه المتلو مخلوقًا هما شيئان
فعليك بالتفصيل والتمييز فالـ إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الأذهان والآراء كل زمان
وتلاوة القرآن في تعريفها باللام قد يعنى بها شيئان
يعنى بها المتلو فهو كلامه هو غير مخلوق كذي الأكوان
ويراد أفعال العباد كصوتهم وأدائهم وكلاهما خلقان
هذا الذي نصت عليه أئمة الـ إسلام أهل العلم والعرفان

(١) يقصد به أبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني، صاحب النونية المشهورة بنونية القحطاني، ومن قوله «إن الذي هو في المصاحب مثبت...» الى قوله:«هو قول ربي...» إلخ هو نقل عن نونية القحطاني (ص٥٣) لناظمها.

وهو الذي قصد البخاري الرضى ... لكن تقاصر قاصر الأذهان
عن فهمه كتقاصر الأفهام عن ... قول الإمام الأعظم الشيباني
في اللفظ لما أن نفى الضدين عنه ... واهتدى للنفي ذو عرفان
فاللفظ يصلح مصدرًا هو فعلنا ... كتلفظ بتلاوة القرآن
وكذاك يصلح نفس ملفوظ به ... وهو القران فذان محتملان
فلذاك أنكر أحمد الإطلاق في ... نفي وإثباتٍ بلا فرقان

شرع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في بيان القراءة والمقروء (د/ ١٣٤ب) والتلاوة والمتلو والكتابة والمكتوب والمحفوظ (ع/ ٢١١ب) واللفظ والملفوظ وأطنب في ذلك (ع/ ٢١٠أ) لكثرة ما وقع في ذلك من التخبيط والتخليط فقال:

والله أخبر أنه سبحانه ... متكلم.......................... إلخ

كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩]، وقال تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ [عبس:١٣-١٤]، وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٨]، ثم قال:

والكل شيء واحد لا أنه ... هو أربع وثلاثة واثنان

ثم قال:

وتلاوة القرآن أفعال لنا ... وكذا الكتابة فهي خط بنان

قال شيخ الإسلام بعد كلام سبق[2]: وكان أهل الحديث قد افترقوا في ذلك أي في مسألة اللفظ بالقرآن، فصار طائفة منهم يقولون لفظنا بالقرآن غير مخلوق

---

(١) زيادة من (د).
(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٦٢).

ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق وليس مرادهم صوت العبد، كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي[1] وطوائف غير هؤلاء.

وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك أو يقف فيه ففهم ذلك بعض الأئمة فصار يقول أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة ردًّا لهؤلاء كما فعل البخاري ومحمد بن نصر المروزي[2] وغيرهما من أهل العلم والسنة وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة وأهواء للنفوس حصل بسبب ذلك نوع من الفرقة (د/ ١٣٥أ) والفتنة وحصل بين البخاري وبين محمد بن يحيى الذهلي في ذلك ما هو معروف.

وصار قوم مع البخاري كمسلم بن الحجاج ونحوه وقوم عليه كأبي زرعة وأبي حاتم ونحوهما، وكل هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث وهم من أصحاب أحمد بن حنبل.

ولهذا قال ابن قتيبة[3]: إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم إلا في مسألة اللفظ، وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء وليس مرادهم بالتلاوة المصدر.

---

(١) هو: محمد بن داود بن صبيح أبو جعفر المصيصي، قال في التقريب (ص٨٤٣): «ثقة فاضل من الحادية»، وانظر: تهذيب الكمال (٨/ ٦٧٩).

(٢) هو: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، أبو عبد الله، نشأ في بنيسابور، واستقر في سمرقند، قال الحاكم: إمام عصره بلا مدافعة في الحديث، من آثاره: «تعظيم قدر الصلاة وكتاب القسامة»، وله غيرها. مات سنة (٢٩٤هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٥٠)، والسير (١٤/ ٣٣).

(٣) هو: أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قال الذهبي: «العلامة الكبير، ذو الفنون»، مات سنة (٢٧٦هـ). من آثاره: «غريب القرآن»، و«غريب الحديث»، وغيرهما كثير. انظر: السير (١٣/ ٢٩٦).

فالذين قالوا: التلاوة هي المتلو من أهل العلم والسنة قصدوا بذلك أن التلاوة هي القول والكلام المقترن بالحركة، وهي الكلام المتلو.

وآخرون قالوا: بل التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقروء والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث، أرادو بذلك أن أفعال العباد ليست هي كلام الله ولا أصوات العباد هي صوت الله، وهذا الذي قصده البخاري وهو مقصود صحيح انتهى كلامه ملخصًا من كتاب العقل والنقل[١].

وقال الحافظ الذهبي في كتاب العلو[٢] قال عبد الرحمن بن محمد الحافظ[٣] حدثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الصيداوي[٤] سمعت إسحق بن داود الشعراني[٥] يذكر أنه عرض (ع/ ٢١٢أ) على محمد بن أسلم الطوسي[٦] كلام بعض من تكلم في القرآن فقال محمد[٧]: القرآن كلام الله غير مخلوق أين ماتلي وحيث ماكتب لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل.

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٤)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٧، ٥٢٧) (٧/ ٦٦٠).

(٢) انظر: العلو (٢/ ١١٦٨).

(٣) هو: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي الحنظلي الغطفاني، المعروف بـ(ابن أبي حاتم)، إمام حافظ، وكان بحرًا في العلوم ومعرفة الرجال، وكان زاهدًا عابدًا. مات سنة (٣٢٧هـ).من آثاره: «الجرح والتعديل». انظر: السير (١٣/ ٢٤٧).

(٤) من أصحاب الإمام أحمد، ونقل عنه أشياء، ولم أجد من أرخ وفاته. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ١٨٨)، والمنهج الأحمد للعليمي (١/ ٤١٣).

(٥) هو: أبو يعقوب الشعراني المروزي، سكن بغداد، وحدث بها، سأل الإمام أحمد مسائل، مات سنة (٢٦١هـ). انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٣٧٤)، والتدوين في أخبار قزوين (١/ ١٩٢).

(٦) هو: محمد بن أسلم بن يزيد الكندي، مولاهم الخراساني الطوسي، قال ابن المبارك: لم تر عيني مثله، وقال: كان من الثقات الحفاظ. مات سنة (٢٤٢هـ). انظر: السير (١٢/ ١٩٥)، والعبر (١/ ٣٤٤)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٣٢).

(٧) انظر: العلو للذهبي (٢/ ١١٦٨).

قال الذهبي: صدق والله فإنك تنقل من المصحف مائة مصحف وذاك الأول لايتحول في نفسه، ولا يتغير وتلقن القرآن ألف نفس وما في نفسك باق بهيئته لا يفصل عنك ولا يتغير وذلك لأن المكتوب واحد والكتابة تعددت والذي في صدرك واحد وما في صدور المقرئين هو عين ما في صدرك سواء والمتلو وإن تعدد التالون به واحد مع كونه سور وآيات وأجزاء متعددة وهو كلام الله ووحيه وتنزيله وإنشاؤه ليس هو بكلامنا (د/ ١٣٥ب) أصلًا نعم وتكلمنا به وتلاوتنا له ونطقنا به من أفعالنا وكذلك كتابتنا له وأصواتنا به من أعمالنا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦].

فالقرآن المتلو مع قطع النظر عن أعمالنا، كلام الله ليس بمخلوق، وهذا إنما يحصله الذهن وأما في الخارج فلا يتأتى وجود القرآن إلا من تال أوفي مصحف فإذا سمعه المؤمنون في الآخرة من رب العالمين فالتلاوة إذا ذاك والمتلو ليسا بمخلوقين.

ولهذا يقول الإمام أحمد: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي»[(١)].

فتأمل هذا، فالمسألة صعبة، وما فصلته فيها -وإن كان حقًّا- فأحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وعلماء السلف: لم يأذنوا في التعبير عن ذلك، وفروا عن الجهمية ومن الكلام بكل ممكن، حتى إن حرب بن إسماعيل[(٢)] قال: سمعت ابن راهويه وسئل عن الرجل

---

(١) انظر: مسائل ابن هانئ (٢/ ١٥٢-١٥٣)، والسنة للخلال (٧/ ٨٤)، لكن فيه «من زعم» بدل«من قال».

(٢) هو:حرب بن إسماعيل الكرماني الفقيه، تلميذ أحمد بن حنبل، قال الذهبي: (الإمام العلامة). مات سنة (٢٨٠هـ). انظر: السير (١٣/ ٢٤٤).

يقول القرآن ليس بمخلوق وقراءتي إياه مخلوقة لأني أحكيه فقال: هذا بدعة لا يقار على هذا حتى يدع قوله.

قلت: أظن إسحق نفر من قوله «لأني أحكيه» بحيث أن الحافظ الثبت عبد الله بن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سألت أبي في رجل قال: التلاوة مخلوقة وألفاظنا بالقرآن مخلوقة، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق قال: هذا كلام الجهمية قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حتى أبلغ كلام ربي**»[١]، وقال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس**»[٢]. وكان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء أو يقال مخلوق أو غير مخلوق[٣].

قلت: فعل الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا حسما للمادة وإلا فالملفوظ كلام الله والتلفظ به فمن كسبنا انتهى كلام الذهبي.

وقول الناظم:

وهو الذي قصد البخاري الرضى .... إلى آخره

يعني: أن (ع/٢١٣ب) الإمام أحمد قال فيما نقل عنه نقلًا مستفيضًا أنه قال من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع.

قال الناظم في كتاب الصواعق المرسلة[٤]:

(١) أخرجه عبد الله في السنة (١/ ١٦٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٤٦): «رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح».

(٢) صحيح. سبق تخريجه.

(٣) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١/ ٢٣٣-٢٣٤).

(٤) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٣٠٦-٣٠٧).

فإن قيل: فإذا كان الأمر كما قررتم فكيف أنكر الإمام أحمد على من قال لفظي بالقرآن مخلوق وبدعة ونسبه إلى التجهم وهل كانت محنة أبي عبدالله (د/ ١٣٦أ) البخاري إلا على ذلك حتى هجره أهل الحديث ونسبوه إلى القول بخلق القرآن.

قيل: معاذ الله أن يظن بأئمة الإسلام هذا الظن الفاسد فقد صرح البخاري في كتابه خلق أفعال العباد.

وفي آخر الجامع: بأن القرآن كلام الله غير مخلوق[1]، وقال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق.

إلى أن قال: فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله، فإن الإمام أحمد سد الذريعة حيث منع إطلاق لفظ المخلوق نفيًا وإثباتًا على اللفظ وهذا المنع في النفي والإثبات من كمال علمه باللغة والسنة وتحقيقه لهذا الباب فإنه امتحن بها لم يمتحن به غيره وصار كلامه قدوة وإمامًا لحزب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يوم القيامة والذي قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران:

أحدهما: الملفوظ نفسه وهو غير مقدور للعبد ولا فعل له.

والثاني: التلفظ به والأداء وفعل العبد، فاطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الأول وهو خطأ، واطلاق نفي الخلق عليه قد يوهم المعنى الثاني وهو خطأ فمنع الاطلاقين، وأبو عبد الله البخاري ميز وفصل وأشبع الكلام في ذلك وفرق

(١) انظر: خلق أفعال العباد (ص٨٩)، وفتح الباري (١٣/ ٤٧٢-٤٧٥)، والعلو للذهبي (٢/ ١١٥٠).

بين ما قام بالرب وبين ما قام بالعبد وأوقع المخلوق على تلفظ العباد وأصواتهم وحركاتهم وأكسابهم، ونفى اسم الخلق عن الملفوظ وهو القرآن الذي سمعه جبريل من الله تعالى وسمعه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبريل، وقد شفى في هذه المسألة في كتاب خلق أفعال العباد وأتى فيها من الفرقان والبيان بما يزيل الشبهة ويوضح الحق ويبين محله من الامامة والدين ورد على الطائفتين أحسن الرد.

وقال أبو عبد الله البخاري(١): «فأما ما احتج به الفريقان لمذهب أحمد ويدعيه كل لنفسه فليس بثابت كثير من أخبارهم وربما لم يفهموا دقة مذهبه بل المعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق وما سواه فهو مخلوق وأنهم كرهوا البحث و(ع/ ٢١٤أ) التفتيش عن الأشياء الغامضة (د/ ١٣٦ب) وتجنبوا(٢) أهل الكلام والخوض والتنازع إلا فيما جاء به العلم وبينه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والفريقان اللذان عناهما البخاري وتصدى للرد عليهما وإبطال قولهما [هما اللفظية المثبتة واللفظية النفاة](٣) ثم أخبر البخاري أن كل واحدة من الطائفتين الزائغتين تحتج بأحمد وتزعم أن قولها قوله.

---

(١) في خلق أفعال العباد (ص٦٣).

(٢) في (ع) و(د): «ويجتنب»، والمثبت من خلق أفعال العباد، وهو المناسب لسياق الكلام.

(٣) ما بين المعكوفتين زيادة لا بد منها (للتوضيح).

والمراد باللفظية النفاة: هم الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وسُمُّوا بذلك؛ لأن قولهم يرجع إلى قول الجهمية النفاة، الذين يقولون: القرآن مخلوق، وهم يجعلون الملفوظ -وهو القرآن- مخلوق، وينفون تكلم الله بالقرآن وغيره. والتلاوة عندهم نفس ألفاظ القرآن والمتلو هو المعنى القائم بالنفس وهو غير مخلوق.

قال الإمام أحمد: «اللفظي الذي يقول: القرآن بألفاظنا مخلوق».

أما اللفظية المثبتة: فهم طائفة من أهل الحديث أطلقوا القول بأن اللفظ بالقرآن غير مخلوق، وسموا بذلك لكونهم خاضوا في بدعة اللفظ، مع كونهم مخالفين للجهمية، ويقرون بأن القرآن =

وهو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن أولئك اللفظية يزعمون أنه كان يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق وأنه على ذلك استقر أمره، وهذا قول من يقول التلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء والكتابة هي المكتوب والطائفة الثانية الذين يقولون: التلاوة والقراءة مخلوقة.

ويقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، ومرادهم بالتلاوة والقراءة نفس ألفاظ القرآن العربي الذي سمع من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمتلو والمقروء عندهم هو المعنى القائم بالنفس وهو غير مخلوق وهو اسم للقرآن.

فإذا قالوا: القرآن غير مخلوق أرادوا به ذلك المعنى وهو المتلو والمقروء، وأما المقروء المسموع المثبت في المصاحف فهو عبارة عنه وهو مخلوق، وهؤلاء يقولون: التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقروء والكتابة غير المكتوب وهي مخلوقة والمتلو المقروء غير مخلوق وهو غير مسموع فإنه ليس بحروف ولا أصوات والفريقان مع كل منهما حق وباطل.

فنقول وبالله التوفيق:

أما الفريق الأول: فأصابوا في قولهم إن الله تعالى تكلم بهذا القرآن على الحقيقة حروفه ومعانيه تكلم به بصوته وأسمعه من شاء من ملائكته وليس هذا القرآن العربي مخلوقًا من جملة المخلوقات، وأخطأوا في قولهم إن هذا الصوت المسموع من

=كلام الله غير مخلوق، وسُمُّوا «المثبتة»؛ لأنهم مع أهل الإثبات في سائر الصفات، أو لأن قولهم غلوٌّ في الإثبات، لكن دخل عليهم الغلط في مقابلة بدعة النفاة بهذه البدعة التي أحدثوها، فردوا على اللفظية النفاة، لكن ببدعة أخرى أنكرها الأئمة.

انظر: درء التعارض (١/ ٢٦٨)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٩)، ونقض التأسيس (٢/ ٥٢٨)، وخلق أفعال العباد (١/ ٤٠٧) (٢/ ١١٩- تعليق).

القارىء هو الصوت القائم بذات الرب تعالى وأنه غير مخلوق وأن تلاوتهم قراءتهم وألفاظهم القائمة بهم غير مخلوقة.

فهذا غلو في الإثبات يجمع بين الحق والباطل.

وأما الفريق الثاني: فأصابوا في قولهم: إن أصوات العباد وتلاوتهم وقراءتهم وما قام بهم من أفعالهم وتلفظهم بالقرآن وكتابتهم له مخلوق وأخطأوا في قولهم إن هذا القرآن العربي الذي (د/١٣٧أ) بلغه رسول الله ﷺ عن الله مخلوق ولم يتكلم به الرب ولا سمع منه وأن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه ليس بحروف ولا سور ولا آيات ولا له بعض ولا كل وليس بعربي ولا عبراني (ع/٢١٥ب) بل هذه عبارات مخلوقة تدل على هذا المعنى.

والحرب واقعة بين هذين الفريقين من بعد موت الإمام أحمد إلى الآن، فإنه لما مات الإمام أحمد قال طائفة ممن ينسب إليه منهم محمد بن داود المصيصي وغيره: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة وحكوا ذلك عن الإمام أحمد فأنكر عليهم صاحب الإمام أحمد وأخص الناس به أبو بكر المروذي[1] ذلك وصنف كتابًا مشهورًا ذكره الخلال في السنة[2] ثم نصر هذا القول أبو عبد الله بن حامد[3]، وأبو نصر السجزي[4] وغيرهما ثم نصرهما بعده القاضي أبو يعلى وغيره ثم ابن الزاغوني وهو خطأ على أحمد.

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٣٥٢)، والسنة لعبد الله (١/ ١٦٣)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٦٥٩) (٨/ ٤٠٧).

(٢) لم أجده في السنة للخلال.

(٣) هو: الحسن بن حامد بن علي البغدادي الورّاق، قال الذهبي: (شيخ الحنابلة ومفتيهم) صنف كتاب «الجامع»، ومات شهيدًا سنة (٤٠٣هـ). انظر: السير (١٧/ ٢٠٣).

(٤) هو: أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي البكري السجستاني، شيخ الحرم، صنف الإبانة =

فقابل هؤلاء الفريق الثاني وقالوا: إن نفس هذه الألفاظ مخلوقة لم يتكلم الله بها ولم تسمع منه وإنما كلامه هو المعنى القائم بنفسه، وقالوا: هذا قول أحمد والبخاري.

وأئمة السنة براء من هذين القولين، والثابت المتواتر عن الإمام أحمد هو ما نقله عنه خواص أصحابه وثقاتهم كابنيه صالح وعبد الله والمروذي وغيرهم الإنكار على الطائفتين جميعًا كما ذكره البخاري.

فأحمد والبخاري على خلاف قول الفريقين، وكان [أحمد](١) يقول: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع، وأن القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله على الحقيقة وحيث تصرف كلام الله فهو غير مخلوق»(٢)، وكان يقول [البخاري](٣) بخلق أفعال العباد وأصواتهم وأن الصوت المسموع من القارىء هو صوته وهو مخلوق، ويقول في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»(٤) معناه يحسنه بصوته كما قال: «**زينوا القرآن بأصواتكم**» انتهى كلام الناظم.

=الكبرى قال الذهبي(الإمام العالم الحافظ المجود، شيخ السُّنة)، مات سنة (٤٤٤هـ). انظر: السير (١٧/ ٦٥٤).

(١) زيادة للتوضيح.

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ١٤٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٢٤).

(٣) زيادة للتوضيح.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه (٤/ ٢٣٥١) من حديث أبي هريرة.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصل

في مقالات الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب جَلَّ جَلَالُهُ

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعًا   للمسلمين بإفك ذي بهتان
فرآه فيضًا فاض من عقل هوالـ   ـفعال علة هذه الأكوان
حتى تلقاه زكي فاضل   حسن التخيل جيد التبيان
فأتى به للعالمين خطابة   ومواعظًا عريت عن البرهان
ما صرحت أخباره بالحق بل   رمزت إليه إشارة لمعان
وخطاب هذا الحق والجمهور بالـ   ـحق الصريح فغير ذي إمكان
لا يقبلون حقائق المعقول إلـ   ـلا في مثال الحس والأعيان
ومشارب العقلاء لا يَرِدونها   إلا إذا وضعت لهم بأوان
من جنس ما ألفت طباعهم من الـ   ـمحسوس في ذا العالم الجثمان
فأتوا بتشبيه وتمثيل وتجـ   ـسيم وتخييل إلى الأذهان
ولذاك يحرم عندهم تأويله   لكنه حل لذي العرفان
فإذا تأولناه كان جناية   منا وخرق سياج ذا البستان
لكن حقيقة قولهم أن قد أتوا   بالكذب فيه مصالح الإنسان
والفيلسوف وذا الرسول لديهم   متفاوتان وما هما عدلان
أما الرسول ففيلسوف عوامهم   والفيلسوف نبي ذي البرهان
والحق عندهم ففيما قاله   أتباع صاحب منطق اليونان

ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: كلام المتفلسفة (د/ ١٣٧ب) في كلام الله -تعالى- كابن سينا وأتباعه ومن وافقهم من متصوف ومتكلم فإن كلام الله عندهم ليس له (ع/ ٢١٦أ) وجود خارج عن نفوس العباد، بل هو ما يفيض على النفوس من المعاني إعلامًا أو طلبًا إما من العقل الفعال كما يقوله كثير من المتفلسفة، وإما مطلقًا كما يقوله بعض متصوفة الفلاسفة أفاده شيخ الإسلام[1].

وقال في كلامه على حديث النزول -بعد كلام سبق-[2]: ثم لما أرادوا (د/ ١٣٨أ) تقرير النبوة جعلوها فيضًا يفيض على نفس النبي من العقل الفعال[3] أو غيره من غير أن يكون رب العالمين يعلم له رسولًا معينًا ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا يعلم الجزئيات ولا نزل من عنده ملك بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي وهو العقل الفعال.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٠٤)، وبغية المرتاد (١/ ٣٨٤)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ١٩٨)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٤٢) (١٢/ ٥٩٥)، والفتاوى الكبرى (٥/ ٥١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٤٦).

(٣) العقل الفعَّال عند الفلاسفة: هو العقل العاشر الموجود مع جرم القمر-كما يزعمون- وهو المؤثر في هيولى -مادة- العالم السفلي المفيض للصور والنفوس والأعراض على العناصر والمركبات، بسبب ما يحصل لها من الاستعدادات المسببة -بفتح الموحدتين- من الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية وأوضاعها.

ومنهم من يقول إن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو العقل الفعَّال.

وعرفه أرسطو بأنه: هو العقل الذي يجرد المعاني أو الصور الكلية من لواحقها الحسية الجزئية، قالوا: وإذا أصبح العقل الانساني شديد الاتصال بالعقل الفعَّال كأنه يعرف كل شيء من نفسه سمي بالعقل القدسي. قال التهانوي: «ويسمى في لسان الشرع: بجبرائيل؛ كما في شرح هداية الحكمة» اهـ.

انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٣/ ٣٠٥)، والمعجم الفلسفي (٢/ ٨٦)، وغاية المرام (ص٢٠)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٦٣)، والحدائق للبطليوسي (ص٤٦-٤٧)، ومعيار العلم (ص٢٧٩)، والمنطق الأسينوي (ص٣٢)، ودرء التعارض (١٠/ ٢١٨).

وأنكروا أن تكون السماوات تنشق وتنفطر وغير ذلك مما أخبر به الرسول ﷺ وزعموا أن ما جاء به الرسول ﷺ إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل إليهم بما ينتفعون به من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك(١) ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق وعلمت الناس ما الأمر عليه ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي.

وحقيقة قولهم: أن الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس.وهل كانوا جهلاء؟ على قولين لهم(٢).

إلى غير ذلك من أنواع الإلحاد والكفر الصريح والكذب على النبي ﷺ وعلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد بين في غير هذا الموضع(٣) أن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل وإن تظاهروا بالإسلام فإنهم يظهرون من مخالفة الإسلام أعظم مما (ع/٢١٧ب) كان يظهره المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

وقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: المنافقون اليوم شر من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ قيل: ولم ذلك، قال لأنهم كانوا يسرون نفاقهم وهم اليوم يعلنونه(٤).

ولم يكن على عهد حذيفة من وصل إلى هذا النفاق ولا إلى قريب منه انتهى.

---

(١) بمعنى: من غير أن يكون هناك حقيقة.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٦٣٩)، والجواب الصحيح (٦/ ١١)، والنبوات (ص١٥٥).

(٣) يعني شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٤٧).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٣٤)، والفريابي في صفة المنافقين (ص٤٩).

قوله:

وخطاب هذا الخلق والجمهور .... إلخ[١]

بفتح الخاء: ما ركب من مقدمات مقبولة أو من مقدمات مظنونة وسميت بذلك لأن القصد منها ترغيب المخاطب كما يفعله الخطباء كذا ذكر المنطقيون[٢].

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

ومضى على هدي المقالة أمة ... خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان

منهم نصير الكفر في أصحابه ... الناصرين لملة الشيطان

فاسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... أعداء كل موحد رباني

---

(١) في الأصل «خطابه..»، التصحيح من الأبيات التي ذكرها الشارح في أول هذا الفصل.
وانظر: متن الكافية الشافية (ص٥٨)، ط. عالم الفوائد.

(٢) التعريفات للجرجاني (ص١٣٤). وانظر: التعاريف لابن كمال (ص٣١٦)، وكشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ٧).
وهذا البيت أشار المؤلف إلى معناه إشارة مختصرة، ومعناه على التفصيل: إن الفلاسفة والقرامطة يعتقدون أن ظواهر النصوص إنما جاءت لخطاب الجمهور بما يخيل إليهم ما يعتقدونه في أمر الإيمان واليوم الآخر؛ لأجل أن ينتفعوا بذلك، من غير أن تكون الرسل بينت الحقائق، وعلمت الناس ما الأمر عليه؛ لأن الإفصاح بحقيقة ذلك لا يمكن خطاب الجمهور به، فإن الظواهر لا يخاطب بها إلا الجمهور والعامة، بل الإفصاح بحقيقة الأمر ينافي المصلحة العامة، والشخص عند هؤلاء الملاحدة يكتم عنه الأمر حتى يصل إلى المرحلة التي تكشف له بها الحقائق، ويعرَّف بالحقيقة التي يزعمون أنها تناقض ما بينه الرسول، وحينئذ يسوغ له ترك أمره ونهيه وطاعته، بل ويسوغ له تكذيب خبره.
والمقصود أن خطاب الجمهور لا يكون إلا بأمور خيالية لا حقيقية، لأن ما أخبرت به الرسل من أمور الغيب والمعاد ليس له حقيقة في نفس الأمر، وأن الرسل في خطابهم لجمهور الناس كذبوا للمصلحة العامة لأجل نفع الناس، وردعهم بهذه الأمور الخيالية، نعوذ بالله من الضلال.
انظر: درء التعارض (١/ ١٠٤) (٥/ ٢١٥) (٥/ ٢٤٦) (٨/ ٢٤٢)، والرد على المنطقيين (ص٢٨١)، وشرح العقيدة الأصبهانية (ص٢١٣).

واسأل بهم ذا خبرة تلقاهم | أعداء رسل الله والقرآن
صوفيهم عبد الوجود المطلق | المعدوم عند العقل في الأعيان
أو ملحدٍ بالإتحاد يدين لا | التوحيد منسلخ من الأديان
معبوده موطوؤه فيه يرى | وصف الجمال ومظهر الإحسان
الله أكبر كم على ذا المذهب الـ | ـملعون بين الناس من شيخان
يبغون منهم دعوة ويقبلو ن أيـ | ـاديًا منهم رجا الغفران
لو أنهم عرفوا حقيقة أمـ | ـرهم رجموهم لا شك بالصوان
فابذر لهم إن كنت تبغي كشفهم | وافرش لهم كفًا من الأتبان
واظهر بمظهر قابل منهم ولا | تظهر بمظهر صاحب النكران
وانظر إلى أنهار كفر فجرت | وَتَهِمُّ لولا السيف بالجريان

يقول الناظم: إنه قد مضى (د/١٣٨ب) على هذه المقالة أمة خلف ابن سينا منهم نصير الكفر وأصحابه يعني النصير الطوسي.

ونحوه قوله:

.... | .... فاغتذوا بلبان

اللبان -بكسر اللام- قال الأعلم[١]:

هو للآدمين واللبن لغيرهم[٢] وقد يكون جمع لبن في هذا الموضع.

---

(١) هو: يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشمنتري الأندلسي أبو الحجاج،أديب لغوي، نحوي، شاعر، مات سنة (٤٧٦هـ).ومن آثاره: «شرح كتاب الجمل» للزجاجي في النحو، وآراؤه مشهورة في النحو. انظر: معجم المؤلفين (١٣/ ٣٠٢).
ويوجد من يعرف بالأعلم غير المشهور، وهم أكثر من واحد، لكن لا يلتبس الأمر إلا بإبراهيم بن قاسم البطليوسي، لأنه نحوي لغوي، وله كتاب الجمع بين الصحاح للجوهري، والغريب المصنف، ومات سنة (٦٤٢هـ)؛ لذا أحببنا التنبيه على ذلك لأن الأعلم اللغوي النحوي المشهور لا يذكر في الكتب إلا بكنيته، فربما التبس بهذا الأخير لأنه لغوي ونحوي. والله أعلم.

(٢) لم أجد قول الأعلم هذا فيما اطلعت عليه من المصادر، ولكن ذكر معناه أهل اللغة، قال القاضي =

قوله:

صوفيهم عبد الوجود المطلق .... إلخ

أي أن صوفيتهم عندهم أن الرب تعالى عن قولهم هو الوجود المطلق الساري في الموجوات والوجود المطلق لا يوجد إلا في الذهن، وقد تقدم حكاية مذاهبهم في الفصل الذي فيه قدوم ركبهم (ع/٢١٨أ).

قوله:

معبوده موطوؤه ....

أي: أن القائلين بوحدة الوجود يعتقدون ذلك لأنهم يعبدون الوجود المطلق[١].

=عياض: «ذكر أهل اللغة أنه لا يقال في بنات آدم لبن، وإنما يقال: لبان، واللبن لسائر الحيوان». وقال الزبيدي: «واللبان -بالكسر- وإنما اللبن الذي يشرب من ناقةً أو شاةً أو غيرها من البهائم». وقال ابن الأثير في النهاية (٤/ ١٩٧) -تحت كلمة (لبن)-: «فيه «إن لبن الفحل يُحَرِّم» يريد بالفحل: الرجل تكون ولدت له امرأةٌ ولدت منه ولدًا ولها لبن...» لكني لم أجد هذا الحديث، وإنما روى البخاري وأبو داود في باب النكاح تحت باب «لبن الفحل» حديث:(أفلح أخا قيس...) وليس في الحديث ذكر اللبن، وإنما هو من تبويب البخاري وأبو داود من بعده باب «لبن الفحل».

قال الحافظ في الفتح (٩/ ٥٤): «قوله «باب لبن الفحل» بفتح الفاء وسكون المهملة أي الرجل، ونسبة اللبن إليه مجازية لكون السبب فيه».

انظر: تاج العروس (١٨/ ٤٩٧)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢١٩٢)، واللسان (٩/ ٢٥٧).

(١) الوجود المطلق هو الذي لا يتميز باسم ولا وصف، قال شيخنا: «وهو بمعنى المعدوم لأنه لا يوجد إلا في الذهن».وانظر: الجواب الصحيح (٣/ ٣٣٧)، ومنهاج السنة (٥/ ٣٥٧)، مجموع الفتاوى (٨/ ٣١٣). لكن ذكر البقاعي بأن ابن الفارض كان يعتقد أن ربه أنثى -تعالى الله عن قوله-!، وكونه أثبت ذلك فقد أثبت وجودًا ذاتيًّا، وهو يتعارض مع قولهم بالوجود المطلق. انظر: مصرع التصوف (ص٢١٨).

قوله:

الله أكبر كم على ذا المذهب الـ ـملعون بين الناس من شيخان

أي كم على هذا المذهب (د/ ١٣٩) من مشايخ الضلال المتحلين لأنواع الكفر والمحال

قوله:

.... من شيخان

بكسر الشين هو جمع شيخ أي على ذا المذهب مشايخ كثيرون والناس يعظمونهم لعدم معرفتهم بأقوالهم ولأنهم يظهرون التقى والتقشف ويربطون العوام بالحث على لزوم الكتاب والسنة وتعظيم الرسل ظاهرا ويعظمون مشايخ الزهد والتصوف وينتحلون أقوالهم ويعظمونها فلهذا التبس أمرهم على الناس.

وقد يوجد في كلام بعضهم كابن عربي تنقص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكذلك يوجد في كلامه تنقص مشايخ الزهد والتصوف المتبعين للكتاب والسنة كالجنيد وأمثاله ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج وأمثاله.

وفي كتاب الفرقان لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى[1]: ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما يوجد في كلام صاحب الفتوحات المكية والفصوص وأشباه ذلك يمدح الكفار مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ويتنقص بالأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وهرون ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين كالجنيد بن محمد وسهيل بن عبدالله التستري ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه انتهى.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٣٩).

وقوله:

يبغون منهم دعوة ويقبلو ن أياديًا ....

يبغون منهم دعوة ويقبلون أيـ اديـــــا..............................

هي جمع يد أي أن الناس يقبلون أيادي المشايخ المذكورين ويطلبون منهم الدعاء ولو علموا حقيقة قولهم أي لو علموا ما يقولون به من وحدة الوجود لرجموهم لا شك بالصوان أي بالحجارة الصوانه مشددة ضرب من الحجارة شديد جمع صوان قاله في القاموس(١).

وقوله:

فابذر لهم إن كنت تبغي كشفهم .... إلخ

أي إن أردت أن يظهروا لك حقيقة اعتقادهم فأعطهم شيئًا من حطام الدنيا واظهر بمظهر قابل منهم ولا تُبْدِ لهم الإنكار، فإنك إذا فعلت ذلك أظهروا لك أقوالهم الكفرية المتضمنة للكذب والسخرية.

وقوله:

وانظر إلى أنهار كفر فجرت وَتَهُمُ لولا السيف بالجريان

يقال -والله المستعان-: قد جرت تلك (د/١٣٩ب) الأنهار حتى ملأت الديار (ع/٢١٩ب) والقفار، وقد أثقلت كتب هؤلاء الملاعين ظهر البسيطة، فانظر ترى يا من له عينان والله المستعان(٢).

---

(١) انظر: القاموس (ص١٥٣٦).

(٢) معنى البيت: أنه لولا خوف السيف لأظهر هؤلاء الملاحدة كفرهم وزندقتهم وأذاعوها بين الناس، فكلام الناظم يدل على أن الذي منع ظهورهم هو السيف، وحكم الإسلام الذي نفذ في كثير من زنادقتهم كالحلاج وغيره من الزنادقة لا يخفى على أحد؛ فإن الحلاج قد شهد على زندقته =

وإن شئت أن تعرف ذلك فطالع كتب ابن عربي كالفتوحات المكية(١) والفصوص(٢) وشروحها(٣)، ....

=عدد من العلماء الذين كتبوا خطوطهم للسلطان فقتله، وأحرق جثته وألقاها في نهر دجلة كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تاريخه، فأصبح بعده هؤلاء الزنادقة مقموعين بسيف الإسلام، وكتبهم تتناقل سرًّا بين أتباعهم، بل إن الذي وضع رسائل إخوان الصفا مجموعة من الزنادقة أخفوا أسماءهم خوفًا على أنفسهم من سيف الإسلام.

أما كلام الشارح فيحمل على أن تلك الكتب إنما ظهرت في وقت ضعف فيه أمر المسلمين أو تناقلها الناس خفية فاغتر كثير منهم بها.

فليس بين كلام الناظم والشارح تعارض، والله أعلم.

(١) مطبوع.

(٢) مطبوع.

(٣) وممن شرحها كمال الدين محمد بن علي الأنصاري المشهور بـ(ابن الزملكاني) (٧٢٨هـ) عدو ابن تيمية اللدود، وذكر في أثنائه أن الفصوص مما فاض من روح نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على خواص متابعيه بقدر متابعتهم وقوة مناسبتهم، وشرحه السيد علي بن شهاب بن محمد الهمداني(ت٧٥١هـ)، وصدره بمقدمة كاشفة عن أمهات مقاصد القوم، وسماها «مطلع خصوص الحكم» وشرحه كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الكاشاني(ت٧٣٠هـ)، وشرحه مؤيد الدين محمود بن صاعد الخاتمي الذي مات سنة (ت٧٠٠هـ) تقريبًا، وله شرحان على الفصوص كبير وصغير، وذكر في مقدمته أن ابن عربي نهى أن يجمع بين هذا الكتاب وبين غيره في جلد واحد؛ لأن كتاب الفصوص من الورث المحمدي!! وذكره في مقدمة قصيدة دالية مشتملة على أصول أذواق التوحيد المذكورة في الفصوص، وشرحه الشيخ محمد بن صالح الكاتب بشرح مختصر واعتذر بما فيه من الكفريات بأن صاحب الفصوص كان مأمورًا للتكلم فيه بما يخالف ظاهر الشرع ابتلاءً للناس من عند الله تعالى!!. تعالى الله عن قوله.

إلى آخر تلك الشروح.

انظر: كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون لحاجي خليفة (٢/ ١٢٦٢)، لكنه بعد سياقه لمجموعة من الشروح قال في أثناء ذلك: «أقول: ثم إن الفصوص تعدد فيه القيل والقال، وكثر النزاع والجدال، فالأولى ترك النظر فيه، وعدم الالتفات إليه تأسيًا بقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك...**»؛ فإنك لو نظرت الى كتب التواريخ والطبقات لرأيت الناس فريقين في حق الشيخ وتآليفه».

وتائية ابن الفارض[(١)] وشروحها[(٢)]، وتصانيف العفيف التلمساني[(٣)]، والشيخ عبد الغني النابلسي[(٤)] ....

---

(١) في وحدة الوجود، وسماها «نظم السلوك» ومنها:

وها أنا أُبدي في اتحادي مبدئي ... وأنهي انتهائي في تواضع رفعتي

وفي موقفي لا بل إليَّ توجهي ... ولكن صلاتي لي ومني كعبتي

وابن الفارض هو: عمر بن علي بن مرشد المعروف بـ(ابن الفارض)، من كبار الصوفية القائلين بالاتحاد، مات سنة (٥٧٦هـ)، وكان سيد الشعراء في عصره، وله ديوان شعر جمع فيه بين الجزالة والحلاوة إلا أن شأنه بالاتحاد في ألذ عبارة وأرق استعارة كفالوذج مسموم.
وديوانه مطبوع.
انظر: لسان الميزان (٥/ ٢١٠).

(٢) لها شروح كثيرة، فأول من شرحها محمد بن أحمد الفرغاني (٧٠٠هـ تقريبًا)، وشرحها محمود الكاشي(ت٧٣٥هـ)، وشرحها سراج الدين عمر بن إسحاق الهندي(ت٧٧٣هـ)، وكان يتعصب لابن الفارض، وشرحها شرف الدين داود بن محمود القيصري، وذكر بعضهم أن اسم هذا الشرح «كشف وجوه الغر لمعاني الدر»، وشرحها عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني(ت٦٩٠هـ)، وشرحها محمد بن أمين الشهير بالبخاري نزيل مكة، وغيرهم.
وممن عارض تلك القصيدة: برهان الدين البقاعي في مصنف سماه «صواب الجواب لسائل المرتاب المعارض المجادل في كفر ابن الفارض». وكذلك قاضي القضاة المحب ابن الشحنة الحنفي الكناني، وكمال الدين محمد بن إمام الكاملية الشافعي، ونجم الدين أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي (ت٦٩٥هـ)، والقاضي شمس الدين محمد البساطي الذي صنف شرحًا على التائية صرح فيه بكفر ابن الفارض، وكذلك الإمام أبو حيان في تفسيره «البحر والنهر».
ومن هؤلاء أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني (ت٧٧٦هـ)، وهو صاحب عقيدة صحيحة، وكان يكثر من الحط على أصحاب وحدة الوجود، وبخاصةً ابن الفارض، وعارض قصائد ابن الفارض بقصائد نبوية أوصى أن تدفن معه بعد موته، وقد امتحن بسبب ابن الفارض على يد سراج الدين الهندي قاضي الحنفية، وشارح فصوص الحكم الآنف الذكر.
انظر: اللسان لابن حجر (٥/ ٢١٣)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ١٦٧)، والتصوف في ميزان البحث والتحقيق لعبد القادر السندي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٥٩٨) وما بعدها.

(٣) له مؤلفات كثيرة في الزندقة سبق ذكر شيء منها في ترجمته، نعوذ بالله من الخذلان.

(٤) هو: عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني الدمشقي الصالحي الحنفي النقشبندي القادري، المعروف بـ(النابلسي)، أديب، ناظم، صوفي، مشارك في أنواع من العلوم. مات سنة (١٠٥٠هـ). =

ومؤلفات عبدالرزاق الكاشي[١] وكتاب الإنسان الكامل للجيلي، وقصيدته العينية[٢] وغيرها والله الموعد.

ولقد أحسن أبو حيان النحوي في قوله:

حلبت الدهر أشطره زمانا ... وأغناني العيان عن السؤال
فما أبصرت من خل وفيٍّ ... ولا ألفيت مشكور الخلال
ذئاب في ثياب قد تبدت ... لرائيها بأشكال الرجال
فمن يك يدعي منهم صلاحا ... فزنديق تغلغل في الضلال
ترى الجهال تتبعه وترضى ... مشاركة بأهل أو بمال[٣]
فيأخذ ما لهم ويصيب منهم ... نساءهم بمقبوح الفعال
ويجرون التيوس وراء رجس ... تقرمط في العقيدة والفعال[٤]

= من آثاره: «جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص» لابن عربي، وهو صاحب الكتاب المشهور في تفسير الأحلام المسمى (تعطير الأنام في تفسير الأحلام)، فليتنبه طالب العلم وهو يقرأ فيه. انظر: معجم المؤلفين (٥/ ٢٧١).

(١) عبد الرزاق بن أحمد الكاشاني، (كمال الدين)، من الصوفية المتأخرين الذين شرحوا كتب المتقدمين. مات سنة (٧٣٠هـ). من آثاره: «شرح فصوص الحكم» لابن عربي، و«لطائف الأعلام في إشارات أهل الأفهام» في اصطلاحات الصوفية وغيرها، مات سنة (٧٣٠هـ). انظر: كشف الظنون (١/ ١٠٧)، وإيضاح المكنون (٣/ ٥٧٣).

(٢) واسمها «الدرة العينية في الشواهد الغيبية» لعبد الكريم الجبلي. انظر: كشف الظنون (١/ ٧٤٠).

(٣) سقط هذا البيت من أصل النسخة الخطية، واستدركناه من كتاب نفح الطيب لا بن المقري.

(٤) انظر: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب (٢/ ٥٦٧).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصل

في مقالات طوائف الاتحادية في كلام الرب جَلَّ جَلَالُهُ

وأتت طوائف الاتحاد بملة ... طمت على ما قال كل لسان

قالوا كلام الله كل كلام هـ ... ـذا الخلق من جن ومن إنسان

نظمًا ونثرًا زُورُهُ وصحيحه ... صدقًا وكذبًا واضح البطلان

فالسب والشتم القبيح وقذفهم ... للمحصنات وكل نوع أغان

والنوح والتعزيم والسحر المبيـ ... ـن وسائر البهتان والهذيان

هو عين قول الله جل جلاله ... وكلامه حقا بلا نكران

هذا الذي أدى إليه أصلهم ... وعليه قام مكسح البنيان

إذ أصلهم أن الإله حقيقة عين ... الوجود وعين ذي الأكوان

فكلامها وصفاتها هو قوله ... وصفاته ما ها هنا قولان

وكذاك قالوا إنه الموصوف بـ ... ـالضدين من قبح ومن إحسان

وكذاك قد وصفوه أيضًا بالكما ... ل وضده من سائر النقصان

هذي مقالات الطوائف كلها ... حملت إليك رخيصة الأثمان

وأظن لو فتشت كتب الناس ما ... ألفيتها أبدًا بذا التبيان

زفت إليك فإن يكن لك ناظر ... أبصرت ذات الحسن والإحسان

أقول: حاصل كلام الاتحادية كما قال الناظم أن جميع كلام الخلق (د/ ١٤٠أ) كلام الله نظمه ونثره (ع/ ٢٢٠أ) زوره وصحيحه صدقه وكذبه جميعه كلام الله تعالى عن ذلك كما قالوا:

وكل كلام في الوجود كلامه　　　سواء كان علينا نثره ونظامه

عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم الدين.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فاعطف على الجهمية المغل الألى　　　خرقوا سياج العقل والقرآن

تقدم معنى السياج.

شرد بهم من خلفهم واكسرهم　　　بل ناد في ناديهم بأذان
أفسدتم المنقول والمعقول والـ　　　ـمسموع من لغة بكل لسان
أيصح وصف الشيء بالمشتق للـ　　　ـمسلوب معناه لذي الأذهان
أيصح صبار ولا صبر له　　　ويصح شكار بلا شكران
ويصح علام ولا علم له　　　ويصح غفار بلا غفران
ويقال هذا سامع أو مبصر　　　والسمع والإبصار مفقودان
هذا محال في العقول وفي النـ　　　ـقول وفي اللغات وغير ذي إمكان
فلئن زعمتم أنه متكلم　　　لكن بقول قام بالإنسان
أو غيره فيقال هذا باطل　　　وعليكم في ذاك محذوران
نفي اشتقاق اللفظ للموجود　　　معناه به وثبوته للثاني
أعني الذي ما قام معناه به　　　قلب الحقائق أقبح البهتان
ونظير ذا أخوان هذا مبصر　　　وأخوه معدود من العميان
سميتم الأعمى بصيرًا إذ أخو　　　ه مبصر وبعكسه في الثاني
فلئن زعمتم أن ذلك ثابت　　　في فعله كالخلق للأكوان
والفعل ليس بقائم بإلهنا　　　إذ لا يكون محل ذي حدثان
ويصح أن يشتق منه خالق　　　فكذلك المتكلم الوحدان

هـو فـاعـل لـكـلامـه وكـتـابـه لـيـس الـكـلام لـه بـوصـف معان

شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في توضيح (د/١٤٠ب) ما تقدم فقال:

فاعطف على الجهمية المغل الألى ....

أي أن الجهمية خالفوا العقل والنقل فلهذا قال:

شرد بهم من خلفهم ....

والتشريد التفريق مع الاضطراب والإزعاج.

قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأنفال:٥٧] قال: شردهم سمع بهم.

وقال الزجاج: افعل بهم فعلا من القتل تفرق به من خلفهم يقال شردت بني فلان قلعتهم عن مواضعهم وطردتهم عنها حتى فارقوها ومنه شرد البعير إذا فارق صاحبه.

قوله[1]:

.... بـل نـاد في نـاديـهـم بـأذان

أي ارفع صوتك في ناديهم أي مجلسهم والناد قال في القاموس[2]: النادي والندوة والمنتدى مجلس القوم نهارًا أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه.

والأذان في اللغة الإعلام قال الله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة:٣]، أي قل للجهمية أفسدتم المعقول والمنقول واللغة التي نزل بها القرآن.

---

(١) زيادة للتوضيح.

(٢) انظر: القاموس المحيط (ص١٧٢٤).

وقوله[1]:

أيصح وصف الشيء بالمشتق لـ مسلوب ....
(ع/ ١٢١ب)

معناه فهل يصح صبار ولا صبر له؟ وهل يصح شكار ولا شكر له؟ [وهل] يصح علام ولا علم له؟و[هل] يصح غفار بلا مغفرة؟ (د/ ١٤١أ) و[هل] يصح أن يقال هذا سامع أو مبصر لمن لا سمع له ولا بصر؟!! إن هذا محال في العقل والنقل واللغة.

قوله:

.... مكسح البنيان

هو اسم مفعول من كسح يكسح تكسيحًا كسحا فهو مكسح.قال في القاموس[2] الكساحة الكناسة والزمانة في اليدين كسح كفرح وهو أكسح وكسحان والكساح داء للإبل والمكسر المقشر والكسيح العاجز والأكسح الأعرج والمقعد جمع كسحان انتهى.

ثم قال:

فلئن زعمتم أنه متكلم لكن بقول قام بالإنسان
أو غيره فيقال هذا باطل وعليكم في ذاك محذوران
نفي اشتقاق اللفظ...... .... إلخ

أي أنه يلزمكم إذا قلتم بذلك أن تنفوا اشتقاق اللفظ للموجود معناه به[3]

---

(١) في الأصل:«قل» وهو تصحيف.

(٢) انظر: القاموس (ص٣٠٤).

(٣) أي نفي اللفظ المشتق عمن قام به معناه ووجد فيه، هذا هو المحذور الأول، ووجد في الأصل بعد كلمة «معناه» «إلخ» وهي عبارة مقحمة من الناسخ.

لأن لفظ متكلم مشتق من الكلام واذا أضفتم الكلام إلى غير من قام به كان ذلك محالًا وهو قلب للحقائق وهو بمنزلة أخوين بصير وأعمى فهل يسمى الأعمى بصيرًا لأن أخاه مبصر وهل يسمى المبصر أعمى؛ لأن أخاه أعمى؟ فهل في قلب الحقائق مثل هذا.

وقوله:

فلئن زعمتم أن ذلك ثابت   في فعله...................... إلخ

أي إن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله أي لأن الفعل عندهم هو المفعول والخلق هو المخلوق والفعل ليس قائمًا بالله تعالى عندهم لئلا تقوم به الحوادث عندهم ولكن يصح أن يشتق منه خالق وكذلك الكلام فهو عندهم فاعل لكلامه وكتابه ولم يزد الناظم على هذا القول هنا لأنه سيبسط الكلام عليه فيما بعد.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

ومخالف المعقول والمنقول   والفطرات والمسموع للإنسان
من قال إن كلامه سبحانه   وصف قديم أحرف ومعان
والسين عند الباء ليست بعدها   لكن هما حرفان مقترنان
او قال إن كلامه سبحانه   معنى قديم قام بالرحمن
ما إن له كل ولا بعض ولاالـ   ـعربي حقيقته ولا العبراني
والأمر عين النهي واستفهامه   هو عين إخبار بلا فرقان
وكلامه كحياته ما ذاك مقـ   ـدورًا له بل لازم الرحمن
هذا الذي قد خالف المعقول والـ   ـمنقول والفطرات للإنسان

أما الذي قد قال إن كلامه ... ذو أحرف قد رتبت ببيان

وكلامه بمشيئة وإرادة ... كالفعل منه كلاهما سيان

فهو الذي قد قال قولًا يعلم الـ ... ـعقلاء صحته بلا نكران

فلأي شيء كان ما قد قلتم ... أولى وأقرب منه للبرهان

ولأي شيء دائما كفرتم ... أصحاب هذا القول بالعدوان

فدعوا الدعاوَى وابحثوا معنا ... بتحقيق وإنصاف بلا عدوان

وارفوا مذاهبكم وسدوا خرقها ... إن كان ذاك الرفو في الإمكان

فاحكم هداك الله بينهم فقد ... أدلوا إليك بحجة وبيان

لا تنصرن سوى الحديث وأهله ... هم عسكر القرآن والإيمان

وتحيزن إليهم لا غيرهم ... لتكون منصورا لدى الرحمن

ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مذهب (د/١٤١ب) الاقترانية ومذهب الكلابية (ع/ ٢٢٢أ) والأشاعرة في كلام الله تعالى، وقد تقدم رد مذهبهم بما فيه كفاية.

ثم بسط الكلام في مسألة هل الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق فقال:

۞۞۞

فنقول هذا القدر قد أعيى على ... أهل الكلام وقاده أصلان

إحداهما هل فعله مفعوله ... أو غيره فهما لهم قولان

والقائلون بأنه هو عينه ... فروا من الأوصاف بالحدثان

لكن حقيقة قولهم وصريحه ... تعطيل خالق هذه الأكوان

عن فعله إذ فعله مفعوله ... لكنه ما قام بالرحمن

فعلى الحقيقة ما له فعل إذ الـ ... ـمفعول منفصل عن الديان

والقائلون بأنه غير له ... متنازعون وهم فطائفتان
إحداهما قالت قديم قائم ... بالذات وهو كقدرة المنان
سموه تكوينًا قديمًا قاله ... أتباع شيخ العالم النعمان
وخصومهم لم ينصفوا في رده ... بل كابروهم ما أتوا ببيان
والآخرون رأوه أمرًا حادثًا ... بالذات قام وأنهم نوعان
إحداهما جعلته مفتتحا به ... حذر التسلسل ليس ذا إمكان
هذا الذي قالته كرامية ... ففعاله وكلامه سيان
والآخرون أولو الحديث كأحمد ... ذاك ابن حنبل الرضى الشيباني
قد قال إن الله حقًّا لم يزل ... متكلمًا إن شاء ذو إحسان
جعل الكلام صفات فعل قائم ... بالذات لم يفقد من الرحمن
وكذاك نص على دوام الفعل بالـ ... ـحسان أيضًا في مكان ثان
وكذا ابن عباس فراجع قوله ... لما أجاب مسائل القرآن
وكذاك جعفر الإمام الصادق المقبو ... ل عند الخلق ذي العرفان
قد قال لم يزل المهيمن محسنًا ... برًّا جوادًا عند كل أوان
وكذا الإمام الدارمي فإنه ... قد قال ما فيه هدى الحيران
قال الحياة مع الفعال كلاهما ... متلازمان فليس يفترقان
صدق الإمام فكل حي فهو فعـ ... ـال وذا في غاية التبيان
إلا إذا ما كان ثم موانع ... من آفةٍ أو قاسر الحيوان
والرب ليس لفعله من مانع ... ما شاء كان بقدرة الديان
ومشيئة الرحمن لازمة له ... وكذاك قدرة ربنا الرحمن
هذا وقد فطر الإله عباده ... أن المهيمن دائم الإحسان

أولست تسمع قول كل موحد | يا دائم المعروف والسلطان
وقديم الاحسان الكثير ودائم الجود | العظيم وصاحب الغفران
من غير إنكار عليهم فطرة | فطروا عليها لا تواص ثان
أوليس فعل الرب تابع وصفه | وكما له أفذاك ذو حدثان
وكما له سبب الفعال وخلقه | افعالهم سبب الكمال الثاني
أو ما فعال الرب عين كماله | أفذاك ممتنع على المنان
أزلًا إلى أن صار فيما لم يزل | متمكنا والفعل ذو إمكان
تالله قد ضلت عقول القوم إذ | قالوا بهذا القول ذي البطلان
ماذا الذي أضحى له متجددًا | حتى تمكن فانطقوا ببيان
والرب ليس معطلًا عن فعله | بل كل يوم ربنا في شان

ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ النزاع في (د/ ١٤٢ب) الأصل المشهور وهو أنه هل الخلق هو المخلوق والفعل هو المفعول.

ومعنى ذلك: أن الناس تنازعوا في الأفعال اللازمة (ع/ ٢٢٤أ) المضافة إلى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مثل المجيء والإتيان والاستواء إلى السماء وإلى العرش، بل وفي الأفعال المتعدية [أيضًا] مثل الخلق والإحسان والعدل وغير ذلك: هل يكون خلقه للسموات والأرض فعلًا فعله غير المخلوق أم فعله هو المفعول والخلق هو المخلوق على قولين معروفين:

والأول هو المأثور عن السلف وهو الذي ذكره البخاري في كتاب خلق الأفعال عن العلماء مطلقًا ولم يذكروا فيه نزاعًا.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتاب خلق الأفعال[١] اختلف الناس في الفاعل والفعل والمفعول:

فقالت القدرية: الأفاعيل كلها (د/١٤٣أ) من البشر وقالت الجبرية الأفاعيل كلها من الله، وقالت الجهمية: الفعل والمفعول واحد ولذلك قالوا «كن» مخلوق.

وقال [أهل العلم][٢] التخليق فعل الله وأفاعيلنا مخلوقة ففعل الله صفة الله والمفعول من سواه من المخلوقات» انتهى[٣].

وكذلك ذكره البغوي[٤] وغيره عن مذهب أهل السنة وكذلك ذكره أبو علي الثقفي[٥] والضبعي[٦] وغيرهما[٧] من أصحاب ابن خزيمة في العقيدة التي اتفقوا هم وابن خزيمة على أنها مذهب أهل السنة[٨].

(١) انظر: خلق أفعال العباد (٢/ ٢٩٩).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من (ع) و(د) واستدركناه من خلق أفعال العباد.

(٣) انظر: فتح الباري (١٣/ ٤٣٩).

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي (١/ ١٨٦).

(٥) هو: محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الثقفي النيسابوري الشافعي الواعظ، شيخ خراسان، كان فقيهًا زاهدًا عابدًا وإمامًا محدثًا، وكان عالمًا في فنون كثيرة، عطّل أكثرها واشتغل بعلم التصوف، وهو من كبار تلامذة ابن خزيمة، لكنه خالفه في مسائل التوفيق والخذلان ومسائل الإيمان ومسألة اللفظ، فألزم البيت ولم يخرج منه حتى مات سنة (٣٢٨هـ). انظر: السير (١٥/ ٢٨٠).

(٦) هو: أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري الشافعي أبو بكر الصبغي، كان عالمًا محدثًا عابدًا فقيهًا، خلف ابن خزيمة في الفتوى بضع عشرة سنة، وبقي يعيش بنيسابور نيفًا وخمسين سنة. مات سنة (٣٤٢هـ). من آثاره: كتاب «الأسماء والصفات»، وكتاب «الإيمان»، وكتاب «الخلفاء الأربعة»، وغيرها. انظر: السير (١٥/ ٤٨٣).

(٧) انظر: المسألة في كتاب النبوات لابن تيمية (ص٤٦)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٢٦٨).
وانظر تلك الحادثة في السير (١٤/ ٣٨١)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢٧).

(٨) وهي قولهم -كما في السير (١٤/ ٣٨١)-: «القرآن كلام الله تعالى، وصفة من صفات ذاته، ليس شيء من كلامه مخلوق، ولا مفعول، ولا محدث، فمن زعم أن شيئًا منه مخلوق أو محدث، أو زعم =

وكذلك ذكره الكلاباذي في كتاب التعرف لمذهب التصوف[1] أنه مذهب الصوفية وهو مذهب الحنفية وهو مشهور عندهم وهو قول السلف وجمهور الطوائف وهو قول جمهور أصحاب أحمد متقدموهم كلهم وأكثر المتأخرين منهم وهو آخر قولي القاضي أبي يعلى وكذلك هو قول أئمة الشافعية، والمالكية، وأهل الحديث وأكثر أهل الكلام كالهشامية[2] والكلابية والكرامية كلهم وبعض المعتزلة

=الكلام من صفة الفعل، فهو جهمي ضال مبتدع.
وأقول: لم يزل الله متكلمًا، والكلام له صفة ذات، ومن زعم أن الله لم يتكلم إلا مرة، ولم يتكلم إلا ما تكلم به، ثم انقضى كلامه، كفر بالله... وأن الله يخاطب عباده عودًا وبدءًا، ويعيد عليهم قصصه وأمره ونهيه، ومن زعم غير ذلك، فهو ضال مبتدع...» وذكر سائر الاعتقاد، وهذا الكلام ظاهر أنهم كانوا على مذهب ابن كلاب كما ذكر شيخ الإسلام؛ فإن قوله: «...أو زعم الكلام من صفة الفعل فهو جهمي مبتدع» هو مذهب الكلابية الذين يزعمون أن الله لا يتكلم إذا شاء.
قال شيخ الإسلام في «درء التعارض» (٢/ ٩): «كان المستقر عنده ـ يعني ابن خزيمة ـ ما تلقاه عن أئمته: من أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأنه يتكلم بالكلام الواحد مرة بعد مرة، وكان له أصحاب كأبي علي الثقفي وغيره تلقوا طريقة ابن كلاب، فقام بعض المعتزلة وألقى إلى ابن خزيمة سر قول هؤلاء، وهو أن الله لا يوصف بأنه يقدر على الكلام إذا شاء، ولا يتعلق ذلك بمشيئته، فوقع بين ابن خزيمة وبينهم نزاع، حتى أظهروا موافقتهم له فيما لا نزاع فيه» اهـ.
وقد ذكر شيخ الإسلام في درء التعارض (٧/ ٩٧-٩٨): «وكذلك الضبغي والثقفي قد روي أنهما قد تابا».

(١) انظر: التعرف لمذهب التصوف (ص٣٨)، ط. دار الكتب العلمية.
والكلاباذي هو: محمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري، أبو بكر، محدث، متصوف، شارك في بعض العلوم. مات سنة (٣٨٠هـ).
انظر: معجم المؤلفين (٨/ ٢١٢-٢١٣).

(٢) هم: من غلاة الشيعة القائلين بالتشبيه، أصحاب هشام بن الحكم المشبه، وهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج على منواله، وقد حكى عن هشام بن الحكم مقالات شنيعة، كما نقل عنه الكعبي أن ربه سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه في كل مكان وليس له جهة مخصوصة.
وحكى عن هشام بن سالم أنه قال أنه تعالى على صورة إنسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلألأ، وله حواس خمس، ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم، وله وفرة سوداء، ونقل عنه أنه أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمة...، ولهم أقوال كثيرة شنيعة =

وكثير من أساطين الفلاسفة(١).

وذهب متقدموهم ومتأخروهم(٢) وآخرون من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة والأشعرية إلى أن الخلق هو نفس المخلوق وليس لله عند هؤلاء صنع ولا خلق ولا فعل ولا إبداع إلا المخلوقات أنفسها وهو قول طائفة من الفلاسفة المتأخرين إذ(٣) قالوا: بأن الرب مبدع كابن سيناء ونحوه(٤).

قوله:

والقائلون بأنه عينه ....

أي القائلون بأن الخلق هو المخلوق فروا من قيام الحوادث بالرب تعالى.

والحجة المشهورة للقائلين بأن الخلق هو المخلوق: أنه لو كان خلق المخلوقات بخلق لكان ذلك الخلق إما قديمًا وإما حادثًا فإن كان قديمًا لزم قدم كل مخلوق وهذا مكابرة وإن كان حادثًا فإن قام بالرب لزم قيام الحوادث به وإن لم يقم به كان الخلق قائمًا بغير الخالق وهذا ممتنع وسواء قام به أو لم يقم به يفتقر ذلك الخلق إلى خلق آخر ويلزم التسلسل هذا عمدتهم.

وقد أجابهم القائلون بأن الخلق غير المخلوق بأجوبة شافية كافية فلتطلب من المطولات(٥).

=ذكرها الشهرستاني في الملل، لكن تلك الفرق اندثرت، ولم يوجد فرقة تسمى بهذا الاسم،لكن أفكارهم الكفرية موجودة في بعض فرق الشيعة كالإمامية وغيرها.

انظر: الملل والنحل (١/ ١٨٧-١٩٢).

(١) أي محققيهم وحذاقهم.

(٢) الضمير يعود على الفلاسفة.

(٣) في (ع) «إذا» والتصويب من (د).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٣٨-٣٣٩)، وشرح حديث النزول (ص١٥٧-١٥٩).

(٥) انظر: «الأصول التى بنى عليها المبتدعه مذهبهم في الصفات» لعبد القادر محمد عطا صوفي (٢/ ٢٩٩) وما بعدها.

وأما حجة (د/ ١٤٣ب) القائلين بأن الخلق غير المخلوق فقد ذكرها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ولكن الكرامية كما ذكر الناظم جعلت له أولًا خوفًا من القول بالتسلسل[1].

وقوله (ع/ ٢٢٥ب):

إحداهما قالت قديم قائم ....إلخ

أي: إن أتباع شيخ العالم -بفتح اللام- وهو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي عالم العراق[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قد قالوا:

إن التكوين قديم قائم بالذات والمكون حادث وهو كقدرته سبحانه كما قال الإمام أبو جعفر الطحاوي الحنفي في عقيدته المشهورة[3]: «إن الله تعالى ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا، ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق، ولا باحداثه البرية استفاد الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالقية ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيى استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم، ذلك أنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ انتهى[4].

قوله:

والآخــــرون راوه أمــــرًا حــادثًــا بالذات قام........................ إلخ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) لعله يقصد عالم المشرق، ولم أجد من نعته بشيخ العالم. والله أعلم.

(٣) انظر: الطحاويه (ص٩٦ـ مع شرح ابن ابي العز).

(٤) انظر: منهاج السنة (٢/ ٣٩١).

أي أن الكرامية رأوا أن الفعل أمر حادث قائم بذات الله ولكن له أول وهو معنى قول الناظم عنهم:

ففعاله وكلامه سيان ....

أي أنْ كلامه له أول وفعاله لها أول عند الكرامية.

قوله:

والآخرون أولو الحديث كأحمد .... إلخ

أي أن مذهب أهل الحديث كأحمد بن حنبل وغيره أن الله تعالى لم يزل متكلمًا ولم يزل فعالًا، ولهذا قال الناظم عن الإمام أحمد: إن الله حقًّا لم يزل متكلمًا إن شاء.

قال الإمام أحمد في رواية حنبل لم يزل الله عالمًا متكلمًا غفورًا وقال في الرد على الجهمية لم يزل الله عالمًا قادرًا مالكًا لا متى ولا كيف[1].

قوله:

وكذا ابن عباس فراجع قوله .... إلخ

يريد ما رواه البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير أن رجلًا سأل ابن عباس قال إني أجد في القرآن أشياء (د/١٤٤أ) تختلف علي فذكر مسائله ومنها قال وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٦]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٨]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤]، فكأنه كان ثم مضى فقال ابن عباس وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٦]، سمى نفسه ذلك وذلك قوله أي لم أزل كذلك هذا لفظ البخاري بتمامه[2] واختصر الحديث.

---

(١) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١/ ٢٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨١٥).

ورواه البرقاني[١] من طريق شيخ البخاري بتمامه فقال ابن عباس فأما قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، فإن الله جعل نفسه ذلك وسمى نفسه ذلك ولم ينحله أحدًا غيره وكان الله أي لم يزل كذلك.

هذا لفظ الحميدي صاحب الجمع[٢].

ورواه البيهقي[٣] عن البرقاني من حديث محمد بن إبراهيم البوشنجي[٤] عن يوسف بن عدي[٥] شيخ البخاري قال: إن الله سمى نفسه ذلك ولم ينحله غيره فذلك قوله وكان الله أي لم يزل كذلك.

ورواه البيهقي من رواية يعقوب بن سفيان[٦] عن يوسف ولفظ ابن عباس فإن الله سمى نفسه ذلك ولم يجعله غيره فذلك قوله وكان الله أي لم يزل.

قوله:

وكـــذاك جـعـفـر الإمـــام .... إلخ

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن البرقاني الخوارزمي ثم الشافعي، صاحب التصانيف، قال الخطيب: كان البرقاني ثقة ورعًا ثبتًا فهمًا. مات سنة (٤٢٥هـ). انظر: السير (١٧/ ٤٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير (٣/ ١٥٢٢)، باب تفسير سورة السجدة.
انظر: السير (١/ ١٢٠)، وكشف الظنون (١/ ٥٩٩)، ومعجم المؤلفين (١١/ ١٢١).

(٣) نقله شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٥/ ١١٥).

(٤) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد البوشنجي -بضم الموحدة وسكون الواو وفتح المعجمة وسكون النون، بعدها ميم- ثقة حافظ من الحادية عشرة. انظر: التقريب (ص٨١٩).

(٥) هو: يوسف بن عدي بن رزيق الحافظ، أبو يعقوب التيمي الكوفي، قال الذهبي (الإمام الثقة) مات سنة (٢٣٢هـ). انظر: السير (١٠/ ٤٨٤).

(٦) هو: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف، ويقال له: يعقوب بن أبي معاوية، قال الذهبي(الإمام الحافظ الحجة). مات بفسا سنة (٢٧٧هـ). انظر: السير (١٣/ ١٨٠).

يعني ما رواه الثعلبي في تفسيره[١] بإسناده عن جعفر بن محمد الصادق أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون:١١٥]، لم خلق الخلق فقال لأن الله كان محسنًا بما لم يزل فيما لم يزل إلى ما لم يزل فأراد تعالى أن يفيض إحسانه إلى خلقه وكان غنيًّا عنهم لم يخلقهم لجر منفعة ولا لدفع مضرة ولكن خلقهم وأحسن إليهم وأرسل إليهم الرسل حتى يفصلوا بين الحق والباطل فمن أحسن (ع/٢٢٦أ) كافأه بالجنة ومن عصى كافأه بالنار.

قوله:

وكــــذا الإمــــام الــدارمــي .... إلخ

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي[٢] في كتاب النقض على المريسي[٣] حين احتج بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وادعى أن تفسير القيوم الذي لا يزول يعني الذي لا ينزل ولا يتحرك ولا يقبض ولا يبسط؟

قال عثمان[٤]: وكان واضحًا عند العلماء وأهل البصر بالعربية أن (د/١٤٤ب) معنى لا يزول: لا يفنى ولا يبيد، لا أنه لا يتحرك ولا يزول من مكان إلى مكان إذا شاء كما كان يقال في الشيء الفاني هو زائل كما قال لبيد:

الا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل

---

(١) المسمى بـ «الكشف والبيان في تفسير القرآن» (٧/ ٦٠). ونقله عنه ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٥٣٨) وعزاه إليه.

(٢) عثمان بن سعيد بن خالد التميمي الدارمي، إمام من أئمة الدنيا، من كبار الثقات المتقنين، اشتهر بشدته على أهل البدع، مات سنة (٢٨٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٢٠).

(٣) انظر: نقض الدارمي على المريسي (١/ ٣٥٣-٣٥٧).

(٤) انظر: نقض الدارمي (١/ ٣٥٥).

يعني فانٍ[١] لا أنه متحرك فإن أمارة ما بين الحي والميت التحرك وما لا يتحرك فهو ميت لا يوصف بحياة كما لا توصف الأصنام الميتة بالحياة قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النحل:٢٠-٢١]، فالله الحي القيوم القابض الباسط يتحرك إذا شاء ويفعل ما يشاء بخلاف الأصنام التي لا تزول حتى تزال.

وقال البخاري[٢]: ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخلق وأن العرب لا تعرف الحي من الميت إلا بالفعل فمن كان له فعل فهو حي ومن لم يكن له فعل فهو ميت وأن أفعال العباد مخلوقة فضيق عليه[٣] حتى مضى لسبيله وتوجع أهل العلم لما نزل به.

قال[٤]: وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيمًا ومن نحا نحوه ليس بمارق ولا مبتدع بل البدع والترؤس بالجهل لغيرهم أولى إذ يفتون بالآراء المختلفة مما لم يأذن به الله انتهى.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

والأمر والتكوين وصف كماله	**ما فقد ذا ووجوده سيان**
وتخلف التأثير بعد تمام مو	**جبه محال ليس في الإمكان**

(١) من الفناء.

(٢) في خلق أفعال العباد (٢/ ١٩٢). وانظر: شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٥٥).

(٣) يعني أن نعيمًا ضيق عليه أن البدع لما قال مقولته تلك.

انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣١٣)، والسير للذهبي (١٠/ ٥٩٩، ٦١١-٦١٢) فقد ذكر فيها محنة نعيم بن حماد مع المعتزلة وخبر التضييق عليه.

(٤) يعني البخاري في «خلق أفعال العباد» (٢/ ١٩٢)، وهو بعد الكلام السابق مباشرة.

والله ربي لم يزل ذا قدرةٍ ومشيئةٍ ويليهما وصفان
العلم مع وصف الحياة وهذه أوصاف ذات الخالق المنان
وبها تمام الفعل ليس بدونها فعل يتم بواضح البرهان
فلأي شيء قد تأخر فعله مع موجب قد تم بالأركان
ما كان ممتنعًا عليه الفعل بل ما زال فعل الله ذا إمكان
والله عاب المشركين بأنهم عبدوا الحجارة في رضى الشيطان
ونعى عليهم كونها ليست بخا لقة وليست ذات نطق بيان
فأبان أن الفعل والتكليم من أوثانهم لا شك مفقودان
فإذا هما فقدا فما مسلوبها بإله حقٍ وهو ذو بطلان
والله فهو إله حق دائمًا أفعنه ذا الوصفان مسلوبان
أزلًا وليس لفقدها من غاية هذا المحال وأعظم البطلان
إن كان رب العرش حقًّا لم يزل أبدًا إله الحق ذا سلطان
فكذاك أيضًا لم يزل متكلمًا بل فاعلًا ما شاء ذا إحسان
والله ما في العقل ما يقضي لذا بالرد والإبطال والنكران
بل ليس في المعقول غير ثبوته للخالق الأزلي ذي الإحسان
هذا وما دون المهيمن حادث ليس القديم سواه في الأكوان
والله سابق كل شيء غيره ما ربنا والخلق مقترنان
والله كان وليس شيء غيره سبحانه جل العظيم الشأن
لسنا نقول كما يقول الملحد الزنـ ديق صاحب منطق اليونان
بدوام هذا العالم المشهود والـ أرواح في أزل وليس بفان
هذي مقالات الملاحدة الأُلى كفروا بخالق هذه الأكوان

قوله:

وتخلف التأثير بعد تمام موجبه　　محال ليس في الإمكان

والمولى سبحانه لم يزل ذا قدرةٍ ومشيئةٍ وعلمٍ وحياةٍ وهذه كما قال الناظم أوصاف ذات الرب وبها تمام الفعل ومع وجود المؤثر التام يلزم وجود الأثر وقد تقدم بسط الكلام في ذلك.

فالرب سبحانه لم يزل فعالًا متكلمًا إذا شاء ولهذا لما قال المتكلمون (د/ ١٤٥ب) بوجوب تأخر الأثر أورد عليهم من الإشكالات ما لا جواب لهم عنه[١].

ثم قال الناظم:

والله عاب المشركين بأنهم　　عبدوا الحجارة................. إلخ

أي أن الله عاب على المشركين عبادة الاصنام ونعى عليهم كونها لا تخلق ولا تكلم وإذا فقد الفعل والكلام فليس مسلوبهما بإله حق والله تعالى وتقدس لم يزل متكلمًا فعالًا محسنًا وما سواه حادث كما قال الناظم هذا وما دون المهيمن حادث.

وقوله:

والله كان وليس شيء غيره　　................................ إلخ

أي أن المولى سبحانه كان وليس معه شيء من خلقه كما قال:

....　　ما ربنا والخلق مقترنان

وقوله: «ما ربنا والخلق مقترنان...» (ع/ ٢٢٨أ) [هذا إشارة إلى الرد على ابن سينا وأتباعه القائلين بأن العالم معلول لعلة قديمة أزلية وأن العالم لم يزل مع الله أزلًا وأبدًا ويقولون: العلة متقدمة على المعلول وإن قارنته بالزمان[٢].

---

(١) انظر: درء التعارض (٩/ ٢٣٨)، (١/ ٣٤٠)، والصفدية (٢/ ١٢٤).

(٢) انظر: درء التعارض (٨/ ١٣٣)، (٨/ ١٧٢)، والصفدية (١/ ٢٤٢)، ومنهاج السنة (١/ ٢٠١).

فيقال لهم: إن أردتم بالعلة ما هو شرط في وجود المعلول لا مبدعًا له كان حقيقة ذلك أن واجب الوجود ليس مبدعًا للممكنات ولا ربًّا لها، بل وجوده شرط في وجودها، وهذا حقيقة قول هؤلاء.

فالرب على أصلهم والعالم متلازمان كل منهما شرط في الآخر والرب محتاج إلى العالم كما أن العالم محتاج إلى الرب، وهم يبالغون في إثبات غناه عن غيره.

وعلى أصلهم فقره إلى غيره كفقر بعض المخلوقات.

وإن إرادوا بالعلة: ما هو مبدع للمعلول، فهذا لا يعقل مع كون زمانه زمان المعلول لم يتقدم على المعلول تقدمًا حقيقيًّا وهو التقدم المعقول، وإذا شبهوا وجود الفلك مع الرب بالصوت مع الحركة والضوء مع الشمس كان هذا ونحوه تشبيهًا باطلًا؛ لا يفيد إمكان صحة قولهم فضلًا عن إثبات صحته.

فإن هذه الأمور وأمثالها إما أن يقال فيها إن الثاني موجود متصل بالأول كأجزاء الزمان والحركة؛ لأنه معه في الزمان وإما أن يقال الثاني مشروط بالأول لا أن الأول مبدع للثاني فاعل له فلا يمكنهم أن يذكروا وجود (د/ ١٤٦أ) فاعل لغيره مع أن زمانهما[١] معًا أصلا[٢].

وعامة العقلاء مطبقون على أن العلم بكون الشيء المعين مرادًا مقدورًا يوجب العلم بكونه حادثًا كائنًا بعد أن لم يكن، بل هذا عندهم من الأمور الضرورية[٣]

---

(١) في (د) «زمانها»، والمثبت من «درء التعارض» مع العلم أن هذا الموضع سقط من (ع).

(٢) في منهاج السنة «من المعلوم بالضرورة».

(٣) لما كان الفلاسفة يقولون بقدم العالم، وليس لهم دليل على ذلك إلا إثبات قدم نوع الفعل - مع أن قدم نوع الفعل لا يلزم منه قدم فعل معين ولا مفعول معيَّن، بل ذلك ممتنع - قالوا: إن العلة متقدمة على المعلول وهي مقارنة له في الزمان، ورد عليهم شيخ الإسلام بما تقدم ذكره.

ولهذا كان مجرد تصور العقلاء أن الشيء مقدور للفاعل مرادًا له فعله بمشيئته وقدرته يوجب العلم بأنه حادث، بل مجرد تصورهم كون الشيء مفعولًا أو مخلوقًا أو مصنوعًا أو نحو ذلك من العبارات يوجب العلم بأنه محدث كائن بعد أن لم يكن، ثم بعد هذا ينظر في أنه فعله بمشيئته وقدرته.

وإذا علم أن الفاعل لا يكون فاعلًا إلا بمشيئته وقدرته -وما كان مقدورًا ومرادًا فهو محدث- كان هذا -أيضًا- دليلًا ثابتًا على أنه محدث، ولهذا كان كل من تصور من العقلاء أن الله خلق السموات والأرض أو خلق شيئًا من الأشياء كان هذا مستلزمًا لكون ذلك المحدث مخلوقًا كائنًا بعد أن لم يكن.

وإذا قيل لبعضهم: هو قديم مخلوق أو قديم، وعنى بالمخلوق ما يعنيه هؤلاء المتفلسفة الدهرية المتأخرون[1] الذين يريدون بلفظ المحدث أنه معلول.

ويقولون: إنه قديم أزلي مع كونه معلولًا ممكنا يقبل الوجود والعدم فإذا تصور العقل هذا المذهب جزم بتناقضه وأن أصحابه جمعوا بين النقيضين حيث قدروا مخلوقًا محدثًا معلولًا مفعولًا ممكنًا أن يوجد وأن يعدم، وقدروه مع ذلك قديمًا أزليًّا واجب الوجود بغيره يمتنع عدمه.

وقوله: «فلا يمكنهم أن يذكروا وجود فاعل لغيره مع أن زمانهما واحد» معناه: أنه لا يمكنهم أن يأتوا بمثال صحيح سالم من المعارض على وجود فاعل ومفعول بزمان واحد، والمثال الذي ذكروه وهو الصوت مع الحركة والضوء مع الشمس مثال فاسد لا يفيدهم شيئًا؛ لأن الضوء إنما وجد بعد طلوع الشمس فزمنه متأخر عنها، وكذلك الصوت مع الحركة، فإنه لما حصلت الحركة المسببة للصوت ظهر الصوت بعدها بزمن ولو يسير، والله أعلم.

(١) الفلاسفة: جمع فيلسوف، وهو محب الحكمة، والفلاسفة قوم ملاحدة لا يؤمنون ببعث ولا نشور ولا يثبتون للرب إلا وجودًا مطلقًا مجردًا عن الأسماء والصفات، أما الفلاسفة الدهريون فهم الذين يزعمون أن السماوات أزلية قديمة وأن الله لا مشيئة له.

انظر: الجواب الصحيح (١/ ٣٥٣-٣٥٤)، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٣٩٨)، والمعجم الفلسفي (٢/ ١٦٠-١٦٤)، والتحفة المهدية لفالح بن مهدي (ص٤٦).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[1]: وقد بسطنا هذا في الكلام على المحصل وغيره، وذكرنا أن ما ذكره الرازي عن أهل الكلام من أنهم يجوزون وجود مفعول معلول أزلي للموجب بذاته أنه لم يقله أحد منهم بل هم متفقون على أن كل مفعول فإنه لا يكون إلا محدثًا وكل ما قدر أنه معلول لعلة فاعلة فإنه لا يكون إلا محدثًا.

وما ذكره هو وأمثاله موافقة لابن سينا من أن الممكن وجوده وعدمه قد يكون قديمًا أزليًّا قول باطل عند جماهير العقلاء من الأولين والآخرين (د/١٤٦ب)، حتى عند أرسطو وأتباعه القدماء والمتأخرين، فإنهم موافقون لسائر العقلاء من أن كل ممكن يمكن وجوده وعدمه لا يكون إلا محدثًا كائنًا بعد أن لم يكن، وأرسطو إذا قال: إن الفلك قديم لم يجعله مع ذلك ممكنا يمكن وجوده وعدمه.

والمقصود أن العلم بكون الشيء مقدورًا مرادًا يوجب العلم بكونه محدثًا بل العلم بكونه مفعولًا يوجب العلم بكونه محدثًا فإن الفعل والخلق والإبداع والصنع ونحو ذلك لا يعقل إلا مع تصور حدوث المفعول.

وأيضًا، فالجمع بين كون الشيء مفعولًا وبين كونه قديمًا أزليًّا مقارنًا للفاعل في الزمان جمع بين المتناقضين، ولا يعقل قط في الوجود فاعل قارنه مفعوله المعين سواء سمي علة أو لو يسم، ولكن يعقل كون الشرط مقارنًا للمشروط[2].

---

(١) في منهاج السنة النبوية (١/ ١٦٨).

(٢) قال ابن فرحون اليعمري في تبصرة الأحكام (١/ ٦٢): «من قواعد الشرع صحة اجتماع الشرط مع المشروط؛ لأن حكمته إنما تظهر فيه، فإن كان الشرط لا يصح اجتماعه مع مشروطه، فلا يصح أن يسمى في الشرع شرطًا...» اهـ.

وانظر: معين الأحكام لأبي الحسن الطرابلسي، علاء الدين (١/ ٩٩)، ومنح الجليل لابن عليش (٨/ ٣٤٠).

والمثل الذي يذكرونه من قولهم حركت يدي فتحرك خاتمي أو كمي أو المفتاح ونحو ذلك[١] حجة عليهم لا لهم؛ فإن حركة اليد ليست هي العلة التامة ولا الفاعل لحركة[٢] الخاتم بل الخاتم مع الأصبع كالإصبع من الكف، فالخاتم متصل بالإصبع والإصبع متصلة بالكف، لكن الخاتم يمكن نزعه بلا ألم بخلاف الكف وقد يفرض بين الأصبع والخاتم تقدم يسير[٣]، بخلاف أبعاض الكف، ولكن حركة الإصبع شرط في حركة الخاتم، كما أن حركة الكف شرط في حركة الإصبع -أعني في الحركة المعينة التي مبدؤها من اليد-، بخلاف الحركة التي تكون للخاتم أو الإصبع إبتداءً؛ فإن هذه تتصل منها إلى الكف، كمن يجر أصبع غيره فيجر معه كفه.

وما يذكرونه من أن التقديم يكون بالذات والعلة كحركة الإصبع، ويكون بالطبع كتقدم الواحد على الاثنين، وتكون بالمكانة كتقدم العالم على الجاهل، ويكون بالمكان كتقدم الصف الأول على الثاني، وتقدم مقدم المسجد على مؤخره، وتكون بالزمان.

كلام مستدرك؛ فإن التقدم والتأخر المعروف هو التقدم بالزمان؛ فإن قبل وبعد (د/١٤٧أ) ومع ونحو ذلك معانيها لازمة للتقدم والتأخر الزماني، وأما التقدم بالعلية أو الذات مع المقارنة في الزمان، فهذا لا يعقل [البتة][٤]، ولا له مثال مطابق في الوجود، بل هو مجرد تخييل لا حقيقة له.

---

(١) انظر: المواقف للإيجي (١/ ١٣٤).

(٢) ساقطة من (ع) وفي (د) «الحركة» وهو خطأ، والتصويب من منهاج السنة.

(٣) في (د) «بيسير»، والتصويب من منهاج السنة.

(٤) سقطت من (د)، واستدركناها من منهاج السنة.

وأما تقدم الواحد على الاثنين، فإن عني به أن الواحد المطلق قبل الاثنين المطلق، فيكون مقدمًا في التصور تقدمًا زمنيًّا، وإن لم يعن به هذا فلا تقدم، بل الواحد شرط في الاثنين مع كون الشرط لا يتأخر عن المشروط، بل قد يقارنه وقد يكون معه، فليس هنا تقدم واجب غير التقدم الزماني.

وأما التقدم بالمكان فذاك نوع آخر، وأصله من التقدم بالزمان؛فإن مقدم المسجد تكون[1] فيه الأفعال المتقدمة بالزمان على مؤخره، فالإمام يتقدم فعله بالزمان لفعل المأموم، فسمي محل الفعل المتقدم متقدمًا، وأصله هذا.

وكذلك التقدم بالرتبة، فإن أهل الفضائل مقدمون في الأفعال الشريفة والأمكنة وغير ذلك على من دونهم، فسمي ذلك تقدما وأصله هذا.

وحينئذ فإذا كان الرب هو [الأول][2] المتقدم على كل ما سواه، كان كل شيء متأخرًا عنه، وإن قدر أنه لم يزل فاعلًا، فكل فعل معين ومفعول معين هو متأخر عنه.

وإذا قيل: الزمان مقدار الحركة، فليس هو مقدار حركة معينة كحركة الشمس أو الفلك، بل الزمان المطلق مقدار الحركة المطلقة، وقد كان قبل أن تخلق السماوات والأرض والشمس والقمر حركات وأزمنة، وبعد أن يقيم الله القيامة فتذهب الشمس والقمر ويكون في الجنة حركات، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢].

وجاء في الآثار (أنهم يعرفون الليل والنهار بأنوار تظهر من جهة العرش)[3]،

---

(١) في (د) «يكون»، والتصويب من منهاج السنة.

(٢) سقطت من (د)، واستدركناها من منهاج السنة.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ بعد البحث الطويل، والذي وجدته بمعناه ولفظه: (ليس في الجنة ليل، هم في نور أبدًا، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بارتخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٣٥٨) =

وكذلك لهم في الآخرة يوم المزيد: يوم الجمعة، يعرف بما يظهر فيه من الأنوار الجديدة القوية، وإن كانت الجنة كلها نورًا يزهر ونهرًا يطرد، لكن يظهر في بعض الأوقات نورٌ آخر يتميز به الليل عن النهار.

فالرب سبحانه إذا لم يزل متكلمًا بمشيئته كان مقدار كلامه وفعاله الذي لم يزل هو الوقت الذي يحدث ما يحدث فيه (د/١٤٧ب) من مفعولاته، وهو سبحانه متقدم على كل ما سواه التقدم الحقيقي المعقول...).

وأطال رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة.

ثم هؤلاء الشذوذ من المتأخرين الذين زعموا أن الفعل لايشترط فيه تقدم العدم، قد ذكروا لهم حججًا ذكرها ابن سينا وغيره من متأخريهم واستقصاها الرازي في المباحث المشرقية، وذكر في ذلك ماسماه عشرة براهين وكلها باطلة، وفي ذكرها وأجوبتها طول يخل بالمقصود][1].

[وهذا جواب عما لعله يتوهم: وهو أنكم: إذا قلتم][2]: إن الرب تعالى لم يزل فعالًا لزمكم القول بقدم العالم كما تقوله الفلاسفة فنفى ذلك بقوله:

=من طريق الوليد بن مسلم قال: سألت زهير بن محمد عن قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (...فذكره)، فيه محمد بن زهير هو التميمي ثقة، إلا أن رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة؛ لأنه حدث بالشام من حفظه فكثر غلطه، ولو صح فيبقى كونه أثرًا، ليس مرفوعًا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا موقوف على صحابي، لكن يشهد له أثر بن مسعود: «إن ربكم ليس عنده ليل ولانهار..».

(١) من قوله «هذا إشارة في الرد على ابن سينا...» إلخ إلى هنا ساقط من (ع).
وراجع تلك البراهين في المباحث المشرقية للرازي (١/ ٦٠٩-٦١٧)، وذكرها ابن تيمية في منهاج السنة (١/ ٣٣٩)، وانظر أيضًا: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للزاري (ص٩٠)، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) زيادة من المطبوعة.

لسنا نقول كما يقول الملحد الـ زنديق..........................إلخ

وقد بسط الناظم الجواب عن هذا الإيراد في فصل اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب -كما سيأتي-.

قال الناظم:

واتى ابن سينا بعد ذاك مصانعا للمسلمين فقال بالإمكان
لكنه الأزلي ليس بمحدث ما كان معدومًا ولاهو فان
واتى بصلح بين طائفتين بيـ ـنهما الحروب وماهما سلمان
أنى يكون المسلمون وشيعة الـ ـيونان صلحًا قط في الإيمان
والسيف بين الأنبياء وبينهم والحرب بينهما فحرب عوان
وكذا اتى الطوسي بالحرب الصريـ ـح بصارم منه وسل لسان
واتى إلى الإسلام يهدم أصله من أسه وقواعد البنيان
عمر المدارس للفلاسفة الأولى كفروا بدين الله والقرآن
واتى إلى أوقاف أهل الدين ينـ ـقلها إليهم فعل ذي أضغان
وأراد تحويل الإشارات التي هي لابن سينا موضع الفرقان
وأراد تحويل الشريعة بالنوا ميس التي كانت لدي اليونان
لكنه علم اللعين بأن هـ ـذا ليس في المقدور والإمكان
إلا إذا قتل الخليفة القضا ة وسائر الفقهاء في البلدان
فسعى لذاك وساعد المقدور بالـ أمر الذي هو حكمة الرحمن
فاشار ان يضع التتار سيوفهم في عسكر الإيمان والقرآن
لكنهم يبقون اهل صنائع الـ ـدنيا لأجل مصالح الأبدان

فغدا على سيف التتار الألف في ... مثل لها مضروبة بوزان

وكذا ثمان مئينها في الفها ... مضروبة بالعد والحسبان

حتى بكى الإسلام أعداء اليهود ... وكذا المجوس وعابدي الصلبان

فشفى اللعين النفس من حزب الرسول ... وعسكر الإيمان والقرآن

وبوده لو كان في أحد وقد ... شهد الوقيعة مع أبي سفيان

لأقر أعينهم وأوفى نذره ... أو أن يرى متمزق اللحمان

قوله:

وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعا ... للمسلمين فقال بالإمكان... إلخ

أي أن ابن سينا (ع/٢٢٩ب) قال: إن العالم ممكن، ومعنى ذلك عنده أن القديم ممكن[(١)]، وله ماهية تقبل الوجود العدم، وهذا مما خالف فيه جمهور العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم حتى إنه هو تناقض في ذلك فوافق سلفه وجميع العقلاء وصرح بأن الممكن لا يكون إلا ما يقبل الوجود والعدم.

---

(١) قول ابن سينا بأن العالم ممكن إنما هو مصانعة للمسلمين وخوفًا من السيف كما قال الناظم:

وأتى ابن سينا بعد ذلك مصانعًا ... للمسلمين فقال بالإمكان... إلخ

وليس معنى قوله «بالإمكان» أن القديم عنده ممكن كما توهمه الشارح، فإنه لو كان كذلك لما أطبق جماهير المسلمين على تكفيره هو أتباعه لأجل قولهم «بقدم العالم»، ولو كان هذا هو قول ابن سينا الذي قال به، وأثبته في كتبه لم يكفره أحد من المسلمين، وربما يكون قوله هذا من قبل التناقض الذي يمنع من تكفير صاحبه، فإن التكفير لا يكون إلا في أمر واضح لا اشتباه فيه. والقول بأن «القديم ممكن» تناقض واضح، وقد رد عليه في ذلك ابن رشد وابن تيمية وغيرهما، وقوله هذا شاذ عن الذي قرر في مواضع أخرى.

وقد ذكر الشارح فيما سيأتي بأن ابن سينا وأتباعه «شاركوا سلفهم الدهرية في القول بقدم العالم»فهذا هو اعتقاد ابن سينا، الذي ارتضاه وأثبته في كتبه وكفره عليه جماهير أهل العلم، وتبعه عليه خلائق من الفلاسفه وغيرهم، والمعروف أن ابن سينا لا يقول بحدوث العالم، وسيأتي مزيد إيضاح لذلك من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

وطريقته هذه لم يسلكها سلفه الفلاسفة كأرسطو وأصحابه، بل ولا سلكها جماهير الفلاسفة بل كثير من الفلاسفة ينازعونه في نفيه لقيام الصفات بذات واجب الوجود ويقولون إنه تقوم به الصفات والإرادات وإن كونه واجبًا بنفسه لا ينافي ذلك كما لا ينافي عندهم جميعًا كونه قديمًا.

ولكن ابن سينا وأتباعه لما شاركوا الجهمية في نفي الصفات، وشاركوا سلفهم الدهرية في القول بقدم العالم، سلكوا في إثبات رب العالمين طريقًا غير طريقة سلفهم[١] المشائين كأرسطو وأتباعه الذين أثبتوا العلة الأولى بحركة الفلك الإرادية، وأن لها محركًا يحركها كحركة المعشوق لعاشقه، وهو يحرك الفلك للتشبه بالعلة الأولى.

فعدل ابن سينا عن تلك الطريقة إلى هذه الطريقة التي سلخها من طريقة أهل الكلام الذين يحتجون بالمحدَثْ على المُحدِثْ، وهو لا يقول بحدوث العالم، فجعل طريقته الاستدلال بالممكن على الواجب، ورأى أولئك المتكلمين قسموا الوجود إلى قديم ومحدث، فقسمه هو إلى واجب وممكن، وأثبت الواجب بهذا الطريق.

وابن سينا يعجب بهذه الطريقة ويقول إنه أثبت واجب الوجود من نفس الموجود من غير احتياج إلى الاستدلال بالحركة كما فعل أسلافه[٢].

قال شيخ الإسلام في كتاب العقل والنقل[٣]: «وكل هؤلاء يقولون ما كان معلولًا يمكن وجوده ويمكن عدمه لا يكون إلا حادثًا مسبوقًا بالعدم، وممن قال ذلك

---

(١) كذا في (ع) و(د) «سلفه»، وهو تصحيف؛ لأن الضمير يعود على الجمع، وسياق الكلام يدل على ذلك.

(٢) انظر: الجواب الصحيح (٥/ ٢٨)، ومجموع الفتاوى (١/ ٤٩)، والمواقف للإيجي (ص٢٩٩).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٦٥).

أرسطو وأتباعه (د/١٤٨ب)، حتى ابن سينا وأمثاله صرحوا بذلك، لكن ابن سينا تناقض مع ذلك، فزعم أن الفلك هو قديم أزلي، مع كونه ممكنا يقبل الوجود والعدم.

وهذا مخالف لما صرح به هو وصرح به أئمة وسائر العقلاء، وهو مما أنكره عليه ابن رشد الحفيد، وبين أن هذا مخالف لما صرح به أرسطوا وسائر الفلاسفة، وأن هذا لم يقله أحد قبله.

وأرسطو لم يكن يقسم الوجود إلى واجب وممكن، ولا يقول: إن الأول (ع/ ٢٣٠أ) موجب بذاته للعالم، بل هذا قول ابن سينا وأمثاله، وهو وإن كان أقرب إلى الحق مع فساده وتناقضه فليس هو قول سلفه، بل قول أرسطوا وأتباعه: أن الأول إنما افتقر إليه الفلك لكونه يتحرك للتشبه به لا لكون الأول علة فاعلة له.

وحقيقة قول أرسطوا وأتباعه إنما كان واجب الوجود أنه لايكون مفتقرًا إلى غيره، فيكون جسمًا مركبًا حاملًا للأعراض، فإن الفلك عندهم واجب بذاته، وهو كذلك، كما بسط كلامهم والرد (د/١٤٩أ) عليهم في غير هذا الموضع.

قلت[1]: قال ابن رشد في كتاب التهافت[2] في الرد على ابن سينا: «فأما مايريده ابن سينا في هذه الطريقة، ويقول: إن الممكن الوجود يجب أن ينتهي إما

---

(١) القائل هو المؤلف.

(٢) تهافت التهافت (ص٢٢٣)، وقد شنع ابن رشد على ابن سينا في مواضع كثيرة من كتابه، وزعم أنه خالف أصول الفلاسفة في كثير مما قاله، وأن كتبه لا يعول عليها في الفلسفة، وكان منهجه في دفع كلام الغزالي عن الفلاسفة هو البراءة من ابن سينا ومن أقواله، فزعم أن له هو وأبو نصر الفارابي أقاويل غير صادقة، ليست تجري على أصول الفلاسفة، بل زعم أنهما قالا بخرافات قلدهما الناس فيها، لأنه على طريق غير طريق القدماء.

انظر: (ص١١٤، ١١٥، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٨٥، ٢١٠، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٢، ٣٠٥) من نفس الكتاب.

إلى واجب الوجود من غيره أو واجب الوجود من ذاته، فإن انتهى إلى واجب الوجود من غيره؛ وجب في الواجب الوجود من غيره أن يكون لازمًا عن واجب الوجود لذاته؛ وذلك أنه زعم أن واجب الوجود من غيره هو ممكن والوجود من ذاته والممكن يحتاج إلى واجب، وإنما كانت هذه الزيادة عندي فضلًا وخطأ؛ لأن الواجب كيف مافرض ليس فيه إمكان أصلا، ولا يوجد شيء ذو طبيعة واحدة ويقال في تلك الطبيعة أنها ممكنة من جهة واجبة من جهة؛ لأن بين القوم[1] أن الواجب ليس فيه إمكان أصلًا؛ لأن الممكن نقيض الواجب وإنما الذي يمكن أن يوجد شيء واجب من جهة طبيعية ممكن من جهة طبيعية أخرى، مثل مايظن الأمر عليه في الجرم السماوي، أعني أنه واجب في الجوهر ممكن في الحركة في الأين، وإنما الذي قاده إلى هذا التقسيم أنه اعتقد في السماء أنها في جوهرها واجبة من غيرها، ممكنة من ذاتها[2].

وقد قلنا في غير ما موضع أن هذا لا يصح بالبرهان الذي استعمله ابن سينا في واجب الوجود متى لم يفصل هذا التفصيل وعين هذا التعيين؛ كان من طبيعة الأقاويل العامة الجدلية، ومتى حصل كان من طبيعة الأقاويل البرهانية» انتهى كلامه.

قوله:

وكذا اتى الطوسي بالحرب الصريح.......................... إلخ

تقدمت ترجمة الطوسي وذكر شيء من أحواله وما فعله بالمسلمين مع هولاكو ملك التتار شائع ذائع، أشار الناظم إلى ذلك بقوله:

---

(١) الفلاسفة.

(٢) بل الذي قاده إلى ذلك هو مصانعة المسلمين؛ لأنه كان إسماعليًا باطنيًا يؤمن بالتقية ويقول بها.

فـاشـار ان يـضـع الـتـتـار سيوفهم .... إلخ

وذلك لما قاتل التتارُ الخليفةَ المستعصم بالله[١] والمسلمين في بغداد والقصة مشهورة في التاريخ، فأما ما جرى على بغداد فقد ذكر ذلك الذهبي وغيره.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام[٢]: «وفي سنة ستمائة وست وخمسين أحاط (د/ ١٤٩ب) أمر الله ببغداد، فأصبحت خاوية على عروشها (ع/ ٢٣١ب)، وبقيت حصيدًا كأن لم تغن بالأمس، فإنا لله وإنا إليه راجعون، نازلها المغل في أخلاط من السفل، وأوباش من المنافقين، وكل من لم يؤمن بالحساب».

قال: «وكان ابن العلقمي الوزير[٣] واليًا على المسلمين، وكان رافضيًّا جلدًا، فلما استداروا ببغداد، وخارت القوى وجف الريق وانخلعت الأفئدة، أشار الوزير على الخليفة المستعصم بالله بمصانعة العدو».

وقال: «دعني أخرج إليهم في تقرير الصلح، فخرج فاستوثق لنفسه ولمن أراد وجاء إلى الخليفة، وقال: إن الملك قد رغب أن يزوج ابنته بابنك أبي بكر! ويبقيك

(١) هو: أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله بن الطاهر محمد بن الناصر، أحمد بن المستضيء الهاشمي العباسي البغدادي، ولد سنة (٦٠٩هـ)، واستخلف سنة (٦٤٠هـ) يوم موت أبيه، وكان فاضلًا كريمًا دينًا، ولم يكن عنده حزم ويقظة، واستوزر ابن العلقمي، فأهلك الحرث والنسل، وكان سببًا في دخول التتار، وقتل الخليفة سنة (٦٥٦هـ).
انظر: السير (٢٣/ ١٧٤)، والنجوم الزاهرة (٧/ ٦٣)، وتاريخ ابن خلدون (٣/ ٣٦٦)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٤٦٤).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (٤٨/ ٤٣٣).

(٣) محمد بن محمد بن علي بن البغدادي، الرافضي الخائن وزير المعتصم، صاحب الجريمة النكراء، ولي وزارة العراق أربع عشر سنة، وأفشى الرفض، وكان ذا حقد على السنة، فكاتب هولاكو وبره وقَوَّى عزمه على قصد العراق؛ ليتخذ عنده يدًا وليتمكن من أغراضه، فانعكس ذلك عليه وذاق الذل والهوان حتى مات كمدًا سنة (٦٥٦هـ).
انظر: العبر (٣/ ٢٨٤) العلمية ت: زغلول، والسير (٢٣/ ٣٦١)، والأعلام (٥/ ٣٢١).

في الخلافة كما كان الخلفاء مع السلجوقية، ويرحل عنك فأجبه إلى ذلك، فإن فيه حقن الدماء وأرى أن تخرج إليه فخرج الخليفة في جمع من الأعيان إلى السلطان هولاكو فأنزله في خيمة.

ثم دخل الوزير فاستدعى الأكابر لحضور العقد فحضروا وضربت أعناقهم وصار كذلك كلٌّ يُخَرَجْ، طائفة بعد طائفة فيقتلون، ثم صيح في البلد وبذل السيف، واستمر القتل والسبي والحريق والنهب -وقامت قيامة بغداد فلا حول ولا قوة إلا بالله- بضعًا وثلاثين يومًا، كل صباح يدخل فرقة من التتار فيحصدون محلة[١]، حتى جرت السيول من الدماء، وردمت فجاج المدينة من القتلى، حتى قيل إنه راح تحت السيف ألف ألف وثمانمائة ألف نفس[٢].

قال: والأصح أنهم بلغوا نحوا من ثمانمائة ألف، وهذا شيء لا يكاد ينضبط؛ فإنهم قتلوا في الطرق والجوامع والبيوت والأسطحة وبظاهر البلد ما لا يحصى، بل هي ملحمة ما جرى قط في الإسلام مثلها[٣]، وسبوا من النساء والصغار ما ملأ الفضاء.

وممن أسر ولد الخليفة الصغير وإخوانه، وقتل الخليفة وابناه أحمد وعبد الرحمن، وممن قتل مع الخليفة من الأعيان أعمامه علي والحسين ويوسف وجماعة من أهل بيته.

وأخرج (د/ ١٥٠أ) الصاحب محيي الدين الرئيس العلامة ابن الجوزي[٤] وبنوه

---

(١) حي من الأحياء.

(٢) مليون وثمان مائة ألف.

(٣) في جميع النسخ «ما قط جرى في الإسلام مثلها» وهو تصحيف، والتصويب من «تاريخ الإسلام».

(٤) هو يوسف بن جمال الدين ابن الجوزي الشهير، صاحب التصانيف، تصدر للفقه والوعظ، أما رئاسته وعقله فنقل بالتواتر، أنشأ مدرسة كبيرة بدمشق، مات سنة (٦٥٦هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٧٢).

عبد الله وعبد الرحمن وعبد الكريم فضربت أعناقهم، وممن قتل صبرًا جماعة مستكثرون من العلماء والأمراء والأكابر.

وخلت بغداد من أهلها، ودثرت المحال واستولى عليها الحريق، واحترقت دار الخلافة والجامع الكبير، حتى وصلت النار إلى خزانة الكتب، وعم الحريق جميع البلاد، وما سلم إلا ما فيه من هؤلاء الملاعين[١]، وضاقت بالقتلى وانداسوا في الأرجل، ولم يبق ممر إلا على القتلى وكان الأطفال يتقلبون في الوحل[٢] إلى أن يموتوا.

وعاين من سلم من الأهوال (ع/ ٢٣٢أ) ما لا يعبر عنه، ثم وقع الوباء وكثر الموت، وكثر الذباب جدًّا حتى غطى الجدران، ولزم الناس البصل من جيفة الدنيا، وجاءت القوافل بالجلب من الحلة[٣] بخبز وجبن وبيض وتعوض أهل الجلب بالكتب يأخذون المجلد بفلس، ورميت الكتب مدة النهب تحت أرجل الخيل وألقي خلق من القتلى في دجلة، وحفرت حفائر وطمت على خلق كثير، جعل الله ذلك كفارة وتمحيصًا.

وزعم ابن العلقمي أن يحسن لهولاكو أن يقيم ببغداد خليفة علويًّا، فلم يتهيأ له ذلك ثم لم يلبث أن هلك[٤]، ولم يبق من بغداد وأهلها إلا مقدار الثمن ونحو ذلك، وفي أثناء ذلك العام فسد الهواء للمحمة ببغداد واتصل الوباء بالشام، ومات أمم بدمشق وغيرها) انتهى كلامه.

---

(١) يعني الراوفض.

(٢) يعني وحل الدم؛ لأن الدماء كانت تجري كالأنهار.

(٣) قرية مشهورة في طرف دجيل بغداد، من ناحية البرية، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ تنزلها القفول. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٣٩).

(٤) مات كمدًا.

ومعنى ما ذكره الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في قوله:

فغدا على سيف التتار الألف في ... مثل لها مضروبة بوزان
وكذا ثمان مئينها في ألفها ... .إلخ

أي أن القتلى في بغداد بلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف، لكن في هذا نظر كما ذكره الذهبي قال: والأصح أنهم بلغوا نحوًا من ثمانمائة ألف.

وهذا معنى قول الناظم(١):

فشفى اللعين النفس من ... حزب الرسول.................... إلخ

قوله:

ويوده لو كان في أحد وقد ... شهد الوقيعة مع أبي سفيان

أي أن النصير يود لو أنه شهد أحدًا مع أبي سفيان(٢) قائد جيش قريش، حتى يبلغ إربه، ويقضي وطره من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وهذا نهاية العداوة للرسول وأصحابه وحزبه، نعوذ بالله من الخذلان(٣).

۞۞۞

قال الناظم (د/ ٢٥٠ب):

وشواهد الأحداث ظاهرة على ... ذا العالم المخلوق بالبرهان

---

(١) في هامش (ع) «الظاهر أن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أعلم بعدد القتلى من الذهبي وغيره».

(٢) هو: صخر بن حرب بن أمية القرشي والد معاوية بن أبي سفيان، صحابي من سادات قريش في الجاهلية، وكان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره في معركة أحد والخندق، ثم أسلم يوم الفتح، وفقعت عينه يوم الطائف ثم فقعت الأخرى يوم اليرموك فعمي، وكان من الصحابة الشجعان.مات سنة (٣١هـ).
انظر: الإصابة (٢/ ١٧٢)، والأعلام (٣/ ٢٠١).

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (٤٨/ ٤٣٩).

وأدلـة الـتوحـيد تـشـهـد كلها ... بحـدوث كـل مـا سـوى الرحمن
لـو كـان غـير الله جـل جلالـه ... معـه قـديمًـا كـان ربًـا ثـانـي
إذ كـان عـن رب العلـى مستغنيا ... فـيكـون حـينـئـذ لـنـا ربـان
والـرب بـاسـتـقـلالـه مـتـوحـد ... أفـمـمـكـن أن يـسـتـقـل اثـنـان
لـوكـان ذاك تـنـافـيـا وتساقطًا ... فـإذًا هـمـا عـدمـان ممتنعان
والقـهـر والـتوحـيد يشهد منهما ... كـل لـصـاحـبـه هـمـا عـدلان
ولـذلـك اقـترنـا جـمـيعًـا في صفا ... ت الله فـانـظـر ذاك في الـقـرآن
فالواحـد الـقـهار حـقًّا ليس في الـ ... إمـكـان أن تحـظـى بـه ذاتـان

أقول: شرع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في سياق دليل التمانع المشهور(١) بين المتكلمين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه شرح عقيدة الأصبهاني(٢): وهذا التوحيد يعني توحيد الربوبية لم (ع/ ٢٣٣ب) يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال، قال: فإن الثنوية(٣)، ....

---

(١) دليل التمانع هو: أنه لو كان للعالم صانعان متماثلان في الصفات والأفعال، وأراد أحدهما أمرًا وأراد الآخر خلافه، مثل أن يريد أحدهما إطلاع الشمس من مشرقها، ويريد الآخر إطلاعها من مغربها، فإما أن يحصل مرادهما وهو ممتنع؛ لأن ذلك جمع بين الضدين، أو ألاَّ يحصل مراد واحد منهما فلا يكون أحدهما ربًا، أو أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر، فيكون الذي حصل مراده هو الرب دون الآخر؛ لأن العاجز لا يكون إلهًا.

انظر: منهاج السنة (٣/ ٣٠٤-٣٠٥)، وشرح الطحاوية لابن العز (ص٧٨).

(٢) لم أجده في الكتاب المذكور، لكن ذكره شيخ الإسلام في الجواب الصحيح(١/ ٣٥١).وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٤٩- شاكر).

(٣) هم القائلون بأصلين -للعالم- أزليين قديمين وهما: النور والظلمة، وهما متساويان في القدم، وإن كانا مختلفين في الجوهر والطبع والفعل والمكان والأبدان والأرواح وغير ذلك، وعنهما كانت كل الموجودات، واتفق المأخرون وعلماء الملل والنحل على أن الثنوية أربع فرق: =

من المجوس(١) والمانوية(٢) القائلين بالأصلين: النور والظلمة، وأن العالم صدر

= ١- الديصانية ٢- والمزوكية. ٣- والمانوية. ٤- والمرقونية.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٤٤-٢٥٣)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص١٣٨-١٤٢)، ودرء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٧) (٩/ ٣٤٦).

(١) هم الذين يعبدون النار؛ لأنهم يظنون أنها أعظم شيء في الدنيا، ويسجدون للشمس عند طلوعها، وينكرون نبوة آدم ونوح عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، ويقولون: لم يرسل الله تعالى إلا رسولًا واحدًا لا ندري من هو؟ ويقولون بإثبات الأصلين: النور، والظلمة. وقدماؤهم زعموا أن النور أزلي، والظلمة محدثة، ولهذا فهم يعظمون النور ويعبدونه.
وفي أبواب الشريعة يستحلون نكاح الأمهات، والبنات، والأخوات، وسائر المحرمات، ويتطهرون بأبوال البقر تدينًا.
وهم فرق شتى، فهم المزدكية، والخرَّمية، والزرادشتية، والمسخية، وغيرها، وهم أقدم الطوائف، وأصلهم من بلاد فارس. وقد نبغوا في علم النجوم.
انظر: التبصير في الدين (ص٨٩)، والبرهان في عقائد أهل الأديان (ص٩٠-٩١)، والملل والنحل (١/ ٢٧٨-٢٨١)، والمرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٣٤)، والتحفة المهدية (ص٣٨٠).

(٢) هم أتباع ماني بن فاتك الحكيم، يقولون بتناسخ الأرواح، ورئيسهم كان في الأصل مجوسيًا، فأحدث دينًا مركبًا من النصرانية ودين المجوس.
زعم أن صانع العالم اثنان: أحدهما فاعل الخير وهو النور، وثانيهما فاعل الشر وهو الظلمة، وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا، وهما مختلفان في النفس والصورة، متضادان في الفعل والتدبير، وتبعه خلق كثير من المجوس وادعوا له النبوة، ومازال حتى قتل في زمن سابور بن بهرام.
وكان يقول: إن الأرواح التي تفارق الجسم نوعان: أرواح الصديقين، وأرواح أهل الضلالة.
فأما الصديقون فإن أرواحهم إذا فارقت الأجساد، سرت في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك،فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم.
أما أرواح أهل الضلالة فإنها إذا فارقت الأجساد، وأرادت اللحوق بالنور الأعلى،رُدَّت منعكسة إلى الأسفل، فتتناسخ في أجسام الحيونات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة،ثم تلتحق بالنور العالي.
انظر: الفرق بين الفرق للإسفراييني (ص٢٧١)، والفهرست لابن النديم (ص٤٥٦-٤٧٤)، والفصل لابن حزم (١/ ٩٠-٩١)، وسر العيون (ص٢٨٦-٢٨٩)، والجواب الصحيح (٢/ ١١١) (٤/ ٢٠٢)، ودرء التعارض (٥/ ٣٦٢).

عنهما، متفقون على أن النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود عندهم، وأن الظلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة، هل هي قديمة أو محدثة، فلم يسووا بين ربين متماثلين(١).

وهم كفار ضُلَّال، وأما النصارى القائلون بالتثليث فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض(٢)، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد، ويقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، وقولهم في التثليث قول متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه.

ولهذا كانوا يكتمون قولهم عن كثير من أصحابهم؛ فإنهم إذا فهموه نفروا منه بفطرة عقولهم، وهذا دأب كل مضل وملحد في كل شريعة (د/ ١٥١أ) وملة، يكتم الإلحاد والضلال عن أكثر أتباعه(٣)؛ لأن المقالات الفاسدة في الهيئات، قد فطر الله عباده على العلم بفسادها بعد التصور التام، ولهذا لا يكاد أحد من النصارى يعبر عن قولهم بمعنى معقول، ولا يكاد اثنان منهم يتفقان على قول واحد؛ فإنهم يقولون هو واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم(٤)، والأقانيم تفسر تارة بالخواص، وتارة بالصفات وتارة بالأشخاص(٥).

---

(١) انظر: درء التعارض (٩/ ٣٤٤) (٩/ ٣٤٦).

(٢) انظر: الجواب الصحيح (٣/ ٤٦٣).

(٣) كحال الإسماعيلية: -وهي فرقة باطنية- يكتمون عن أتباعهم حقيقة أمرهم، حتى إذا بلغ أحدهم أشده وبلغ أربعين سنة من عمره،أخبروه بواقع الحال !!.

(٤) الأقنوم: هي لفظة ابتدعوها، يقال: هي رومية، ومعناها في لغتهم: «الأصل»، ولهذا فهم يضطربون في تفسيرها، ولهم فيها عدة تفسيرات على ما ذكر الشارح فيما يأتي من كلامه، إلا أن حذاقهم يقولون: الأقنوم اسم للذات مع الصفة.
انظر: الجواب الصحيح (٣/ ٢٠٠، ٢٣١)، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام لمحمد بن فرح القرطبي (١/ ٧٩)، دار التراث العربي.

(٥) انظر في الرد عليهم: تمهيد الأوائل (ص٩٨-١١٤)، وإعلام النبوة لابن الحسن الماوردي =

ويقولون إن الأقانيم هي أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس، وكلام النصارى على غاية من الفهاهة والبلادة.

وهم أمة ضالة تائهة حتى قال بعض الفضلاء[(١)]: لو اجتمع عشرة من علماء النصارى لا فترقوا عن أحد عشر مذهبًا. والحاصل أنهم لا يقولون خالق الخلق ثلاثة، بل واحد بالذات والله أعلم.

والمقصود هنا أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين، مع أن كثيرًا من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في بيان هذا المطلوب وتقريره، ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل، وزعم أنه يتلقى من السمع.

والمشهور عند النظار إثباته بدليل التمانع، وهو دليل صحيح في نفسه وهو أنه لو كان للعالم صانعان متكافئان، فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم (ع/ ٢٣٤أ) ويريد الآخر تسكينه، أو يريد إحياءه ويريد الآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما أو مراد أحدهما أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع؛ لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ويستلزم أيضًا عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلها؛ ولأن المانع من فعل أحدهما هو فعل الآخر فلو امتنع مرادهما لزم كون كل منهما مانعًا للآخر وممنوعًا للآخر؛ وذلك يستلزم كون كل منهما قادرًا غير قادر؛ لأن كونه مانعًا يقتضي القدرة، وكونه ممنوعًا يقتضي العجز، وذلك تناقض، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزًا لا يصلح للإلهية (د/ ١٥١ب).

=(ص٣٨)، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام لابن فرح القرطبي (ص٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٢).

(١) ذكره ابن تيمية عن بعضهم ولم يعينه. انظر: الجواب الصحيح (٢/ ١٦٦).

وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢]؛ لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن «ودعت إليه الرسل، وليس الأمر كذلك».

وقال في موضع آخر[١]: وقد نقلنا أنه ليس في أهل الأرض من أثبت للعالم خالقين متماثلين في الصفات والأفعال، بل هذا ممتنع لذاته وامتناعه ظاهر في العقول، بخلاف ما يظنه كثير من أهل الكلام والفلسفة.

نعم بعض أهل الضلال يزعم أن ثم خالقًا لبعض العالم كالثنوية في الظلمة، وكالقدرية في أفعال الحيوان، وكالفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية، فإن من هؤلاء الفرق الضالة من يثبت أمورًا محدثة بدون إحداث الله تعالى إياها فهم المشركون في بعض الربوبية.

وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في آلهته شيئًا من هذا، وأنها تنفعه وتضره بدون أن يخلق الله ذلك، فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجودًا في الناس بين القرآن بطلانه بقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون:٩١]، والموجود خلاف هذا؛ فإن العالم مرتبط بعضه ببعض ما من مخلوق إلا وهو متصل بغيره من المخلوقات محتاج إليه، فالحيوان الواحد والنبات الواحد من أصل، وذلك الأصل من غيره وهلم جرا هو أيضًا مفتقرٌ إلى الهواء والماء والتراب، بل وإلى أنواع النباتات والحيوانات، ومفتقرٌ إلى أثر الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك، والفلك مرتبط بعضه ببعض، والأفلاك مفتقرة بعضها إلى بعض، والعالم (ع/٢٣٥ب) العلوي مفتقر بالعالم

---

(١) انظر: الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا (١/ ٣٨٠).

السفلي(١) فلو قُدِّر أن صانع الأرض غير صانع السماء، وإنه مستغن عنه لا يغير أحدهما مصنوع الآخر؛ (د/ ١٥٢) لزم من ذلك أن لا يكون ما في السماء مؤثرًا في الأرض، فلا تؤثر الشمس والقمر في الأرض، وأن يكون ما يصعد من الأدخنة والأبخرة والأغبرة لا يؤثر في نور الشمس والقمر والهواء والواقع خلافه وتقرير هذا يطول» انتهى كلامه.

وقال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في معنى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢] الآية قال: «فإن قوام السماوات والأرض والخليقة بأن تأله الإله الحق، فلو كان فيهما آلهة أخرى غير الله لم يكن إلهًا حقًّا، إذ الإله الحق لا شريك له ولا سَمِيَ له ولا مثل له، فلو تألهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء ما فيه صلاحها بتأله الإله الحق، كما أنها لا توجد إلا باستنادها إلى الرب الواحد القهار، ويستحيل أن تستند في وجودها إلى ربين متكافئين، فكذلك يستحيل أن تستند في تألهها إلى إلهين متساويين» انتهى(٢).

(١) كذا في (ع) و(د)، ولعل الصواب «إلى العالم السفلي».

(٢) في هامش (ع) «بلغ قراءة على مؤلفه غفر الله عنه».

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

فصل

في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه والانفصال عنه

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسلٌ قلنا صدقتم وهو ذو إمكان
كتسلسل التأثير في مستقبلٍ هل بين ذينك قط من فرقان
والله ما افترقا لدى عقل ولا نقل ولا نظر ولا برهان
في سلب إمكان ولا في ضده هذي العقول ونحن ذو أذهان
فليأت بالفرقان من هو فارقٌ فرقا يبين لصالح الأذهان
وكذاك سوى الجهم بينهما كذا العلاف في الإنكار والبطلان
ولأجل ذا حكما بحكم باطل قطعا على الجنات والنيران(١)
فالجهم أفنى الذات والعلاف للحركات أفنى قاله الثوران
وأبو علي وابنه والأشعريُّ وبعده ابن الطيب الرباني
وجميع أرباب الكلام الباطل المذموم عند أئمة الإيمان
فرقوا وقالوا ذاك فيما لم يزل حق وفي أزل بلا إمكان
قالوا لأجل تناقض الأزلي والـ أحداث ما هذان يجتمعان
لكن دوام الفعل في مستقبلٍ ما فيه محذور من النكران
فانظر إلى التلبيس في ذا الفرق تر ويجًا على العوران والعميان
ما قال ذو عقل بأن الفرد ذو أزل لدى ذهن ولا أعيان

(١) في (ع) «النيرا» والتصويب من الثانية.

بل كل فرد فهو مسبوق بفرد قبله أبدًا بلا حسبان
ونظير هذا كل فرد فهو ملحوق بفردٍ بعده حكمان
للنوع والآحاد مسبوق وملحوق وكل فهو منها فان
والنوع لا يفنى اخيرًا فهو لا يفنى كذلك اولًا ببيان
وتعاقب الأنات[1] امر ثابت في الذهن وهو كذاك في الأعيان

أما تعريف التسلسل (د/ ١٥٢ب) فهو ترتيب أمور غير متناهية، واعلم أن التسلسل نوعان:

تسلسل في المؤثرين وتسلسل في الآثار فأما الأول (ع/ ٢٣٦) فهو محال باتفاق العقلاء، وأما الثاني ففيه قولان للنظار وغيرهم، وجوزه قول الأثير الأبهري والأرموي[2].

---

(١) الأنَّات: هي الأزمان.

(٢) التسلسل في الآثار: هو وجود حادث وقبله حادث، وهكذا في الماضي.
أو وجود حادث وبعده حادث، وهكذا في المستقبل، فإذا قال الله تعالى عند إيجاده للموجود «كن» وقبل «كن» قال: «كن» أخرى عند إيجاد موجود قبله وهكذا، فهذا جائز عند أكثر العقلاء من أئمة أهل الإسلام وأئمة الفلاسفة وغيرهم؛ لأنه تسلسل في آحاد التأثير لا في جنسه، ولا يجوز أن يفهم من هذا وجود المفعولات أزلًا مع الله تعالى، لأن جميع الأفعال والمفعولات حادثة بعد أن لم تكن، والحادث بعد أن لم يكن لا يكون مقارنًا للقديم الذي لم يزل.
مع التنبيه على أن جواز هذا النوع من التسلسل شامل للماضي والمستقبل عند من ذكرنا، وخالف فيه المتكلمون على قولين: فمنهم من منع ذلك في الماضي والمستقبل، وهو قول الجهم بن صفوان وأبي هذيل العلَّاف، ومنهم من منع ذلك في الماضي دون المستقبل، وهو قول أكثر أتباع جهم، وأكثر أتباع أبي هذيل والمعتزلة والأشعري والماتريدية والكرامية ومن وافقهم.
أما التسلسل في المؤثرين أو الفاعلين: وهو أن يقال للخالق خالق، وللخالق خالق، وهكذا.
أو لفاعل العالم فاعل، وللفاعل فاعل، ولذلك الفاعل فاعل وهلم جرًّا.
وهذا النوع ممتنع باتفاق العقلاء؛ لأنه يستلزم وجود الشيء قبل وجوده، ووجوده قبل وجوده يقتضي أن يكون موجودًا معدومًا.
وهذا جمع بين النقيضين.
=

فقول الناظم: (فلئن زعمتم أن ذاك[١] تسلسل...) أي إن زعمتم أن القول بدوام فاعلية الرب[٢] تعالى تسلسل قلنا نعم وذلك صحيح كما جوز أرباب الكلام كالأشعري وابن الباقلاني وغيرهما من الصفاتية القول بذلك في الأبد والمستقبل، وكذلك أئمة المعتزلة كأبي علي وابنه أبي هاشم وغيرهما من المعتزلة جوزو ذلك في الأبد، فألزمهم الناظم القول بجواز التسلسل في الأزل كما جوزوه في الأبد، وأما الجهمية وأبو الهذيل العلاف فقالوا بامتناع التسلسل في الطرفين الأزل والأبد[٣]؛ لأنهم قالوا إذا قلنا كل خلق قبله خلق لا إلى غاية، وكل خلق بعده خلق لا إلى نهاية؛ لزمنا القول بقدم العالم[٤]؛ وإنما قال (د/ ١٥٣أ) الجميع بذلك لئلا يبطل عليهم دليل الأكوان الذي استدلوا به على حدوث العالم[٥]؛ لأن مبناه على امتناع التسلسل، وسَيَرُدُ الناظم عليهم هذا القول فيما يأتي.

= وأيضًا: لوجود ما لا يتناهى في آن واحد، وهذا ممتنع مطلقًا؛ لأن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى موجود واجب الوجود بنفسه ينقطع به التسلسل.
انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٣١-٢٣٢) (١٦/ ٣٨٧) (٨/ ٣٨١)، ودرء التعارض (١/ ٣٢١)، والصفدية (٢/ ٦٩-٧٠)، ورسالة في الصفات ضمن جامع الرسائل (٢/ ٢٢)، ومنهاج السنة (١/ ١٢٩)، والتعريفات للجرجاني (ص٨٠)، والأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (٢/ ٣٣٢-٣٣٣).

(١) في (ع) و(د) «ذلك»، وهو تصحيف.

(٢) المقصود بدوام فاعلية الرب: أن الله تعالى لم يزل قادرًا على الفعل.
انظر: شرح الطحاوية (ص١٣٦).

(٣) **الأزل**: استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي، **والأبد**: هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة في جانب المستقبل. انظر: التعريفات للجرجاني (ص٢١)، المعجم الوسيط (ص١٦).

(٤) وهذا يسمى بـ«التسلسل في العلل الفاعلة»، وهو ممتنع أيضًا.

(٥) لأن الفلاسفة القائلين بقدم العالم، أوردوا على المتكلمين اعتراضهم المشهور: «أليس الله تعالى بقادر على الخلق قبل خلق العالم؟!». =

والأشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن أبي بشر بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال ابن أبي بردة ابن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، قدم بغداد، أخذ الفقه عن زكريا بن يحيى الساجي[(١)] وتفقه بابن سريج[(٢)]، وقد كان معتزليًّا فتاب بالبصرة فوق المنبر، وأظهر فضائحهم وقبائحهم[(٣)]، وذكر له من التصانيف الموجز وغيره، وحكي عن ابن حزم أنه صنف خمسة وخمسين تصنيفًا، وذكر أن مغله في كل سنة كان سبعة عشر ألف

= فما استطاع المتكلمون الجواب عن هذا الاعتراض إلا بقولهم بـ«امتناع تسلسل الحوادث في الماضي»، وهذا ليس بجواب بقدر ما هو تسليم لقول الفلاسفة دون تمحيص؛ لأنه يلزم منه أن يكون الباري جَلَّوَعَلَا غير موصوف بصفة الخلق قبل خلق الخلق، وهذا يلزم منه أن يكون الرب تعالى معطلًا في الأزل، بل قد صرح المتكلمون بأن الله تعالى لم يكن فاعلًا في الأزل.

وأهل السنة وسط بين إفراط الفلاسفة وتفريط المتكلمين، فالفلاسفة فهموا من قدم أفعاله قدم مفعولاته، وقادهم ذلك إلى القول بقدم العالم وهو فهم خاطىء؛ لأن قدم الأفعال لا يدل على قدم المفعولات.

والمتكلمون منعوا التسلسل في الماضي خوفًا من القول بقدم العالم؛ لأن ذلك يبطل به دليلهم على حدوث العالم الذي استدلوا به على وجود الرب، فقادهم ذلك الى تجريد الرب من الصفات التي اتصف بها أزلًا وأبدًا.

انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (٢/ ٣٢٧).

(١) أبو يحيى البصري الشافعي، الإمام الثبت الحافظ، قال الحافظ: ثقة فقيه من الثانية عشرة. مات سنة (٣٠٧هـ). من آثاره: «كتاب اختلاف العلماء وعلل الحديث». انظر: السير (١٤/ ١٩٨)، والتقريب (ص٣٣٩).

(٢) سبق.

(٣) المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُتَعَالَىٰ يرى أن الأشعري رجع عن الاعتزال، ولم يسلك طريقة السلف، بل سلك طريقة المتكلمين، لكنه رجع عن هذا القول في كتابه المتأخر عن هذا الكتاب «تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدراسي والحلبي»، وذكر في غير موضع من نفس الكتاب أن الأشعري سلك طريقة السلف.

درهم(١)، وأنه كان من أكثر الناس دعابة(٢)، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين، وقيل سنة ستين ومائتين ومات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقيل سنة ثلاثين وقيل سنة بضع وثلاثين والله أعلم.

قلت: وللحافظ ابن عساكر كتاب تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري مجلد(٣).

وابن الطيب هو: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني القاضي رأس المتكلمين، على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومن أكثر الناس كلامًا وتصنيفا في الكلام، يقال إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة منها: كتاب التبصرة، ودقائق الحقائق، والتمهيد في أصول الفقه (ع/٢٣٧ب)، وشرح الإبانة، وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار، ومن أحسنها كتاب الرد على الباطنية الذي سماه كشف الأسرار وهتك الأستار(٤)، وقد اختلفوا في مذهبه على الفروع، فقيل شافعي وقيل مالكي، حكى ذلك عنه أبو ذر الهروي(٥)، وقد قيل إنه كان يكتب على الفتاوى كتبه محمد بن الطيب الحنبلي، وقد كان في غاية الذكاء والفطنة، مات في ذي الحجة سنة ثلاث وأربعمائة.

---

(١) الغلة: هي الذي يحصل من الزرع والثمر واللبن والإجارة والنتاج. لسان العرب (١٤/ ١٨).

(٢) انظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص٣٩).

(٣) مطبوع بتحقيق محمد زاهد الكوثري.

(٤) هذا الكتاب الذي ذكره الشارح هو لأبي الحسن الأشعري، وقد نسبه إليه ابن حزم كما ذكر ذلك ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص٣٩).
أما كتاب الباقلاني الذي التبس على الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ فهو كتاب «كشف أسرار الباطنية» كما ذكره حاجي خليفه.
انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (٢/ ١٤٨٥).

بل الملتبس عليه هو المحقق لا الشارح، وقد طبع الكتاب مؤخرًا.

(٥) عبد بن أحمد بن محمد الأنصاري الخراساني أبو ذر الهروي المالكي، قال الذهبي: (الحافظ الإمام)، =

وأبو علي هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن يزيد بن أبي السكن الجبائي ولد سنة خمس وثلاثين (د/ ١٥٣ب) ومائتين وهو من معتزلة البصرة، وهو الذي ذلل الكلام وسهله، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة في زمانه، لا يدافعه أحد عن ذلك، أخذ عن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام[١]، وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة فدفن بجبى[٢] وله خمس وسبعون مصنفًا.

وابنه أبو هاشم[٣] وهو عبد السلام ابن أبي علي الجبائي، قدم بغداد سنة أربع عشرة وثلاثمائة، وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وكان ذكيًّا حسن الفهم، ثاقب الفطنة صانعًا للكلام مقتدرًا عليه قيمًا به، له مصنفات.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فإذا أبيتم ذا وقلتم أول ... الأنات مفتتح بلا نكران

ما كان ذاك الآن مسبوقًا يرى ... إلا بسلب وجوده الحقان

=مات سنة (٤٣٤هـ). من آثاره: كتاب «السنة»، وكتاب «الجامع»، و«فضائل القرآن»، وغيرها كثير. انظر: السير (١٧/ ٥٥٤).

(١) هو: يوسف بن عبيد الله الشحام البصري، صاحب أبو الهذيل العلّاف، مؤلف كتاب «الاستطاعة على المجبرة»، وكتاب «الإرادة»، وكتاب «كان ويكون»، وغير ذلك.
لم أجد من أرخ وفاته، لكن ذكره الحافظ الذهبي في الطبقة الثانية عشر من السير، وهو شيخ أبو علي الجبائي مات سنة (٣٠٣هـ)، فيكون الشحام مات في حدود (٢٤٠-٢٨٠) والله أعلم. انظر: السير (١٠/ ٥٥٢).

(٢) بالضم ثم التشديد، والقصر: بلدة أو كورة من عمل خوزستان، وبعضهم جعل عبادان منها، وهي في طرف البصرة والأهواز، وليس الأمر كذلك.
وجبى -أيضًا-: قرية من أعمال النهروان. وهناك -أيضًا- قرية تعرف بـ(جبى) من نواحي هيت. انظر: معجم البلدان (٢/ ١١٣).

(٣) في (ع) «وأبو هاشم»، والتصويب من (د).

فيقال ما تعنون بالأنات هل ... تعنون مدة هذه الأزمان
من حين إحداث السماوات العلى ... والأرض والأفلاك والقمران
ونظنكم تعنون ذاك ولم يكن ... من قبلها شيءٌ من الأكوان
هل جاءكم في ذاك من أثر ومن ... نص ومن نظرٍ ومن برهان
هذا الكتاب وهذه الآثار والمعقول ... في الفطرات والأذهان
إنا نحاكمكم إلى ما شئتم ... منها فحكم الحق في تبيان
أوليس خلق الكون في الأيام كا ... ن وذاك مأخوذ من القرآن
أوليس ذلكم الزمان بمدة ... لحدوث شيء وهو عين زمان
فحقيقة الأزمان نسبة حادث ... لسواه تلك حقيقة الأزمان
واذكر حديث السبق للتقدير والـ ... ـتوقيت قبل جميع ذي الأعيان
خمسين ألفًا من سنينٍ عدها ... المختارسابقة لذي الأكوان
هذا وعرش الرب فوق الماء من ... قبل السنين بمدة وزمان

يقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: فإذا أبيتم (د/ ١٥٤أ) ما ذكرنا وقلتم إن الأنات لها أول ولا يصير ذاك (ع/ ٢٣٨أ) أولًا إلا بسلب وجوده وإلا لم يكن أولًا.

فنقول: ما تعنون بالانات؟ هل تعنون مدة هذه الأزمان، أي من حين خلق الله السماوات والشمس والقمر والنجوم والأرض وأن عندكم:

.................................لم يكن ... [من] قبلها شيء من الأكوان

أي من المخلوقات؟

فهل عندكم حجة على أنه ليس قبلها شيء؟ فهاتوا برهانكم على ذاك من الأثر والنظر ونحن نحاكمكم إلى ما شئتم من ذلك.

ويدل على أن قبلها مخلوقات: أن الله أخبر في القرآن بأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، فتلك الأيام قبل وجود السماوات والأرض والنجوم والجبال، ويدل على ذلك حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»**(١).

وهذا معنى هذه الأبيات التي ذكرها الناظم.

قوله:

حقيقة الأزمان نسبة حادث .... إلخ

أي أن نفس قدر الفعل هو المسمى بالزمان؛ فإن الزمان إذا قيل: إنه مقدار الحركة، كان جنس الزمان مقدار جنس الحركة لايتعين في ذلك أن يكون الزمان مقدار حركة الشمس أو الفلك.

وأهل الملل متفقون على أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه السماوات، وهو الدخان الذي هو البخار كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا﴾ [فصلت:١١]، هذا الزمان هو بخار الماء الذي كان حينئذٍ موجودًا كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين وكما عليه أهل الكتاب(٢)، وتلك الأيام لم تكن مقدار حركة هذه الشمس

---

(١) أخرجه مسلم في القدر (٤/ ٢٠٤٤)، باب احتجاج آدم وموسى.

(٢) جاءت الآثار المتعددة عن الصحابة والتابعين وغيرهم بأن الله سبحانه لما كان عرشه على الماء خلق السماء من بخار الماء، وأيبس الأرض، وهكذا في أول التوراة: الإخبار بأن الماء كان موجودًا، وأن الريح كانت ترف عليه، وأن الله خلق من ذلك الماء السماء والأرض، فهذه الأخبار الثابتة الموقوفة عن بعض الصحابة مما لا تقال بالرأي، وهي مطابقة لما جاء عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكتاب والسنة =

وهذا الفلك؛ فإن هذا مما خلق في تلك الأيام بل تلك الأيام مقدرة بحركة أخرى وكذلك إذا شق الله هذه السموات وأقام القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢]. وقد جاءت الآثار عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتجلى لعباده المؤمنين يوم الجمعة[١]، وأن أعلاهم منزلة من يرى الله تعالى كل يوم مرتين (د/١٥٤ب)، وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا هناك حركة فلك، بل ذلك مُقدَّر بحركات، كما جاء في الآثار أنهم يعرفون ذلك بأنوار تظهر[٢] من جهة العرش[٣].

هذا تقرير كلام الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وقد اختلف[٤] الناس في حقيقة الزمان، فقيل: هو جوهر ليس بجسم ولا جسماني، أي ليس بجسم ولا داخلًا في الجسم، فهو قائم بنفسه مجرد عن المادة.

وقيل: فلك معدل النهار، وقيل: عرض، وقيل: حركة معدل النهار وقيل: مقدار الحركة المذكورة، ومنهم من عبر بحركة الفلك ومقدارها، وقيل إنه مقارنة

=ومطابقة لما عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى مما في التوراة والإنجيل. وكل ذلك يصدق بعضه بعضًا.

انظر: الصفدية (٢/ ٨٣)، ودقائق التفسير (٢/ ٢٢٨)، ودرء تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٨٧)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٢٦٥) (١٨/ ٢٣٥)، ومنهاج السنة (١/ ٣٦١)، وبغية المرتاد (ص٢٨٩).

(١) رواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٩٠) من طريق يحيى بن يمان عن شريك عن أبي اليقظان عن أنس به، وإسناده ضعيف لحال يحيى وشريك القاضي، فكلاهما سيئ الحفظ، وأبو اليقظان ضعيف مختلط مدلس وقد عنعن، لكن التجلي يوم الجمعة له شواهد كثيرة.

(٢) في (ع) و(د) «يظهر»، والتصحيح من مجموع الفتاوى، وقد سبق تخريج الأثر.

(٣) من قوله «نفس قدر الفعل...»إلخ، إلى هنا مأخوذ من شرح حديث النزول (ص٤٤٣-٤٤٤). وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٦٣-٥٦٤).

(٤) في (د) «واختلف».

متجدد موهوم لمتجدد معلوم إزالة للإيهام من الأول بمقارنته للثاني، كما في: آتيك عند طلوع الشمس.

وهذا قول المتكلمين، والأقوال قبله للحكماء[١]. وفي القاموس[٢]: «محركة كسحاب: العصر، وأسمان لقليل الوقت وكثيره جمع أزمان وأزمنة وأزمن» انتهى.

❁❁❁

قال الناظم:

والناس مختلفون في القلم الذي	**كُتِبَ القضاء به من الديان**
هل كان قبل العرش أو هو بعده	**قولان عند أبي العلا الهمداني**
والحق أن العرش قبل لأنه	**قبل الكتابة كان ذا أركان**
وكتابة القلم الشريف تعقبت	**إيجاده من غير فصل زمان**
لما براه الله قال اكتب كذا	**فغدا بأمر الله ذا جريان**
فجرى بما هو كائن أبدًا إلى	**يوم المعاد بقدرة الرحمن**
أفكان رب العرش جل جلاله	**من قبل ذا عجز وذا نقصان**
أم لم يزل ذا قدرة والفعل مقـ	**ـدور له أبدًا وذو إمكان**

قوله:

والناس مختلفون	**...................................... إلخ**

قال شيخ الإسلام[٣]: «قد ذكرنا أن (ع/ ١٣٩ب) للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين، كما ذكر ذلك الحافظ أبو العلاء الهمداني وغيره:

(١) انظر: التعارف للمناوي (ص٣٨٩).
(٢) القاموس المحيط (ص١٥٥٣).
(٣) في بغية المرتاد (١/ ٢٨٥).

أحدهما: أن القلم خلق أولًا كما أطلق ذلك غير واحد، وهذا هو الذي يفهم في الظاهر (د/ ١٥٥أ) من كتب من صنف في الأوائل[١]: كابن أبي عروبة الحراني[٢] وأبي القاسم الطبراني للحديث الذي رواه، وأبو داود في سننه عن عبادة بن الصامت، وفيه سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أول ما خلق الله القلم فقال اكتب...**» الحديث[٣].

والثاني: أن العرش خلق أولًا، قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في مصنفه

---

(١) **كتب الأوائل:** هي الكتب التى تكلمت عن أوائل الأشياء في موضوعات: بدء الخلق، وأول المبعث النبوي، وأول الحشر، ويوم الحساب، وأوائل الصلاة، وأوائل الجهاد، وأوائل نزول بعض الآيات القرآنية الكريمة، وغيرها من المواضيع الإسلامية، فهو علم تعرف به أوائل الوقائع والأحداث والابتكارات، وهو فرع من فروع التاريخ والمحاضرات.
وقد اختلفت مناهج المؤلفين في هذا العلم، فمنهم من سرد الأحاديث والوقائع الواردة في أوائل الأشياء، فبلغت تسعين ومائة ونيف كما فعل ابن أبي عاصم، ومنهم من قسمه إلى أبواب فبلغت عشرين بابًا كما فعل أبو بكر الجراعى الحنبلي، فأدخل فيها بعض الروايات الإسرائيلية والوقائع التاريخية وغيرها، وقد ألف في هذا الفن عدد كبير من العلماء قديمًا وحديثًا، منهم سعيد بن أبي عرويه البصري ولعله أول من ابتكر هذ الفن، وأبو بكر بن أبي شيبة صاحب المصنف، وأبو بكر ابن أبي عاصم صاحب السنة، والطبراني، ومحمد بن علي بن بابويه، وجعفر بن محمد بن المعتز، ومحمد بن سعيد بن سنبل، وغيرهم.
انظر: كتاب الأوائل لابن أبي عاصم (ص٨)، والأوائل للجراعي (ص٥)، وما بعدها.

(٢) سعيد بن مهران اليشكري، مولاهم، أبو نضر البصري، ثقة، حافظ، له تصانيف لكنه كثير التدليس واختلط، وكان من أثبت الناس في قتادة، من السادسة. مات سنة ست وقيل سبع وخمسين. انظر: تقريب التهذيب (ص٣٨٤). وأما كتابه الذي أشار إليه المؤلف فقد ذكره فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي (١/ ٣٤٨).

(٣) أخرجه أبو دواد في سننه (٤/ ٢٢٥) والترمذي في موضعين من السنن (٣/ ٢٠١) و(٤/ ٢٦٤) وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٩٨) وغيرهم من طرق لاتخلو من مقال،
فالحديث حسن بمجموع طرقه، وله شواهد.

في الرد على الجهمية(١) «حدثنا محمد ابن كثير العبدي(٢) أنبأنا سفيان الثوري حدثنا أبو هاشم(٣) عن مجاهد عن ابن عباس قال: «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا فكان أول ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه»(٤).

وكذلك ذكر الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الأسماء والصفات(٥): لما ذكر بدء الخلق ثم ذكر حديث الأعمش عن المنهال بن عمرو(٦) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧] على أي شيء كان الماء قال على متن الريح(٧).

---

(١) الرد على الجهمية (ص٣٨).

(٢) هو: الحافظ الثقة أبو عبد الله محمد بن كثير العبدي البصري، قال الحافظ في التقريب: «ثقة لم يصب من ضعفه، من كبار العاشرة». مات سنة (٢٢٣هـ). انظر: السير (١٠/ ٣٨٣)، والتقريب (ص٨٩١).

(٣) هو: يحيى بن دينار الرماني أبو هاشم. قال الذهبي: ثقة حجة. وقال أيضًا: واحتجوا به في الكتب الستة، وهو ممن يجمع حديثه. مات سنة (١٣٢هـ). انظر: السير (٦/ ١٥٢)، والأنساب للسمعاني (٣/ ٨٩).

(٤) إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٤٣).

(٦) هو: المنهال بن عمرو أبو عمرو الأسدي مولاهم الكوفي، قال الحافظ في التقريب: «صدوق ربما وهم من الخامسة». مات سنة بضع عشرة ومائة. انظر: السير (٥/ ١٨٤)، والتقريب (ص٩٧٤).

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧١)، والضياء في المختارة (١٠/ ٣٨٢)، وعبد الرزاق في المصنف (٥/ ٩٠)- المكتب الإسلامي-، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٧٦). إسناده ضعيف لعنعنة الأعمش وهو مدلس، لكن تابعه حجاج عن ابن جريج عن سعيد به، وإسناده صحيح.

وروى حديث القاسم ابن أبي بزة[١] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أول شيء خلقه الله القلم وأمره فكتب كل شيء يكون**»[٢].

قال البيهقي[٣]: «وإنما أراد -والله أعلم- أول شيء خلقه بعد الماء والريح والعرش: القلم؛ وذلك في حديث عمران بن حصين ثم خلق السماوات والأرض».

أقول[٤]: حديث عمران بن حصين[٥] الذي أشار إليه هو ما رواه البخاري من غير وجه مرفوعًا عنه: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»[٦].

---

(١) تحرفت في (ع) إلى «ابن أبي بردة» والتصحيح من كتب التراجم، وهو القاسم بن أبي بزة، واسم أبي بزة نافع، ويقال: يسار أبو عبد الله، أصله من همذان. قال في التقريب (ثقة من الخامسة) مات سنة (١٢٤هـ). التقريب (ص٧٩٠) تهذيب الكمال (٨/ ٢٦٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٨١) من طرق عن ابن المبارك عن رباح بن زيد عن القاسم ابن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «... فذكره» وإسناده صحيح، وقد قال أبو نعيم بعد إيراده: «لم يروه عن سعيد إلا القاسم ولا عنه إلا عمر تفرد به رباح، ورواه عن ابن عباس جماعة منهم: أبو ظبيان، وأبو إسحاق مقسم، ومجاهد، منهم من رفعه ومنهم من وقفه، ورواه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرفوعًا متصلًا عبادة بن الصامت وابن عمر» اهـ.

(٣) في الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٣٨).

(٤) القائل هو المؤلف.

(٥) هو: عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي أبو نجيد صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت واحد سنة سبع وله عدة أحاديث، ولي قضاء البصرة، مات سنة (٥٢هـ). انظر: السير (٢/ ٥٠٨).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق من صحيحه (٢/ ٩٨٦).

ورواه البيهقي، كما رواه محمد بن هارون الروياني[(١)] في مسنده[(٢)]، وعثمان بن سعيد الدارمي[(٣)] وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم عن (ع/ ٢٤٠أ) أبي إسحاق الفزاري[(٤)] عن الأعمش عن جامع بن شداد[(٥)] عن صفوان بن محرز[(٦)] عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات والأرض**»[(٧)].

وذكر أحاديث وآثارًا، ثم قال[(٨)]: ما معناه فثبت بالنصوص (د/ ١٥٥ب) الصحيحة أن العرش خلق أولًا» اهـ.

قال ابن كثير[(٩)]: «قال قائلون خلق القلم أولًا: وهذا اختيار ابن جرير وابن الجوزي[(١٠)] وغيرهما قال ابن جرير وبعد القلم السحاب الرقيق وبعده العرش واحتجوا بحديث عبادة.

---

(١) محمد بن هارون الروياني، الإمام الحافظ الثقة، أبو بكر محمد بن هارون الروياني، صاحب المسند المشهور، وثقه أبو يعلى الخليلي. مات سنة (٣٠٧هـ). انظر: السير (١٤/ ٥٠٧).

(٢) مسند الروياني (١/ ١٣٦).

(٣) في الرد على الجهمية (ص٣٤-٣٥).

(٤) هو: إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري الشامي، أبو إسحاق، قال أبو حاتم: اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمام يقتدى به بلا مدافعة وقال الذهبي (الإمام الكبير الحافظ المجاهد)، مات سنة (١٨٦هـ). انظر: السير (٨/ ٥٣٩).

(٥) المحاربي، أحد علماء الكوفة، وثقه أبو حاتم، وغيره. مات سنة (١١٨هـ). انظر: السير (٥/ ٢٠٥).

(٦) هو: صفوان بن محرز بن زياد المازني البصري. قال الحافظ ابن حجر: «ثقة عابد من الرابعة». مات سنة (٧٤هـ). انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٧٢٧)، والتقريب (ص٤٥٤).

(٧) أخرجه البخاري في الصحيح (٢/ ٩٨٦)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٣/ ١٩٥)، والبيهقي في الأسماء (٢/ ٢٣٥)، وغيرهم عن أبي حمزة عن الأعمش به.

(٨) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٣٤) وما بعدها.

(٩) في البداية والنهاية (١/ ٩).

(١٠) في تاريخه (١/ ٢٩). أما ابن الجوزي فذكره في المنتظم (١/ ١٢٠) ولم أجد له ترجيحًا.

والذي عليه الجمهور: أن العرش مخلوق قبل ذلك كما دل عليه الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه يعني حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص الذي تقدم قالوا وهذا التقدير هو كتابه بالقلم المقادير.

وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش، فثبت تقدم العرش على القلم الذي كتب به المقادير، كما ذهب إلى ذلك الجماهير، وحملوا حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم»[1] انتهى.

✿✿✿

---

(١) اختلف العلماء في هذه المسألة على أربعة أقوال:

الأول: أن القلم أول المخلوقات، وأنه أسبق في الخلق من العرش، وهذا هو اختيار ابن جرير الطبري وابن الجوزي؛ لأنه الظاهر من قول من صنف في كتب الأوائل، واستدلوا بحديث عبادة ابن الصامت: «**إن أول ما خلق الله القلم...**» الحديث.

والثاني: أن الماء أول المخلوقات، وأنه مخلوق قبل العرش، وهذا القول ذكره ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٨٩) واستدل له بما رواه أحمد والترمذي -وصححه- من حديث أبي رُزِين: «إن الماء خلق قبل العرش».

الثالث: إن أول شيء خلقه الله عَزَّ وَجَلَّ من خلقه: النور والظلمة، وهذا القول ذكره ابن جرير، وعزاه لابن إسحاق.

الرابع: إن العرش هو أول المخلوقات، وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ـ كما أشار الشارح ـ وتلميذه العلامة ابن القيم وابن كثير وابن أبي العز شارح الطحاوية، ونسبه ابن كثير وابن حجر ـ نقلا عن أبي العلاء الهمداني- إلى الجمهور، ومال إليه ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٨٩).

واستدلوا على قولهم هذا بما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا: «كتب الله مقادر الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنه قال: وكان عرشه على الماء». ففي هذا تصريح بأن التقدير وقع بعد خلق العرش، ويؤيده حديث عمران بن حصين: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر مقادير كل شيء، ثم خلق السموات والأرض». فالحديث يدل على أن العرش كان موجودًا قبل كتابة المقادير، وهذا هو الراجح من الأقوال، وأجاب أصحاب هذا القول عن أدلة أصحاب الأقوال الأخرى بأجوبة يطول ذكرها. راجع كتاب العرش للذهبي (١/ ٣٧٣-٣٧٨- تعليق).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فلئن سألت وقلت ما هذا الذي	**أدّاهم لخلاف ذا التبيان**
ولأي شيء لم يقولوا إنه	**سبحانه هو دائم الإحسان**
فاعلم بأن القوم لما أسسوا	**أصل الكلام عموا عن القرآن**
وعن الحديث ومقتضى المعقول بل	**عن فطرة الرحمن والبرهان**
وبنوا قواعدهم عليه فقادهم	**قسرًا إلى التعطيل والبهتان**
نفي القيام لكل أمر حادثٍ	**بالرب خوف تسلسل الأعيان**
فيسد ذاك عليهم في زعمهم	**إثبات صانع هذه الأكوان**
إذ أثبتوه بكون ذي الأجسام حا	**دثة فلا تنفك عن حدثان**
فإذا تسلسلت الحوادث لم يكن	**لحدوثها إذ ذاك من برهان**
فلأجل ذا قالوا التسلسل باطلٌ	**والجسم لايخلو عن الحدثان**
فيصح حينئذ حدوث الجسم من	**هذا الدليل بواضح البرهان**
هذي نهايات لإقدام الورى	**في ذا المقام الضيق الأعطان**
فمن الذي يأتي بفتح بينٍ	**ينجي الورى من غمرة الحيران**
فالله يجزيه الذي هو أهله	**من جنة المأوى مع الرضوان**

أي إن سألت أيها الناظر في (د/ ١٥٦أ) هذا الكتاب وقلت لـم لم يقل المتكلمون بدوام فاعلية الرب تعالى وقالوا بوجوب تراخي الأثر؟

فاعلم أنهم لما أسسوا أصل الكلام، عموا عن الكتاب والسنة وأنهم (ع/ ٢٤٢أ) استدلوا على حدوث العالم بدليل الأعراض المشهور[١]، وأنهم استدلوا على حدوث

(١) تقدم التعرف به.

الأجسام بحدوث الأعراض، وأن العرض لايبقى زمانين[١] والأعراض حادثة، وما قامت به الحوادث فهو حادث، فيلزم حدوث الجسم من هذا الدليل. قالوا: فلو قلنا بقيام أفعال الرب تعالى لزم قيام الحوادث به ولزم التسلسل وهو عندهم ممتنع.قالوا: فإذا جوزنا قيام الأفعال بالرب سبحانه، وأنه لم يزل يفعل شيئًا بعد شيء؛ لزم قيام الحوادث به تعالى ولزم التسلسل، وهذا معنى قوله:

فـإذا تسلسلت الحـوادث لم يكن لحـدوثـهـا إذ ذاك مـن بـرهـان

فلهذا قالوا ببطلان التسلسل، والتسلسل الباطل إنما هو التسلسل في المؤثرين. أما التسلسل في الآثار فهو جائز.

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نـفـي الـقـيـام لـكـل أمـر حـادث بالرب ....

فيه تسامح؛ لأن أفعال الرب الاختيارية ليست بحوادث، وإنما هي أفعال اختيارية تقوم به بمشيئته وقدرته[٢].

---

(١) عرض الشيء: ظهر وبدا ولم يدم، والعرب يطلقون لفظ «العرض» على عدة معان: فهو يدل على الأمر الذي يعرض للمرء من حيث لم يحتسبه، وعلى ما لا يثبت ولا يدوم، وعلى ما يتصل بغيره ويقوم به، وعلى ما يكثر ويقل من متاع الدنيا، ولعل المتكلمين والفلاسفة أخذوا معنى العرض من أحد هذه المعاني فقالوا: هو ما لا يقوم بذاته، وهو الحالّ في الموضوع، وكل معنى موجود للشيء خارج عن طبعه، وقيل: العرض ضد الجوهر، لأن الجوهر ما يقوم بذاته ولا يفتقر إلى غيره، والعرض ما يفتقر إلى غيره ولا يقوم بذاته. وقيل ما يطرأ على الموجود، لا من ناحية ذاته، بل من ناحية الظروف المستقلة عن طبيعته. وقيل غير ذلك.
فالذي يفهم مما سبق أن العرض بمعنى الصفة التي لا تقوم بنفسها. وعلى هذا فقولهم: «العرض لا يبقى زمانين» بمعنى أن ما يطرأ على الموجود من ظروف خارجة عن طبعه لا تتكرر مرة أخرى، فإذا حصل للإنسان حزن في زمن ثم انقضى، ثم طرأ عليه حزن في زمن آخر فلا يقال إن هذا الحزن هو الأول. والله أعلم.
انظر: المعجم الفلسفي (٢/ ٦٨-٧١).

(٢) في هامش (ع) يقول الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري «قف وتأمل قول الشارح: =

=«قول الناظم: نفي القيام لكل أمر حادث فيه تسامح». الظاهر أن قصد الناظم -على زعمهم- لم يكن ذلك على وجه التقرير، فلا وجه للاعتراض، والله أعلم».

الذي يظهر لي -والله أعلم- أن ابن القيم في هذا البيت، إنما استنكر على الذين عطلوا صفات الله الاختيارية القائمة بقدرته وبمشيئته، فإن صفة الكلام -مثلًا- صفة ذات، وصفة فعل، بمعنى أن الكلام: قديم النوع حادث الآحاد،أي متجدد الآحاد، فالله يتكلم إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء.

والإحداث هنا: بمعنى التجدد، والعرب تسمي الحادث متجددًا والصفات الذاتية الفعلية -الاختيارية- كالإرادة والكلام والسمع والبصر وغيرها تتجدد، وإن كان الله متصفًا بها أزلًا، وبعض أهل السنة تحاشى -ومنهم الشارح- أن يسمي المتجدد منها كالكلام حدثًا، لئلا يفهم أن الحدوث بمعنى الخلق.

وهو باطل ترده الأدلة كما قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١]، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة» وإحداث الله تعالى ليس كإحداث غيره، ومن الآيات الدالة أن الصفات الفعلية متجددة قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

وإذا قيل: إن كلام الله تعالى محدث لم يلزم منه أن يكون مخلوقًا بائنًا عن الله تعالى، بل إذا تكلم الله تعالى بقدرته ومشيئته وهو قائم به؛ جاز أن يقال: هو محدث، وهو مع ذلك كلامه القائم بذاته وليس بمخلوق، ومثله جميع الصفات الاختيارية.

وقد اتفق أهل السنة على أن أفعاله تعالى حادثة وقائمة بذاته، وذهبوا إلى ما دلت عليه النصوص والعقل السليم من أن الله تعالى لم يزل متصفًا بصفات الكمال، سواء كانت لازمة لذاته أم متعلقة بقدرته ومشيئته. ليس لما يحدث في ذاته عندهم ابتداء، بل يقولون لم يزل متصفًا بصفات الكمال، لا يجوز خلوه منها في وقت من الأوقات؛ لأن الخلو عن الكمال نقص، والنقص مستحيل على الله تعالى.

ومعنى قوله: (نفى القيام لكل أمر حادث...) إلخ أي المعطلة حكموا بامتناع قيام الحوادث بذاته خوفًا من تسلسلها وتعاقبها في الوجود شيئًا قبل شيء لا إلى أول. وهذا يؤدي بدوره إلى القول بتسلسل الأعيان التى هي المفعولات، وبذلك تكون هذه المفعولات قديمة فينسد عليهم إثبات الصانع، إذ كان الطريق إلى إثباته هو لزوم الحدوث لهذه المخلوقات وعدم انفكاكها عنه، فاذا تسلسلت بطل دليل حدوثها، فلأ جل هذا قالوا ببطلان التسلسل ولزوم الحوادث للأجسام.

انظر: درء التعارض (١/ ٣٧٤)، والصفدية (٢/ ٨٤)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٢٩)، (١٦/ ٣٨٣)، وشرح النونية لهراس (١/ ١٨٠).

قال الناظم:

فصل

فاسمع إذًا وافهم فذاك معطل ... ومشبه وهداك ذو الغفران
هذا الدليل هو الذي أرداهم ... بل هد كل قواعد القرآن
وهو الدليل الباطل المردود ... عند أئمة التحقيق والعرفان
مازال أمر الناس معتدلًا إلى ... أن دار في الأوراق والأذهان
وتمكنت أجزاؤه بقلوبهم ... فأتت لوازمه إلى الإيمان
رفعت قواعده ونحت أُسُهُ ... فهوى البناء وخر للأركان
وجنوا على الإسلام كل جناية ... إذ سلطوا الأعداء بالعدوان
حملوا بأسلحة المحال فخانهم ... ذاك السلاح فما اشتفوا بطعان
وأتى العدو إلى سلاحهم فقا ... تلهم به في غيبة الفرسان
يا محنة الإسلام والقرآن من ... جهل الصديق وبغي ذي طغيان
والله لولا الله ناصر دينه ... وكتابه بالحق والبرهان
لتخطفت أعداؤه أرواحنا ... ولقطعت منا عرى الإيمان
أيكون حقًّا ذا الدليل وما اهتدى ... خير القرون له محال ذان
وفقتموا للحق إذ حرموه في ... أصل اليقين ومقعد العرفان
وهديتمونا للذي لم يهتدوا ... أبدًا به واشدة الحرمان
ودخلتم للحق من باب وما ... دخلوه واعجبا لذا الخذلان
وسلكتم طرق الهدى والعلم دو ... ن القوم واعجبا لذا البهتان
وعرفتم الرحمن بالأجسام والـ ... أعراض والحركات والأكوان

وهـم فـما عـرفـوه مـنـهـا بـل مـن الـ آيـــات وهـــي فـغـيـر ذي بـرهـان
الله أكـبـر أنـتـم أو هـم على حــق وفي غــي وفي خـســران
دع ذا ألـيـس الله قـد أبـدى لنا حـق الأدلـــة وهـــي في الـقـرآن
مـتـنـوعـات صـرفـت وتـظـاهـرت في كـل وجـهٍ فـهـي ذو أفـنـان[1]
مـعـلـومـة لـلـعـقـل أو مـشـهـودة لـلـحـس أو في فـطـرة الـرحمـن
أسمـعـتـم لـدلـيـلـكـم في بعضها خـبرًا أو احـسـسـتـم لـه ببيان
أيكـون أصـل الـديـن مـا تم الهدى إلا بـــه وبـــه قـــوى الإيمـــان
وسواه ليس بموجب من لم يُحِطْ عـلـمـا بـه لم يـنـج مـن كـفـران
والله ثـــم رسـولـــه قـــد بـيـنـا طـرق الـهـدى في غـايـة التبيان
فـــلأي شـــيء أعـرضـا عـنـه ولـ ــم نـسـمـعـه في أثــر ولا قـرآن
لـكـن أتـانـا بـعـد خـير قـرونـنـا فظهور[2] أحـداث مـن الشيطان
وعـلـى لـسـان الجـهـم جـاءوا حزبه مـن كـل صـاحـب بـدعـة حـيران
ولـذلـك اشـتـد الـنـكـير عليهم مـن سـائـر الـعـلـمـاء في الـبـلـدان
صاحوا بهم من كل قطر بل رموا في إثــرهـم بـشـواقـب الـشـهـبـان
عـرفـوا الـذي يـفـضـي إلـيـه قولهم ودلـيـلـهـم بحـقـيـقـة الـعـرفـان
وأخــو الجـهـالـة في خـفـارة جهله والجـهـل قـد يـنـجـي مـن الكفران

أقول: قد تقدم الكلام في دليل الأكوان مبسوطًا في الفصل الذي أوله:

وقـضـى بـأن الله كـــان معطلا ....

(١) كذا في النسخ الخطية، وعلى الوزن الشعري يجب أن تكون «فهو»؛ لأن «فهي» تقتضي أن تأتي بعدها: ذات أفنان، لكن لعله استخدم (ذو) للضرورة الشعرية، والله أعلم.

(٢) في (د) «بظهور»، وهي أقرب للمعنى، والله أعلم.

عن شيخ الإسلام (ع/ ٢٤٣ب) وغيره ونحن نشير إلى ذلك بعض الإشارة.

قال شيخ الإسلام في كتاب العقل والنقل[1] -في الكلام (د/ ١٥٧أ) على أصول الدين بعد كلام سبق-: «وأما ما يُدْخِلُهُ بعض الناس في هذا المسمى من الباطل، فليس ذلك من أصول الدين، وإن أدخله فيه مثل المسائل والدلائل الفاسدة، مثل الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الأعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها، إما الأكوان وإما غيرها، وتقرير المقدمات التي يحتاج إليها هذا الدليل من إثبات الأعراض التي هي الصفات (ع/ ٢٤٤أ).

أولًا: إثبات بعضها كالأكوان التي هي الحركة والسكون والاجتماع والافتراق، وإثبات حدوثها.

ثانيًا: بإبطال ظهورها بعد الكمون، وإبطال انتقالها من محل إلى محل، ثم إثبات امتناع خلو الجسم.

ثالثًا: إما عن كل جنس من أجناس الأعراض، باثبات أن الجسم قابل لها، وأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده، وإما عن الأكوان، وإثبات امتناع حوادث لا أول لها.

رابعًا: وهو مبني على مقدمتين:

إحداهما: أن الجسم لا يخلو عن الأعراض بإثبات أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي هي الصفات (د/ ١٥٧ب).

والثانية: أن ما لا يخلو عن الصفات التي هي الأعراض فهو محدث؛ لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلا محدثة، وقد يفرضون ذلك في بعض

---

(١) درء التعارض العقل والنقل (١/ ٣٨).

الصفات التي هي الأعراض كالأكوان[1] وما لا يخلوا عن جنس الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا تتناهى.

فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدع الناس بها إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه؛ ولهذا قد اعترف حذاق أهل الكلام كالأشعري وغيره انها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ولا سلف الأمة وأئمتها، وذكروا أنها محرمة عندهم، بل المحققون على أنها طريقة باطلة وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقًا[2].

ولهذا تجد من اعتمد عليها في أصول دينه فأحد الأمرين لازم له: إما أن يطلعَ على ضعفها، ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم، فتتكافأ عنده الأدلة، أو يرجح هذا تارة وهذا تارة كما هو حال طوائف منهم، وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل كما التزم جهم لأجلها: فناء الجنة والنار، والتزم لأجلها أبو الهذيل: انقطاع حركات أهل الجنة[3]، والتزم قوم لأجلها كالأشعري وغيره: أن الماء والهواء والتراب والنار له طعم ولون وريح ونحو ذلك[4].

---

(١) المقصود بالأكوان: الأكوان الأربعة وهي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون، وهي إحدى مقدمات دليل حدوث الأجسام الذي استدل به المتكلمين على إثبات الصانع، وهو أحد شقي دليل الأعراض الذي يستدل به على حدوث الأجسام، وذلك أنهم اختلفوا هل يستدل على حدوث الأجسام بملازمتها للأعراض جميعًا أو بعضها كالأكوان الأربعة. انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (١/ ٣٢٤) (٢/ ٢٩٣).

(٢) انظر: النبوات (ص٥٦-٥٧)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ١٠).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ٤٧)، ومنهاج السنة (١/ ٣١٠، ٣٥١)، ونقض التأسيس (٢/ ١٨٣)، ومجموع الفتاوى (٣/ ٣٠٤).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٤٠).

والتزم قوم لأجلها وأجل غيرها: أن جميع الأعراض كالطعم واللون وغيرهما لا يجوز بقاؤها بحال؛ لأنهم احتاجوا إلى جواب النقض الوارد عليهم لما أثبتوا الصفات لله مع الاستدلال على حدوث الأجسام بصفاتها، فقالوا: صفات الأجسام أعراض، أي أنها تعرض فتزول بخلاف صفات الله فإنها باقية، وأما ما اعتمد عليه طائفة منهم من أن العرض لو بقي لم يمكن عدمه؛ لأن عدمه إما أن يكون بإحداث ضد، أو بفوات شرط، أو اختيار الفاعل، وكل ذلك ممتنع، فهذه العمدة لا يختارها آخرون منهم (ع/٢٤٥ب)، بل يجوزون أن الفاعل المختار يعدم الموجود كما يحدث المعدوم، ولا يقولون: إن عدم الأجسام لا يكون إلا بقطع الأعراض عنها كما قاله أولئك، ولا يخلق ضد هو الفناء لا في محل (د/١٥٨أ)، كما قاله من قاله من المعتزلة.

وأما جمهور عقلاء بني آدم فقالوا: هذه مخالفة للمعلوم بالحس، والتزم طوائف من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي صفات الرب مطلقًا أو نفي بعضها؛ لأن الدال عندهم على حدوث هذه الأشياء هو قيام الصفات بها، والدليل يجب طرده، فالتزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة به، وهو أيضًا في غاية الفساد والضلال.

ولهذا التزموا القول بخلق القرآن وإنكار رؤية الله في الآخرة وعلوه على عرشه إلى أمثال ذلك من اللوازم التي التزمها من طرد مقدمات هذه الحجة التي جعلها المعتزلة ومن اتبعهم أصل دينهم، فهذه داخلة فيما سماه هؤلاء أصول الدين، ولكن ليست في الحقيقة من أصول الدين الذي شرعه الله لعباده.

وقال في كلامه على حديث النزول -لما تكلم على هذه الطريقة[1]-: أما قولكم

---

(١) انظر: شرح حديث النزول (ص٤١٧).

إن هذا الطريق هو الأصل في معرفة دين الإسلام ونبوة الرسل، فهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده؛ فإنه من المعلوم لكل من علم حال الرسول وأصحابه وما جاء به من الإيمان والقرآن أنه لم يدع الناس بهذه الطريقة أبدًا، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، فكيف تكون هي أصل الإيمان، والذي جاء بالإيمان وأفضل الناس إيمانًا لم يتكلموا بها البتة، ولا سلكها منهم أحد.

والذين علموا أن هذه طريقة مبتدعة حزبان: حزب ظنوا أنها صحيحة في نفسها، لكن أعرض السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها، وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل، وهذا قول جماعة كالأشعري في رسالته إلى الثغر[(١)] والخطابي[(٢)] والحليمي[(٣)] والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأبي بكر البيهقي وغير هؤلاء.

والثاني: قول من يقول بل هذه الطريقة باطلة في نفسها، ولهذا ذمها السلف وعدلوا عنها، وهذا قول أئمة السلف كابن المبارك والشافعي وأحمد ابن حنبل وإسحق ابن راهوية وأبي يوسف[(٤)] ومالك بن أنس (د/ ١٥٨أ) وابن الماجشون عبدالعزيز[(٥)]

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري (ص١٦٤).

(٢) هو: الإمام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف. مات سنة (٣٨٨هـ). انظر: السير (١٧/ ٢٣).

(٣) هو: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي أبو عبدالله القاضي، رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر، أحد الأذكياء، ومن أصحاب الوجوه في المذهب كان متفننًا سيال الذهن، مناظرًا، طويل الباع في الأدب والبيان، مات سنة (٤٠٣هـ).
انظر: السير (١٧/ ٢٣١).

(٤) هو: يعقوب بن إبراهيم، بن حبيب الكوفي، القاضي، الإمام المجتهد، قاضي القضاة، أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة. سنة (١٨٢هـ). انظر: السير (٨/ ٥٣٥).

(٥) هو: عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون -بكسر الجيم بعدها معجمة مضمومة- المدني، نزيل بغداد، مولى آل الهدير، ثقة فقيه، مصنف، من السابعة، مات سنة أربع وتسعين.
انظر: التقريب (ص٦١٣).

وغير هؤلاء من السلف[١] انتهى.

وقال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر[٢]: «الذي أقول إنه إذا نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد[٣] وسعيد[٤] وعبد الرحمن ابن عوف وسائر المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجًا؛ علم أن الله (ع/١٢٤٦) عَزَّوَجَلَّ لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين وأعلام النبوة ودلائل الرسالة، لا من قبل حركة وسكون، ولا من باب الكل والبعض، ولا من باب كان ويكون.

ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجبًا وفي الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازما ما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجب لما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم، ولو كان من علمهم مشهورًا، ومن أخلاقهم معروفًا؛ لاستفاض عنهم وشهروا به، كما شهروا بالقرآن والروايات» انتهى كلامه.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٤٣)، والقول الثاني هو الصواب، والله أعلم.

(٢) في كتاب التمهيد (٧/ ١٩٢).

(٣) يعني الصحابي المشهور سعد بن أبي وقاص.

(٤) يعني ابن زيد، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

قال الناظم:

فصل

في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إله يُعبد ولا فوق السماوات إله يصلى له ويسجد وبيان فساد قولهم عقلًا ونقلًا ولغة وفطرة

والله كان وليس شيء غيره ... وبرى البرية وهي ذو حدثان[1]
فسل المعطل هل يراها خارجًا ... عن ذاته أم فيه حلت ذان
لابد من إحداهما أو أنها ... هي عينه ما ثم موجودان
ما ثم مخلوق وخالقه وما ... شيءٌ مغاير هذه الأعيان
لابد من إحدى ثلاث ما لها ... من رابع خلو عن الروغان
ولذاك قال محقق القوم الذي ... رفع القواعد مدعي العرفان
هو عين هذا الكون ليس بغيره ... أنى وليس مباين الأكوان
كلا وليس مجانبًا أيضًا لها ... فهو الوجود بعينه وعيان
إن لم يكن فوق الخلائق ربها ... فالقول هذا القول في الميزان
إذ ليس يعقل بعد إلا أنه ... قد حل فيها وهي كالأبدان
والروح ذات الحق جل جلاله ... حلت بها كمقالة النصراني
فاحكم على من قال ليس بخارج ... عنها ولا فيها بحكم بيان
بخلافه الوحيين والإجماع والعقل ... الصريح وفطرة الرحمن
فعليه أوقع حد معدوم بلى ... حد المحال بغير ما فرقان

(١) لعله استخدم (ذو) بدل (ذات) للضرورة الشعرية، كما أسلفنا.

يا للعقول إذا نفيتم مخبرًا ونقيضه هل ذاك في الإمكان
إن كان نفي دخوله وخروجه لا يصدقان معًا لذى الإمكان
إلا على عدم صريح نفيه متحقق ببديهة الإنسان
ايصح في المعقول يا أهل النهى ذاتان لا بالغير قائمتان
ليست تباين منهما ذات لأخـ ـرى أو تحايثها فيجتمعان

قوله:

.... أو تحايثها..............

قال في القاموس(١): «حيث كلمة دالة (ع/٢٤٧ب) على المكان كحين في الزمان ويثلث آخره» انتهى.

✡✡✡

إن كان في الدنيا محال فهو ذا فارجع إلى المعقول والبرهان
فلئن زعمتم أن ذلك في الذي هو قابل من جسم أو جثمان(٢)
والرب ليس كذا فنفي دخوله وخروجه ما فيه من بطلان
فيقال هذا أولًا من قولكم دعوى مجردة بلا برهان
ذاك اصطلاح من فريق فارقوا الوحي المبين بحكمة اليونان

احتج الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على بطلان قول الجهمية النفاة لعلو الله سبحانه على خلقه بهذه الحجج القاطعة والبراهين الساطعة فقال:

والله كان وليس شيء غيره ....

(١) انظر: القاموس المحيط (ص٢١٥).
(٢) كذا في النسخ الخطية للنونية، والبيت مكسور هنا، وفي (د) من الشرح «حسبان»، بدل «جثمان».

يشير إلى الحديث الصحيح المرفوع (كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء)(١) يقول: إذا كان الله تعالى (د/١٥٩ب) في الأزل لم يكن معه غيره وخلق المخلوقات، وهذا معنى قوله:

.... **وبرى البرية......................... إلخ**

فسل المعطل هل خلقها خارجًا عن ذاته المقدسة، أو خلقها في ذاته المقدسة، -تعالى عن ذلك-، أو هي عينه كما يقوله الوجودية لعنهم الله تعالى، وهذه قسمة حاصرة؛ لأن المخلوقات: إما أن تكون خلقها في ذاته، أو خارجًا عنها، أو هي عينه، ولا قسم غير هذه الثلاثة، ولذلك قال الناظم:

ولـذاك قـال محقق القـوم الـذي رفع القواعد ....

يعني القائلين بوحدة الوجود فإنهم قالوا: وجود المخلوقات هو عين وجود الخالق، ما ثم غير ولا سوى البتة -تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا-؛ ولهذا قال:

إن لم يكن فـوق الخـلائـق ربها .... **إلخ**

أي إن لم يكن الرب تعالى فوق خلقه، فالقول هذا القول في الميزان، أي في العدل والقياس؛ فإنه إذا لم يكن تعالى مباينًا للأكوان ولا محايثًا لها داخلًا فيها، لم يبق إلا هذا القول؛ إذ ليس يعقل إلا هذا، وأن الروح ذات الحق تعالى حلت بهذا العالم، كما تقوله النصارى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله:

.... **الروغان**

قال في القاموس(٢): «راغ الرجل والثعلب روغًا وروغانًا حاد عن الشيء».

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) (ص١٠١١).

قوله:

فاحكم على من قال ليس بخارج .... إلخ

هذا الكلام لأبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، حكاه عنه الإمام أبو بكر ابن فورك في كتاب المجرد[١] فيما جمعه من كلام ابن كلاب أنه قال[٢] «وأخرج من الخبر والنظر قول من قال لا هو في العالم ولا خارجًا منه[٣]، فنفاه نفيًا مستويًا؛ لأنه لو قيل له صِفه بالعدم لما قدر أن يقول أكثر من هذا.

وَردَّ أخبار الله أيضًا، وقال في ذلك مالا يجوز في نص ولا معقول، ثم قال (ع/٢٤٨أ): «ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو صفوة الله من خلقه، وخيرته من بريته، أعلمهم [جميعًا به- يجيز السؤال][٤] بالأين، واستصوب قول القائل إنه في السماء، وشهد له بالإيمان عند ذلك، وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين ويحيلون القول به.

قال: «ولو كان خطئًا لكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحق بالإنكار له[٥]، وكان ينبغي أن يقول لها[٦]: «لا تقولي ذلك فتوهمي أنه محدود وأنه في مكان دون مكان

---

(١) كتاب المجرد لابن فورك المشهور بعنوان «مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري»، طبع في بيروت، ومنه نسخ خطية في مكتبة عارف حكمت بدار الكتب المصري، ولم أجد العنوان الذي ذكره الشارح، مع أن الشارح ناقل لكلام ابن تيمية. قال شيخنا: «والأولى أن لا يسمى ابن فورك إمامًا؛ لأنه ليس بقدوة في العقيدة».

انظر: تاريخ التراث (٤/ ٥٤).

(٢) كما نقله عنه الناظم في اجتماع الجيوش الإسلاميه لابن القيم (ص٢٨٢).

(٣) قال شيخنا: «يعني أن من قال: «لا هو داخل العالم ولا خارجه...» إلخ فقوله يخالف العقل والشرع».

(٤) ما بين معكوفتين سقط من النسخ الخطية، واستدركناه من «اجتماع الجيوش الإسلامية».

(٥) يعني لفظ «الأين» كما في حديث أبي رزين العقيلي.

(٦) يعني الجارية التي سألها: «أين الله؟» فقالت: في السماء. كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي.

ولكن قولي إنه في كل (د/ ١٦٠أ) مكان لأنه هو الصواب دون ما قلت» كلا فقد أجازه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع علمه بما فيه وأنه من الإيمان، بل الأمر الذي يجب به الإيمان لقائله، ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك، والكتاب ناطق بذلك وشاهد له، وقد غرس في بنية الفطرة[1]، ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد؛ لأنك لا تسأل أحدًا من الناس عنه عربيًّا ولا عجميًّا ولا مؤمنًا ولا كافرًا فتقول أين ربك إلا قال في السماء، أفصح أو أومأ بيده أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح، ولا يشير إلى غير ذلك.

ولا رأينا أحدًا إذا عنَّ له دعاء[2] إلا رافعًا يديه إلى السماء، ولا وجدنا أحدًا غير الجهميةُ يسأل عن ربه فيقول في كل مكان كما يقولون، وهم يدَّعون أنهم أفضل الناس كلهم، فتاهت العقول وسقطت الأخبار واهتدى جهم وخمسون رجلًا معه، نعوذ بالله من مضلات الفتن» انتهى كلامه.

قوله:

يا للعقول إذا نفيتم مخبرًا .... إلخ

بفتح اللام اسم منادى مجرور باللام، إذا استغيث اسم منادى، وجب كون الحرف يا، وكونها مذكورة وغلب جره بلام واجبة الفتح، كقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يالله للمسلمين[3].

معنى كلام الناظم: إنكم نفيتم عنه تعالى النقيضين وهما لا يجتمعان

---

(١) يعني: بناء الفطرة.

(٢) أي ظهر له أو اعترض له.

انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٩٠).

(٣) انظر: كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٤/ ٤١).

ولا يرتفعان فإذا كان تعالى عندكم لا داخل العالم ولا خارجه، فهذا حد المعدوم؛ لأنه هو الذي لا داخل العالم ولا خارجه، فهم وصفوا واجب الوجود تعالى بما يمتنع معه وجوده فضلا عن وجوبه؛ لأن المعدوم لا يوصف إلا بما وصفوا به واجب الوجود تعالى.

ثم قال الناظم:

فلئن زعمتم أن ذلك في الذي ‌‌ هو قابل.......................... إلخ

أي أن هذا إنما يتأتى في الأجسام التي تقبل أن توصف بذلك، والرب تعالى ليس بجسم(١)، فوصفه بأنه لا داخل العالم ولا خارجه غير محذور، فأجابهم الناظم بقوله:

فيقال هذا أولًا من قولكم ‌‌ دعوى.............................. إلخ

هذه دعوى أي أن دعواكم مجردة عن البرهان وإنما هي من اصطلاح فلاسفة اليونان.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (د/ ١٦٠ب):

والشيء يصدق نفيه عن قابل ‌‌ وسواه في معهود كل لسان

أنسيت نفي الظلم عنه وقولك ‌‌ الظلم المحال وليس ذا إمكان

ونسيت نفي النوم والسنة التي ‌‌ ليست لرب العرش في الإمكان

ونسيت نفي الطعم عنه وليس ذا ‌‌ مقبولة والنفي في القرآن

ونسيت نفي ولادةٍ أو زوجة ‌‌ وهما على الرحمن ممتنعان

---

(١) الجسم من الألفاظ المحدثة فلا يصح النفي والإثبات بها حتى يستفصل عنها، فإن دلت على حق قبلت وإلا ردت.

والله قد وصف الجماد بأنه ميت أصم وما له عينان

وكذا نفى عنه الشعور ونطقه والخلق نفيًا واضح التبيان

هذا وليس لها قبول للذي ينفي ولا من جملة الحيوان

معنى كلام الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن الشيء يصدق نفيه عن قابل (ع/٢٤٩ب) وغير قابل، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، معناه أن الرب تعالى لا يجوز عليه النوم والسنة كما نفى الطعم عنه سبحانه في قوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧]، وكما نفى سبحانه الظلم عن نفسه، وهو عندكم محال في حق الرب[(١)] وليس بممكن، وقد تقدم معنى ذلك في قول الناظم: (والظلم عندهم المحال لذاته) إلخ بما يغني عن الإعادة[(٢)].

۞۞۞

قال الناظم:

ويقال أيضًا ثانيًا لو صح هذا الشرط كان لما هما ضدان

لا في النقيضين اللذين كلاهما لا يثبتان وليس يرتفعان

يتوقف فهم كلام الناظم على معرفة النقيضين والضدين فالنقيضان هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالحركة والسكون، والضدان هما اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالسواد والبياض، فمعنى كلام الناظم أن هذا الشرط لو صح وهو أن النفي لا يصح إلا عن القابل لكان ذلك في الضدين لا في النقيضين.

۞۞۞

---

(١) في هامش (ع) «لو قال: وهو عندكم محال لذاته، لكان أولى».

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٥١٠)، والمنتقى للذهبي (ص٣٥)، وإيثار الحق على الخلق (ص٢١٩).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ (د/ ١٦١أ):

ويقال أيضًا نفيكم لقبوله	**لهما يزيل حقيقة الإمكان**
بل ذا كنفي قيامه بالنفس أو	**بالغير في الفطرات والأذهان**
فإذا المعطل قال إن قيامه	**بالنفس أو بالغير ذو بطلان**
إذ ليس يقبل واحدًا من ذينك الـ	**أمرين إلا وهو ذو إمكان**
جسم يقوم بنفسه أيضًا كذا	**عرض يقوم بغيره أخوان**
في حكم إمكان وليس بواجب	**ما كان فيه حقيقة الإمكان**

أي إذا نفيتم قبوله سبحانه (ع/ ٢٥٠أ) لأن يكون داخل العالم أو خارجه، فهذا كنفي قيامه بالنفس أو بالغير، فإذا قال المعطل إن قيامه بنفسه أو بغيره باطلًا، فعلى هذا يستحيل وجوده تعالى وتقدس، ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع، كما أن الجمع بين النقيضين ممتنع؛ لأنه قد يقال إن جميع الممتنعات ترجع إلى الجمع بين النقيضين.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الصواعق[1]: «هذه الحجة القطعية العقلية وهي الاحتجاج بكون الرب تعالى قائمًا بنفسه على كونه مباينًا للعالم، وذلك ملزوم بكونه فوقه عاليًا عليه بالذات، لما كانت حجة صحيحة لا يمكن مدافعتها، وكانت مما ناظر بها الكرامية لأبي إسحق الإسفراييني، فر أبو إسحاق إلى كون الرب قائمًا بنفسه بالمعنى المعقول، وقال لا نسلم أنه قائم بنفسه إلا بمعنى أنه غني عن المحل، فجعل قيامه بنفسه وصفًا عدميًا لا ثبوتيًا، وهذا لازم لسائر المعطلة النفاة لعلوه، ومن المعلوم أن كون الشيء قائمًا بنفسه أبلغ من كونه قائمًا بغيره، وإذا كان قيام

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٢٨).

العرض بغيره يمتنع أن يكون عدميًّا بل وجوديًّا، فقيام الشيء بنفسه أحق أن لا يكون أمرًا عدميًّا بل وجوديًّا، وإذا كان قيام المخلوق بنفسه صفة كمال، وهو مفتقر بالذات إلى غيره، فقيام الغني بذاته بنفسه أحق وأولى» انتهى.

۞۞۞

قال الناظم (د/ ١٦١ب):

فكلاكما ينفي الإله حقيقة	**وكلا كما في نفيه سيان**
ماذا يرد عليه من هو مثله	**في النفي صرفًا إذ هما عدلان**
والفرق ليس بممكن لك بعدما	**ضاهيت هذا النفي في البطلان**
فوزان هذا النفي ما قد قلته	**حرفًا بحرف أنتما صنوان**
والخصم يزعم أن ما هو قابل	**لكليهما فكقابل لمكان**
فافرق لنا فرقًا يبين مواقع الـ	**إثبات والتعطيل بالبرهان**
أولا فأعط القوس باريها وخل الـ	**ـفشر عنك وكثرة الهذيان**

قال الرضي في شرح الكافية[١]: قد يقدر نصب الياء في السعة أيضًا، وذكر المثل فإن باريها مفعول أعط، وهو ساكن الياء، وهو في هذا تابع (ع/ ٢٥١ب) للزمخشري في المفصل[٢].

قال الميداني في أمثاله[٣]: أي استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه وينشد:

---

(١) شرح الشافية لابن الحاجب (٤/ ٤١١)، والرضي:هو محمد بن الحسن الإسترباذي، نزيل النجف، رضي الدين، نحوي، متكلم، منطقي، متشيع. مات سنة (٦٨٦هـ).
انظر: معجم المؤلفين (٩/ ١٨٣)، وكشف الظنون (٢/ ١٣٧٠).

(٢) المفصل للزمخشري (١/ ٥٣٦).

(٣) انظر: مجمع الأمثال (١/ ٢٠٤).
انظر: السير (١٩/ ٤٨٩)، وكشف الظنون (٢/ ١٥٩٧).

يا باري القوس بريًا لست تحسنها لا تفسدنها وأعط القوس باريها[(١)]

قوله:

فكلاكما ينفي الإله حقيقة .... إلخ

أي أن المعطل إذا قال: إن قيامه تعالى بنفسه أو بغيره باطل فقولكم: إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه مثله في البطلان، فكلاكما ينفي الإله حقيقة وكلاكما سواء في نفيه، والله أعلم.

(١) انظر: صبح الأعشى (١/ ٣٦٨)، وجمهرة الأمثال (١/ ٢٠)، والجليس الصالح والأنيس الناصح (١/ ٣٤١) وقال: أنشدهم ابن الأعرابي هذا البيت، وعزاه الرقاشي للأصمعي قال: سمعت العرب تنشد (...فذكره). وانظر: البصائر والذخائر (١/ ٣).

قال الناظم:

فصل
في سياق هذا الدليل على وجه آخر

وسل المعطل عن مسائل خمسة تردي قواعده من الأركان
قل للمعطل هل تقول إلهنا المعبود حقًّا خارج الأذهان
فإذا نفى هذا فذاك معطل للرب حقًّا بالغ الكفران
وإذا أقرَّ به فسله ثانيًا أتراه غير جميع ذي الأكوان
فإذا نفى هذا وقال بأنه هو عينها ما ها هنا غيران
فقد ارتدى بالاتحاد مصرحًا بالكفر جاحد ربه الرحمن
حاشا النصارى أن يكونوا مثله وهم الحمير وعابدو الصلبان
هم خصصوه بالمسيح وأمه وأولاء ما صانوه عن حيوان
وإذا أقر بأنه غير الورى عبد ومعبود هما شيئان
فاسأله هل هذا الورى في ذاته أم ذاته فيه هنا أمران
فإذا أقر بواحد من ذينك الأ مرين قبل خده النصرانِ
ويقول أهلا بالذي هو مثلنا خشداشنا وحبيبنا الحقان
وإذا نفى الأمرين فاسأله إذًا هل ذاته استغنت عن الأكوان
فلذاك قام بنفسه أم قام بالـ أعيان كالأعراض والأكوان
فإذا أقر وقال بل هو قائم بالنفس فاسأله وقل ذاتان
بالنفس قائمتان أخبرني هما مثلان أو ضدان أو غيران
وعلى التقادير الثلاث فإنه لولا التباين لم يكن شيئان

ضدين أو مثلين او غيرين كا ... نا بل هما لا شك متحدان[1]

فلذاك قلنا إنكم باب لمن ... بالاتحاد يقول بل بابان

نقطتم لهم وهم خطوا على ... نقط لكم كمعلم الصبيان

حاصل هذه الأبيات هو أن الناظم يقول:

سل المعطل عن خمس مسائل:

الأولى: هل تقول إن الله تعالى خارج (د/ ١٦٢أ) الأذهان؟ فإن نفى ذلك فقد كفر حقًّا بلا شك.

والثانية: سله إن أقر بذلك عن المسألة الثانية وهو أنه هل هو الأكوان أو غيرها فإنه لابد أن يقول هو الأكوان أو غيرها فإذا قال هو عين الأكوان فقد قال بالاتحاد وهو أكفر قول وأشنع مذهب، بل القائل بذلك أكفر من النصارى؛ لأن النصارى خصصوه (د/ ١٦٢ب) بالمسيح وأمه، وهؤلاء عمموه بكل موجود؛ ولهذا قال الناظم:

حاشا النصارى أن يكونوا مثله ... .إلخ

وإذا أقر المعطل بأنه غير الورى فسله:

ثالثا: هل هذا الورى في ذاته أوذاته فيه فإذا أقر بواحد من هذين فقد قال بالحلول[2]، ولهذا قال الناظم:

---

(١) قوله: «كانابل»، هما كلمتان (كانا – بل)، لأن الضدين أوالمثلين أوالغيرين، فلذلك قال كان، ثم جاءت بعدها (هما) تأكيدًا لضمير المثنى، والله أعلم.

(٢) **الحلول نوعان:**

١- **حلول خاص:** مثل قول النصارى الذين يقولون: أن اللاهوت حل في الناسوت، وقول الرافضة الذين يقولون: إن الرب تعالى حل في علي، تعالى الله عن قولهم.

٢- **حلول عام:** وهو الذي ذكره عنهم الأئمة: أن بذاته في كل مكان. =

فـإذا أقـر بـواحـد مـن ذيـنـك الأ مـريـن قـبـل خـده الـنـصـرانـي

وقوله:

.... خشداشنا ....

هذه كلمة تعظيم وهي غير عربية.

وإن نفى المعطل الأمرين، أي: أن نفى إن ذاته حلت في الورى أو حل الورى في ذاته، فاسأله: هل ذاته تعالى استغنت عن الأكوان ولذلك قام بنفسه أم قام بالأعراض الأكوان، وإن أقر وقال بل هو قائم بالنفس فاسأله وقل ذاتان قامتا بالنفس أخبرني هل هما مثلان أو ضدان أو غيران.

الضدان هما: اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان، كالسواد والبياض(١). والمثلان

= قال شيخنا: «الحلول والاتحاد معناهما واحد».

فإن عقيدة الوحدة قائمة على أساس نفي الإثنينية، وأن الله -تعالى- والوجود شيء واحد لا ينقسم، بل وجود هذا العالم هو عين وجود الله -تعالى-، وهو حقيقة وجود هذا العالم، فليس عندهم رب وعبد ولا مالك ولا مملوك ولا راحم ولا مرحوم ولا عابد ولا معبود، بل المالك هو المملوك، والراحم هو المرحوم، والعابد هو المعبود، فهذه العقيدة أخبث وأشد كفرًا من عقيدة الاتحاد.

انظر: الشيخ أبا إسماعيل الهروي وآراءه الاعتقادية لأمل سليمان الموسى (٢/ ٥٩٥)، ومعجم ألفاظ العقيدة (ص٤٤٠).

(١) الضدان: هما صفتان مختلفتان تتعاقبان على موضوع واحد، ولا تجتمعان، كالسواد والبياض، والتهور والجبن، وهذا التضاد عند كثير من الناس لا يكون إلا في الأعراض لا في الأعيان، والفرق بين الضدين والنقيضين هو أن النقيضين هما صفتان متعاقبتان على موضوع واحد، لا تجتمعان ولا ترتفعان كالوجود والعدم، والحق والباطل.

فبين النقيضين والضدين عموم وخصوص من وجه،فهما يشتركان في أنهما:

١. صفتان.

٢. ومختلفتان.

٣. ويتعاقبان على أمر واحد. =

لا يجتمعان ويرتفعان لتساوي الحقيقة كبياض وبياض[(١)]. والغيران هما: المختلفان وقيل: هما الموجودان اللذان يمكن أن يفارق أحدهما الآخر بوجه[(٢)].

= ٤. ولا تجتمعان.
٥. وإذا وجد أحدهما لزم ارتفاع الآخر.
وينفرد النقيضان بأنهما لا يرتفعان، بينما يجوز الارتفاع في الضدين.
فكل نقيض يتضمن الضد ولا عكس. والله أعلم.
انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ٩٨-١٠٠)، والمعجم الفلسفي (١/ ٧٥٤)، والحدود الأنيقة لزكريا الأنصاري (ص٧٣).

(١) هذا قول ابن النجار في شرح مختصر التحرير (١/ ٦٩) وهو قول من ينفي التماثل، وتعليلهم هو: أن الشيئين إذا اشتركا من كل وجه فلا تعدد، فضلًا عن التماثل!! وهو قول ظاهر الفساد؟ بل إن المتماثلين هما اللذان يمكن اجتماعها وقد يرتفعان، لكن التماثل في الماهية لا يوجب أن يكون أحدهما عين الآخر، ولا أن يكون مساويًا له في الأحكام اللازمة للتعيين، ولا يجوز نفي وقوعه،فإنا إذا قلنا: إن المثلان: هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان نفينا وقوع التماثل.
ولهذا فإن تعريف المؤلف للمثلين ينافي مقصد الناظم الذي أراد إثبات وقوع التماثل بين الأعيان المتشابهة، بل ويخالف قوله بعد أسطر «فلا بد من ثبوت شيئين...».
والتماثل بين الأعيان المتشابهة واقع نشهده،كالحبتين من الحنطة مثلًا فإنا نعلم أن عين الأولى ليست عين الثانية، ولا الأعراض التي قامت بالأولى هي الأعراض التي قامت بالثانية، وأن ما امتازت به الأولى من الصفات لا يجوز أن تكون للأخرى.
ومن المعلوم أن التماثل واضح، وهو يوجب التعدد دفعًا للحلول، فإن المتماثلين ليسا شيئًا واحدًا، بل هما عدد، ولهذا عرف بعضهم المثلين بقوله: «ما قام أحدهما مقام الآخر وسد مسده، وعمل عمله».
انظر: نقض التأسيس (٢/ ٢٤١-٢٤٢)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٤٤٩)، وشرح العقيدة السفارينية للشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع (ص٣٧٧)، وكشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ١٤٤)، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٤٢١).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية:«الغيران: ما جاز مفارقة أحدهما الآخر بزمان أو مكان أو وجود» اهـ. والغيران هما المتغايران؛ولهذا ذكر المؤلف أن بعضهم قال: هما الخلافان. وقال ابن القيم: «الغيران: اللذان لا يكون أحدهما صفة للآخر، ولا أحدهما قائمًا بالآخر لابد أن يتباينا، إذ لو لم يتباينا لزم اتحاد أحدهما بالآخر أو حلوله فيه حلـول الصفة في الموصوف أو حلول الحال في المحل» اهـ.=

والخلافان: ما قام أحدهما مقام الآخر وسد مسده وعمل عمله، وقيل: هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة، فهما لا يجتمعان ويرتفعان لتساوي الحقيقة، كبياض وبياض[1] كل موجودين (ع/٢٥٣ب) غير متفقين في جميع صفات النفس والغيران نحو منهما والمثلان ضد لهما.

وقول الناظم:

وعلى التقادير الثلاث فإنه ... لولا التباين لم يكن شيئان

أي لأن الموجودين إما أن يكونا ضدين أو مثلين أو غيرين، وعلى جميع هذه التقادير فلابد من ثبوت شيئين، ثم قال:

فلذاك قلنا إنكم باب لمن ... بالاتحاد يقول بل بابان

نقطتم لهم وهم خطوا على ... نقط لكم ....

أي كما أن معلم الصبيان أولًا ينقط لهم حروف الهجاء ثم يكتبها، فكذلك أنتم ومن يقول بالاتحاد، والله أعلم (ع/٢٥٤أ).

= انظر: درء التعارض (٩/ ١٣٦)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٣٣٣٢١٢)، وكشاف اصطلاح الفنون (٣/ ٣٩٣)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ٤٤٩).

(١) هذا تعريف المثلان كما حكاه السفاريني في لوامع الأنوار (٢/ ٤٤٩) وأما الخلافان: فهما اللذان يجتمعان ويرتفعان، كالحركة والبياض في الجسم الواحد. وهنا لا بد من قيد: وهو أن الخلافين قد يتعذر ارتفاعهما لخصوص حقيقة غير كونهما خلافين، كذات واجب الوجود -سبحانه- وصفاته، فإنه لا يجوز افتراضهما بحال.
انظر: شرح الكوكب المنير (١/ ٦٨-٦٩).

قال الناظم:

فصل

في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة على أن الله سبحانه فوق سماواته على عرشه

(د/ ١٦٣أ)

ولقد أتانا عشر أنواع من الـ ... منقول في فوقية الرحمن
مع مثلها أيضًا يزيد بواحد ... ها نحن نسردها بلا كتمان
منها استواء الرب فوق العرش في ... سبع أتت في محكم القرآن
وكذلك اطردت بلا لام ولو ... كانت بمعنى اللام في الأذهان
لأتت بها في موضع كي يحمل الـ ... باقي عليها بالبيان الثاني
ونظير ذا إضمارهم في موضع ... حملًا على المذكور في التبيان
لا يضمرون مع اطراد دون ذكر ... المضمر المحذوف دون بيان
بل في محل الحذف يكثر ذكره ... فإذا هم ألفوه ألف لسان
حذفوه تخفيفًا وإيجازًا فلا ... يخفى المراد به على الإنسان
هذا ومن عشرين وجهًا يبطل الـ ... تفسير باستولى لذي العرفان
قد أُفرِدت بمصنف لإمام هذا الـ ... شأن بحر العالم الحراني

هذا هو الدليل الأول من أدلة علو الله سبحانه على عرشه.

قوله:

.... في سبع أتت في محكم القرآن

وهي قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وفي سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

﴿ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس:٣]، وفي سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢]، وفي سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩]، وفي طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وفي سورة السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة:٤]، وفي سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الحديد:٤] الآية.

قوله:

وكـــذا اطـــــردت بـــلا لام .... إلخ

أي أن لفظة استوى اطردت بلا لام أي بلا لام استوى[(١)]، فلو كانت بمعنى اللام، لأتت باللام في بعض المواضع كي يحمل الباقي عليها، كما أنهم يضمرون (د/ ١٦٣ب) في موضع ليحمل الباقي عليه في مواضع أُخر، والله أعلم.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الصواعق المرسلة -(ع/ ٢٥٥ب) في إبطال تفسير الاستواء بالاستيلاء-[(٢)]: «الوجه الرابع أن هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة، حيث ورد بلفظ الاستواء دون الاستيلاء، ولو كان معناه استولى لكان استعماله في أكثر موارده كذلك.

فإذا جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى لأنه المألوف المعهود، وأما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد، فيدعى صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ففي غاية الفساد، هذا لولم

(١) يعني لم ترد بلفظ (استولى) باللام.

(٢) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ١٢٨)، لكنه ذكر هذا الكلام في الوجه السابع لا الرابع، وانظر: الصواعق (١/ ٣٨٦).

يكن في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك» انتهى.

قوله:

هذا ومن عشرين وجهًا يبطل الـ تفسير باستولى............... إلخ

أي أن شيخ الإسلام أفرد مصنفًا في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] وأبطل تفسير الاستواء بالاستيلاء من عشرين وجهًا، وزاد الناظم وجهًا فصارت إحدى وعشرين، وفي الصواعق المرسلة رد تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين وجهًا[1].

(١) لم أقف على تلك الأوجه التي ذكرها ابن تيمية في الرد على من تأول (استوى) باستولى، لكن أشار إليها التقي السبكي في السيف الصقيل، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة ضمن مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٤) ذكر فيها اثنى عشر وجهًا فقط؟!

أما الوجوه التى زادها ابن القيم على ما ذكر شيخ الإسلام فليست في الصواعق المرسلة، فلعلها في الجزء المفقود منه، وقد حفظ لنا العلامة محمد الموصلي في مختصر الصواعق المرسلة تلك الأوجه التى زادها ابن القيم على شيخه ابن تيمية، وهي تتضمن الأوجه التي ذكرها شيخ الإسلام، والله أعلم.

انظر: مختصر الصواعق (٣/ ٨٨٨).

قال الناظم:

فصل

هذا وثانيها صريح علوه ... وله بحكم صريحه لفظان
لفظ العَلِي ولفظة الـ ... أعلى معرفة لقصد بيان
إن العلو له بمطلقه على الـ ... ـتعميم والإطلاق بالبرهان
وله العلو من الوجوه جميعها ... ذاتًا وقهرًا مع علو الشاني
لكن نفاة علوه سلبوه إكـ ... ـمال العلو فصار ذا نقصان
حاشاه من إفك النفاة وسلبهم ... فله الكمال المطلق الرباني
وعلوه فوق الخليقة كلها ... فطرت عليه الخلق والثقلان
لا يستطيع معطل تبديلها ... أبدًا وذلك سنة الرحمن
كل إذًا ما نابه أمر يُرى ... متوجها بضرورة الإنسان
نحو العلو فليس يطلب خلفه ... وأمامه أو جانب الإنسان
ونهاية الشبهات تشكيك وتخـ ... ـميش وتغيير على الإيمان
لا يستطيع تعارض المعلوم والـ ... ـمعقول عند بداية الأذهان
فمن المحال القدح في المعلوم بالشـ ... ـبهات هذا بين البطلان
وإذا البداءة قابلتها هذه الشـ ... ـبهات لم تحتج إلى بطلان
شتان بين مقالة أوصى بها ... بعض لبعض أول للثاني
ومقالة فطر الإله عباده ... حقًّا عليها ما هما عدلان

هذا هو الدليل الثاني من أدلة (ع/ ٢٥٥ب) علو الله على خلقه، وحاصل (د/ ١٦٤أ) كلام الناظم: أن الله تعالى وصف نفسه بالعلو وأتى في ذلك لفظان:

أحدهما: لفظ العلي في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

والثاني: لفظ الأعلى كما في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، وذلك لبيان أن العلو مطلقًا له سبحانه، أي علو الذات وعلو القدر وعلو القهر، وأما النفاة فلم يثبتوا له سبحانه إلا علو القدر وعلو القهر، ونفوا علو الذات -تعالى الله عما يقولون-، وقد احتج الناظم عليهم بما فطر الله تعالى عليه الخليقة مسلمها وكافرها، بل هو شيء فطر الله عليه الثقلين؛ ولهذا ترى الخلق مجمعين على ذلك فترى من نابه أمر يتوجه نحو العلو ضرورة.

وقد تقدم ما أورده أبو جعفر الهمداني على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في ذلك وأنه قال له: «يا أستاذ أخبرنا عن هذه الضروة التي نجدها في قلوبنا ما قال قط عارف يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة...»(١).

أراد الشيخ(٢): أن إقرار الفطر بأن معبودها ومدعوها فوق، هو أمر ضروري عقلي فطري، وأنت دليلك في نفي العلو نظري، والنظري لا يعارض الضروري، وذلك نحو ما يجيبون به عن هذا القصد الضروري، مثل قولهم: إن السماء قبلة الدعاء ومثل معارضتهم ذلك بوضع الساجد (ع/ ٢٥٦أ) جبهته على الأرض (د/ ١٦٤ب) ونحو ذلك، كما أشار إلى ذلك الناظم بقوله:

ونهاية الشبهات تشكيك وتخـ ـميش ....

---

(١) حديث عمران بن حصين المتقدم وفيه (أن النبي ﷺ سأل حصين: «كم تعبد؟» قال: ستة، خمسة في الأرض وواحد في السماء...) الحديث. هذا الحديث مختلف في درجته، لكنه لو صح فهو أولى أن يكون هنا بدل قصة أبي جعفر الهمداني مع الجويني.

(٢) أبا جعفر الهمداني.

وقوله:

وإذا البداية قابلتها هذه الـ شبهات ....

أي أن علو الرب سبحانه فوق خلقه أمر معلوم بالفطرة والبداهة، فلا يعارض بالنظريات والشبهات.

فأما قولهم: إن السماء قبلة الدعاء، فهو قول باطل لم يقله أحد من سلف الأمة ولا أنزل الله به من سلطان، والذي صح أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، وقد صرح العلماء بأنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة، وقد استقبل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة.

فمن قال: إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة، فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين.

وأما ثانيًا: فلأن القبلة ما يستقبله الداعي بوجهه، كما نستقبل الكعبة في الصلاة، وما حاذاه الإنسان بيديه أو رأسه مثلًا لا يسمى قِبْلَة أصلًا، فلو كانت السماء قبلة الدعاء، لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، ولم يثبت ذلك في شرع أصلًا.

وأما النقض بوضع الجبهة: فما أفسده من نقض؛ فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل لا أن يميل إليه إذ هو تحته، بل هذا لا يخطر بقلب ساجد، وأيضًا فالساجد في نفس السجود يصرح بأن ربه هو الأعلى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

---

(١) انظر: نقض التأسيس (٢/ ٤٥٩) وما بعدها، وشرح الطحاوية (ص٢٩٣) ط. المكتب الإسلامي.

قال الناظم:

فصل

هذا وثالثها صريح الفوق مصـ ـحوبًا بمن وبدونها نوعان
إحداهما هو قابل التأويل والـ أصل الحقيقة وحدها ببيان
فإذا ادعى تأويل ذلك مدع لم تقبل الدعوى بلا برهان
لكنما المجرور ليس بقابل الـ تأويل في لغة وعرف لسان
واصغ لفائدة جليل قدرها تهديك للتحقيق والعرفان
إن الكلام إذا أتى بسياقه يبدي المراد لمن له أذنان
أضحى كنص قاطع لا يقـ بل التأويل يعرف ذا أولو الأذهان
فسياقه الألفاظ مثل شواهد الـ أحوال إنهما لنا صنوان
إحداهما للعين مشهود بها لكنَّ ذاك لمسمع الإنسان
فإذا أتى التأويل بعد سياقه تبدي المراد أتى على استهجان
وإذا أتى الكتمان بعد شواهد الـ أحوال كان كأقبح الكتمان
فتأمل الألفاظ وانظر ما الذي سيقت له إن كنت ذا عرفان
والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه لفاطر الأكوان
لكنْ نفاة الفوق ما وفوا به جحدوا كمال الفوق للديان
بل فسروه بأن قدر الله أعـ ـلى لا بفوق الذات للرحمن
قالوا وهذا مثل قول الناس في ذهب يرى من خالص العقيان
هو فوق جنس الفضة البيضاء لا بالذات بل في مقتضى الأثمان
والفوق أنواع ثلاث كلها لله ثابتة بلا نكران
هذا الذي قالوا وفوق القهر والـ ـفوقية العليا على الأكوان

هذا هو الدليل الثالث (د/ ١٦٥أ) من أدلة علو الله تعالى على خلقه (ع/ ٢٥٧ب)، وهو صريح الفوق مصحوبًا بمن، كما في قوله سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، وأتى صريح الفوق أيضًا غير مصحوب بمن، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨، ٦١]، وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أن المجرور بمن لا يقبل التأويل أصلا[(١)]، وأما غير المجرور بمن، فإن ادعى مدع تأويله لم يقبل منه؛ لأن الأصل الحقيقة فلا تقبل دعوى المجاز بغير دليل ولا دليل هناك، وهذا في غاية الظهور[(٢)].

قوله:

واصــغ لـفـائـدة جـلـيـل قـدرهـا .... إلخ

مضمون هذه الفائدة قد ذكره الناظم في موضع آخر[(٣)] فقال: المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص، وإنما يدخل في الظاهر المحتمل له، وكون اللفظ نصًا يعرف بشيئين:

أحدهما: عدم احتماله لغير معناه وضعًا.

والثاني: ما اطرد استعماله على طريقة واحدة (د/ ١٦٥ب) في جميع موارده؛ فإنه نص في معناه، لا يقبل تأويلًا ولا مجازًا، وإن قدر تطرق ذلك إلى بعض أفراده، وصار بمنزلة خبر التواتر لا يتطرق احتمال الكذب إليه، وإن تطرق إلى كل واحد بمفرده[(٤)].

---

(١) انظر: مغني اللبيب (١/ ٣٤٩).

(٢) قال ابن القيم في مختصر الصواعق (٣/ ١٠٦٤-١٠٦٤): «فوقية الرب مقرونة بمن، كقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠] فهذا صريح في فوقية الذات، ولا يصح حمله على فوقية الرتبة لعدم استعمال أهل اللغة له» اهـ.

(٣) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٠).

(٤) التواتر ليس من مباحث الإسناد، لأنه لا يتعلق بصفات المخبرين، فلو تطرق الكذب إلى بعض رواة الخبر المتواتر فلا يؤثر ذلك.

هذا الذي يفهم من كلام الذين تكلموا في المصطلح من علماء الحديث. =

وهذه قاعدة نافعة تدل على خطأ كثير من التأويلات للسمعيات التي أطرد إستعمالها في ظاهرها، وتأويلها والحالة هذه غلط، فإن التأويل، إنما يكون لظاهر قد ورد شاذًّا مخالفًا لغيره من السمعيات فيحتاج إلى تأويله ليوافقها، وأما إذا إطردت كلها على وتيرة واحدة، صارت بمنزلة النص وأقوى، وتأويلها ممتنع انتهى.

قوله:

والفوق وصف ثابت بالذات من ... كل الوجوه لربنا الرحمن

أي أن فوقية الذات وفوقية القدر (ع/٢٥٨أ) وفوقية القهر ثابتة لربنا سبحانه، لكن المعطلة جحدوا فوقية الذات وتأولوها بقولهم: «إن هذا مثل قول الناس في الذهب وإنه فوق الفضة، أي فوقية القدر، والأمير فوق الوزير»(١).

ومعلوم أن هذا مما تنفر منه العقول السليمة؛ فإن قول القائل ابتداء الله خير من عباده أو خير من عرشه، من جنس قوله الثلج بارد والنار حارة والشمس أضوء من السراج والسماء أعلى من سقف الدار ونحو ذلك، وليس في ذلك أيضًا تمجيد

= قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٥٨): «ولهذا كان علماء الحديث الجهابذة فيه المتبحرون في معرفته، قد يحصل لهم اليقين التام بأخبار، وإن كان غيرهم من العلماء قد لا يظن صدقها فضلًا عن العلم بصدقها، ومبنى هذا على أن الخبر المفيد للعلم يفيده من كثرة المخبرين تارة، ومن صفات المخبرين أخرى، ومن نفس الإخبار به أخرى، ومن نفس إدراك المخبر له أخرى، ومن الأمر المخبر به أخرى.

فرب عدد قليل أفاد خبرهم العلم لما هم عليه من الديانة والحفظ الذي يؤمن معه كذبهم أو خطؤهم، وأضعاف ذلك العدد من غيرهم قد لا يفيد العلم.

هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وهو قول جمهور الفقهاء والمحدثين وطوائف من المتكلمين» اهـ.

انظر: اليواقيت والدرر شرح نخبة الفكر للمناوي (١/ ١٣٣-١٤٧).

(١) انظر: المفردات للراغب (٢/ ٥٠١)، وحكاه ابن القيم في الصواعق (٤/ ١٣٤١) عن المعطلة، وانظر مختصره (٣/ ١٦٠- ١٦١).

ولا تعظيم لله تعالى، بل هو من أرذل الكلام، فكيف يليق حمل الكلام المجيد عليه وهو الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا[١].

---

(١) ويضاف إلى ذلك ـ أيضًا ـ أنه لم يرد في القرآن أن الله تعالى مدح نفسه بأنه أفضل من العرش أو أن رتبته فوق رتبة العرش أو أنه خير من السموات والعرش والكرسي، وإنما ورد في سياق الرد على من عبد معه غيره وأشرك معه في إلهيته، فبين الله تعالى أنه خير من تلك الآلهة كقوله: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف:٣٩]، وقوله: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه:٧٣].
وأيضًا لم يرد في القرآن مدحه وثناؤه على نفسه بأنه خير من السموات والأرض ابتداءً، ولا يصح إلحاق هذا بذاك.
انظر: مختصر الصواعق (٣/ ١٠٦٢-١٠٦٣).

قال الناظم:

فصل

هذا ورابعها عروج الروح والـ ... أملاك صاعدة إلى الرحمن
ولقد أتى في سورتين كلاهما اشـ ... ـتملا على التقدير بالأزمان
في سورة فيها المعارج قدرت ... خمسين ألفًا كامل الحسبان
وبسجدة التنزيل ألفًا قدرت ... فلأجل ذا قالوا هما يومان
يوم المعاد بذي المعارج ذكره ... واليوم في تنزيل في ذا الآن
وكلاهما عندي فيوم واحد ... وعروجهم فيه إلى الديان
فالألف فيه مسافة لنزولهم ... وصعودهم نحو الرفيع الداني
هذي السماء فإنها قد قدرت ... خمسين في عشر وذا ضعفان
لكنما الخمسون ألف مسافة السـ ... ـبع الطباق وبعد ذي الأكوان
من عرش رب العالمين إلى الثرى ... عند الحضيض الأسفل التحتاني
واختار هذا القول في تفسيره ... البغوي ذاك العالم الرباني
ومجاهد قد قال هذا القول لـ ... ـكن ابن إسحاق الجليل الشان
قال المسافة بيننا والعرش ذا الـ ... ـمقدار في سير من الإنسان
والقول الاول قول عكرمة ... وقول قتادة وهما لنا علمان
واختاره الحسن الرضى ورواه عن ... بحر العلوم مفسر القرآن
ويرجح القول الذي قد قاله ... ساداتنا في فرقهم أمران
إحداهما[1] ما في الصحيح لمانع ... لزكاته من هذه الأعيان

---

(١) في (ع) «إحدايهما» وهو خطأ، والتصحيح من (د).

يكوى بها يوم القيامة ظهره ... وجبينه وكذلك الجنبان
خمسون ألفا قدر ذاك اليوم في ... هذا الحديث وذاك ذو تبيان
فالظاهر اليومان في الوجهين يو ... م واحد ما أن هما يومان
قالوا وإيراد السياق يبين الـ ... ـمضون منه بأوضح التبيان
فانظر إلى الإضمار ضمن يرونه ... ويراه ما تفسيره ببيان
فاليوم بالتفسير أولى من عذا ... ب واقع للقرب والجيران
ويكون ذكر عروجهم في هذه ... الدنيا ويوم قيامة الأبدان
فنزولهم أيضًا هنالك ثابت ... كنزولهم أيضًا هنا للشان
وعروجهم بعد القضا كعرو ... جهم أيضًا هنا فلهم إذا شأنان
ويزول هذا السقف يوم معادنا ... فعروجهم للعرش والرحمن
هذا وماالتضحت لدي وعلمها ... الموكول بعد لمنزل القرآن
وأعوذ بالرحمن من جزم بلا ... علم وهذا غاية الإمكان
والله أعلم بالمراد بقوله ... ورسوله المبعوث بالفرقان

هذا هو الدليل الرابع من أدلة علو الله تعالى على خلقه وهو عروج الروح والملائكة إليه تعالى.

قوله:

ولقد أتى في سورتين كلاهما ... إلخ

ففي سورة المعارج قال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، وفي (د/١٦٦أ) سورة السجدة قال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥]، والمراد بالروح هنا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يعرج إلى الله تعالى.

واختلف المفسرون في تفسير الآيتين، وقد حكى الناظم ذلك الاختلاف، واختار أنهما يوم واحد، وأن المراد في آية السجدة من الأرض إلى السماء الدنيا ألف سنة مسافة لصعودهم ونزولهم وذلك ألف سنة، وأما في سورة المعارج فالمعنى أن ذلك مسافة السبع الطباق من العرش إلى الثرى[١] أي أسفل الأرض السابعة، وذكر أن البغوي اختار هذا القول[٢] وهو قول مجاهد، والقول الأول قول عكرمة[٣] وقتادة[٤] والحسن[٥].

وعبارة البغوي في تفسيره[٦] «قال قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤] من سنى الدنيا، لو صعد غير الملك؛ وذلك أنها تصعد من منتهى أمر الله من الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله فوق السماء السابعة، وروى ليث عن مجاهد أن مقدار هذا خمسين[٧] ألف سنة[٨].

وقال محمد بن إسحاق: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة وقال عكرمة وقتادة هو يوم القيامة، وأراد أن (ع/ ٢٦٠أ) موقفهم

---

(١) في هامش (ع) «الظاهر أن قوله: [السبع الطباق] غلط سبقة قلم، لأن المراد:السماوات السبع» اهـ.
الذي يظهر لي -والله أعلم- أن عبارة المؤلف واضحة؛ لأنه أراد بذلك المسافة من الأرض إلى سدرة المنتهى، وليست سبق قلم، بل هي عبارة البغوي الآتية، والله أعلم.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٨/ ٢٢٠).

(٣) القول الأول أنهما يومان.

(٤) هو: قتادة بن دعامة، أبو الخطاب السدوسي، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين.
قال الحافظ في التقريب: «ثقة ثبت». مات سنة (١١٨هـ). انظر: السير (٥/ ٢٦٩)، والتقريب (ص٧٩٨) أشبال.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٢٧).

(٦) معالم التنزيل (٨/ ٢٢٠).

(٧) في (ع) «صوابه خمسون».

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٢٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٢٢٠).

للحساب حتى يفصل بين الناس خمسين ألف سنة من سني الدنيا، ليس يعني به أن مقدار طوله هذا دون غيره؛ لأن يوم القيامة (د/ ١٦٧أ) له أول وليس له آخر، لأنه يوم ممدود[(١)]، ولو كان له آخر لكان منقطعًا!!

وروى [ابن][(٢)] أبي طلحة عن ابن عباس: [هو][(٣)] يوم يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة[(٤)].

ثم روى بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله ﷺ: يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فما أطول هذا اليوم؟ قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»**[(٥)] معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك غير الله لم يفرغ منه خمسين في ألف سنة، وهذا معنى قول ابن عباس ومقاتل[(٦)]. قال عطاء: ويفرغ الله في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا» انتهى كلام البغوي.

---

(١) في (م) «معدودة»، وهو تحريف، والمثبت من تفسير البغوي والثعلبي؛ ولأنه لو كان معدودًا لكان له آخر، مع أن العبارة في النسخ الخطية تحتمل الأمرين.

(٢) الأصل و(د) «عن»، والتصويب من تفسير البغوي.

(٣) ما بين معكوفتين من تفسير البغوي.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٢٧)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٣٩٢) كلاهما عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، لكن ذكر الثعالبي في الجواهر الحسان (١٠/ ٣٦) أن أبا الجوزاء روى مثله عن ابن عباس.

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٩٥) من طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد به وإسناده ضعيف جدًّا لحال ابن لهيعة. قال عنه في التقريب (ص٥٣٨): «صدوق خلّط بعد احتراق كتبه» ودراج ضعيف، وإذا انضم إلى ذلك روايته عن أبي الهيثم ازداد ضعفه أضعافًا.

(٦) وهو قول الحسن، ورجحه القرطبي، مع أنه ذكر قول ابن عباس ولم يرجحه وهو بمعناه، ولعله ذهول منه، والله أعلم انظر: أحكام القرآن للقرطبي (٢١/ ٢٢٥).

واحتج الناظم لما اختاره بما في الصحيح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عقوبة مانع الزكاة أنها تحمى عليه صفائح من نار فيكوى بها جبينه وظهره وجنبه، كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره ألف سنة(1)... الحديث.

قوله:

ومــــا نــضــجــت لــــدي .... إلخ

قال في القاموس(2): «نضج التمر واللحم نضيجًا ونضجًا أدرك فهو نضيج وناضج وأنضجه، وهو نضيج الرأي محركه محكمة» انتهى يعني الناظم أن هذه المسألة لم تتضح عنده؛ ولهذا فوض علمها إلى الله سبحانه والله أعلم(3).

---

(١) أخرجه مسلم في الزكاة (٢/ ٦٨٠)، باب مانع الزكاة.

(٢) القاموس (ص٢٦٥).

(٣) **خلاصة ذلك**: أن هذه المسألة فيها قولان لأهل العلم:

القول الأول: أنهما يومان، فاليوم المذكور في سورة المعارج هو يوم المعاد كما يفيده السياق في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ⑥ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ⑦ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج:٦-٨]. أما اليوم المذكور في سورة السجدة فهو يوم الدنيا.

وهذا قول كثير من المفسرين، منهم عكرمة وقتادة، واختاره الحسن البصري وأسنده لابن عباس.

القول الثاني: أنهما يوم واحد، والاختلاف الوارد في الآيتين إنما هو في المسافة، فالخمسين التي في المعارج هي مدة المسافة من أسفل الأرض إلى العرش، أما الألف التي في سورة السجدة، فالمراد بها صعود الملائكة ونزولهم من السماء الدنيا إلى الأرض؛ لأن المسافة بينهما خمسمائة عام، فالصعود والنزول يحتاج إلى ألف سنة، وهو قول الطبري والبغوي ورجحه الناظم.

واستدل أصحاب القول الأول بما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم، فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**».

فهذا يتعلق بالخمسين ألف التي في سورة المعارج، أما الألف التي في سورة السجدة فإنه في الدنيا، لأن السياق يدل عليه. =

= والذي يظهر لي من هذه المسألة ـ والله أعلم ـ أن الصواب مع أصحاب القول الأول لظهور الأدلة.

وقد رجحه الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وذكر أنه قول جمهور المفسرين، ورجحه ـ أيضًا ـ الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ وقال: «والظاهر لي أن آية المعارج: التقدير فيها ليوم القيامة، وأن معنى الكلام: الإخبار بعظمة ذلك اليوم وطوله العظيم، وأنه في ذلك اليوم يظهر للخلائق من عظمة الرب وعظمة ملكه وكمال تدبيره...».

إلى أن قال: «والسياق في الآيات التي في المعارج يدل على ذلك، وأما تقديره بالألف في سورة السجدة فإنه في الدنيا؛ لأن السياق -أيضًا- يدل عليه، فإنه في سياق بيانه؛ ليعرفوا عظمة الله وكبرياءه ونفوذ تدبيره» اهـ.

أما القول بأنها يوم واحد فهو قول يرده الحديث ويأباه سياق الآيات، وإن كان القول الثاني فيه من القوة ما دفع الناظم إلى عدم الجزم بالقول الذي قال به، واعتذر بأن المسألة لم تتضح له وضوحًا كاملًا. والله أعلم.

انظر: شرح النونية لخليل هراس (١/ ٢٠٢-٢٠٨)، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب للإمام الشنقيطي (ص٢٢٢)، والكافية الشافية (٢/ ٣١٠)، ط. عالم الفوائد.

قال الناظم:

فصل

هذا وخامسها صعود كلامنا ... بالطيبات إليه والإحسان

وكذا صعود الباقيات الصالحا ... ت إليه من أعمال ذي الإيمان

وكذا صعود تَصدُّقٍ من طيب ... أيضا إليه عند كل أوان

وكذا عروج ملائك قد وكلوا ... منَّا بأعمال وهم بدلان

فإليه تعرج بكرة وعشية ... والصبح يجمعهم على القرآن

كي يشهدون ويعرجون إليه بالـ ... أعمال سبحان العظيم الشان

وكذاك سعي الليل ترفعه إلى الـ ... رحمن من قبل النهار الثاني

وكذاك سعي اليوم يرفعه له ... من قبل ليلٍ حافظ الإنسان

وكذاك معراج الرسول إليه ... حق ثابت ما فيه من نكران

بل جاوز السبع الطباق وقد دنا ... منه إلى أن قدرت قوسان

بل عاد من موسى إليه صاعدًا ... خمسًا عداد الفرض في الحسبان

وكذاك رفع الروح عيسى المرتضى ... حقًّا إليه جاء في القرآن

وكذاك تصعد روح كل مصدق ... لما تفوز بفرقهِ الأبدان

حقًّا إليه كي تفوز بقربه ... وتعود يوم العرض للجثمان

وكذا دعا المضطر أيضًا صاعدًا ... أبدًا إليه عند كل أوان

وكذا دعا المظلوم أيضًا صاعدًا ... حقًّا إليه قاطع الأكوان

هذا هو الدليل الخامس (د/ ١٦٧ب) على علو الرب تعالى فوق خلقه (ع/ ٢٦١ب).

ذكر الناظم مما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، وكذا ذكر صعود الباقيات الصالحات هذا من القرآن.

قوله:

وكذا صعود تصدق من طيب ....إلخ

يشير إلى حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب؛ فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل**» متفق عليه[1]، وحديث أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم. وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون**» متفق عليه[2].

قوله:

وكذاك سعي الليل يرفعه ....إلخ

يشير إلى حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار** (د/١٦٨أ) **وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النار أو النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره**» رواه مسلم[4].

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب التوحيد (٤/ ٢٣١٨)، ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة (١/ ١٨٤)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٤٣٩).

(٣) الأصل «رضي»، والتصويب من (د).

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان (١/ ١٦٢).

قوله:

وكـــــذاك مـــعــراج الــرســول ....إلخ

تقدم الكلام في المعراج وقوله:

وكذاك رفع الروح عيسى المرتضى ....

يشير إلى قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء:١٥٨].

قوله:

وكـذاك تصعد روح كل مصدق .... إلخ

يشير إلى حديث أبي هريرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال مرحبًا بالنفس الطيبة فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله تعالى...**» وذكر الحديث رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه وقال هو على شرط البخاري ومسلم ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب.

قوله:

وكـذا دعـا المظـلوم أيضًا صاعد ....[إلخ]

عن ابن عمر قال قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد** (ع/ ٢٦٢أ) **إلى الله كأنها شرارة**» قال الذهبي: غريب وإسناده جيد(١).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٨٣) من طريق الحسين بن علي عن زائدة عن عاصم بن كليب عن محارب بن دثار عن ابن عمر به، ويشهد له ماعند البخاري (١/ ٤٤٧) أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال لمعاذ: «...واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من حافظين يرفعان إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ما حفظا يرى في أول الصحيفة خيرًاوفي آخرها خيرًا إلا قال الله لملائكته أشهدكم أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة»** رواه أبو يعلى والبزار[٢].

قوله:

...............................وقد دنا منه إلى أن قدرت قوسان

ظاهر كلام الناظم عود الضمير إلى الرب عَزَّ وَجَلَّ، وأنه هو الذي دنا فتدلى، وهذا على أحد التفسيرين في الآية، ولكن هذا خلاف ما اختاره في غير هذا الموضع، فإنه قال بعد كلام ذكره[٣]: «لأن جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى قوله: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:١٣-١٤]، هكذا فسره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح لعائشة قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سألتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية فقال: **«ذاك جبريل لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين»** رواه مسلم[٤].

---

(١) الأصل «رضى»، والتصويب من (د).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٢/ ١٠٩) - نصار -، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٦٢) من طريق مبشر ابن إسماعيل عن تمام بن نجيح عن الحسن عن أنس، به، وإسناده ضعيف لحال تمام كما في التقريب (ص١٨١): «ضعيف من السابعة».

(٣) انظر: مدارج السالكين(٣/ ٣٣٤) ومابعدها.

(٤) هو عند أحمد من طرق كثيرة كما في المسند المعتلي (٩/ ٢٤٠-٢٤١)، والترمذي في التفسير (٤/ ٢٣٧) من طرق عن الشعبي عن مسروق قال -واللفظ للترمذي-: «دخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيء قف شعري منه...، لكنه رأى جبريل لم يره في صورته إلا مرتين...»،هذا لفظ الترمذي، ولفظ أحمد في المسند قريب منه. =

قال: ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك، ثم ساق سبعة (د/١٦٨ب) أوجه دالة على ذلك.

قال: وأما ما وقع في البخاري من رواية شريك[(١)] عن أنس: «ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى»[(٢)] فقد تكلم الناس فيه وقالوا: إن شريكًا غلط فيه، وذكر فيه أمورًا منكرة.

قال: والدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير هذا.

وجزم ابن كثير[(٣)] بأن الدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير الذي في الآية، وقال أيضًا[(٤)] في تفسير الذي دنا فتدلى: «إنه جبريل هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم واختلف في المراد من قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٩] أي حيث الوتر من القوس قاله: مجاهد[(٥)]، وقال أبو عبيده

= والحديث خرجه البخاري في بدء الخلق من صحيحه (٢/ ٩٩٨) من طريق زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن عمرو بن أشوع عن الشعبي، به، لكنه لم يذكر أنه رآه مرتين وإنما فيه «وإنما أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته»، أي في صورته التي خلق عليها.

ورواه عن عائشة وابن مسعود بمعناه (٢/ ٩٩٨) (٢/ ٩٩٨)، وكل هذه الروايات ليس فيها ذكر للرؤية إلا مرة واحدة، ولاتعارض بحمد الله؛ ويجمع بين الروايتين بأنه رآه في المرة الأولى تامًا على صورته، وفي الثانية ليلة المعراج لم يره على تمامه، وكأن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فهمت من ذلك أن الرؤية الثانية لاتعادل الأولى لأنها غير تامة، وعلى هذا فالذي يترجح هو رواية البخاري، والله أعلم.

(١) هو: شريك بن عبد الله بن أبي نمر المدني المحدث، قال الحافظ ابن حجر: «صدوق يخطئ من الخامسة». مات سنة (١٤٠هـ). التقريب (ص٤٣٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في تفسيره (٥/ ٦).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤١٩).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٠٧).

قاب قوسين أي دار قوسين أو أدنى أو أقرب، والقاب ما بين القبضة والسية من القوس[(١)]، قال الواحدي هذا قول الجمهور من المفسرين أن المراد بالقوس الذي يرمى بها قال وهل المراد بها الذراع لأنه يقاس بها الشيء[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح فقد أخرج ابن مرديه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي[(٣)] الله عنهما قال القاب القدر والقوسين الذراعين[(٤)] ويؤيده أنه لو كان المراد به القوس التي يرمى بها لم يمثل بذلك ليحتاج إلى التنبيه، فكان يقال مثلا قاب رمح أو نحو ذلك انتهى والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار ذكر معناه في الصحاح»[(٥)] انتهى[(٦)].

---

(١) السية من القوس: ما عطف من طرفيها. وانظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٦).

(٢) اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٩] على قولين:

الأول: أنها القوس التي يرمى بها، قاله ابن عباس واختاره ابن قتيبة وقال: قدر قوسين، وقال الكسائي: أراد بالقوسين قوسًا واحدًا، لكني لم أجد هذا القول للواحدي -كما حكاه الشارح عنه-.

ونسبة هذا القول إلى جمهور المفسرين، فيه نظر. فقد رد هذا القول ابن جزيء في التسهيل، فذكر أقوالًا في معنى القوس الوارد في الآية، ثم قال: وقيل وليس القوس التي يرمى بها، وإنما هي ذراع تقاس بها المقادير.

والقول الثاني: أن القوس هي الذراع فالمعنى: كان بينهما ذراعين، حكاه ابن قتيبة، وهو قول ابن مسعود وسعيد بن جبير، أما المتدلى فهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، استوى على صورته الحقيقية، فغشي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانتقل من صورته الحقيقية إلى الصورة التي كان يلقى بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي صورة رجل، ودنا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم نكس رأسه إليه وضمه وسكن من روعه.

انظر: زاد المسير (١٨/ ٦٦)، وتفسير السمعاني (٥/ ٢٨٦)، والتسهيل لابن جزيء (٤/ ٧٥).

(٣) الأصل «رضى»، والتصويب من (د).

(٤) أخرجه ابن مردويه كما في الفتح (٨/ ٤٧٦)، وانظر: زاد المسير (٨/ ٦٧).

(٥) انظر: الصحاح (١/ ٢٠٧).

(٦) في هامش(ع) بخط المؤلف «بلغ قراءة على مؤلفه».

قال الناظم:

فصل

هذا وسادسها وسابعها النزول ... كذلك التنزيل للقرآن

والله أخبرنا بأن كتابه ... تنزيله بالحق والبرهان

أيكون تنزيلًا وليس كلام من ... فوق العباد أذاك ذو إمكان

أيكون تنزيلا من الرحمن والـ ... ـرحمن ليس مباين الأكوان

وكذا نزول الرب جل جلاله ... في النصف من ليل وذاك الثاني

فيقول لست بسائل غيري بأحـ ... ـوال العباد أنا العظيم الشان

من ذاك يسألني فيعطى سؤله ... من ذا يتوب إلي من عصيان

من ذاك يسألني فأغفر ذنبه ... فأنا الودود الواسع الغفران

من ذا يريد شفاءه من سقمه ... فأنا القريب مجيب من ناداني

ذا شأنه سبحانه وبحمده ... حتى يكون الفجر فجرا ثاني

يا قوم ليس نزوله وعلوه ... حقًّا لديكم بل هما عدمان

وكذاك[1] ليس يقول شيئًا عندكم ... لا ذا ولا قولٌ سواه ثان

كل مجازٌ لا حقيقة تحته ... أول وزد وانقص بلا برهان

شرع الناظم في الدليل السادس (ع/٢٦٣ب) والسابع من أدلة العلو، (د/١٦٩أ) وهما التنزيل والنزول قال الله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [غافر:٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

---

(١) (د) «وكذلك».

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بدائع الفوائد[1] في الكلام على قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر:٢] - إلى قوله: ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر:٣]-: «افتتح الآية بقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر:٢] والتنزيل يستلزم علو المنزل من عنده لا تعقل العرب من لغاتها بل ولا غيرها من الأمم إلا ذلك، وقد أخبر أن تنزيل الكتاب منه، فهذا يدل على شيئين:

أحدهما: علوه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على خلقه.

والثاني: أنه هو المتكلم بالكتاب المنزل لا غيره؛ فإنه أخبر أنه منه، وهذا يقتضي أن يكون منه قولًا كما أنه منه تنزيلا؛ فإن غيره لو كان هو المتكلم به لكان الكتاب من ذلك الغير؛ فإن الكلام إنما يضاف إلى المتكلم به، ومثل هذا: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة:١٣]، ومثله: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢]، ومثله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، فاستمسك بحرف: ﴿مِّنْ﴾ في هذه المواضع فإنه يقطع شغب المعتزلة والجهمية، وتأمل كيف قال تنزيل منه ولم يقل تنزيله، فتضمنت الآية إثبات علوه وكلامه وثبوت الرسالة» انتهى المقصود منه.

وقوله:

وكذا نزول الرب........ ....

يشير إلى حديث النزول، وهو متواتر عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ينزل** (د/ ١٦٩ب) **ربنا** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**» أخرجه أصحاب الصحاح كالبخاري ومسلم وأخرجه غيرهما[2].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٠١).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٢١)، وصحيح البخاري (١/ ٣٤١).

قال الحافظ الذهبي(١): وقد أُلِفَتْ أحاديث النزول في جزء، وذلك متواتر أقطع به.

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في شرح الموطأ -لما تكلم على حديث النزول- قال(٢): «هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه دليل على أن الله عَزَّ وَجَلَّ في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما قاله الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: «إن الله تعالى في كل مكان بذاته المقدسة!!».

قال: «والدليل على صحة قول أهل الحق، قول الله تعالى -وذكر بعض الآيات-».

إلى أن قال: «وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته؛ لأنه إضطرار لم يخالفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم.

وقول الناظم:

فيقول لست بسائل غيري...... ....إلخ

يشير إلى الحديث الذي رواه النسائي وابن ماجة وغيرهما بسند صحيح أنه تعالى يقول: «لا يسأل عن عبادي غيري»(٣).

---

(١) في كتاب العلو (١/ ٧٥٥).

(٢) انظر: التمهيد (٧/ ١٢٨-١٣٤).

(٣) جزء من حديث رفاعة بن عرابة -وهو حديث طويل- وفيه: «.....إذا مضى شطر الليل -أو ثلثاه- ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا يسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له...» الحديث. =

وقوله:

يـا قــوم لـيـس نـزولـه وعـلـوه حـقـا لـديـكـم بـل هـمـا عـدمـان

يعني أن النزول والعلو عندهم باطلين[١]، فلهذا حرفوا نصوص الفوقية والنزول كما روى بعضهم حديث النزول يُنزل بالضم[٢]، وهذا كما قرأ بعضهم: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، ونحو ذلك من تحريفهم اللفظ والمعنى، وبعضهم (ع/ ٢٦٤) يفسر النزول بنزول الرحمة أو نزول ملك أو غير ذلك.

فيقال له: الرحمة التي تثبتها إما أن تكون عينا قائمة بنفسها، وإما أن تكون صفة قائمة بغيرها، فإن كانت عينًا وقد نزلت إلى السماء الدنيا لم يمكن أن تقول من يدعوني فأستجيب له، كما لا يمكن الملك أن يقول ذلك، وإن كانت صفة من الصفات، فهي لا تقوم بنفسها، بل لابد لها من محل، ثم لايمكن الصفة أن تقول هذا الكلام أو محلها، ثم إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا، فأي منفعة في ذلك.

= أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» برقم (٤٧٥) من طريق المغيرة وهشام بن عمار عن يحيى بن حمزة، وابن ماجه -مختصرًا- في «الإقامة» برقم (١/ ٤٣٥)، وفي «الكفارات» برقم (٢٠٩٠) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن مصعب، وفي موضع آخر(١/ ٩٧٦) عن هشام بن عمار عن عبد الملك بن محمد الصنعاني، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٤٤-٤٤٥) من طريق محمد بن أسلم عن عبد الرحمن بن إبراهيم عن الوليد بن مسلم.

كلهم عن الأوزاعي عن يحيى بن كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة، به.
وإسناده صحيح على شرط البخاري.

انظر: صحيح ابن حبان (١/ ٤٤٤- تعليق).

(١) في هامش الأصل «صوابه باطلان».

(٢) انظر: التحفة المدنية لابن معمر (ص٥٦).

والحاصل -كما قال الناظم-: إن هذه النصوص (د/ ١٧٠أ) عند المعطلة مجاز لا حقيقة؛ ولهذا قال عنهم:

.... **أول وزد وانـقـص بـلا بـرهـان**(١)

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٣٧٢).

قال الناظم:

فصل

هــذا وثـامـنـهـا بـسـورة غـافـر	هـو رفـعـة الـدرجـات للرحمن
درجـاتـه مـرفـوعـة كـمـعـارجٍ	أيـضًـا لـه وكـلاهـمـا رفـعـان
وفـعـيـل فـيـهـا لـيـس مـعـنـى فاعل	وسـيـاقـهـا يـأبـاه ذو الـتـبـيـان
لـكـنـهـا مـرفـوعـة[1] درجـاتـه	لـكـمـال رفـعـتـه عـلـى الأكـوان
هـذا هـو الـقـول الصحيح فلا تحد	عـنـه وخـذ مـعـنـاه في الـقـرآن
فـنـظـيـرهـا المـبـدي لـنـا تـفـسـيرهـا	في ذي المـعـارج لـيـس يـفـتـرقـان
والـروح والأمـلاك تـصـعـد في	مـعـارجـه إلـيـه جـل ذو السلطان
ذا رفـعـة الـدرجـات حـقًّـا مـا هما	إلا سـواء أو هـمـا شـبـهـان
فـخـذ الـكـتـاب بـبـعـضـه بعضا	كـذا تـفـسـير أهـل الـعـلـم للقرآن

ذكر الناظم الدليل الثامن على العلو وهو رفعة الدرجات ومعنى رفعة الدرجات أن درجاته تعالى مرفوعة لكمال رفعته، وليس رفيع هنا بمعنى رافع كما تقوله المعطلة، وأشار إلى ذلك بقوله:

وفـعـيـل فـيـهـا لـيـس مـعـنـى فاعل	....

قال ابن كثير في تفسيره[2] -تحت قوله تعالى-: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر:١٥] الآية، يقول تعالى مخبرًا عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها، كما قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ

(١) الأصل «بمرفوعة»، والتصويب من (د).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٢٤).

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٣-٤]، وسيأتي إن شاء الله بيان أن هذه مسافة ما بين العرش إلى الأرض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف، وهو الأرجح إن شاء الله.

وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء، اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة، وارتفاعه من الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة(١)، وفي حديث الأوعال(٢) ما يدل على ارتفاعه عن السماوات (د/ ١٧٠ب) السبع بشيء (ع/ ٢٦٥ب) عظيم(٣) انتهى.

قوله:

فنظيرها المبدي لنا تفسيرها الآية ....

أي أن هذه الآية الكريمة تفسر آية سورة غافر، وهي قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، فالمعنى أن الروح والأملاك تصعد في معارجه إليه تعالى.

قوله:

فخذ الكتاب ببعضه ....

أي فسر بعض القرآن ببعض، كما هو سبيل أهل العلم والإيمان، جعلنا الله منهم.

---

(١) روي عن سعد الطائي. أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش (ص٤١٣-٤١٤)، وحكاه ابن كثير عن السلف. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠٠).

قال الناظم:

فصل

هذا وتاسعها النصوص بأنه	فوق السماء وذا بلا حسبان
فاستحضر الوحيين وانظر ذاك تل	ـقاه مبينا واضح التبيان
ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريب	كي تقوم شواهد الإيمان
وإذا أتتك فلا تكن مستوحشًا	منها ولا تك عندها بجبان
ليست تدل على انحصار إلهنا	عقلًا ولا عرفًا ولا بلسان
إذ أجمع السلف الكرام بأن معنا	ها كمعنى فوق بالبرهان
أو أن لفظ سمائه يعنى به	نفس العلو المطلق الحقان
والرب فيه وليس يحصره من	المخلوق شيء عز ذو السلطان
كل الجهات بأسرها عدمية	في حقه هو فوقها ببيان
قد بان عنها كلها فهو الـ	محيط ولا يحاط بخالق الأكوان
ما ذاك ينقم بعد ذو التعطيل من	وصف العلو لربنا الرحمن
أيرد ذو عقل سليم قط ذا	بعد التصور يا أولي الأذهان
والله ما رد امرؤ هذا بغير	الجهل أو بحمية الشيطان

هذا هو الدليل التاسع على علو الرب سبحانه فوق خلقه، وهذه نصوص الفوقية من الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ (د/ ١٧١أ) عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام:٦١] الآية.

وروى الحافظ الذهبي في كتاب العلو(١) عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الأعراف:١٧] قال لم يستطع أن يقول من فوقهم علم أن الله تعالى من فوقهم(٢).

وأما الأحاديث فعن زينب بنت جحش(٣) أنها كانت تقول للنبي ﷺ: «زوجنيك الرحمن من فوق عرشه»(٤). وفي لفظ البخاري كانت تقول: «إن الله أنكحني من فوق سبع سموات»(٥).

وروى البخاري عن أنس قال: جاء زيد ابن حارثة(٦) يشكو فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**اتق الله...**» الحديث، وفيه وكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: «**زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع** (ع/٢٦٦أ) **سموات**»(٧).

---

(١) انظر: العلو (١/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٤٤٧) من طريق حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لحال حفص بن عمر كما في التقريب (ص٢٥٩)، وأخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٣/ ٦٦١) عن ابن عباس، وإسناده ضعيف أيضًا لحال إبراهيم بن الحكم، كما في التقريب (ص١٠٦)، والأثر يرتقي إلى درجة الحسن بمجموع طريقيه.

(٣) هي زينب أم المؤمنين بنت جحش بن رياب وابنة عمة رسول الله ﷺ، وهي التي كانت عند زيد مولى النبي ﷺ فطلقها فزوجها الله تعالى نبيه، وبنى كتابه بلا ولي ولا شاهد فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، ماتت سنة (٢٠هـ)، وصلى عليها عمر رضي الله عنه وعنها. انظر: السير (٢/ ٢١١).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٢٧) وهو في البخاري كما سيأتي.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (٤/ ٢٣١٦).

(٦) هو: زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب، الأمير الشهيد النبوي أبو أسامة الكلبي ثم المحمدي، سيد الموالي وأسبقهم إلى الإسلام، وحب رسول الله ﷺ. قتل في مؤتة سنة (٨هـ) وصلى عليه النبي ﷺ أي دعا له وقال: «استغفروا لأخيكم فإنه قد دخل الجنة وهو يسعى». انظر: السير (١/ ٢٢٠).

(٧) أخرجه البخاري في التوحيد (٤/ ٢٣١٦).

وفي رواية للبخاري عن أنس: وكانت تفخر على نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت تقول: «إن الله أنكحني في السماء»[١].

وعن سعد ابن أبي وقاص أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لسعد -يعني ابن معاذ-[٢]: «**لقد حكمت اليوم فيهم -يعني بني قريظة- بحكم الملك من فوق سبع سموات**»[٣].

قال الذهبي: هذاحديث صحيح، وقد رواه الأُمـوي[٤] في المغازي عن ابن إسحاق[٥] عن محمد بن كعب[٦] بن مالك أن سعد بن معاذ لما حكم في بني

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد (٤/ ٢٣١٦).

(٢) هو: سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، السيد الكبير، الشهيد أبو عمرو الأنصاري الأوسي الأشهلي البدري، الذي اهتزّ العرش لموته، ومناقبه مشهورة في الصحاح، وفي السيرة رمي يوم الخندق سنة خمس للهجرة فمات من رميته تلك.
ينظر: السير (١/ ٢٧٩).

(٣) أخرجه الدورقي في مسند سعد بن أبي وقاص (ص٤٧)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٣٣٨)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٢٦)، والبزار في مسنده (٣/ ٣٠١)، وغيرهم من طريق محمد بن صالح التمار عن سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أن النبي قال لسعد بن معاذ: «... فذكره»، والتمار قال عنه في التقريب (ص٨٥٤): «صدوق يخطئ»، وتابعه شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبي أمامة عن أبي سعيد، به. أخرجه البخاري (٢/ ٩٣٥)، ومسلم (٣/ ١٣٨٨) لكنه لم يذكر لفظه «فوق سبع سماوات»، فتبين أن التمار قد أخطأ في هذا الحديث متنًا وإسنادًا، وروايته شاذة مطروحة، وما رواه شعبة هو المحفوظ، وتقف عند قوله: «لقد حكمت عليهم بحكم الملك».
أما قول الذهبي: «هذا حديث صحيح» فهو حكم على أصل الحديث لاعلى الإسناد، لأن الحديث في مسلم من رواية شعبة.

(٤) هو: سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان الأموي، أبو عثمان البغدادي، «ثقة، ربما أخطأ»، مات سنة (٢٤٩هـ). التقريب (ص٣٩٠).

(٥) في (ع) و(د)«ابن عباس»، وهو تحريف، والتصحيح من العلو للذهبي.

(٦) في (ع) و(د) «معدي بن مالك»، وهو تحريف، والتصحيح من العلو للذهبي.

قريظة قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع أرقعة»**[(١)].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة قال: وذلك قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره»** رواه ابن ماجه[(٢)].

وعن العباس بن عبد المطلب[(٣)] قال: كنا بالبطحاء جلوسًا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمرت سحابة فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أتدرون ما هذا؟»** قلنا: السحاب قال: **«والمزن»** قلنا: والمزن قال: **«والعنان»** (د/ ١٧١ب) فسكتنا قال: **«هل تدرون كم بين السماء والأرض»** قلنا: الله ورسوله أعلم قال: **«بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وبين[(٤)] السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»**[(٥)].

---

(١) وهي مرسلة شاذة أيضًا.

(٢) أخرجه ابن ماجة في المقدمة (١/ ٦٥-٦٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٠٨)، والبزار ـ كما في كشف الأستار (٣/ ٦٧) من طريق أبي عاصم العبداني عن الفضل الرقاشي عن محمد بن المنذرعن جابر، به، وإسناده ضعيف لحال أبي عاصم، قال عنه في الميزان (٢/ ٤٥٨): «واه».

(٣) هو: العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قيل إنه أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه. مات سنة (٣٣هـ). انظر: السير (٢/ ٧٨).

(٤) بمعنى: «وسط». انظر: لسان العرب (١٣/ ٤)، وتاج العروس (٣٤/ ١٤٩).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٥٦)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٧٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٠). من طريق عبد الرزاق عن يحيى بن العلاء عن شعيب بن خالد عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميره عن العباس، به، وإسناده ضعيف جدًّا لحال يحيى بن العلاء الرازي.

وعن الأحنف بن قيس[١] عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ نحوه أخرجه أبو داود.

وأخرجه ابن ماجه بلفظ آخر ويرويه إبراهيم بن طهمان[٢] وعمرو بن أبي قيس[٣] عن سماك[٤] وقد حسنه الترمذي، وأخرجه الحافظ الضياء في المختارة[٥].

وأخرجه الذهبي من طريق آخر[٦] وفيه: «... ثم عد سبع سموات كذلك ثم فوق ذلك بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء وفوق ذلك ثمانية أوعال

---

(١) أبو بحر التميمي، الأمير الكبير، والعالم النبيل، أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، ووفد على عمر حين آلت إليه الخلافة في المدينة، فمكث عامًا ثم عاد إلى البصرة، وشهد الفتوح في خراسان، واعتزل فتنة الجمل، ثم شهد صفين مع علي، ولي خراسان، وكان صديقًا لمصعب بن الزبير، فوفد عليه بالكوفة، فتوفي فيها وهو عنده سنة (٧٢هـ).انظر: السير (٤/ ٨٦)، والأعلام (١/ ٢٧٦)، وطبقات ابن سعد (٧/ ٩٣)، والنجوم الزاهرة (١/ ١٨٤)، وشذرات الذهب (١/ ٧٨).

(٢) هو: ابن شعبة أبو سعيد الهروي، عالم خراسان. ولد في آخر زمن صغار الصحابة، وثقه ابن المبارك، وأحمد، وأبو حاتم، وغيرهم، سكن نيسابور ثم مكة، وتكلم فيه للإرجاء، وقيل رجع عنه من السابعة. مات سنة (١٦٨هـ). انظر: تهذيب الكمال (١/ ٢٥١)، والسير (٧/ ٣٧٨).

(٣) هو: عمرو بن أبي قيس الرازي الأزرق كوفي، نزل الري، قال الحافظ: «صدوق له أوهام من الثامنة».التقريب (ص٧٤٣).

(٤) هو: سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري، أبو المغيرة الكوفي، قال في التقريب: «صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغير بآخره فكان ربما يلقن». مات سنة (١٢٣هـ). التقريب (ص٤١٥).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٢٣١)، وابن ماجة في المقدمة (١/ ٦٩)، والضياء في المختارة (٨/ ٣٧٤)، وغيرهم،من طريق محمد بن الصباح عن الوليد بن أبي ثور عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس، به.
وإسناده ضعيف لحال الوليد بن أبي ثور، قال في التقريب (ص١٠٣٩): «ضعيف» وعبد الله بن عميره لم يسمع من الأحنف.

(٦) في العلو (١/ ٤٩٦).

بين إظلافهن وركبهن ما بين سماء إلى سماء والعرش فوق ذلك والله فوق العرش» أخرجه الحافظ أبو عبد الله ابن مندة[(١)] في كتاب التوحيد[(٢)].

قال الذهبي[(٣)]: قُرأ على عمر بن عبد المنعم[(٤)] بإربيل[(٥)] وأنا أسمع عن أبي القاسم الحرستاني[(٦)] عن أبي عبد الله الفراوي! قال أبنا أبو بكر بن الحسين البيهقي في كتاب الأسماء والصفات له قال أبنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد ابن أبي عمرو[(٧)] قالا ثنا محمد[(٨)] ثنا هارون بن سليمان[(٩)] ثنا عبد الرحمن بن مهدي

---

(١) هو: أبو عبد الله بن محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني، قال الذهبي(الإمام الحافظ محدث الإسلام) قيل: إن أبا نعيم الحافظ ذكر له ابن منده فقال: كان جبلًا من الجبال. مات سنة (٣٩٥هـ). ومن آثاره: كتاب «الإيمان»، وكتاب «التوحيد»، وغيرها. انظر: السير (١٧/ ٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٦)، والضياء في المختارة (٨/ ٧٤)، وأبو داود (٥/ ٩٣)، وغيرهم، من طريق الوليد بن أبي ثور عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف عن العباس، وإسناده ضعيف لحال الوليد كما في التقريب (ص١٠٣٩).

(٣) في العلو (١/ ٤١٧).

(٤) هو: عمر بن عبد المنعم بن عمر الطائي أبو حفص الدمشقي المعروف بالقوّاس، قال الذهبي: الثقة المعمر، مسند وقته. مات سنة (٦٩٨هـ). انظر: معجم الشيوخ (٢/ ٧٤).

(٥) النسخ الخطية والعلو «عربيل» وهو تصحيف، وهي قلعة كبيرة من أعمال الموصل. انظر: معجم البلدان(١/ ١٦٦)، والله أعلم.

(٦) هو عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الدمشقي الشافعي، كان إمامًا فقيهًا عارفًا بالمذهب ورعًا صالحًا محمود الأحكام. مات سنة (٦١٤هـ). انظر: السير (٢٢/ ٨٠).

(٧) هو: محمد بن موسى بن الفضل الصيرفي، النيسابوري، قال الذهبي: «الثقة المأمون». مات سنة (٤٢١هـ). انظر: السير (١٧/ ٣٥٠).

(٨) هو: محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني النيسابوري ابن الأخرم ويعرف قديمًا بابن الكرماني، قال الذهبي: «الإمام الحافظ المتقن الحجة». مات سنة (٣٤٤هـ).
انظر: السير (١٥/ ٤٦٦).

(٩) هو: هارون بن سليمان بن داود السلمي أبو الحسن الخزاز، قال أبو نعيم: أحد الثقات. ومات سنة (٢٦٣هـ). انظر: تاريخ أصبهان لأبي نعيم (٢/ ٣١٣).

عن حماد بن سلمة عن عاصم[١] عن زر[٢] عن عبد الله قال: «بين السماء والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماءين خمسمائة عام وبين السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والكرسي فوق الماء والله فوق الكرسي ويعلم ما أنتم عليه»[٣].

رواه بنحوه المسعودي عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل[٤] بدل زر عن عبدالله ولفظه: «والله (ع/٢٦٧ب) فوق ذلك لا يخفى عليه شيء من أعمالكم» وله طرق انتهى كلامه.

قوله:

«ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريب............» إلخ

يشير إلى قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، والحديث الذي فيه (...حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله)[٥] ونحو ذلك.

(١) هو: عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي، أبو بكر المقرئ. قال في التقريب: «صدوق له أوهام، حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين مقرون». ومات سنة (١٢٨هـ).
انظر: التقريب (ص٤٧١).

(٢) زر بن حبيش بن حباشة أبو مريم الأسدي، أدرك الجاهلية وسمع عمر وعليًا، قال الحافظ: «ثقة جليل مخضرم»، مات سنة (٨٢هـ). انظر: الكاشف للذهبي (١/ ٢٧٤)، والتقريب (ص٣٣٦).

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٥)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٢-٢٤٣)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٢)، وغيرهم، من طريق حماد بن سلمة، عن عاصم عن زر عن عبدالله، به. وإسناده حسن لأجل حال عاصم.

(٤) هو: شقيق بن سلمة الأسدي، أدرك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يره، قال الحافظ: «ثقة مخضرم، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز». انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٦١٣)، التقريب (ص٤٣٩)

(٥) لفظ الحديث: «إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: أخرجي أيتها النفس الطيبة..... حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله تعالى...». =

وذكر (د/ ١٧١ا) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن هذه النصوص لا تدل على انحصار إلهنا تعالى وتقدس لا عقلًا ولا عرفًا؛ إذ أجمع السلف على أن معناها كمعنى فوق وأن لفظ السماء يعني به نفس العلو المطلق، وسيأتي بسط الكلام في ذلك والله أعلم.

= أخرجه النسائي في الكبرى (٢/ ٢٢٣)، وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٢٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٦٤)، وغيرهم، من طرق عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة به، وصححه أبو نعيم والمنذري وغيرهم.

قال الناظم:

فصل

هذا وعاشرها اختصاص البعض من	أملاكه بالعند للرحمن
وكذا اختصاص كتاب رحمته بعند	الله فوق العرش ذو تبيان
لو لم يكن سبحانه فوق الورى	كانوا جميعًا عند ذي السلطان
أيكون عند الله إبليس وجبـ	ـريل هما في العند مستويان

هذا هو الدليل العاشر من أدلة علو الرب تعالى فوق خلقه وهو اختصاص بعض المخلوقات بالعندية له سبحانه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ [الأعراف:٢٠٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ [الأنبياء:١٩] الآية.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي**»(١).

وفي لفظ عن أبي هريرة سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش**»(٢).

وفي لفظ عن أبي هريرة: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو مرفوع فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**»(٣).

وفي لفظ عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لما خلق الله الخلق كتب**

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٢/ ٩٨٦)، ومسلم في التوبة (٤/ ٢١٠٧).
(٢) أخرجه البخاري في التوحيد (٤/ ٢٣٦١).
(٣) أخرجه مسلم في التوبة (٤/ ٢١٠٧).

بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي»[١]. فلو لم يكن الله جَلَّوَعَلَا فوق عرشه لما كان (ع/٢٦٨أ) لتخصيص بعض الملائكة بالعند معنى ولكان إبليس وجبريل في العندية سواء، نعوذ بالله من ذلك.

۞۞۞

قال الناظم:

وتمام ذاك القول أن محبة ... الرحمن عين إرادة الأكوان
وكلاهما محبوبه ومراده ... وكلاهما هو عنده سيان
إن قلتم عندية التكوين فالـ ... ـذاتان عند الله مخلوقان
أو قلتم عندية التقريب تقـ ... ـريب الحبيب وما هما عدلان
فالحب عندكم المشيئة نفسها ... وكلاهما في حكمها مثلان
لكن منازعكم يقول بأنها ... عندية حقًّا بلا روغان
جمعت له حب الإله وقربه ... من ذاته وكرامة الإحسان
والحب وصف وهو غير مشيئة ... والعند قرب ظاهر التبيان

حاصل هذه الأبيات (د/١٧٣ب) أن محبة الله تعالى عندكم عين إرادته، فلا يظهر وجه اختصاص العند بالملائكة؛ لأنكم إن قلتم إن المراد بالعند: عندية التكوين فإبليس وجبريل كلاهما عند الله مخلوقان مكونان، فلا يبقى للتخصيص بالعندية معنى، وإن قلتم: إن المراد بالعندية عندية المحبة، فهو أيضًا لا يصح بناء على قولكم؛ لأن المحبة عندكم هي المشيئة نفسها، وجبريل وإبليس في نفس المشيئة متساويان[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد (٤/ ٢٣١٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٨٢)، وشرح العقيدة الواسطية لخليل هراس (ص١١٠).

قال الناظم:

فصل

هـذا وحـادي عشرهـن إشـارة ... نحـو العلـو بأصـبع وبنـان
لله جـل جلالـه لا غـيره ... إذ ذاك إشـراك مـن الإنسـان
ولقـد أشـار رسولـه في مجمع ... الحج العظيم بموقف الغفران
نحو السماء بأصبع قد كرمت ... مستشهدا للواحد الرحمن
يـا رب فاشهد أنني بلغتهم ... ويشير نحوهم لقصد بيان
فغدا البنان مرفعا ومصوبًا ... صلى عليك الله ذو الغفران
أديت ثم نصحت إذ بلغتنا ... حق البلاغ الواجب الشكران

هذا هو الدليل الحادي عشر (د/ ١٧٣أ) من أدلة علو الله تعالى على خلقه، وهو إشارته ﷺ بأصبعه نحو السماء وينكبها إلى الناس ويقول اللهم اشهد، كما رواه مسلم في حديث جابر الطويل في خطبته ﷺ يوم عرفة وفيه: «**فقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إذا اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم** (ع/ ٢٦٩ب) **تسألون عني فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس: «**اللهم اشهد**» ثلاث مرات[(١)].

قوله: «**ينكبها...**» يقال نكب أصبعه أمالها إلى الناس، يريد بذلك أن يشهد الله عليهم قاله ابن الأثير في غريب جامع الأصول[(٢)].

قوله: (...ومصوبًا) الصوب: «المجيء» من القاموس[(٣)].

(١) أخرجه مسلم في الحج (٢/ ٨٨٦).
(٢) انظر: النهاية لابن الأثير (٥/ ٩٨).
(٣) انظر: القاموس (ص١٣٦).

قال الناظم:

فصل

هذا وثاني عشرها وصف الظهو ... ر له كما قد جاء في القرآن
والظاهر العالي الذي ما فوقه ... شيء كما قد قال ذو البرهان
حقًّا رسول الله ذا تفسيره ... ولقد رواه مسلم بضمان
فاقبله لا تقبل سواه من التفا ... سير التي قيلت بلا برهان
والشيء حين يتم منه علوه ... فظهوره في غاية التبيان
أو ما ترى هذي السما وعلوها ... وظهورها وكذلك القمران
والعكس أيضًا ثابت فسفوله ... وخفاؤه إذ ذاك مصطحبان
فانظر إلى علو المحيط وأخذه ... صفة الظهور وذاك ذو تبيان
وانظر خفاء المركز الأدنى ووصـ ... ـف السفل فيه وكونه تحتاني
وظهوره سبحانه بالذات ... مثل علوه فهما له صفتان
لاتجحدنهما جحود الجهم أو ... صافَ الكمال تكونُ ذا بهتان
وظهوره هو مقتض لعلوه ... وعلوه لظهوره ببيان
وكذاك قد دخلت هناك الفاء ... للتسبيب مؤذنة بهذا الشان
فتأملن تفسير أعلم خلقه ... بصفاته من جاء بالقرآن
إذ قال أنت كذا فليس لضده ... أبدًا إليك تطرق الإتيان

ثبت في صحيح مسلم (د/١٧٣ب) عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**»(١).

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٨٤).

وعن مقاتل بن سليمان: قال بلغنا -والله أعلم- في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قال: «قبل كل شيء ﴿وَٱلْآخِرُ﴾، قال بعد كل شيء، ﴿وَٱلظَّاهِرُ﴾ قال: فوق كل شيء، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ قال: أقرب من كل شيء»(١).

قوله:

والشيء حين يتم منه علوه .... إلخ

أي أن الشيء إذا كان في غاية العلو فهو أظهر ما يكون والعكس أيضًا ثابت أي كلما سفل الشيء كان في غاية الخفاء ثم مثل لذلك بالمحيط والمركز فإن المحيط لتمام علوه في غاية الظهور والمركز لسفوله في غاية الخفاء (ع/ ٢٧٠أ)، ولهذا قال الناظم:

«وظهوره سبحانه بالذات مثل علوه ....»

أي أن ظهوره سبحانه مقتض لعلوه وعلوه مقتض لظهوره(٢).

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٤٢)، من طريق يزيد بن صالح عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان من قوله، وفي إسناده يزيد بن صالح وهو اليشكري الفراء، قال أبو حاتم: «مجهول». فرد عليه الذهبي في الميزان (٤/ ٤٢٩) فقال: «قلت: وثقه غيره». وقال عنه الذهبي في السير (١٠/ ٤٧٩): «الإمام المحدث الصدوق»، لكني بحثت عن مستند الذهبي في توثيقه، فلم أجد غير ابن حبان ذكره في ثقاته (٩/ ٢٧٥) وهذا لا يكفي في توثيقه، لأن ابن حبان معروف بتوثيق المجاهيل على قاعدته المعروفة، فالسند ضعيف.

(٢) وهذا معنى تفسير قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، ومعنى الظاهر في الآية: العالي الذي لا شيء فوقه، كما فسره بذلك أعلم الخلق ﷺ قال: «إذا أراد أحدكم أن ينام فليضطجع على شقه الأيمن ثم ليقل: اللهم رب السموات ورب الأرض رب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء،...» الحديث.

والشاهد من الحديث: أن العلو والظهور متلازمان، فكل عال ظاهر ولا عكس، كالسماء والشمس والقمر لما كانت في جهة الفوق كانت ظاهرة لأهلها.

وعلى العكس في المقابل، فإن السفول والخفاء متلازمان، فالشيء كلما زاد سفوله زاد خفاؤه. =

وقوله:

ولـــذاك قـد دخـلـت هـنـاك الفاء للتسبيب...................... إلخ

يعني الفاء التي في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**» يعني أنها فاء السببية(١)، والمراد بالمحيط هنا الفلك، والمركز وسط الأرض(٢).

= وقول الناظم: (فانظر إلى علو المحيط وأخذه...) إلخ، لما ذكر الناظم رَحِمَهُٱللَّهُتَعَالَىٰ السماء والشمس والقمر وأن ظهورها دليل على علوها، انتقل بعد ذلك إلى المحيط -محيط الأرض-، وكل من يعلم أن الأفلاك مستديرة يعلم أن المحيط هو العالي على المركز من كل جانب، والأرض كذلك، والجهة العليا للأرض هي السطح، وهو المحيط للمركز من كل جانب.

ومراد الناظم رَحِمَهُٱللَّهُ: هو أن محيط الأرض - سطح الأرض - في غاية الظهور لعلوه على المركز، والمركز في غاية الخفاء والسفول لكونه تحتانيًا، لأن الأرض كروية الشكل، والكروي ليس له إلا جهتان: العلو والسفل، والعلو يتمثل في المحيط، والسفل يتمثل في المركز. وهذا الأمر يشاهده كل أحد.

انظر: الرسالة العرشية لابن تيمية (ص١٧-١٨).

(١) أي أن المعطوف بالفاء مسَبَبٌ عن المعطوف عليه، والمعنى: أن كون الله -تعالى- هو الظاهر يلزم منه أنه لا شيء فوقه.

انظر: حاشية الصبان على الأشموني (٣/ ٩٣)، والتصريح على التوضيح لابن هشام (٢/ ١٣٨)، والكافية الشافية (٢/ ٣٤١).

(٢) قال الشيخ العنقري: «قوله: والمراد بالمحيط هنا الفلك، ليس الأمر كذلك، بل الظاهر من كلام الناظم: أن المحيط هو الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج:٢٠]، وأيضًا فليس الفلك محيطًا بالمخلوقات حتى يفسر بذلك فليتأمل» اهـ.

وهذا التعقيب - مع تقديري لهذا الإمام - ليس هو مراد الناظم، ويرده ما قبل هذا البيت وما بعده؛ لأن كلام الناظم حول اسم الله «الظاهر»، والذي قرر فيه أن كل ما ظهر فقد علا، ومثّل بالشمس والقمر لما كانت فوق الأرض ظاهرة لأهلها، ثم مثّل بالأرض التي تكون الجهة العليا منها هي المحيط، وهو في غاية الظهور، والمركز الأدنى الذي في أدنى الأرض، والأفلاك كلها كروية وليس لها إلا جهتان العلو والسفل، والسفل هو المركز، والعلو هو المحيط أو السطح الذي يحيط بالمركز من جميع الجوانب. =

= وأيضًا: المركز الأدنى مرتبط بعلو المحيط، لأن الناظم لما تكلم عن المحيط احتاج أن يتكلم عن المركز، فدل على أنه يتكلم عن فلك مستدير إما الأرض أو غيرها من الأفلاك، ولو كان يقصد بالمحيط «الله» ما احتاج أن يتكلم عن المركز، ويصف المحيط بالظهور والمركز بالسفول.

ومما يدل على ضعف هذا القول ماذكره بعد لتلك الأبيات من ظهور الرب سبحانه بالذات، والظهور يقتضي العلو ولو كان مراده بـ«المحيط» أنه هو «الله» -تعالى- ما احتاج بعد هذا البيت أن يذكر ظهور الرب صريحًا، لأنه من التكرار الذي يتجنبه كثير من المصنفين.

أما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج:٢٠] على أن الله محيط بهم، بمعنى العلو الذي ذكره الناظم فأظنه بعيد، لأن المفسرين فسروا الإحاطة هنا بالعلم. قال البغوي في معالم التنزيل في معنى الآية (٨/ ٣٨٩):«عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم يقدر أن يُنزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم».

وقال ابن كثير في تفسيره (١٤/ ٣١٣): «قادر عليهم، قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه». فهذه الآية ليس فيها ما يفيد إلا العلم والإحاطة والقدرة والقهر.

ولم يرد الناظم ولا الشارح أن الفلك محيط بالمخلوقات كما فهم العنقري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل مراد الناظم والشارح أن سطح الفلك أو الأرض محيط بالمركز، وذلك يدل على علو المحيط لظهوره على المركز -رحم الله الجميع-.

قال الناظم:

فصل

هــذا وثـالــث عـشرهـا إخـبـاره	أنـــا نـــراه بجـنـــة الحـــيـــوان
فسل المعطل هل يـرى مـن تحتنا	أم عــن شمـائـلـنـا وعــن أيمــان
أم خـلـفـنـا وأمـامـنـا سبحانه	أم هـل يـرى مــن فـوقـنـا ببيان
يـا قـوم مـا في الأمــر شـيء غير ذا	أو أن رؤيــتـــه بـــلا إمـــكـان
إذ رؤيــة لا في مـقـابـلـةٍ مـن الرائي	محـــال لـــيـس في الإمـــكـــان
ومـن ادعـى شيئًا سوى ذا كـان دعـ	ـــواه مـكـابـرة عـلـى الأذهـــان

هذا هو الدليل الثالث عشر (د/ ١٧٤أ) من أدلة علو الله على خلقه وهو رؤيته تعالى في الجنة كما أخبر بذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن جابر قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب** جَلَّ جَلَالُهُ **قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾» رواه ابن ماجه في سننه[١].

وعن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتاني جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربك** عَزَّ وَجَلَّ **لتكون لك عيدًا ولقومك من بعدك تكون أنت الأول وتكون اليهود**

---

(١) سبق تخريجه وهو ضعيف.

والنصارى من بعدك فقلت ما لنا فيها قال لكم فيها خيرفيها ساعة من دعا الله تعالى فيها بخير هو قسم له إلا أعطاه إياه أو ليس له قسم إلا ادخر له ما هو أعظم منه قلت ما هذه النكتة السوداء فيها قال هي الساعة تقوم يوم الجمعة وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه يوم المزيد في الآخرة قلت: ولم تدعونه[1] يوم المزيد قال إن ربك اتخذ في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من عليين على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور ثم جاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ثم جاء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب فيتجلى لهم ربهم عَزَّوَجَلَّ حتى ينظروا إلى وجهه ثم يقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى أوان منصرف (ع/ ٢٧١ب) الناس من يوم الجمعة ثم يصعد على كرسيه ويصعد معه الصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم: درة بيضاء لا فصم فيها ولا ونظم (د/ ١٧٤ب) أو ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء فيها غرفها وأبوابها مطردة فيها أنهارها متدلية[2] فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا من كرامته عزوجل وليزدادوا نظرا إلى وجهه فلذلك دعي يوم المزيد»[3].

---

(١) في الأصل «لم تدعوه»، والتصويب من مجمع الزوائد، وهو الموافق لقواعد اللغة.

(٢) في الأصل «مذللة» وهو خطأ، والتصويب من مجمع الزوائد.

(٣) قال الهيثمي في المجمع(٢/ ١٦٣-١٦٤): «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني، وهو ثقة».

قال الذهبي[(١)]: هذا حديث مشهور، وافر الطرق أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة له[(٢)] عن عبد الأعلى بن حماد النرسي[(٣)] عن عمر بن يونس»[(٤)].

۞۞۞

قال الناظم:

ولــذاك قــال محـقـق مـنـكـم لأهــ	ــل الاعـتــزال مـقـالـة بـأمـان
مـا بـيـنـنـا خـلـف وبـيـنـكـم لـدى التـ	ـحـقـيـق في مـعـنـى فـيـا إخـوان
شـدوا بـأجـمـعـنـا لـنـحـمـل حملة	تــذر المجـســم في أذل هــوان
إذ قــال إن إلهـنــا حــقًّــا يُــرى	يـوم المـعـاد كـمـا يـرى القمران
وتـصـير أبـصـار الـعـبـاد نـواظـرًا	حـقًّــا إلــيــه رؤيــة بـعـيـان
لا ريــب أنـهـم إذا قــالـوا بـذا	لـزم الـعـلـو لـفـاطـر الأكـوان
ويـكـون فـوق الـعـرش جـل جلاله	فـلـذاك نحـن وحـزبـهـم خصمان
لـكـنـنـا سـلـم وأنـتـم إذ تساعدنا	على نـفـي الـعـلـو لـربـنـا الرحمن
فـعـلـوه عـين المحــال ولـيـس فو	ق الـعـرش مــن رب ولا ديــان

---

(١) في العلو (١/ ٣٤٧).

(٢) (١/ ٢٥٠).

(٣) هو: عبد الأعلى بن حماد بن نصر الباهلي مولاهم أبو يحيى البصري المعروف بالنرسي، قال الحافظ: «لا بأس به». مات سنة (٢٣٧هـ). انظر: التقريب (ص٥٦١).

(٤) أخرجه الشافعي في الأم (١/ ٣٥٦)، ومن طريقه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١٠٩) عن إبراهيم بن محمد عن موسى بن عبيدة عن أبي الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبدالله بن عمير عن أنس، به، وإسناده ضعيف، إبراهيم بن محمد هو ابن أبي يحيى الأسلمي متروك، لكن الحديث صحيح لكثرة طرقه، ولشواهده الكثيرة، وقد تلقاه الأئمة بالقبول.

قال ابن القيم في حادي الأرواح (٢/ ٦٥٣): «هذا حديث كبير الشأن، ورواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول، وجمل به الشافعي مسنده».

لا تنصبوا معنا الخلاف فماله ... طعم فنحن وانتم سلمان

هذا الذي والله مودع كتبهم ... فانظر ترى يا من له عينان

لما ذكر الناظم أن أهل الجنة يرونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأن رؤيته تعالى لا تكون إلا من فوق والا فرؤيته سبحانه محال، ولهذا قال في هذه الأبيات:

ولهذا قال محقق منكم لأهـ ... ـل الاعتزال.............. إلخ

قوله: «...... منكم» أي من الأشاعرة، ولم أقف على تعيين هذا المحقق[1]، وقد قال شيخ الإسلام في كتاب العقل والنقل[2]: «والمقصود هنا أن نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة (د/١٧٥أ) وغيرهم إذا قالوا إثباتها يسلتزم أن يكون الله جسمًا وذلك منتف، وادعوا أن العقل دل على المقدمتين[3]، احتيج حينئذ إلى بيان بطلان المقدمتين أو إحداهما، فإما أن يبطل نفي التلازم أو نفي اللازم أو المقدمتان جميعًا.

وهنا افترقت طرق مثبتة الرؤية:

فطائفة نازعت في الأولى كالأشعري وأمثاله، وهو الذي حكاه الأشعري عن أهل الحديث وأصحاب السنة وقالوا: لا نسلم أن كل مرئي يجب أن يكون جسمًا.

فقالت النفاة: لأن كل مرئيٍ في جهة، وما كان في جهة (ع/٢٧٢أ) فهو جسم فافترقت نفاة الجسم على قولين:

---

(١) المحقق هو الرازي، قال شيخ الإسلام في نقض التأسيس (٢/ ٤٠٤): «..ولهذا يعترف هذا الرازي بأن النزاع بينهم وبين المعتزلة في الرؤية قريب من اللفظي». وانظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٤)، المحصل في أفكار المتقدمين (ص١٨٩) له. ولما نفي المعتزلة الرؤية،قال الأشاعرة: يُرَى لا في جهة، فجاء الرازي وفسرها بـ«الكشف التام» وبـ«زيادة العلم» وهو نفي للرؤية على الحقيقة.

(٢) انظر: درء التعارض (١/ ٢٥٠).

(٣) وهما: أن إثبات الرؤية يستلزم الجهة، والجهة منفية عن الله تعالى؛ لأن الجهة محالة على الله تعالى، والله تعالى ليس في جهة.

طائفة قالت: لا نسلم أن كل مرئي يكون في جهة.

وطائفة قالت: لانسلم أن كل ما كان في جهة فهو جسم، فادعت نفاة الرؤية أن العلم الضروري حاصل بالمقدمتين، وأن المنازع فيها مكابر، وهذا هو البحث المشهور بين المعتزلة والأشعرية، فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة، فإذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسرها به المعتزلة، وقالوا النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي»[1].

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٣٦) (٢/ ٨٤).

قال الناظم:

فصل

هــذا ورابــع عـشـرهـا إقـرار سـائـلـه بـلـفـظ الأيـن للرحمن

ولـقـد رواه أبـو رَزِيــن بعدما سـأل الـرسـول بـلـفـظـه بـوزان

ورواه تـبـلـيـغًـا لـه ومـقـررًا لمـا أقـريـه بـلا نـكـران

هـذا ومـا كـان الجـواب جـواب من لـكـن جـواب الـلـفـظ بـالميـزان

كـلا ولـيـس لمـن دخــول قـط في هــذا الـسـيـاق لمـن لـه أذنـان

دع ذا فـقـد قـال الـرسـول بنفسه أيـن الإلــه لـعـالم بـلـسـان

والله مـا قـصـد المـخـاطِـب غير مع ـناهـا الـذي وضـعـت لـه الحقان

والله مـا فـهـم المـخـاطـب غـيره والـلـفـظ مـوضـوع لـقـصـد بيان

يـاقـوم لـفـظ الأيـن ممتنع على الـ ـرحمـن عـنـدكـم وذو بـطـلان

ويـكـاد قـائـلـكـم يـكـفـرنـا به بـل قـد وهــذا غـايـة الـعـدوان

لـفـظ صـريـح جـاء عـن خـير الـورى قــولًا وإقـــرارًا هـمـا نـوعـان

والله مـا كـان الـرسـول بعاجز عـن لـفـظ مـن مـع أنـهـا حـرفـان

والأيــن أحـرفـهـا ثـلاث وهـي ذو لـبـس ومــن في غـايـة الـتـبـيـان

والله مـا المـلـكـان أفـصـح مـنـه إذ في الـقـبـر مـن رب الـسـمـا يسلان

ويـقـول أيـن الله يـعـني مـن فلا والله مـا الـلـفـظـان مـتـحـدان

كـلا ولا مـعـنـاهـمـا أيـضًـا لـذي لـغـةٍ ولا شـرعٍ ولا إنـسـان

هذا هو الدليل الرابع عشر (د/ ١٧٥ب) من أدلة علو الله تعالى على خلقه.

قوله:

ولقد رواه أبو رزين .... إلخ

عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض قال: «**كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق العرش ثم استوى عليه**» رواه الترمذي وابن ماجه[١].

قال الذهبي[٢]: وإسناده حسن، (ع/٢٧٣أ) ورواه إسحاق بن راهوية عن عبد الصمد بن عبد الوارث[٣] عن حماد[٤] وعنده «**...ثم كان العرش فارتفع على عرشه**»، وروى حرب[٥] عن ابن راهوية «تحته هواء وفوقه هواء» يعني السحاب.

ومن الأحاديث المتواترة[٦] حديث معاوية ابن الحكم السلمي[٧] قال كانت لي غنم بين أُحد والجوانية، وفيها جارية لي فأطلعتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٤)، والترمذي في جامعه (٤/ ١٣٨)، وأحمد (٤/ ١١-١٢) وغيرهم من طرق عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن أبي زرين، به، وإسناده ضعيف لحال وكيع بن عدس، قال عنه في التقريب (ص١٠٣٨): «مقبول من الرابعة» يعني حيث يتابع، ولم أجد له متابعًا، لكن يشهد ما خرَّجه البخاري في الصحيح (٢/ ٩٨٦) عن عمران بن حصين «كان الله ولم يكن شيء قبله...» الحديث بطوله.

(٢) في العلو (١/ ٢٧٤).

(٣) هو: عبدالصمد بن عبدالوارث بن سعيد، التميمي العنبري، مولاهم التنوري أبو سهل البصري، صدوق ثبت في شعبة، مات سنة (٢٠٧هـ). التقريب (ص٦١٠).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) هو: حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني الحافظ أبو محمد، صاحب الإمام أحمد، قال الخلال في حقه: «رجل جليل». مات سنة (٢٨٠هـ).من آثاره: «المسائل»، وهو من أنفس كتب الحنابلة.انظر: هداية الأريب الأمجد لابن حمدان (ص٢٤).

(٦) انظر: العلو للذهبي (١/ ٢٤٩).

(٧) سبقت ترجمته.

منها بشاة وأنا رجل من بني آدم، فأسفت فصككتها، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فعظم ذلك عليَّ فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «**أدعها**» فدعوتها قال: فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله[1] قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

هذا حديث صحيح رواه جماعة من الثقات عن يحيى ابن أبي كثير[2] عن هلال ابن أبي ميمونة[3] (د/ ١٧٦أ) عن عطاء بن يسار[4] عن معاوية بن الحكم السلمي أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة[5].

قال الذهبي[6] أخبرنا أحمد بن إبراهيم الخطيب[7] ومحمد بن أحمد العقيلي[8]

---

(١) الأصل و(د): «صلى الله عليك وسلم»، وهي مقحمة.

(٢) يحيى بن أبي كثير أبو نصر الطائي، مولاهم اليمامي، قال الذهبي (الإمام الحافظ) توفي سنة (١٢٩هـ). انظر: السيرة (٦/ ٢٧).

(٣) هو: هلال بن علي بن أسامة، ويقال ابن أبي ميمونة القرشي العامري المدني، قال الحافظ في التقريب: «ثقة من الخامسة، ومات سنة بضع عشرة». انظر: التقريب (ص١٠٢٧).

(٤) هو: عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاص، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ.
قال الحافظ في التقريب: «ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة». مات سنة (٩٤هـ).
انظر: تهذيب الكمال (٧/ ١٦١)، والتقريب (ص٦٧٩).

(٥) أخرجه مسلم في المساجد (١/ ٣٨١).

(٦) في العلو (١/ ٣٣١).

(٧) هو: أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري الشيخ شرف الدين، خطيب دمشق، وكان فصيحًا حلو القراءة عديم اللحن متواضعًا، وكان فصيحًا مفوهًا وخطيبًا كثيرَ التواضعِ والدعابةِ مع الخشوعِ والزهادةِ، ووليَ في آخر عمره مشيخة الحديث الظاهرية. مات سنة (٧٠٥هـ). انظر: الدرر الكامنة (١/ ٥٦).

(٨) هو: محمد بن أحمد بن محمود أبو عبدالله العقيلي، قال الذهبي: العدل المقرئ العالم، مات سنة (٧٣٦هـ). انظر: معرفة القراء الكبار (٢/ ٧٣٠)، والوافي بالوفيات للصفدي (٢/ ١٠٥).

ومحمد ابن المظفر[(١)] قالوا أبنا السخاوي[(٢)] أبنا السلفي أنا الخليل بن عبدالجبار[(٣)] بقزوين أنا علي بن الحسين بن جابر[(٤)] أبنا محمد بن علي النقاش[(٥)] ثنا القاسم بن الليث[(٦)] ثنا المعافى بن سليمان[(٧)] ثنا فليح بن سليمان[(٨)] عن هلال بن علي بن يسار[(٩)] عن معاوية بن الحكم السلمي قال كانت لي غنم ترعى بالعذيب، فكنت أتعهدها وفيها جارية لي سوداء فجئتها يومًا ففقدت شاة من خيار الغنم فقلت أين الفلانية قالت: أكلها الذئب، فأسفت وأنا من بني آدم فضربتُ وجهها ثم ندمت على ما صنعت، فذكرت ذلك لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أضربت وجهها؟» وعظم

(١) هو: محمد بن المظفر بن قايماز، أبو عبد الله السقطي، مات سنة (٦٩٩هـ)، ذكر له الذهبي حديثًا. انظر: معجم الشيوخ للذهبي (١/ ٢٨٥).

(٢) علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي.
قال الذهبي: «كان إمامًا في العربية بصيرًا باللغة فقيهًا مفتيًا عالمًا بالقرآن، بارعًا في التفسير، صنف وأقرأ وأفاد». مات سنة (٦٤٣هـ). من آثاره: «شرح الشاطبية». انظر: السير (٢٣/ ١٢٢).

(٣) هو: ابن عبد الله التميمي القزويني، قال السلفي: «ثقة من بيت الحديث»، قال الذهبي: «بقي إلى سنة نيف وخمسمائة». انظر: السير (١٩/ ٢٤٨).

(٤) ذكره الذهبي من تلاميذ النقاش الحسين بن جابر، وذكر ابن حبان في الثقات علي بن جابر الأودي أبو الحسين، فلعله هو، وكأنه انقلب على الخليل بن عبدالجبار فقال: «علي بن الحسين بن جابر»، وإنما هو علي بن جابر أبو الحسين. والله أعلم.

(٥) هو: الإمام الحافظ أبو سعيد محمد بن علي بن عمر، بن مهدي الأصبهاني الحنبلي النقاش، قال الذهبي: «كان من أئمة الأثر». مات سنة (٤١٤هـ). ومن آثاره: «كتاب القضاة»، وكتاب «طبقات الصوفية». انظر: السير للذهبي (١٧/ ٣٠٧).

(٦) هو: الإمام المحدث أبو صالح القاسم بن الليث بن مسرور العتَّابي الرسْخي، قال حمزة السهمي: سألت الدارقطني عنه فقال: ثقة مأمون. مات سنة (٣٠٤هـ). انظر: السير (١٤/ ١٤٤).

(٧) هو: المعافى بن سليمان الجزري أبو محمد الرسعني، قال الحافظ: «صدوق من العاشرة». ومات سنة (٢٣٤هـ). التقريب (ص٩٥٣).

(٨) هو: فليح بن سليمان بن أبي المغيرة أبو يحيى المدني، وفليح لقب غلب عليه، واسمه عبد الملك، صدوق كثير الخطأ، مات سنة (١٦٨هـ). التقريب (ص٧٨٧).

(٩) هو: ابن أبي ميمونة، وقد تقدم ترجمته.

ذلك تعظيمًا شديدًا، فقلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أعتقها، قال: «**فائتني بها قبل أن تعتقها**» فجئته بها فقال لها: «**من ربك؟**» قالت: الله قال: «**وأين هو؟**» قالت: في السماء قال: «**فمن أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**». هذا حديث صحيح.

قال الذهبي[(١)]: «وهكذا رأينا كل من يسأل أين الله يبادر ويقول في السماء، ففي الخبر مسألتان إحداهما: شرعية قول المسلم أين الله، وثانيهما: قول المسؤول في السماء، فمن أنكر هاتين المسألتين، فإنما ينكر على المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» انتهى.

وقول الناظم:

هــذا ومــا كــان الجــواب جــوا ب مـن................................ إلخ

أي لأن النفاة أولوا قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أين الله؟**» بمعنى من الله.

قال شيخ الإسلام في العقل والنقل بعد كلام سبق[(٢)]: «وهذا مما يبين أن سؤال السائل أين كان ربنا في حديث ابن رزين؛ لم يكن هذا السؤال فاسدًا عنده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كسؤال السائل من خلق الله[(٣)]، فإنه لم ينه السائل عن ذلك ولا أمره بالإستعاذه، بل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل بذلك لغير واحد، فقال له: «**أين الله؟**»[(٤)]، وهو منزه أن يسأل سؤالًا فاسدًا، وسمع الجواب عن ذلك وهو منزه عن أن يقر على جواب فاسد، (د/ ١٧٦ب) ولما سئل عن ذلك أجاب، فكان سائلًا به تارة ومجيبًا عنه أخرى.

---

(١) العلو (١/ ٣٣٢).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣١٥).

(٣) يعني: فإنه فاسد.

(٤) هو حديث الجارية وقد سبق.

ولو كان المقصود مجرد التمييز بين الرب والصنم مع علم الرسول (ع/ ٢٧٤) أن السؤال والجواب فاسدان، لكان في الأسئلة الصحيحة ما يغني غير الرسول ﷺ عن الأسئلة الفاسدة، فكيف يكون [الحال مع][(١)] الرسول ﷺ؛ فإنه كان يمكن أن يقول من ربك من تعبدين كما قال لحصين الخزاعي[(٢)]: «**يا حصين كم تعبد اليوم؟**» قال: أعبد سبعة آلهة ستة في الأرض وواحدًا في السماء، قال: «**فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟**» قال: الذي في السماء، فقال: «**أسلم حتى أعلمك كلمة ينفعك الله بها**» فلما أسلم سأله عن الدعوة فقال: «**قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي**» رواه أحمد في المسند وغير أحمد[(٣)] انتهى.

قوله:

يا قوم لفظ الأين ممتنع على الـ ـرحمن........................» إلخ

أي أنه لا يجوز عندهم أن يقال أين الله.

[قوله]:

ويكاد قائلكم يكفرنا به ....

أي يقارب قائلكم أن يكفرنا به «بل قد....» أي كفرنا به، وهذا على طريق الاكتفاء، وقد عرفه علماء البديع بأنه: هو أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر إلى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه، ويكتفى بما هو معلوم في الذهن كقوله:

---

(١) زيادة لابد منها.

(٢) هو: حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، والد عمران، والصحيح أنه أسلم، كما رواه النسائي من طريقين عن ربعي عن عمران بن حصين «أن حصينًا أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم....ثم إن حصينًا أسلم»، قال الحافظ: «وسنده صحيح من الطريقين». انظر: الإصابة (١/ ٣٣٦).

(٣) هو حديث حسن بمجموع طرقه، وسيأتي.

لا انتهي لا انثني لا ارعوي ما دمت في قيد الحياه ولا إذا[١]

وقوله:

والله ما كان الرسول بعاجز عن لفظ من..........................

أي لو كان مراده بقوله أين الله السؤال من الله؛ لما كان عاجزًا عن ذلك، ولفظ من حرفان ولفظ أين ثلاثة أحرف.

وقوله:

والله ما الملكان أفصح منه إذ ....

أي ما الملكان اللذان يسألان الميت فيقولان من ربك ومن نبيك وما دينك[٢] بأفصح منه !

أفيقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أين الله يعني من الله!! فلا والله ما اللفظان بسواء، ولا معناهما أيضًا بسواء لا في لغة ولا شرع، والله أعلم.

---

(١) الأبيات لجمال الدين مطروح، وهي من بحر الكامل، وقد سقط منها بيتين، فإن المؤلف جعل عجز البيت الثاني هو عجز البيت الأول، والأبيات هكذا:

لا انتهي لا انثني لا ارعوي عن حبه فليهذ فيه من هذا

والله ماخطر السلو بخاطري ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (١/ ١٧٨)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني (١/ ٨٢)،الكشكول لمحمد بن الحسن العاملي(١/ ٥٣)، نفح الريحانة ورشحة طلاء الحانة لمحمد بن أمين بن فضل الله المحبي (٢/ ١٤١).

(٢) سبق من حديث البراء بن عازب.

قال الناظم:

فصل

هذا وخامس عشرها الإجماع من رسل الإله الواحد المنان
فالمرسلون جميعهم مع كتبهم قد صرحوا بالفوق للرحمن
وحكى لنا إجماعهم شيخ الورى والدين عبد القادر الجيلاني
وأبو الوليد المالكي أيضًا حكى إجماعهم أعني ابن رشد الثاني
وكذا أبو العباس أيضًا قد حكى إجماعهم علم الهدى الحراني
وله اطلاع لم يكن من قبله لسواه من متكلم بلسان

قال الشيخ الإمام شيخ الإسلام (د/ ١٧٧أ) سيد الوعاظ أبو محمد عبد القادر ابن أبي صالح الجيلاني[1] في كتاب الغنية له[2]: «أما معرفة الصانع[3] بالآيات [والدلالات على وجه][4] الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد».

إلى أن قال: «وهو بجهة العلو مستو على العرش، محتوٍ على الملك محيط علمه بالأشياء: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥]،

---

(١) هو: عبد القادر بن عبد الله بن جنكي الجيلاني نسبة إلى جيل، وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان، من شيوخ الصوفية، وإليه تنسب الطريقة القادرية قال السمعاني: هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح ديّن خير، كثير الذكر. مات سنة (٥٦١هـ). انظر: السير (٢٠/ ٤٣٩)، وفوات الوفيات (٢/ ٣٧٣).

(٢) انظر: الغنية (١/ ١٠١).

(٣) الصانع ليس من أسماء الله تعالى، لكن يجوز ذكره من باب الخبر، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن لفظ الصانع شبيه بلفظ الخالق والرب. انظر: بغية المرتاد (ص٤٢٧).

(٤) سقطت من (ع، د)، واستدركناها من كتاب الغنية.

ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال إنه في السماء على العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وذكر (ع/ ٢٧٥ب) آيات وأحاديث إلى أن قال: «وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وإنه استواء الذات على العرش» قال: «وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف......»، وذكر كلامًا طويلًا.

وقال الناظم في كتابه إغاثة اللهفان[1]: «قال أبو الوليد ابن رشد في كتاب «الكشف عن مناهج الأدلة»[2] القول في الجهة، وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشاعرة كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله».

إلى أن قال: «والشرائع كلها مبينة على أن الله في السماء، وأن منها تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين وأن من السماوات أنزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفق[3] جميع الشرائع على ذلك» ثم ذكر تقرير ذلك بالمعقول وبين بطلان الشبهة (د/ ١٧٧ب) التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم.

إلى أن قال: «فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل وأن إبطاله إبطال الشرائع كلها» انتهى.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في بعض أجوبته بعد كلام سبق[4]: «مع أن

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٨).
(٢) مناهج الأدلة لابن رشد (ص١٧٦-١٧٨).
(٣) (ع): «تفق».
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٨٨).

أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل...».

فهذا إجماع الرسل الذي نقل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

❁❁❁

قال الناظم:

هـذا ونقطع نحن أيضًا أنه ... إجماعهم قطعًا على البرهان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بإثـ ... ـبات الصفات لخالق الأكوان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بإثـ ... ـبات الكلام لربنا الرحمن

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بإثـ ... ـبات المعاد لهذه الأبدان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بتـ ... ـوحيد الإله وماله من ثان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بإثـ ... ـبات القضاء وما لهم قولان

فالرسل متفقون قطعًا في أصـ ... ـول الدين دون شرائع الإيمان

كل له شرع ومنهاج وذا ... في الأمر لا التوحيد فافهم ذان

فالدين في التوحيد دين واحد ... لم يختلف منهم عليه اثنان

دين الإله اختاره لعباده ... ولنفسه هو قيم الأديان

فمن المحال بأن يكون لرسله ... في وصفه خبران مختلفان

شرع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر أشياء مما يقطع بأنها دين الرسل عليهم الصلاة والسلام، وذلك كعلو الله تعالى على خلقه، وإثبات صفاته تعالى وكلامه، وإثبات معاد الأبدان والتوحيد، وإثبات القضاء والقدر، وذلك مما يقطع به ضرورة. ثم

قال(١): فالرسل متفقون قطعًا في أصول الدين؛ وذلك بغير شك، وأما شرائعهم فمختلفة، كما قال تعالى (د/١٧٨أ): ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

قال ابن كثير(٢): «قال ابن أبي حاتم: وساق السند إلى ابن عباس ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾ (ع/٢٧٧أ) قال سبيلًا، وساق أيضًا عن ابن عباس ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ قال وسنة، وكذا روي عن ابن عباس ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أي سبيلًا وسنة، وكذا روي عن مجاهد(٣) وعكرمة(٤) والحسن البصري(٥) وقتادة(٦) والضحاك(٧) والسدي وأبي إسحاق السبيعي(٨) أنهم قالوا(٩) في قوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أي سبيلًا وسنة.

وعن ابن عباس(١٠) أيضًا ومجاهد(١١) وعطاء(١٢) الخراساني(١٣) عكسه، أي: سنة وسبيلًا، والأول أنسب؛ فإن الشرعة هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء ومنه، يقال شرع في كذا: أي ابتدأ فيه، وكذا الشريعة، وهي ما يشرع فيها إلى الماء، أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل والسنن الطرائق.

---

(١) معنى قول الناظم.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٠)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٥١).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦١١).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦١٢).
(٥) أخرجه البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٦٦).
(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦١٢).
(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦١٢).
(٩) (ع): «أنهم قالو» مكررة.
(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦١١).
(١١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٦١١).
(١٢) (ع، د) «أي وعطاء» وهو خطأ.
(١٣) هو: عطاء بن أبي مسلم الخراساني أبو أيوب، «صدوق يهم كثيرًا ويرسل ويدلس من الخامسة». مات سنة (١٣٣هـ). التقريب (ص٦٧٩).

فتفسير قوله: ﴿شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًا﴾ بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس والله أعلم. انتهى كلامه.

قوله:

«في الأمـــر لاالــتـوحــيــد... ....» إلخ

أي أن جميع الرسل متفقون في التوحيد، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد...**»[(١)]، يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] الآية.

وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في شريعة حرامًا ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس، وخفيفًا فيزداد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك لما له تعالى من الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وهذا معنى قول الناظم:

«.. في الأمـر لا الـتـوحـيـد فـافـهـم ذان

۞۞۞

قال الناظم:

وكــذاك نـقـطـع أنـهـم[(٢)] جـاؤا ... بـعـدل الله بـين طـوائـف الإنسـان

وكـذاك نـقـطـع أنـهـم أيـضًـا دعـوا ... لـلـخـمـس وهـي قـواعـد الإيمــان

---

(١) مسلم في الفضائل (٤/ ١٨٣٧).

(٢) (د) «بأنهم».

إيمانــنــا بــالله ثــم بــرســلــه ويــكــتــبــه وقــيــامــة الأبـــدان
ويجـنــده وهـــم الملائـكـة الألى هـم رسلـه لمـصـالح الأكـوان
هـذي أصـول الـديـن حقـا لا أصـ ـول الخمس للقاضي هو الهمداني
تلك الأصـول للإعتزال وكم لها فــرع فـمـنـه الخـلـق لـلـقـرآن
وجـحـود أوصــاف الإلـه ونفيهم لـعـلـوه والـــفـــوق لـلـرحمـن
وكـــذاك نـفـيـهـم لـرؤيـتـنـا له يـوم اللـقـاء كـمـا يـرى القمران
ونـفـوا قـضـاء الـرب والـقـدر الذي سبـق الـكـتـاب بـه هـمـا حتمان
مـن أجـل هـاتـيك الأصـول وخلدوا أهـل الـكـبـائـر في لـظـى الـنـيران
ولأجـلـهـا نـفـوا الـشـفـاعـة فيهم ورمـــوا رواة حـديـثـهـا بطعان
ولأجـلـهـا قـالـوا بـأن الله لم يـقـدر عـلـى إصـلاح ذي العصيان
ولأجـلـهـا قـالـوا بـأن الله لم يـقـدر عـلـى إيمـان ذي الـكـفـران
ولأجلها حكموا على الرحمن بالشـ ـرع المحـال شـريـعـة الـبـهـتـان
ولأجـلـهـا هـم يـوجـبـون رعـايـةً للـ أصـلـح المـوجـود في الإمـكـان
حـقـا عـلـى رب الـورى بعقولهم سـبـحـانـك الـلـهـم ذا السبحان

أي نقطع أن الرسل دعوا لأصول (د/١٧٨ب) الإيمان الخمسة، وهي الإيمان بالله (ع/٢٧٧ب) وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[١].

وقوله:

هـذي أصـول الـديـن حقا لا الأصو ل الخمس للقاضي هـو الهمداني

أي أن هذه أصول الدين لا الأصول الخمسة للمعتزلة؛ وذلك أن أصولهم خمسة يسمونها التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وإنفاذ الوعيد والأمر

---

(١) قال شيخنا: «القدر داخل في الإيمان بالله تعالى».

بالمعروف والنهي عن المنكر[(١)]، لكن معنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات، ولهذا سمى ابن التومرت[(٢)] (د/١٧٩أ) أصحابه الموحدين[(٣)] وهذا إنما هو إلحاد في أسماء الله وآياته، ومعنى العدل عندهم يتضمن التكذيب بالقدر، وهو خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات أو القدرة على شيء، ومنهم من ينكر تقدم العلم بالكتاب، لكن هذا ليس قول أئمتهم، وأما المنزلة بين المنزلتين فهي عندهم أن الفاسق لا يسمى مؤمنًا بوجه من الوجوه كما لا يسمى كافرًا، فنزلوه منزلة بين منزلتين، وإنفاذ الوعيد عندهم معناه أن فساق الملة مخلدون في النار لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك كما تقوله الخوارج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف.

وقول الناظم:

تلك الأصول للاعتزال وكم لها فرع فمنه.......................إلخ

أي أن المعتزلة قالوا بخلق القرآن ونفوا صفات الله تعالى وعلوه على خلقه ونفوا رؤيته تعالى في الآخرة ونفوا القضاء والقدر، والشفاعة في عصاة الموحدين،

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد (ص١٢٨-١٤١) بتحقيق عبد الكريم عثمان، الناشر مكتبة وهبة.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، البربري المصمودي الخارج بالمغرب، كان يتظاهر بالنهي عن المنكر، ثم ادعى النسب الشريف ثم ادعى العصمة، وأنه الإمام المعصوم المهدي، وكان أشعريًّا جلدًا، وحمل أهل المغرب على المذهب الأشعري، والخوض في التأويل، بعد أن كانوا يدينون بعقيدة السلف، وصار له أتباع يسمون بالموحدين، وألف كتاب المرشدة في التوحيد، صرح فيها بنفي الصفات، وكل من خالفه استباح دمه حتى قتل ألوفًا، وكان فيه ورفض واعتزال، ومات في آخر سنة (٥٢٤هـ). انظر: السير (١٩/ ٥٣٩)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٢٨).

(٣) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمرَّاكشي (١/ ٥٣).

وقالوا بأن الله لا يقدر على إصلاح العصاة، ولا يقدر على إيمان الكفار، وأوجبوا على الله رعاية الأصلح، ونحو ذلك[١].

وقوله:

.... للقاضي هو الهمذاني

أي القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي شافعي الفروع، معتزلي الأصول، وهو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل أبو الحسن الهمذاني قاضي الري وأعمالها، وكان شيخ المذهب، وهو مع ذلك شيخ الاعتزال[٢].

قال ابن كثير في تاريخه[٣]: «ومن أجل مصنفاته وأعظمها كتاب دلائل النبوة في مجلدين[٤]، أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة، وقد طال عمره ورحل الناس إليه من الأقطار واستفادوا[٥] به، مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة».

(١) راجع: الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٥٤)، ومنهاج السنة (١/ ٩٩)، والعقيدة الأصفهانية (ص١٢٠)، والفصل في الملل (٣/ ٢)، والتنبيه والرد للملطي (ص٣٧)، وقطف الثمر لصديق حسن خان (ص٤٦).

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكي (٢/ ١٨٣).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٣٣٠).

(٤) طبع باسم «تثبيت دلائل النبوة» طبع في دار «العربية» بتحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان.

(٥) كذا في (ع) و(د) ولعلها «منه».

قال الناظم:

فصل

هذا وسادس عشرها إجماع أهـ ـل العلم أعني حجة الأزمان

من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن

لا عبرة بمخالف لهم ولو كانوا عديد الشاء والبعران

إن الذي فوق السماوات العلى والعرش وهو مباين الأكوان

هو ربنا سبحانه وبحمده حقًّا على العرش استوى الرحمن

فاسمع إذًا أقوالهم واشهد عليـ ـهم بعدها بالكفر والإيمان

واقرأ تفاسير الأئمة ذاكري الـ إسناد فهي هداية الحيران

هذا هو الدليل السادس عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه وهو إجماع العلماء من أهل السنة وأصحاب الحديث قال:

وانظر إلى قول ابن عباس بتفسـ ـير استوى إن كنت ذا عرفان

قال البغوي في تفسيره المشهور[(١)]: «قال ابن عباس (د/ ١٧٩ب) وأكثر مفسري السلف: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩]: ارتفع إلى السماء» اهـ.

۞۞۞

وانظر إلى أصحابه من بعده كمجاهد ومقاتل حبران

قال البخاري (ع/ ٢٧٨أ) في صحيحه[(٢)] «باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]، قال أبو العالية[(٣)]: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ارتفع وقال مجاهد

(١) المسمى «معالم التنزيل» (١/ ٧٨).
(٢) البخاري (٨/ ١٧٥).
(٣) أخرجه البخاري معلقًا. انظر: الفتح (١٣/ ٤١٤).

استوى علا على العرش[١]، وروى عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة له عن أبيه عن نوح بن ميمون[٢] عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]، قال: هو على عرشه وعلمه معهم[٣]، وروى البيهقي بإسناده عن مقاتل بن حيان قال: بلغنا -والله أعلم- في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد:٣]، قال هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء وإنما قربه بعلمه وهو فوق عرشه[٤].

۞۞۞

وانظر إلى الكلبي أيضًا والذي قد قاله من غير ما نكران

روى البيهقي من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] يقول استقر على العرش[٥].

۞۞۞

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا ووصله الفريابي كما في الفتح (١٣/ ٤١٦) عن ورقاء عن ابن أبي هجيح عن مجاهد من قوله.

(٢) هو: نوح بن ميمون بن عبد الحميد العجلي أبو سعيد البغدادي المعروف بالمضروب. قال الحافظ: «ثقة من العاشرة». التقريب (ص١٠١١).

(٣) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٤).

(٤) إسناده ضعيف، وقد ذكر شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥/ ٤٩٨) أن هذا ليس مشهورًا عن مقاتل وهو لم يجزم به، بل قد قال بلغنا، وهو الذي فسر الباطن بالقريب، ثم فسر القرب بالعلم والقدرة، ولا حاجة إلى هذا، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء...».

(٥) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤١٤) برقم(٨٤٠) ونقله ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص١٨٨)، والاستقرار هو أحد معاني الاستواء؛ فإن الاستواء فسر بالعقود والاستقرار والعلو والصعود، وكلها جاءت بها النقول، ودلت عليها اللغة.

وكذا رفيع التابعي أجلهم ... ذاك الرياحي العظيم الشان

رُفيع -بضم الراء مصغرًا- وهو أبو العالية (د/ ١٨٠أ)، وقد تقدم ما نقله البخاري عنه قال أبو العالية: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ارتفع[1].

۞ ۞ ۞

كم صاحب ألقى إليه علمه ... فلذاك ما اختلفت عليه اثنان

فليهن من قد سبه إذ لم يوا ... فق قوله تحريف ذي البهتان[2]

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذلك ار ... تفع الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد صعد الذي هو رابع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره ... أدرى من الجهمي بالقرآن

حكى الفراء عن ابن عباس ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ [فصلت:١١] صعد[3]، أبو عبيدة هو معمر ابن المثنى التيمي البصري[4].

قوله:

.... صاحب الشيباني

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٤٨)، والشعب له (٢/ ١٩٦).

(٢) معنى البيتين أن أبا العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ استفاد من عدد كبير من الصحابة.
انظر: الكافية الشافية (٢/ ٣٦١).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤١٢)، لكن الشارح لم يستوف شرح الأبيات التي ذكرها الناظم في معاني الاستواء فنقول: الاستواء في اللغة يدل على أربعة معانٍ: الصعود والارتفاع والعلو والاستقرار، وكلها ليس فيها معنى الاحتياج إلى العرش، وبعضهم كالذهبي نفر من لفظة «استقر»، لكونها من صفات الأجسام وليس كذلك، فقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي عمر الطلحنكي نقله عن كثير من أئمة السلف كابن المبارك وغيره أنهم ذكروها من معاني الاستواء.

(٤) تقدم.

هو أبو عمرو بن العلاء، واسمه إسحق[١] كما ذكر ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام، وقيل إنما قيل له الشيباني (ع/٢٧٩ب) لانقطاعه إلى أناس من بني شيبان[٢]:

۞۞۞

والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان
هو قول أهل الإعتزال وقول أتـ ـباع لجهم وهو ذو بطلان
في كتبه قد قاله من موجز وإبانة ومقالة ببيان

أي أن الأشعري ذكر إبطال تأويل الاستواء بالاستيلاء في كثير من كتبه كالموجز والإبانة والمقالات[٣].

قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة في أصول الديانة»[٤] له في باب الاستواء: «فإن قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل نقول له إن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء:١٥٨]، وقال حكاية عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ

(١) هو: إسحاق بن مرار الشيباني الكرماني، كان من أعلم الناس في اللغة، وكان موثقًا فيما يحكيه، أخذ عنه كبار المحدثين منهم أحمد بن حنبل. مات سنة (٢١٣هـ). من آثاره: «أشعار القبائل»، «خلق الإنسان»، وغيرها. انظر: المعارف لابن قتيبة (ص٥٤٥)، والفهرست لابن النديم (ص١٠١)، وهدية العارفين (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام (١٤/ ٥٥).

(٣) انظر: الإبانة (ص٤١٣) بتحقيق صالح بن مقبل العصيمي، مقالات الإسلاميين (١/ ٥٤)، ودرء التعارض (٦/ ١٩٧)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٤٣)، وأقاويل الثقات لمرعى بن يوسف الكرمي الحنبلي (١/ ١١١)، والتحفة المدنية في العقيدة السلفية لحمد بن ناصر بن معمر (ص١٢٣).

(٤) الإبانة (ص٤٨- ٥٠)، ط. الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، كذب موسى في قوله إن الله فوق السماوات وقال عَزَّوَجَلَّ (د/ ١٨٠ب): ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦]، فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء(١)، وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى أنه ذكر السماوات فقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح:١٦]، ولم يرد أنه يملأهن جميعًا»، قال: «ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى استوى استولى وملك وقهر، وأنه تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الإستواء إلى القدرة، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة؛ لأنه قادر على كل شيء، والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش، وكذا لو كان مستويًا على العرش بمعنى الاستيلاء؛ لجاز أن يكون مستويًا على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول أن الله مستو على الأخلية والحشوش، فبطل أن يكون الاستواء الاستيلاء».

وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك، وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن، شَهَّرَة(٢) الحافظ ابن عساكر، واعتمد عليه، ونسخه بخطة الإمام محيي الدين النووي، كذا ذكره الحافظ الذهبي.

۞۞۞

---

(١) ذكره الثعالبي في فقه اللغة (ص١) في الباب الأول تحت الفصل الأول في الكليات وقال فيما نطق به القرآن من ذلك وجاء تفسيره عن ثقات الأئمة: كل ما علاك فأظلك فهو سماء» اهـ.

(٢) بفتح أوله وثانيه، أي جعله مشهورًا.

قال الناظم:

وكذلك البغوي أيضًا قد حكا ٥ عنهم بمعالم القرآن

قال الإمام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي صاحب معالم التنزيل[(١)] عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤]: «قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد، ثم قال البغوي: وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف (ع/ ٢٨٠أ) يجب الإيمان به.

وقال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩]، «قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: ارتفع إلى السماء[(٢)] (ع/ ١٨١أ).

وقال في قوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠]، الأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة[(٣)].

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٢٣٥).

(٢) في معالم التنزيل (١/ ٢٤١).

(٣) في هامش الأصل تعليق نصه «ما ذكره الشارح عن البغوي على قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠]، إلى أن قال: «والأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله...» إلى آخر ما ذكره.
هذا مذهب أهل التفويض وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن مذهب أهل التفويض أخبث المذاهب؛ لأنه يتضمن تجهيل الرسول» اهـ.
ويزاد على ما ذكره المعلق -ابن سحمان أو العنقري- بأن إتيان الله تعالى حقيقي على ما يليق بجلال الله تعالى، ولا يلزم إبطال صفة نطق القرآن بها أن المخلوقين اتصفوا بمثلها.

وقال في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] أي من سِرارِ ثلاثةٍ إلا هو رابعهم بالعلم(١) انتهى.

۞۞۞

وانظر كلام إمامنا هو مالك	قد صح عنه قول ذي إتقان
في الاستواء بأنه المعلوم لـ	ـكن كيفه خاف على الأذهان

روى البيهقي وأبو الشيخ الأصبهاني عن يحيى بن يحيى(٢) قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟!، فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرُحَضَاء ثم قال: (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعًا) فأمر به أن يخرج(٣) وساق البيهقي بإسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني(٤) عن ابن وهب(٥) قال: كنت عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرُحَضَاء ثم رفع رأسه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وأنت صاحب بدعة أخرجوه(٦).

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٤).

(٢) هو: يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي، الحنظلي، أبو بكر النيسابوري.
قال الحافظ: «ثقة ثبت إمام من العاشرة». ومات سنة (٢٢٦هـ). التقريب (ص١٠٦٩).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥) وإسناده صحيح.

(٤) هو: سليمان بن داود بن حماد بن سعد المهري، أبو الربيع، ابن أخي رشدين. مات سنة (٢٥٣هـ).
قال في التقريب (ص٤٠٦): «ثقة من الحادية عشرة».

(٥) هو: العالم الحافظ عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري أبو محمد، مات سنة (٣٠٨هـ). انظر: السير (١٤/ ٤٠٠).

(٦) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤) من طريق أبي الربيع عن ابن وهب به، وجود =

قال الذهبي في كتاب العلو بعد ما ساق كلام الإمام مالك[١]: «وهذا قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها وأن استواءه معلوم كما أخبر به في كتابه، وأنه كما يليق به لا نعمق ولا نتحذلق ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم يقينا مع ذلك أن الله جَلَّجَلَالُهُ لا مثل له في صفاته ولا في استواءه ولا في نزوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا» اهـ.

۞۞۞

وروى ابن نافع الصدوق سماعه ... منه على التحقيق والإتقان

الله حقًّا في السماء وعلمه ... سبحانه حقًّا بكل مكان

فانظر إلى التفريق بين الذات والـ ... ـمعلوم من ذا العالم الرباني

فالذات خصت بالسماء وإنما الـ ... ـمعلوم عم جميع ذي الأكوان

ذا ثابت عن مالك من ردّه ... فلسوف يلقى مالكًا بهوان

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل (د/١٨١ب) في الرد على الجهمية: «حدثني أبي ثنا شُريح بن النعمان[٢] عن عبد الله بن نافع[٣] قال: قال مالك بن أنس: (الله في السماء

=الحافظ إسناده في الفتح (١٣/ ٤١٧) والرحضاء: من رحض رحضًا، ورحضت الثوب، إذا غسلته وهو رحيض، ورحض الرجل رحضًا: عرق كأنه غُسل جسده، وعلى الرجل الرحضاء: أي العرق والرحضاء: عرق الحمى.

انظر: مجمل اللغة (٢/ ٤٢٤)، ولسان العرب (٧/ ١٥٣)، والعلو للذهبي (٢/ ٩٥٣ - حاشية)، المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٤٠٤).

(١) العلو للذهبي (٢/ ٩٥٣).

(٢) هو: شريح بن النعمان الصائدي الكوفي، قال الحافظ: «صدوق من الثالثة».
انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٥٧١)، والتقريب (ص٤٣٥).

(٣) هو: عبد الله بن نافع بن أبي نافع القرشي المخزومي، أبو محمد المدني، قال الحافظ: «ثقة صحيح الكتاب، في حفظه لين، من كبار العاشرة»، مات سنة (٢٠٦هـ)، وقيل بعدها. التقريب (ص٥٥٢).

وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء)(١).

فانظر كيف فرق مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بين الذات (ع/ ٢٨١ب) والمعلوم، فخص الذات بالسماء، وأما المعلوم فهو عام كل شيء، والمراد بالمعلوم هنا العلم، كما ذكره الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ.

وقوله:

ذا ثابت عن مالك..... ....إلخ

يعني بقوله فلسوف يلقى مالكًا خازن النار، نعوذ بالله من ذلك، ولكن لا يخلو كلامه من مبالغة(٢).

۞۞۞

قال الناظم:

وكذاك قال الترمذي بجامعٍ ... عن بعض أهل العلم والإيمان

الله فوق العرش لكن علمه ... مع خلقه تفسير ذي إيمان

ذكر الحافظ أبو عيسى الترمذي في جامعه لما روى حديث أبي هريرة -وهو

---

(١) أخرجه أبو داود في المسائل التي رواها عن أحمد (ص٢٦٣)، وعبدالله بن أحمد في السنة (١/ ١٠٦-١٠٧)، وابن منده في كتاب التوحيد (٣/ ٣٠٧)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٠١). وإسناده صحيح. وأما عبد الله بن نافع فلا يضر ضعفه في صحة الراوية عن مالك، لأنه ضعيف في الحديث، لكنه كما قال أحمد: «صاحب رأي مالك، وكان يفتي أهل المدينة برأي مالك، ولم يكن في الحديث بذاك».

(٢) في هامش (ع) تعليق نصه «قوله: [ذا ثابت عن مالك...] ظاهر كلام الشارح أن قوله: [فلسوف يلقى مالكًا بهوان...] من كلام مالك من أنس، وليس كذلك، بل الظاهر أنه من كلام الناظم، وكذلك قوله: «لا يخلو كلامه من مبالغة...» كلام ممنوع؛ لأن مقصود الناظم أن من مات منكرًا للعلو أنه كافر فانتفت المبالغة، والله أعلم». اهـ.

خبر منكر- «لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله»[١] فقال: (قال أهل العلم أراد لهبط على علم الله، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه)[٢].

وقال أبو عيسى[٣] -إثر ما روى حديث أبي هريرة: «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها»-: (روت عائشة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوه، وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا وما يشبهه من الصفات ونزول الرب: نثبت هذه الروايات في هذا ونؤمن به، ولا يتوهم ولا يقال كيف هذا، روي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث «أمروها بلا كيف»[٤] وهكذا قول (د/ ١٨٢أ) أهل العلم من أهل السنة والجماعة) اهـ.

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه، وفسروها على غير

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٢٢٦) أحمد في المسند (٢/ ٣٧٠) كلاهما عن قتادة، عن الحسن عن أبي هريرة، به، وإسناده ضعيف؛ لعنعنة قتادة، والحسن لم يسمع من أبي هريرة.

(٢) ذكر شيخ الإسلام أن تفسيره بالعلم من جنس تأويلات الجهمية، والحديث إنما يدل على أن الله فوق العرش، ويدل على إحاطة العرش وكونه سقف المخلوقات، والحديث على تقدير صحته معناه: أنه لو وقع الإدلاء لوقع عليه، وهذا ممتنع لا يمكن؛ لأن الله عال بالذات، وإذا أهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز، ولم يصعد إلى الجهة الأخرى؛ لأنها عالية،فترد الهابط بعلوها، فلا يصعد إلى الجهة الأخرى إلا برافع يرفعه، فإذا قدر أن الرافع أقوى كان صاعدًا به إلى الفلك من تلك الناحية وصعد به إلى الله تعالى.

وكرة الأرض مثبتة في وسط كرة السماء، كالنقطة في الدائرة، فالأرض وسط السماء، فإذا حصل الإدلاء في أي جهة من الأرض، وخرجت من الجهة الأخرى حصل الهبوط إلى السماء المحيطة بالأرض، وقول شيخ: «...إلا بدافع» فهذا يسمى قانون الجاذبية الأرضية التي يمنع خروج أي جسم إلى الجهة الأخرى بعد أن يصل إلى المركز.

انظر: نقض التأسيس (٢/ ٢١٩)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٥٧٣-٥٧٥) (٢٥/ ١٩٨).

(٣) في سننه (٣/ ٥٠).

(٤) أخرجه الدارقطني في الصفات (ص٧٥)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥٢٧)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥٨)، والاقتضاء (ص٣٦)، وابن قدامة في ذم التأويل (ص٢٠).

ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده(١)، وإنما معنى اليد هاهنا النعمة وهذا القول في باب فضل الصدقة من الجامع» وقال نحوًا من ذلك أيضًا في تفسير: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤].

۞۞۞

وكـذاك أوزاعـيـهـم أيـضًـا حكى	عـن سـائـر الـعـلـمـاء في الـبـلـدان
مـن قـرنـه والـتـابـعـين جميعهم	مـتـوافـريـن وهـم أولـو الـعـرفـان
إيمـانـهـم بـعـلـوه سـبـحـانـه	فـوق الـعـبـاد وفـوق ذي الأكـوان

روى البيهقي في الأسماء والصفات(٢) بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال (كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته) وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال: (سئل مكحول(٣) والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: أمروها كما جاءت)(٤).

وروي أيضًا عن الوليد بن مسلم قال: (سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت وفي رواية فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف)(٥).

۞۞۞

---

(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٤٣). (٢) (٢/ ١٥٠)

(٣) هو: مكحول الشامي، أبو عبد الله الدمشقي الفقيه، قال الحافظ: «ثقة فقيه كثير الإرسال، مشهور من الخامسة، ومات سنة بضع عشرة ومائة». التقريب (ص٩٦٩).

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٩٨) من طريق أبي عبدالله الحاكم عن محمد بن علي الجوهري عن ابراهيم بن الهيثم عن محمد بن كثير المصيصي قال: سمعت الأذرعي يقول «..فذكره»، والمصيصي منكر الحديث، لكن الأثر روى من طرق أخرى صحيحه، انظر: العلو للذهبي (٢/ ٩٤١ - تعليق).

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥٢٧)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥٨)، وأبو الفضل في الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٣٨)، وأبو يعلى في إبطال التأويلات (١/ ٤٧).

وكذاك قال الشافعي حكاه عنـ ـه البيهقي وشيخه الرباني
حقا قضى الله الخلافة ربنا فوق السماء لأصدق العبدان
حب الرسول وقائم من بعده بالحق لا فشلٍ ولا متوان
فانظر إلى المقضي في ذي الأرض لـ ـكن في السماء قضاء ذي السلطان
وقضاؤه وصف له لم ينفصل عنه وهذا واضح البرهان

قال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حق قضاها الله (د/ ١٨٢ب) في سمائه وجمع عليها قلوب عباده) انتهى[1]. أي أن المقضي في الأرض والقضاء في السماء، وهو فعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المتضمن لمشيئته وقدرته.

قوله:

.... حكاه عنـ ـه البيهقي وشيخه الرباني

مراده بشيخ البيهقي: الحافظ أبو عبد الله الحاكم رحمهما الله تعالى.

قوله:

.... العُبْدَانِ

جمع عبد.

وقوله:

حب الرسول.................. ....إلخ

يعني أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١٣٦)، ونقله عنه ابن تيمية مستشهدًا به كما في الفتاوى (٥/ ٥٣)، وابن القيم في اجتماع الجيوش (ص١٦٥).

وقال الإمام ابن الإمام عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي رضي الله عنه «حدثنا أبو شعيب[١] وأبو ثور[٢] عن أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله قال: «القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء»[٣].

۞۞۞

قال:

وكذلك النعمان قال وبعده ... يعقوب والألفاظ للنعمان
من لم يقر بعرشه سبحانه ... فوق السماء وفوق كل مكان
ويقر أن الله فوق العرش لا ... يخفى عليه هواجس الأذهان
فهو الذي لا شك في تكفيره ... لله درك من إمام زمان
هذا الذي في الفقه الاكبر عندهم ... وله شروح عدة لبيان

قوله:

...........النعمان........... ....

هو: الإمام عالم العراق أبو حنيفة النعمان بن ثابت.

---

(١) لم يتبين لي من هو.

(٢) هو: إبراهيم بن خالد الكلبي، أبو ثور الفقيه، صاحب الشافعي وناقل أقواله القديمةن وبعد أحد الفقهاء المأخوذ برأيهم ثقة من العاشرة. مات سنة (٢٤٠هـ).
انظر: التقريب (ص١٠٧).

(٣) أخرجه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١٣٥).

وقوله:

.... يــــعــــقــــوب....................

هو: ابن إبراهيم أبو يوسف القاضي.

قلت: قال في كتاب الفقه الأكبر المشهور المروي بالإسناد عن أبي مطيع الحكم ابن عبد الله البلخي[١] «قال سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض قال: قد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] وعرشه فوق سمواته، فقلت إنه يقول أقول على العرش استوى، ولكن قال (د/ ١٨٣) لا يدري العرش في السماء أو في الأرض، فقال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر» رواها صاحب الفاروق[٢] بإسناد عن أبي بكر نصير بن يحيى! عن الحكم.

قال الذهبي[٣]: وسمعت القاضي الإمام تاج الدين عبد الخالق بن علوان[٤] قال: سمعت الإمام أبا محمد عبد الله بن أحمد المقدسي[٥] -مؤلف المقنع[٦] رحم الله

---

(١) انظر: الفقه الأكبر برواية أبي مطيع البلخي (ص٤٠-٥٠).

(٢) أبي إسماعيل الهروي، تقدم.

(٣) في العلو (٢/ ٩٣٨).

(٤) هو: عبد الخالق بن عبد السلام بن سعيد بن علوان المعري ثم البعلي، أحد شيوخ الذهبي. مات سنة (٦٩٣هـ). نظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٨٠).

(٥) عبد الله بن أحمد بن محمد السعدي المقدسي الصالحي الحنبلي. قال الذهبي: (المحدث الرحال)، مات سنة (٦٥٨هـ) انظر: السير (٢٣/ ٣٧٥).

(٦) المقنع من أشهر كتب الحنابلة في الفقه، ومتن مختصر شرحه عدد من علماء الحنابلة منهم ابن مفلح في كتاب «المبدع شرح المقنع» وعبد الرحمن بن قدامة المقدسي في كتابه المسمى بـ«الشرح الكبير» وهو مطبوع، كما شرحه علاء الدين المرداوي في كتاب سماه «التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع». انظر: كشف الظنون (٢/ ١٨٠٩- ١٨١٠).

ثراه وجعل الجنة مثواه-، يقول: «بلغني عن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال من أنكر أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء فقد كفر»(١).

۞۞۞

وانظر مقالة أحمدٍ ونصوصه	في ذاك تلقاها بلا حسبان
فجميعها قد صرحت بعلوه	وبالاستوا والفوق للرحمن
وله نصوص واردات لم تقع	لسواه من فرسان هذا الشان
إذ كان ممتحنًا بأعداء الحديـ	ـث وشيعة التعطيل والكفران
واذا أردت نصوصه فانظر إلى	ما قد حكى الخلال ذو الإتقان

يعني أن الإمام أحمد له من النصوص والكلام في صفات الله تعالى وفي كلامه ما ليس لغيره من الأئمة؛ لأنه كان ممتحنا بالمعطلة والجهمية وما جرى عليه من المحنة في ذلك والضرب مشهور، مذكور في الكتب التي صنفت في مناقبه كمناقبه للإمام أبي إسماعيل الأنصاري وللحافظ أبي الفرج ابن الجوزي والحافظ أبي بكر البيهقي (ع/ ٢٨٣ب) وغيرهم وكذلك كتب التاريخ(٢).

وقوله:

....	الخـــــلال....................

هو أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال(٣)، كان أحد من صرف عنايته إلى

---

(١) أخرجه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص١٢٨).

(٢) انظر كلامه في الصفات في الرد على الجهمية له (ص١٣٥)، طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ٤٣١)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٠٠-٢١٣)، ومن أجمع الكتب التي جمعت كلماته المتناثرة في العقيدة كتاب «الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» لشيخنا الدمتور عبد الإله الأحمدي.

(٣) هو: أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي، أبو بكر الخلال، محدث فقيه، أخذ الفقه عن خلق =

جمع علوم الإمام أحمد بن حنبل، وسافر إلى البلاد لأجلها، وسمعها عالية ونازلة، وصنف كتاب الجامع وهو في عدة مجلدات، وكتاب السنة، وكتاب العلل لأحمد بن حنبل، وغير ذلك.

قال أبو بكر بن شهريار[١]: «كلنا تبع للخلال لأنه لم يسبقنا إلى جمع علم أحمد أحد قبله».

قال الخطيب[٢]: «جمع -يعني الخلال- علوم أحمد وطلبها وسافر لأجلها، وكتبها وصنفها كتبًا، ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أحد أجمع منه لذلك، (د/١٨٣ب) توفي في ربيع[٣] الأول سنة إحدى عشرة وثلثمائة وقد نيف عن الثمانين» انتهى ملخصًا من تاريخ الذهبي[٤].

وأما نصوص الإمام أحمد في ذلك فنذكر منها قليلًا من كثير:

١- قال يوسف بن موسى القطان[٥] -شيخ أبي بكر الخلال- «قيل لأبي عبد الله: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان قال نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه»[٦].

=كثير من أصحاب أحمد بن حنبل. مات سنة (٣١١هـ). من آثاره «العلل»، و«السنة» وغيرها.
انظر: معجم المؤلفين (٢/ ١٦٦-١٦٧).

(١) محمد بن الحسين القطان، أصله بلخي سكن بغداد، كذبه ابن ناجية، وسئل عنه الدارقطني فقال: ليس به بأس. مات سنة (١٣٥هـ).
انظر: تاريخ بغداد (٣/ ١٩-٢٠)، لسان الميزان (٦/ ٥٦).

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٥/ ١١٢).

(٣) (ع) «ربيعي» والمثبت من (د).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (ص٤٠٦) حوادث سنة (٣١١هـ).

(٥) هو: يوسف بن موسى بن راشد القطان أبو يعقوب الكوفي المشهور بالرازي.
قال الحافظ: «صدوق من العاشرة». مات سنة (٢٥٣هـ). التقريب (ص١٠٩٦).

(٦) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣/ ١٦٠)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٣/ ٤٠١).

٢- وقال أبو طالب أحمد بن حميد[(١)]: «سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال: الله معنا، وتلا: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] فقال: قد تجهم هذا، يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها، قرأت عليه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [المجادلة:٧] فعلمه معهم[(٢)]، وقال في سورة ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] «فعلمه معهم» اهـ.

٣- قال المروذي: «قلت لأبي عبد لله: إن رجلًا قال أقول كما قال الله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره، فقال هذا كلام الجهمية، بل علمه معهم، فأول الآية يدل على أنه علمه» رواه ابن بطة[(٣)] في كتاب الإبانة عن عمر بن محمد بن رجاء! عن محمد بن داود[(٤)] عن المروذي[(٥)].

٤- وقال حنبل بن إسحق[(٦)]: «قيل لأبي عبد الله ما معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ قال: علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلاحد ولا صفة»[(٧)].

---

(١) المشكاني، صحب الإمام أحمد قديمًا، وروى عنه مسائل كثيرة، ولازمه إلى أن مات، وكان أحمد يكرمه، ويقدمه، وكان رجلًا صالحًا فقيرًا، صبورًا على الفقر، ومات (٢٤٤هـ). انظر: تاريخ بغداد (٤/ ١٢٢)، وطبقات الحنابلة (١/ ٣٩).

(٢) أخرجه الذهبي في العلو (٢/ ١١٤)، ونقله ابن القيم اجتماع الجيوش (ص٢٠٠).

(٣) هو: عبيد الله بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، قال الذهبي: (الإمام القدوة أبو عبد الله)، مات في سنة (٣٨٧هـ). انظر: السير (١٦/ ٥٢٩).

(٤) هو: محمد بن داود بن صبيح أبو جعفر المصيصي، قال في التقريب: «ثقة فاضل من الحادية عشرة». التقريب (ص٨٤٣).

(٥) العلو للذهبي (٢/ ١١١٥) ونقله ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص٢٠١).

(٦) كما في العلو للذهبي (٢/ ١١١٦)

(٧) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في نقض التأسيس (١/ ٤٣٣): «فهذا الكلام من أبي عبد الله أحمد يبين أنه نفى أن العباد يحدون الله تعالى أو صفاته بحد، أو يقدرون ذلك بقدر أو أن يبلغوا إلى أن يصفوا ذلك». اهـ.

وكلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذا كثير شهير، وفيما ذكرنا كفاية.

۞۞۞

وكـــذاك إسحـاق الإمـــام فانه	قـد قـال مـا فـيـه هـدى الحـيـران

قال الخلال[1]: «أنا المروذي قال قال إسحق بن إبراهيم بن راهويه قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة، وفي قعور البحار ورؤوس الآكام وبطون الأودية، وفي كل موضع، كما يعلم علم ما في السماوات السبع وما فوق العرش، أحاط بكل شيء علمًا، فلا تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات البر والبحر إلا قد عرف ذلك كله وأحصاه، فلا تعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره (د/ ١٨٤أ).

۞۞۞

وابـــن المـبـارك قـال قـولًا شافيا	إنـكــاره عـلـم عـلـى الـبـهـتـان
قـالـوا لـه مـا ذاك نـعـرف ربنا	حـقًّـا بـه لـنـكـون ذا إيمـان
فـأجـاب نـعـرفـه بـوصـف علـوه	فـوق الـسـمـاء مـبـايـن الأكـوان
وبـأنـه سبـحـانه حـقًّـا عـلـى العرش	الـرفـيـع فـجـل ذو الـسـلـطـان

قال الخلال ثنا أبو بكر (ع/ ٢٨٤أ) المروذي: «قال سمعت أبا عبد الله قيل له: روى علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك أنه قيل له: كيف نعرف الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: على العرش بحد، قال قد بلغني ذلك عنه وأعجبه ثم قال أبو عبد الله: ﴿هَلۡ

---

(١) في السنة له (١/ ٣٠٧)، ونقله ابن تيمية في درء التعارض (٦/ ٢٦٠)، وابن القيم في اجتماع الجيوش (ص٢٢٦).

يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ [البقرة:٢١٠]، ثم قال: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [الفجر:٢٢]»(١).

وروى شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني(٢) بإسناده الثابت عن عبد الله بن المبارك أنه قال: «نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته بائنًا من خلقه ولا نقول كما قال الجهمية بأنه ههنا، وأشار بيده إلى الأرض»(٣).

وهو عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن المروزي، كان أبوه تركيًّا مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همدان، فكان ابن المبارك إذا قدمها أحسن إلى ولد مولاهم، وكانت أمه خوارزمية، ولد سنة ثماني عشرة ومائة، وسمع إسماعيل ابن أبي خالد(٤)، والأعمش وهشام بن عروة(٥) وحميد الطويل(٦) وغيرهم من أئمة التابعين، وحدث عنه خلائق من الناس، وكان موصوفًا بالحفظ والفقه والعربية، والزهد والكرم والشجاعة، وله التصانيف الحسان والشعر المتضمن حكمًا جمة،

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١١١)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ١٥٥)، وابن منده في التوحيد (٣/ ٣٠٨)، والصابوني في عقيدة السلف (ص٢٠)، كلهم بأسانيد صحاح.

(٢) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني، الإمام العلامة القدوة، محدث خراسان، شيخ الإسلام، وكان فصيح اللهجة واسع العلم، عارفًا بالحديث والتفسير، مات سنة (٤٤٩). انظر: السير (١٨/ ٤٠)، والأعلام (١/ ٣١٧).

(٣) أخرجه الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٢٠) وإسناده صحيح.

(٤) إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي، قال في التقريب: «ثقة ثبت من الرابعة». مات سنة (١٤٦هـ). انظر: التهذيب (١/ ١٨٥)، والتقريب (ص١٣٨).

(٥) هشام بن عروة بن الزبير الأسدي، ثقة فقه ربما دلس من الخامسة، مات سنة (١٤٦هـ). انظر: التقريب (ص١٠٢٢).

(٦) هو: حميد بن أبي حميد الطويل، البصري، أبو عبيدة، ثقة مدلس من الخامسة مات حميد سنة (١٤٣هـ). انظر: التقريب (ص٢٧٤).

وكان كثير الغزو والحج، وكان له رأس مال نحو أربعمائة ألف تدور بتجارة في البلدان، فحيث اجتمع بعالم ببلدة أحسن إليه، وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العلم والعبادة، وربما أنفق من رأس المال.

قال سفيان بن عيينة: «نظرت أمر الصحابة فما رأيتهم يفضلون عليه (د/ ١٨٤ب) إلا بصحبتهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وقال إسماعيل بن عياش[١]: «ما أعلم على وجه الأرض مثله، وما أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك، ولقد حدثني أصحابه أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص[٢] وهو الدهر صائم».

وقد قدم مرة إلى الرقة وبها هارون الرشيد[٣]، فلما دخلها انجفل الناس يهرعون إلى ابن المبارك، وازدحم الناس حوله، فأشرفت أم ولد للرشيد من قصر، فقالت: ما للناس، فقيل هذا رجل من علماء خراسان يقال له ابن المبارك، فقالت المرأة: «هذا هو الملك لا ملك هارون الذي يجمع الناس عليه بالسوط والعصا».

وقد قال الشيخ أبو عمر ابن عبد البر: «أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعدالته توفي بهيت[٤] في سنة إحدى وثمانين ومائة في رمضان عن ثلاث وستين سنة» اهـ.

۞۞۞

(١) إسماعيل بن عياش بن سلم العنسي، أبو عتبة الحمصي، قال السهمي: كان أهل حمص ينتقصون علي بن أبي طالب حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش، فحدثهم بفضائله فكفوا، قال في التقريب: «صدوق في روايته عن أهل بلده، مخلِّط في غيرهم». مات سنة (١٨١هـ). انظر: التقريب (ص١٤٢).

(٢) معمول التمر والسمن. انظر القاموس المحيط (١/ ٧٩٥).

(٣) هارون بن مهدي بن محمد الهاشمي، الخليفة العباسي الرشيد، استخلف بعهد معقود له من أبيه المهدي، وكان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذي حج، وجهاد، وغزو، وشجاعة، ورأي. مات في سنة (٢٠٣هـ). انظر: السير (٩/ ٢٨٦).

(٤) هي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير، وسميت هيت؛ لأنها في هوة =

وهو الذي قد شجع ابن خزيمة إذ سل سيف الحق والعرفان[١]

وقضى بقتل المنكرين علوه بعد استتابتهم من الكفران

وبأنهم يلقون بعد القتل فو ق مزابل الميتات والأنتان

فشفى الإمام العالم الحبر الذي يدعى إمام أئمة الأزمان

ولقد حكاه الحاكم العدل الرضى في كتبه عنه بلا نكران

قال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني في عقيدته[٢] «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ -يعني الحاكم- في كتاب التاريخ الذي جمعه لأهل نيسابور، وفي كتاب معرفة أصول الحديث اللذين جمعهما ولم يسبق إلى مثلهما، قال سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ[٣] سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحق ابن خزيمة يقول: «من لم يقر أن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته فهو كافر به حلال الدم، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت (د/ ١٨٥أ) عنقه وألقي على بعض المزابل»[٤].

۞۞۞

=من الأرض والأصل فيها «هوت» فصارت الواو ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها.
انظر: معجم البلدان (٥/ ٤٨٢-٤٨٣).

(١) مراد الناظم: أن مما شجع ابن خزيمة للتصدي لمنكري العلو، ما صرح به ابن المبارك من إثبات علو الله على عرشه. انظر: الكافية الشافية (٢/ ٣٧٤ - تعليق).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٢٠-٢١).

(٣) هو: محمد بن صالح بن هانئ، أبو جعفر الوراق النيسابوري، سمع الكثير، وكان يفهم ويحفظ، وكان ثقه زاهدًا، لا يأكل إلا من كسب يده. مات سنة (٣٤٠هـ).
انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٢٥)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٧٤).

(٤) أخرجه ابن قدامه في إثبات صفة العلو (ص١٦٢)، ونقله الذهبي في العلو (٢/ ١١٢٣).

وحكى ابن عبد البر في تمهيده ... وكتاب الاستذكار غير جبان
إجماع أهل العلم أن الله فو ... ق العرش لم ينكره ذو إيمان
وأتى هناك بما شفى أهل الهدى ... لكنه مرضٌ على العميان

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في شرح الموطأ لما ذكر حديث النزول(١): «قال هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه دليل على أن الله تعالى في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم إن الله بكل مكان».

قال: «والدليل على صحة قول أهل الحق، قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥] (ع/ ٢٨٥ب)، وقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨، ٦١]، وقال لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨].

وقد أخبر الله تعالى في موضعين من كتابه عن فرعون أنه قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، يعني أظن موسى كاذبًا أن له إلهًا في السماء، هذه الآية تدل على أن موسى كان يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبًا»(٢).

(١) التمهيد (٧/ ١٢٨).
(٢) الموضع الثاني الذي أشار إليه ابن عبد البر هو في سورة [القصص:٣٨]، وهي قوله تعالى: =

قال[١]: «ومن الحجة أيضًا في أنه على العرش فوق السماوات السبع أن الموجودين أجمعين من العرب والعجم، إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا أيديهم ووجوههم إلى السماء، ونصبوا أيديهم رافعين لها مشيرين بها إلى السماء، يستغيثون الله ربهم (د/ ١٨٥ب) تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرارٌ لم يوقفهم[٢] عليه أحد[٣]، ولا أنكره عليهم مسلم، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأَمَةِ التي أراد مولاها عِتقها وكانت عليه رقبة مؤمنة، فاختبرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن قال لها: «**أين الله؟**» فأشارت إلى السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: رسول الله، قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»[٤]، فاكتفى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برفعها رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه».

قال أبو عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٥]: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل منها شيئًا على الحقيقة ويزعمون أن من أقربها مشبه، وهم عند من أقربها نافون للمعبود، والحق

=﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾.

(١) التمهيد (٧/ ١٢٨).

(٢) في التمهيد «يؤنبهم».

(٣) أي ما علمهم أحد إياه.

(٤) سبق تخريجه وهو صحيح.

(٥) انظر: التمهيد (٧/ ١٤٥).

فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة والحمد لله»
انتهى كلامه.

✿✿✿

وكــذا عـلـي الأشــعـري فإنـه — في كـتـبـه قـد جـاء بـالـتـبـيـان
مـن مـوجـز وإبـانـة ومـقـالـة — ورسـائـل لـلـثـغـر ذات بـيـان
وأتـى بـتـقـريـر اسـتـواء الـرب فو — ق الـعـرش بـالإيـضـاح والـبرهـان
وأتـى بـتـقـريـر الـعلو بأحسن الـتـ — ـقـريـر فـانـظـر كـتـبـه بـعـيـان
والله مـا قـال المجـسـم مـثـل مـا — قـد قـالـه ذا الـعـالم الـربـانـي
فـارمـوه ويحـكـم بمـا تـرمـوا بـه — هـذا المجـسـم يـا أولـي الـعـدوان
أولا فـقـولـوا إن ثـم حـزازة — وتـنـفـس الـصـعـداء مـن حـران[1]
فسلوا الإلـه شفاء ذا الداء العضا — ل مجـانـب الإسـلام والإيمـان

يعني أن الإمام أبا الحسن الأشعري قد أوضح في كتبه كالإبانة والموجز ومقالات (د/ ١٨٦أ) الإسلاميين ورسائله (ع/ ٢٨٦أ) إلى الثغر استواء الرب فوق عرشه، وبرهن على ذلك، وقرره بأحسن تقرير وذلك في كتبه فانظرها إن شئت وقد تقدم بعض كلامه في ذلك.

قوله:

والله مـا قـال المجـسـم مـثـل مـا — قـد قـالـه ذا الـعـالم الـربـانـي

أي ما قال المنبوذ عندكم بالتجسيم مثل ما قال الأشعري.

---

(١) المقصود ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ليس بأقل مما قرره إمامكم يا معشر الأشاعرة، فلم ترمون ابن تيمية بالتجسيم، ولا ترمون به إمامكم التي صحت كتبه الموافقة لعقيدة أهل السنة باعترافكم. انظر: الكافية الشافية (٢/ ٣٧٧).

قوله:

فــارمــوه ويحـكـم بمـا تـرمـوا بـه هــذا المجـــســم.......... إلخ

أي فشنعوا عليه بمثل ما شنعتم به على أصحاب الحديث الذين هم عندكم مجسمة.

وقوله:

..........مـــا تـرمـوا بـــه....... ....

الأصل ترمون به ولكن حذف النون للوزن.

وقوله:

.... وتـنـفـس الـصـعـداء.............

كالبرحاء تنفس طويل قاله في القاموس[1].

وقوله:

.........................الـــداء العضا ل..................................

قال في القاموس[2]: داء عضال، كغراب يعني غالب.

۞۞۞

قال الناظم:

وانـظـر إلى حـرب وإجمـاع حكى لله دَرُّكَ مــن فـتـى كـرمـانـي

حرب هو أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني، صاحب الإمام أحمد صاحب المسائل المعروفة التي نقلها عن أحمد وإسحاق وغيرهما، وذكر معها من الآثار عن

(١) انظر: القاموس (ص٣٧٥).

(٢) انظر: القاموس (ص١٣٣٥).

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة وغيرهم ما ذكره، وهو كتاب كبير صنفه على طريقة الموطأ ونحوه من المصنفات، قال في آخره[1] في الجامع:

«باب القول في المذهب: هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها، وأدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها.

فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، وهو مذهب أحمد وإسحق بن إبراهيم بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي[2] وسعيد بن منصور[3] وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم»، وذكر الكلام في الإيمان والقدر والوعيد والإمامة وما أخبر به الرسول من أشراط الساعة وأمر البرزخ والقيامة وغير ذلك.

إلى أن قال: «وهو سبحانه بائن من خلقه، لا يخلو من علمه (د/١٨٦ب) مكان، ولله عرش وللعرش حملة يحملونه، وله حد والله أعلم بحده، والله على عرشه عز ذكره وتعالى جده ولا إله غيره، والله تعالى سميع لا يشك، بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، يقظان لا يسهو، رقيب لا يغفل، يتكلم ويتحرك ويسمع ويبصر وينظر ويقبض ويبسط ويفرح ويحب ويكره ويبغض ويرضى ويسخط ويغضب ويرحم ويعفو ويغفر ويعطي ويمنع،

---

(١) انظر: درء التعارض العقل والنقل (٢/ ٢٢)، شرح العقيدة الأصفهانية (ص٥٢)، كشف الأوهام والالتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس للشيخ سليمان بن سمحان (ص٩٠).

(٢) عبد الله بن الزبير بن عيسى، الإمام الحافظ، الفقيه أبو بكر الحميدي، صاحب المسند. ثقة حافظ فقيه، من العاشرة، مات سنة (٢١٩هـ)، وقيل (٢٢٠هـ). التقريب (ص٥٠٦).

(٣) هو سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، مات سنة (٢٢٧هـ) وقيل بعدها. قال في: «ثقة مصنف وكان لا يرجع عما في كتابه لشدة وثوقه به». التقريب (ص٣٨٩).

وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

إلى أن قال «ولم يزل الله متكلمًا عالمًا ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

۞۞۞

وانظر إلى قول ابن وهب أوحد ... العلماء مثل الشمس في الميزان

ابن وهب هو الإمام عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري صاحب الإمام مالك بن أنس، ولم أقف على كلامه فأحكيه[(١)].

۞۞۞

وانظر إلى ما قال عبد الله في ... تلك الرسالة مفصحًا ببيان

من أنه سبحانه وبحمده ... بالذات فوق العرش والأكوان

قال الإمام أبو محمد ابن (ع/٢٨٧ب) أبي زيد المغربي القيرواني[(٢)] -شيخ المالكية في وقته- في أول رسالته المشهورة في مذهب الإمام مالك[(٣)]: «أنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته[(٤)] وأنه في كل مكان بعلمه».

---

(١) قال شيخنا عن المؤلف: «رحم الله امرءًا انتهى إلى ما قد سمع». اهـ، وابن وهب كان من بحور العلم وأحاديثه في الصحاح والمسانيد، مات سنة (١٩٧هـ)، وهو الذي روى الأثر المشهور عن مالك في الاستواء. انظر: السير (٩/ ٢٢٣-٢٣٤).

(٢) هو عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني، صاحب الرسالة المشهورة، كان معنيًا بلزوم السنة والأثر، والرد على أهل الأهواء والبدع وبخاصة العبيديين والطرقية، ونبغ في مذهب مالك مات سنة (٣٨٦هـ) على الصحيح وله عدة مؤلفات. انظر: مقدمة الرسالة الفقهية (ص٩-٦٢).

(٣) رسالة أبي زيد (ص٥٦).

(٤) هذه اللفظة لم ترد في الكتاب والسنة ولا في كلام الصحابة رضي الله عنهم، وقد أطلق مثل هذه العبارة عدد من الأئمة منهم أبو جعفر بن أبي شيبه، وعثمان بن سعيد الدارمي، ويحيى بن عمار واعظ سجستان في رسالة له، وكذلك أبو نصر الوائلي السجزي صاحب كتاب الإبانة، وكذلك =

وذكر ابن أبي زيد أيضًا في كتاب الفرد في السنة[١] تقرير العلو واستواء الرب على العرش بذاته وقرره أتم تقرير وقال في مختصر المدونة[٢] أنه تعالى فوق عرشه بذاته فوق سمواته دون أرضه.

۞۞۞

=ابن عبد البر، وأبو إسماعيل الأنصاري، وأبو الحسن الكرجي، وأحمد بن ثابت الطرقي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، وعبد العزيز القحيطي، والزنجاني وطائفة.

ولا ريب أن الله تعالى خالق كل شيء بذاته، ومدبر الخلائق بذاته ومستوٍ على العرش بذاته، لكن الوقوف عند حدود النص أكمل في الاتباع، والتعبير بالألفاظ الشرعية أولى من التعبير بغيرها، وفي الألفاظ الشرعية غنية عن غيرها.

وإنما أراد ابن أبي زيد وغيره: التفرقة بين كونه تعالى معنا وبين كونه فوق العرش دفعًا لعقيدة الحلول والاتحاد.

ولفظة «بذاته» و«بائن» لم تكن معروفة في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لكن لما ابتدع جهم وأتباعه القول بأن الله -تعالى- في كل مكان، اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأعلام بلفظة «بائن» دون أن ينكرها أحد منهم.

ومثله قولهم: «القرآن كلام الله» موافقة للنصوص الشرعية، ولما جاءت المعتزلة بعقيدة خلق القرآن، اضطروا أن يقولوا «القرآن غير مخلوق».

وإذا نطق أهل الضلال بالباطل، وجب على أهل الحق أن ينطقوا بالحق ولو بتعابير لم تكن معروفة من قبل.

وقد تتابع الإقرار بين الأئمة على لفظة «بائن» دون نكير منهم، وأما لفظة « بذاته» فلم ترد إلا في كلام بعض المتأخرين، ولم تكن معروفة في القرون المفضلة.

وقد أنكرها الذهبي على ابن أبي زيد وغيره، مبالغة منه في المحافظة على نهج السلف.

انظر: مقدمة الألباني على مختصر العلو (ص١٧-١٨)، العلو للذهبي (٢/ ١٢٩٠)، مقدمة الشيخ بكر على عقيدة ابن أبي زيد (ص٢٠-٣٧).

(١) ذكرها ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص١٥٠) وسماها: «المفرد في السنة»، ولعلها التي ذكرها الذهبي وسماها «رسالة في التوحيد»، وسماها الشيخ عبد السلام بن برجس «السنة».

انظر: السير (١٧/ ١١)، تاريخ تدوين العقيدة السلفية للشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم (ص١١٦).

(٢) انظر نص كلامه في اجتماع الجيوش (ص١٥٦).

وانظر إلى ما قاله الكرخي في ... شرح لتصنيف امرئ رباني

وانظر إلى الأصل الذي هو شرحه ... فهما الهدى لُملَدِّدٍ حيران

قوله:

[..............إلى ما قاله الكرخي ....إلخ][1]

لم أقف على شرح الكرخي ولا أصله فأسوقه[2] (د/ ١٨٧أ).

٭٭٭

وانظر إلى تفسير عبد ما الذي ... فيه من الآثار في ذا الشأن[3]

وانظر إلى تفسير ذاك الفاضل الثـ ... ـبت الرضى المتضلع الرباني

ذاك الإمام ابن الإمام وشيخه ... وأبوه سفيان فانظرذان[4]

يريد التفسير المشهور تأليف الإمام الحافظ الثبت أبي محمد عبد الرحمن ابن أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي رحمهما الله تعالى وتفسيره المذكور في أربع مجلدات والبيت الثاني فيه قلق، ولم يظهر المراد منه[5].

---

(١) سقطت من (ع).

(٢) نقله شيخ الإسلام - كما في مجموع الفتاوى (٤/ ١٨١)-: «... وأنه تعالى في السماء، وأنه على عرشه بائن من خلقه، كما قال مالك: إن الله في السماء وعلمه في كل مكان»، وله قصيدة في السنة واعتقاد السلف بعنوان «عروس القصائد في شموس العقائد». انظر: طبقات ابن السبكي (٦/ ١٤١)، والعلو للذهبي (٢/ ١٣٦١)، والكافية الشافية (٢/ ٣٨٠).

(٣) المقصود بهذا البيت: عبد بن حميد الكشي صاحب المسند والتفسير، إمام حافظ حجة، مات سنة (٢٤٩هـ). وتفسيره من التفاسير المأثورة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة والتابعين، وقد أورد كثيرًا من النقول والآثار عن السلف ونقل عنه شيخ الإسلام في الدرء (٢/ ٢١، ٢٢) كلامه عن الاستواء. انظر: الكافية الشافية (٢/ ٣٨١- تعليق).

(٤) في هامش (ع) تعليق نصه «سفيان فرازيان».

(٥) في هامش (ع) تعليق نصه: «قوله [فيه قلق] قد زال القلق بمقابلة النسخة على أصل صحيح كما صححناه أعلاه». اهـ. قد زال القلق -بحمد الله- بمعرفة العبارة الصحيحة للبيت وهي:

ذاك الإمام ابن الإمام وشيخنا ... وأبوه سفيان رازيان

قوله:

.... وشيخه أبوه سفيان.......

أما أبوه فهو الحافظ أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي الحنظلي وأما قوله: «وأبوه سفيان.....» فلا نعلم ما المراد به، وفي بعض النسخ «فانظر ذان.......» وفي بعضها «......فرازيان».

۞۞۞

وانظر إلى النسائي في تفسيره هو عندنا سفر جليل معان

النسائي هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن.

واقرأ كتاب العرش للعبسي وهو محمد المولود من عثمان

قال الحافظ أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد بن أبي شيبة العبسي[١] محدث الكوفة في وقته، قال في كتاب العرش: «ذكروا أن الجهمية يقولون: ليس بين الله وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش وأن يكون الله فوقه، وقالوا: إنه في كل مكان، ففسرت العلماء ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعني علمه، ثم تواترت الأخبار أن الله تعالى خلق العرش فاستوى عليه، فهو فوق العرش متخلصًا[٢] من خلقه، بائنًا منهم انتهى كلامه[٣].

۞۞۞

---

(١) الكوفي، قال الذهبي: «جمع وصنّف، وله تاريخ كبير، ولم يرزق حظًّا، بل نالوا منه، وكان من أوعية العلم». مات سنة (٢٩٧هـ). انظر: السير (١٤/ ٢١).

(٢) في هامش (د) « كذا في الأصل المنقول منه » والعبارة صحيحة، ويقصد بها الرد على الحلولية، لكن لو أبدلها بغيرها كان أولى. والله أعلم.

(٣) كتاب العرش (ص٢٧٦ـ٢٩١) ملخصًا.

واقــــرأ لمسـنـد عـمـه ومـصـنـفٍ أتـراهـمـا نجـمـين بـل شمـسـان[(١)]

واقـرأ كـتـاب الإسـتـقـامـة للرضى ذاك ابـن أصـرم حـافـظ ربـانـي[(٢)]

واقرأ كتاب الحافظ الثقة الرضى في الـسـنـة الـعـلـيـا فـتـى الشيباني

ذاك ابـن أحـمـد أوحـد الحـفـاظ قد شـهـدت لـه الحـفـاظ بـالإتـقـان

هو الإمام الحافظ الثقة (د/١٨٧ب) عبد الله ابن الإمام أحمد بن (ع/٢٨٨أ) حنبل رحمهما الله تعالى وكتابه المشهور في السنة نحو مجلد[(٣)].

واقـرأ كـتـاب الأثـرم العدل الرضى في الـسـنـة الأولى إمـــام زمـان

هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ أبو بكر الأثرم[(٤)].

وكـذا الإمـام ابـن الإمـام المرتضى حـقًّـا أبـي داود ذي الـعـرفـان

تـصـنـيـفـه نـثـرًا ونـظـمًـا واضـحٌ في الـسـنـة المثـلـى هـمـا نجمان

قال الحافظ الذهبي في كتاب العلو[(٥)]: (أخبرنـا أحمـد بن عبدالحمـيد[(٦)] أبنا

(١) يعني به أبا بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة الكوفي الحافظ صاحب المسند والمصنف، وقد ذكر في المصنف أحاديث وآثارًا كثيرة، وقد ذكر من الآثار الدالة على العلو شيئًا كثيرًا. انظر الكافية الشافية (٢/ ٣٨٥).

(٢) هو خشيش بن أصرم النسائي، أبو عاصم، قال الحافظ في التقريب (ص١٩٣): «ثقة حافظ من الحادية عشر» مات (٢٥٣هـ). وله كتاب «السنة والرد على أهل الأهواء» والذي قرر فيه العلو. انظر: درء التعارض (٧/ ١٠٨-١٠٩)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٧٤).

(٣) طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور محمد سعيد القحطاني.

(٤) أحمد بن محمد بن هانئ أبو بكر الأثرم،كان حافظًا للحديث، والفقه والخلاف، وكان عالمًا بتواليف ابن أبي شيبة. مات في حدود (٢٦٠هـ). من آثاره: «السنة والرد على الجهمية» نقل عنه شيخ الإسلام في الحموية إثباته العلو لله تعالى. انظر: درء التعارض (٧/ ١٠٨-١٠٩).

(٥) (٢/ ١٢٢٠).

(٦) هو أحمد بن عبد الحميد بن علي بن داود الصعيدي الأرمنتي سراج الدين، فقيه. مات سنة (٧٢٥هـ). من آثاره المسائل المهمة في اختلاف الأئمة، وكتاب الجمع والفرق.
انظر: معجم المؤلفين (١/ ٢٦٢).

أبو محمد بن قدامة[١] سنة ثماني عشرة وستمائة أخبرتنا فاطمة بنت علي[٢] أبنا علي بن بيان[٣]، أبنا الحسين بن علي الطناجيري[٤]، أبنا أبو حفص ابن شاهين[٥] قال شيخنا أبو بكر عبد الله بن سليمان[٦] هذه القصيدة وجعلها محنة[٧]:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى	ولا تك بدعيا لعلك تفلح
ودن بكتاب الله والسنن التي	اتت عن رسول الله تنجو وتربح
وقل غير مخلوق كلام مليكنا	بذلك دان الأتقياء وأفصحوا
ولا تقل القرآن خلق قراءة	فإن كلام الله باللفظ يوضح
وقل يتجلى الله للخلق جهرة	كما البدر لا يخفى وربك أوضح
وليس بمولود وليس بوالد	وليس له شبه تعالى المسبح

(١) سبق ترجمته.

(٢) البغدادية ثم النيسابورية أم الخير، قال عنها الذهبي: «الشيخة العالمة المقرئة المُعَمَرة - بتشديد الميم - مسندة نيسابور»، ماتت سنة (٥٣٢هـ). انظر: السير (١٩/ ٢٥٧).

(٣) هو علي بن أحمد بن محمد بن بيان البغدادي، انفرد بالرواية عن أكثرهم، وعُمِّرَ حتى اشتهرت عنه الرواية، وصارت الرحلة إليه، وكتب عنه الحفاظ والأئمة وهو صحيح السماع شيخ صدوق مسند مات سنة (٥١٠هـ). انظر: السير (١٩/ ٢٥٧).

(٤) أبو الفرج البغدادي المحدث الحجة،قال الخطيب: كتبنا عنه، وكان ثقة دينًا. مات سنة (٤٣٩هـ). انظر: السير (١٧/ ٦١٨).

(٥) هو عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ،كان ثقة أمينًا مات سنة (٣٨٥هـ). انظر: السير (١٦/ ٤٣١).

(٦) هو أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب القصيدة المشهورة في العقيدة، قال عنه الذهبي: «كان من بحور العلم بحيث إن بعضهم فضله على أبيه» من آثاره: «المصاحف»، مات سنة (٣١٦هـ)، انظر: السير (١٣/ ٢٢١).

(٧) ذكرها في آخر الكتاب اللطيف (ص٢٥٤-٢٥٧)، والذهبي في السير (١٣/ ٢٣٣) والعلو له (٢/ ١٢٢٠) والعليمي في المنهج الأحمد (١٢/ ١٧)، وهي من بحر الكامل، وقد شرحه السفاريني في كتاب مشهور بعنوان «لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية».

وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا ... بمصداق ما قلنا حديث مصرح
رواه جرير عن مقال محمدٍ ... فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح
وقل ينزل الجبار في كل ليلة ... بلا كيف جل الواحد المتمدح
إلى طبق الدنيا يمن بفضله ... فتفرج أبواب السماء وتفتح
يقول ألا مستغفر يلق غافرا ... ومستمنح خيرًا ورزقًا فيمنح
روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ... ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا
وقل إن خير الناس بعد محمد ... وزيراه قدمًا ثم عثمان الأرجح
ورابعهم خير البرية بعدهم ... علي حليف الخير بالخير ممنح
وإنهم والرهط لا ريب فيهم ... على نجب الفردوس بالنور تسرح
سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ... وعامر فهر والزبير الممدح
وقل خير قول في الصحابة كلهم ... ولا تك طعانا تعيب وتجرح
فقد نطق الوحي المبين بفضلهم ... وفي الفتح آي في الصحابة تمدح
وبالقدر المقدور أيقن فإنه ... دعامة عقد الدين والدين أفيح
ولا تنكرن جهلًا نكيرًا ومنكرًا ... ولا الحوض والميزان إنك تنصح
وقل يخرج الله العظيم بفضله ... من النار أجسادًا من الفحم تطرح
على النهر في الفردوس تحيى بمائِهِ ... كحبة حمل السيل إذ جاء يطفح
وأن رسول الله للخلق شافع ... وقل في عذاب القبر حق موضح
ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا ... فكلهم يعصي وذو العرش يصفح
ولا تعتقد رأي الخوارج إنه ... مقال لمن يهواه يردي ويفضح
ولا تك مرجيًا لعوبًا بدينه ... ألا إنما المرجي بالدين يمزح
وقل إنما الإيمان قول ونية ... وفعل على قول النبي مصرح

ويـنـقـص طـورًا بـالمعـاصـي وتـارة بـطـاعـتـه يـنـمـى وفي الـوزن يـرجـح

ودع عنـك آراء الـرجـال وقـولهم فـقـول رسـول الله أزكـى واشـرح

ولا تـك مـن قـوم تـلـهـوا بـديـنـهـم فـتـطـعـن في أهـل الحـديـث وتـقـدح

إذا مـا اعتـقـدت الـدهـر يـاصـاح هـذه فـأنـت عـلـى خـيـر تـبـيـت وتـصـبـح

هذه قصيدة (د/ ١٨٨أ) متواترة عن ناظمها رواها الآجري[١].

[قلت: وقد شرحها أيضًا أبو علي ابن البنا الحنبلي][٢]، وصنف (ع/ ٢٨٩ب) لها شرحًا[٣] أبو عبد الله ابن بطة في الإبانة[٤]، قال ابن أبي داود: «هذا قول أبي وقول شيوخنا وقول العلماء ممن لم نرهم، كما بلغنا عنهم، فمن قال غير ذلك فقد كذب».

كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين ما هو بدون أبيه، صنف التصانيف، انتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد توفي سنة ستة عشرة وثلاثمائة» انتهى كلام الذهبي (د/ ١٨٨ب).

❁ ❁ ❁

[قال][٥]:

واقـرأ كـتـاب الـسـنـة الأولى الـذي أرواه مـضـطـلـع مـن الإيـمـان

ذاك الـنـبـيـل ابـن الـنـبـيـل كـتـابـه أيـضـا نـبـيـل واضـح الـبـرهـان

قال الحافظ الإمام قاضي أصبهان وصاحب التصانيف أبو بكر أحمد بن عمرو

---

(١) في الشريعة (٥/ ٢٥٦٣) وصنف لها شرحًا ذكره ابن الخير في الفهرست (ص٢٨٥).

(٢) ذكره ابن رجب في الذيل (٣/ ٢٧) ومن قوله «قلت....» زيادة من (د).

وابن البنا هو الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء البغدادي الحنبلي صاحب التواليف، مات سنة (٤٧١هـ). انظر: السير (١٨/ ٣٨٠).

(٣) (د) «شروحًا».

(٤) ذكره ابن الخير في فهرسته (ص٢٨٥).

(٥) زيادة من (د).

ابن أبي عاصم الشيباني: «جميع ما في كتابنا كتاب السنة الكبير الذي فيه الأبواب من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم، فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها ويجب التسليم لها على ظاهرها وترك تكلف الكلام في كيفيتها»[١] فذكر من ذلك النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش.

سَمِعَتْ عاتكة بنت أبي بكر[٢] هذا الكلام من أبيها[٣]، وكانت فقيهة عالمة، وكان أبوها شيخ الظاهرية بأصبهان، كما أن شيخهم بالعراق داود بن علي[٤].

روى عن أصحاب شعبه وحماد بن سلمة، وقع لنا جملة من تصانيفه، ومات سنة سبع وثمانين ومائتين، لم يلحق جده أبا عاصم النبيل، ولحق جده لأمه موسى بن إسماعيل التبوذكي[٥].

۞۞۞

وانظر إلى قول ابن أسباط الرضى   وانظر إلى قول الرضى سفيان

أي سفيان بن عيينة.

---

(١) ذكره الذهبي في كتاب العلو (٢/ ١١٩٢) ولم أجده في كتاب السنة لابن أبي عاصم، ولعله مما رواه الذهبي بسنده عن عاتكة ابنة أبي بكر بن أبي عاصم.

(٢) عاتكة بنت أبي بكر أم الضحاك، نقلت عن أبيها أشياء، كما جاء في ترجمة أبيها.
انظر: العلو للذهبي (١١٩٢ـ تعليق).

(٣) أبو بكر ابن أبي عاصم.

(٤) هو داود بن علي بن خلف أبو سليمان البغدادي المعروف بالأصبهاني رئيس أهل الظاهر. قال عنه الذهبي: «الإمام البحر الحافظ العلامة عالم الوقت»، مات سنة (٢٧٠هـ). انظر: السير (١٣/ ٩٧).

(٥) موسى بن إسماعيل المنقري مولاهم أبو سلمة التبوذكي البصري، «ثقة ثبت من صغار التاسعة ولا التفات إلى قول ابن خراش: تكلم الناس فيه»، مات سنة (٢٢٣هـ). التقريب (ص٩٧٧).

قال أحمد بن إبراهيم الدورقي[(١)] حدثني أحمد بن نصر[(٢)] قال سألت سفيان بن عيينة وأنا في منزله بعد العتمة، فجعلت أُلحُ عليه في المسألة فقال: دعني أتنفس.

فقلت: كيف حديث عبد الله عن النبي ﷺ **«أن الله يحمل السماوات على أصبع والأرضين على أصبع»**[(٣)] وحديث: **«إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»**[(٤)]، وحديث: **«إن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق»**[(٥)]، فقال سفيان: هي كما جاءت نقر بها، ونحدث بها بلا كيف[(٦)].

۞۞۞

قال[(٧)]:

وانظر إلى قول ابن زيد ذاك ... حماد وحماد الإمام الثاني

حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل البصري مولى آل جرير ابن حازم وكان جده درهم من سبي سجستان[(٨)].

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي العبدي، النكري -بضم الميم- ثقة حافظ من العاشرة، مات سنة (٢٤٠هـ). التقريب (ص٨٥).

(٢) هو الخزاعي ثقة، تقدم.

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد (٤/ ٢٣٢٧)، ومسلم في صفة المنافقين (٤/ ٢١٤٧).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر (٤/ ٢٠٤٥).

(٥) أخرجه الدارمي في النقض على المريسي (٢/ ٧٩٤) عن ابن مسعود من قوله وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه أبو داود في المراسيل (ص١١٢)، والدارقطني في الصفات (ص٧١)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٨-١٤٩) كلهم من طريق أحمد بن ابراهيم الدورقي عن سفيان به وإسناده صحيح.

(٧) زيادة من (د).

(٨) انظر: تهذيب الكمال (٣/ ١٠٣).

روى عن أنس وابن سيرين[١] وثابت البناني[٢] (د/١٨٩أ) وحميد الطويل وأبي حازم سلمة بن دينار[٣] وعمرو بن دينار وأبي جمرة نصر بن عمران الضبعي[٤] وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد الأنصاري[٥].

وهؤلاء كلهم تابعيون في جماعة آخرين، وعنه الأسود بن عامر شاذان[٦] وسعيد بن منصور وسفيان الثوري وهو أكبر منه وسفيان بن عيينة وهو من أقرانه وعبد الله بن مبارك وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن مهدي وعلي بن المديني[٧] ووكيع والهيثم بن سهل التستري[٨]، وهو آخر من روى عنه[٩].

قال[١٠] عبد الرحمن بن مهدي: «أئمة الناس في زمانهم أربعة سفيان الثوري بالكوفة ومالك بالحجاز والأوازعي بالشام وحماد بن زيد بالبصرة»[١١].

(١) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر ابن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد كبير، كان لايرى الرواية بالمعنى، من الثالثة، مات سنة (١٢٠هـ). التقريب (ص٨٥٣).

(٢) ثابت بن أسلم أبو محمد البناني - بضم الموحدة ونونين مخففتين - أبو محمد البصري ثقة عابد من الرابعة، مات سنة (١٢٧هـ). التقريب(ص١٨٥).

(٣) سلمة بن دينار الأعرج التمار «ثقة عابد من الخامسة». مات سنة (١٤٠هـ) انظر: تقريب التهذيب (ص٣٩٩).

(٤) نصر بن عمران الضبعي البصري أبو جمرة،نزيل خراسان،مشهور بكنيته،ثقة ثبت من الثالثة، مات سنة (١٢٧هـ).التقريب (ص١٠٠٠).

(٥) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، عالم المدينة في زمانه، وتلميذ الفقهاء السبعة.مات سنة ثلاث وأربعين ومئة. انظر: السير (٥/ ٤٦٨).

(٦) أبو عبد الرحمن الشامي نزيل بغداد، وقال في التقريب: «ثقة من التاسعة». مات في (٢٠٨هـ).انظر: التهذيب (١/ ٢١٥)، والتقريب (ص١٤٦).

(٧) علي بن عبد الله بن جعفر بن المديني، قال الحافظ: « ثقة ثبت إمام أعلم أهل عصره بالحديث وعلله»، مات سنة (٢٣٤هـ). التقريب (ص٦٩٩).

(٨) شيخٌ معمَّر، عالي الإسناد، محدث لين، توفي بعد الستين ومئتين.انظر: السير (١٢/ ١٥٨).

(٩) في (د) «وهو من آخر من روى عنه».

(١٠) في (د) «وقال».

(١١) تهذيب الكمال (٣/ ١٠٦).

وقال: «لم أر أحدًا قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد».

وقال مرة: «ما رأيت بالبصرة أفقه منه»[(١)].

وقال أحمد بن حنبل: «حماد بن زيد أحب إلينا من عبد الوارث[(٢)]، حماد بن زيد من أئمة المسلمين من أهل الدين والإسلام، وهوأحب إلي من حماد بن سلمة»[(٣)].

وقال أحمد بن سعيد الدارمي[(٤)]: «سمعت أبا عاصم يقول مات حماد بن زيد يوم مات ولاأعلم له في الإسلام نظيرا في سمته وأظنه قال وكان عبد الله بن المبارك ينشد:

أيها الطالب علمًا ... إيت حماد بن زيد
فاطلب العلم بحلم ... ثم قيده بقيد
لاكثور وكجهم ... وكعمرو بن عبيد[(٥)]

مات سنة تسع وستين ومائة قاله جماعة منهم عارم[(٦)] والفلاس[(٧)]، زاد عارم

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٩).
(٢) عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي أبو عبيدة البصري، قال الحافظ: «ثقة ثبت رمي بالقدر ولم يثبت عنه». مات سنة (١٨٠هـ). التقريب (ص٦٣٢).
(٣) تهذيب الكمال (٣/ ١٠٧).
(٤) أحمد بن سعيد بن صخر الدارمي، أبو جعفر السرخسي ثم النيسابوري، ثقة حافظ من الحادية عشرة، مات سنة (٢٦٥هـ)، التقريب (ص٨٩).
(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٥٨) من طريق أحمد بن علي الأبار عن محمد بن علي بن الحسن ابن شقيق عن أبيه عن ابن المبارك به، وإسناده صحيح.
(٦) هو محمد بن الفضل الدوسي أبو النعمان البصري، لقبه «عارم»، ثقة ثبت تغير في آخر عمره، من صغار التاسعة مات سنة ثلاث أو أربع وعشرين. القريب (ص٨٨٩). ط/ أبو الأشبال.
(٧) عمرو بن علي بن بحر بن كنيز الباهلي، أبو حفص البصري الصيرفي الفلاس.
ثقة حافظ من العاشرة. التقريب (ص٧٤١)

«يوم الجمعة لعشر ليال خلون من رمضان، روى له الأئمة الستة»[(١)].

قال عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي الحافظ في كتاب الرد على الجهمية: «ثنا أبي ثنا سليمان بن حرب سمعت حماد بن زيد يقول إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله يعنى الجهمية»[(٢)].

قوله:

.. ..وحماد الإمام الثاني

وهو حماد بن سلمة بن دينار (ع/ ٢٩٠أ) الإمام العالم أبو سلمة البصري عن أبي عمران الجوني[(٣)] وثابت وابن أبي مليكة[(٤)] وعبد الله بن كثير[(٥)]، وخلق وعنه مالك وشعبة وسفيان وابن مهدي وعارم وعفان وأمم وكان ثقة له أوهام.

قال أحمد: «هو أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل، وأثبتهم فيه»[(٦)].

وقال ابن معين: «هو أعلم (د/ ١٨٩ب) الناس بثابت»[(٧)].

وقال آخر: «إذا رأيت الرجل يقع في حماد فاتهمه على الإسلام»[(٨)].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦١-٤٦٢)، تهذيب الكمال (٣/ ١٠٥) (٣/ ١١٠).

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم في الرد على الجهمية ـ كما في العلو للذهبي (٢/ ٩٧٠) وعبد الله بن أحمد في السنة له (١/ ١١٧) وسنده صحيح.

(٣) هو موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني، أبو عمران البصري، نزيل بغداد، قال الذهبي: «الإمام المحدث الثقة الرحّال». مات سنة (٣٠٧هـ). انظر: السير (١٤/ ٢٦١).

(٤) الأصل «وابن مليك»، وهو تحريف، وابن أبي مليكة عبدالله بن عبيدالله التيمي ثقة فقيه، من الثالثة، مات سنة (١١٧هـ)، وابن أبي مليكة -بالتصغير- أحد أجداده. التقريب (ص٥٢٤).

(٥) عبد الله بن كثير أبو معبد الكناني المكي، أحد القراء السبعة، صدوق من السادسة، مات (١٢٠هـ). التقريب (ص٥٣٧).

(٦) انظر: الميزان (١/ ٥٩٠)، تهذيب الكمال (٣/ ١١٣) (٣/ ١١٤).

(٧) انظر: الميزان (١/ ٥٩٠)، تهذيب الكمال (٣/ ١١٥).

(٨) انظر: الميزان (١/ ٥٩٠)، تهذيب الكمال (٣/ ١١٥).

قال علي بن المديني: «كان عند يحيى بن الضرير عن حماد عشرة آلاف حديث»[١]

وقال عمرو بن سلمة: «كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث»[٢].

وقال ابن المبارك: «ما رأيت أحدًا كان أشبه بمسالك الأول من حماد»[٣].

وروى الكوسج[٤] عن ابن معين: «ثقة»[٥].

وقال آخر: «كان من الأبدال وعلامة الأبدال أن لا يولد لهم»[٦].

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (٣/ ١١٥).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٣/ ١١٥) لكن القائل عمرو بن عاصم

(٣) الأصل «حماد بن زيد» وهو تحريف.

(٤) إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج، أبو يعقوب المروزي،ثقة ثبت من الحادية عشرة مات سنة (٢٥١هـ). التقريب (ص١٣٢).

(٥) وقال في روايه الدوري:«حديثه في أول أمره وآخره واحـد»، ومعناه بالجمع بين رواية الكوسج والدوري: أن حمادًا ثقة في أول أمره وآخره، ولم يتغير بأخره كما ظنه الحافظ في التقريب (ص٢٦٨) حيث قال « ثقة عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بأخره»!! ولم أجد أحدًا من الأئمة ذكر أنه تغير حفظه بأخره، وقد رد أبو حاتم ابن حبان على من زعم ذلك بكلام متين، ذكره المزي في التهذيب (٣/ ١١٥) فراجعه إن شئت.

(٦) الأبدال هم الأولياء والعباد، الواحد بدل؛ سمو بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل بآخر، وقد روى فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إن فيهم -يعني أهل الشام- الأبدال: أربعين رجلًا كلما مات رجل أبدل مكانه رجلًا».

قال شيخ الإسلام -كما في مجموع الفتاوى (١١/ ٤٤١)-: «وكذلك لفظ البدل، جاء في كلام كثير منهم -يعني الصوفية- فأما الحديث المرفوع، فالأشبه أنه ليس من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الإيمان كان بالحجاز وباليمن قبل فتوح الشام، وكانت الشام والعراق دار كفر، ثم لما كان في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قد ثبت عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «تمرق مارقة من المسلمين تقاتلهم أولى الطائفتين بالحق»، فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام.

ومعلوم أن الذين كانوا مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الصحابة مثل عمار بن ياسر وسهل بن حنيف ونحوهما كانوا أفضل من الذين مع معاوية.........، فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا مع أهل الشام؟ هذا باطل قطعًا، وإن كان ورد في الشام وأهله فضائل معروفة، فقد جعل الله لكل شيء قدرًا». اهـ وأما قولهم بأن «علامة الأبدال أنه لا يولد لهم»، باطل، وما تفرع عليه باطل أيضًا.

تزوج سبعين امرأة فلم يولد له[١].

قال أبو عمرو الجرمي: «ما رأيت فقيها قط أفصح من عبدالوارث إلا حماد ابن سلمة»[٢].

وقال عفان: «رأيت من هو أعبد من حماد، لكن ما رايت أشد مواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله منه، ولو قلت إنني ما رأيته ضاحكًا قط صدقت، كان مشغولًا بنفسه إما يقرأ أو يسبح أو يحدث أو يصلي»[٣].

وقال ابن مهدي: «لو قيل لحماد إنك تموت غدًا ما قدر أن يزيد في عمله شيئًا»[٤].

وقال يونس المؤدب: «مات حماد في المسجد وهو يصلي»[٥].

وقال ابن حبان: «لم ينصف من جانب حديث حماد، واحتج بأبي بكر بن عياش، وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، وكان خرازًا من العباد المجابي الدعوة»[٦].

وقال وهيب: «كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا»[٧].

وقال عفان: «اختلف أصحابنا في سعيد بن أبي عروبة[٨] وحماد بن سلمة،

(١) انظر: الميزان (١/ ٥٩١).
(٢) انظر: تهذيب الكمال (٣/ ١١٦).
(٣) انظر: الميزان (١/ ٥٩١).
(٤) الميزان (١/ ٥٩١).
(٥) انظر: الميزان (١/ ٥٩١).
(٦) انظر: الثقات لابن حبان (٦/ ٢١٦) الميزان (١/ ٥٩١).
(٧) انظر: الميزان (١/ ٥٩٢).
(٨) سعيد بن أبي عروبة أبو النضر العدوي مولاهم البصري،قال الحافظ: «ثقة حافظ له تصانيف، لكنه كثير التدليس واختلط، وكان من أثبت الناس في قتادة». مات سنة (١٥٦هـ) وقيل: (١٥٧هـ). التقريب (ص٣٨٤).

فصرنا إلى خالد بن الحارث[١] فسألناه، فقال: حماد أحسنهما حديثا وأثبتهما لزومًا للسنة، فرجعنا إلى يحيى القطان فأخبرناه، فقال: أقال لكم وأحفظهما قلنا لا»[٢].

وقال أحمد ويحيى: ثقة[٣].

وقال ابن المديني: من سمعتموه يتكلم في حماد فاتهموه[٤].

وقال رجل لعفان: «ألا أحدثك عن حماد؟ قال: من حماد ويلك قال: ابن سلمة قال: ألا تقول أمير المؤمنين»[٥].

مات حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سنة سبع وستين ومائة» انتهى ملخصًا من الميزان للذهبي (ع/ ٢٩١ب).

۞۞۞

قال الناظم[٦] (د/ ١٩٠أ):

وانظر إلى ما قاله علم الهدى	عثمان ذاك الدارمي الرباني
في نقضه والرد يا لهما كتا	با سنة وهما لنا علمان
هدمت قواعد فرقة جهمية	خرت سقوفهم على الحيطان

أي وانظر إلى ما قاله الإمام العلامة عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المسمى «رد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»[٧]

---

(١) خالد بن الحارث أبو عثمان العجيمي البصري الحافظ، الحجة، قال الحافظ: (ثقة ثبت من الثامنة)، مات سنة (١٨٦هـ). التقريب (ص٢٨٤).

(٢) انظر: الميزان (١/ ٥٩٢).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) زيادة من (د).

(٧) طبع بتحقيق رشيد الألمعي - مكتبة الرشد بالرياض.

و«كتاب الرد على الجهمية»[(١)]، فإنهما كتابان حافلان، كافلان بنقض شبهات الجهمية، وقمع أضاليلهم وقطع أباطيلهم، فرحمه الله من إمام[(٢)].

۞۞۞

وانظر إلى ما في صحيح محمد ... ذاك البخاري العظيم الشان
من رده ما قاله الجهمي بالنـ ... ـقل الصحيح الواضح البرهان
وانظر إلى تلك التراجم ما الذي ... في ضمنها إن كنت ذا عرفان
وانظر إلى ما قاله الطبري في الشـ ... ـرح الذي هو عندكم سفران
أعني الفقيه الشافعي اللا ... لكائي المسدد ناصر الإيمان

أي وانظر إلى ما قاله أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي الطبري في كتاب «شرح اعتقاد أهل السنة» وهو مجلد ضخم.

قال الإمام الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري الشافعي مصنف[(٣)] كتاب شرح اعتقاد أهل السنة[(٤)]: «سياق ما روي في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وأن الله على عرشه قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨، ٦١]، فدلت هذه الآيات أنه في السماء وعلمه بكل مكان روي ذلك عن

---

(١) طبع بتحقيق بدر البدر - دار ابن الأثير في الكويت.

(٢) أما «الرد على المريسي» فقد عقد فيه بابًا بعنوان «باب النزول» (ص١٩) وقرر فيه علو الله تعالى ونزوله إلى السماء الدنيا، وعقد بابًا آخر بعنوان«الحد والعرش» قال فيه (ص٢٣): «وقد اتفقت كلمة المسلمين والكافرين أن الله في السماء....».

وقال في «الرد على الجهمية (ص٣٣): «باب استواء الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ على العرش، وارتفاعه إلى السماء، وبينونته من الخلق»، ثم ذكر الآيات والأحاديث الدالة على علو الله تعالى.

(٣) (د) «مصنفه».

(٤) (٣/ ٣٨٧).

عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة[١] ومن التابعين ربيعة[٢] وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان وبه قال مالك والثوري وأحمد.

۞۞۞

قال[٣]:

وانظر إلى ما قاله علم الهدى التـ	**ـيمي في إيضاحه وبيان** (د/ ١٩٠ب)
ذاك الذي هو صاحب الترغيب	**والترهيب ممدوح بكل لسان**

قال الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي الأصبهاني[٤] مصنف الترغيب والترهيب وقد سُئل عن صفات الرب فقال: مذهب مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وأحمد ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وإسحاق بن راهويه: أن صفات الله التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله من السمع والبصر والوجه واليدين وسائر أوصافه إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور من غير كيف يتوهم فيها، ولا تشبيه ولا تأويل»[٥].

---

(١) هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، أم سلمة أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع من الهجرة، وعاشت بعد ذلك ستين سنة، وماتت سنة (٦٢هـ). التقريب (ص١٣٧٥). أشبال.

(٢) ربيعة بن أبي عبد الرحمن، واسمه فروخ القرشي المعروف بربيعة الرأي، ثقة فقيه مشهور من الخامسة، مات سنة (١٣٦هـ). التقريب (ص٣٢٢).

(٣) زيادة من (د).

(٤) الملقب بـ(قوّام السنة)، مات سنة (٥٣٥هـ). انظر: السير (٢٠/ ٨٠).

(٥) الحجة في بيان الحجة (٢/ ١٨٦، ٤٧٧).

قال ابن عيينة: «كل شيء وصف الله به نفسه فقراءته تفسيره، ثم قال: أي هو على ظاهره لا يجوز صرفه (ع/ ٢٩١ب) إلى المجاز بنوع من التأويل»[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتاب الحجة[٢]: «قال علماء السنة إن الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه بائن من خلقه، وقالت المعتزلة هو بذاته في كل مكان»، قال: «وروي عن ابن عباس في تفسير قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]، قال هو على عرشه وعلمه في كل مكان» قال: «وزعم هؤلاء أن معنى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] أي ملكه وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه، قال أهل السنة: استوى على العرش بعد خلق السماوات والأرض على ما ورد به النص، وليس معناه المماسة، بل هو مستو على عرشه بلا كيف كما أخبر، عن نفسه» قال: «وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الإشارة إلى الله بالرؤوس والأصابع إلى فوق، فإن ذلك يوجب التحديد، وأجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ونطق بذلك القرآن، فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة لا علو الذات، وعند المسلمين أن لله علو الغلبة، والعلو من سائر وجوه العلو؛ لأن العلو صفة مدح، فثبت أن لله تعالى علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة، وفي منعهم الإشارة إلى الله من جهة الفوق خلافًا لسائر الملل (د/ ١٩١أ)؛ لأن المسلمين وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة، وقد أخبر عن فرعون أنه قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ

(١) أخرجه الدارقطني في كتاب الصفات (ص٧٠) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٣١) وابن منده في كتاب التوحيد (٣/ ٣٠٧) وسنده صحيح.

(٢) (٢/ ١١٢).

كَذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، فكان فرعون قد فهم عن موسى أنه كان يثبت إلهًا فوق السماء حتى رام بصرحه أن يطلع إليه، واتهم موسى بالكذب في ذلك، والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته، فهم أعجز فهمًا من فرعون بل واضل، وقد صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه حكم بإيمان الجارية حين قالت: إن الله في السماء[١]، وحكم الجهمي بكفر من يقول ذلك» انتهى كلام أبي القاسم[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ.

توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة[٣].

۞۞۞

قال الناظم:

وانظر إلى ما قاله في السنة الـ ... ـكبرى سليمان هو الطبراني

صنف الحافظ الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي نزيل أصبهان كتاب السنة قال: «فيه باب ما جاء في استواء الله على عرشه بائن من خلقه»، فساق في الباب حديث أبي رزين العقيلي قلت: يا رسول الله أين كان ربنا[٤] وحديث عبد الله بن خليفة عن عمر في علو الرب على عرشه[٥] وحديث الأوعال

---

(١) صحيح سبق تخريجه.
(٢) انظر: السير (٢٠/ ٨١).
(٣) في هامش (ع) بخط المؤلف: «بلغ قراءه على مؤلفه عفا الله عنه».
(٤) سبق تخريجه.
(٥) لفظ الحديث «إن كرسيه وسع السموات والأرض، وإن له أطيطًا كأطيط الرحل.....» الحديث. أخرجه البزار في مسنده - كما في البحر الزخار (١/ ٤٥٧). من طريق يحيى بن أبي بكير عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر أن امرأة أتت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، فعظم الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى فقال: (...فذكره).
إسناده ضعيف، فيه عبد الله بن خليفة وهو الهمداني. لا يكاد يعرف.
انظر: الميزان (٢/ ٤١٥).

وأن العرش على ظهورهن وأن الله فوقه[(١)]، وقول مجاهد في المقام المحمود[(٢)] توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ستين وثلاثمائة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[(٣)]:

قال[(٤)]:

وانظر إلى ما قاله شيخ الهدى يدعى بطلمنكيهم ذو شان

قال الحافظ الإمام أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي الطلمنكي المالكي في كتاب «الوصول إلى معرفة الأصول» وهو مجلدان[(٥)]: «أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السماوات بذاته[(٦)]، مستو على عرشه كيف شاء،

(١) سبق تخريجه.
(٢) منقول برمته من العلو للذهبي (٢/ ١٢٦٥)، وكتاب السنة من الكتب التي لم تصل إلينا وقد نقل عنه ابن تيمية وابن القيم في عدد من كتبهما.
(٣) السير (١٦/ ١٢٨).
(٤) زيادة من (د).
(٥) كما في الدرء (٦/ ٢٥٠)، وانظر: الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٨٤) والعلو (٢/ ١٣١٥)، وكتاب الطلمنكي مفقود لم يصل إلينا.
(٦) قرر جماعة من السلف أن لفظة: «مستوٍ على عرشه بذاته» أو «ينزل بذاته»، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك، وهذه اللفظة ومثلها «بائن من خلقه» و«كلام الله غير مخلوق» لم ترد عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن أصحابه، لكن لما ابتدع الجهم بأن الله في كل مكان، وتأول الأشاعرة النزول، بأن الله يخلق فعلًا يسمى نزولًا، اقتضت الضرورة أن يتلفظ السلف لأجل الرد عليهم ولو بألفاظ لم تكن معروفة من قبل.
وإذا نطق أهل الباطل بالباطل، وجب على أهل الحق الرد عليهم ولو بتعابير لم تكن معروفة من قبل وكلمة «بذاته» لأجل الرد على الأشاعرة في إنكارهم للعلو وتأويلهم للنزول بأنه فعل يخلقه الله يسمى نزولًا. وممن حكى الإجماع على إطلاق ذلك: أبو بكر السجزي، وأبو الحسن الكرخي، وابن القيم، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والمزني، وابن أبي شيبة، وابن جرير، والخطابي وغيرهم كثير. مع التنبيه على أن لفظة «بائن» و«بذاته» و«غير مخلوق» استعملت من باب الإخبار لا من باب الأسماء، ومعانيها معروفة تتوافق مع ما قرر في الكتاب والسنة، بخلاف لفظة «الجهة» و«الحيز» و«الجوهر» و«العرض» فقد اشتملت على معان باطلة. انظر: ذيل المراكشية للشيخ دغش بن شبيب (ص٧١-٨٦).

وقال أهل السنة في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، فقد قال قوم من المعتزلة (د/ ١٩١ب) والجهمية لا يجوز أن يسمى الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الأسماء على الحقيقة ويسمى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه فإذا سئلوا مالذي حملهم على هذا الزيغ قالوا الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه، قلنا هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها؛ لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لايشتبه بالتسمية؛ وإنما تشتبه الأشياء بأنفسها أو بهيئات فيها، كالبياض بالبياض والسواد بالسواد والطويل بالطويل والقصير بالقصير، ولو كانت الأسماء توجب اشتباهًا لاشتبهت الأشياء كلها لعموم اسم الشيء لها وعموم تسمية الأشياء به فتسألهم: أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبهًا للموجودين، وإن قالوا موجود ولا يوجب وجوده الاشتباه بينه وبين الموجودات، قلنا: فكذلك هو حي عالم قادرٌ مريد سميع بصير متكلم، يعني ولايلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات».

كان الطلمنكي من كبار الحفاظ وأئمة القراء بالأندلس عاش بضعًا وثمانين سنة وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة[١].

۞۞۞

قال[٢]:

وانظر إلى قول الطحاوي الرضى وأجره من تحريف ذي البهتان

قال الإمام عالم الديار المصرية في وقته أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة التي ألفها ذكر بيان السنة والجماعة

---

(١) العلو للذهبي (٢/ ١٣١٦).

(٢) زيادة من (د).

على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (نقول في توحيد الله معتقدين أن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله...... مازال بصفاته قديمًا قبل خلقه...... وأن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على نبيه وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة، ليس بمخلوق فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر...... والرؤية لأهل الجنة حق بغير إحاطة ولا كيفية، وكل ما في ذلك من (د/ ١٩٢) الصحيح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كما قال ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا.....، ولا يثبت قدم الإسلام إلا على التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصحيح الإيمان، ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه».

إلى أن قال: «والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه، وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه» انتهى.

۞۞۞

وكذلك القاضي أبو بكر هو ابـ	ـن الباقلاني قائد الفرسان
قد قال في تمهيده ورسائل	والشرح ما فيه جلى بيان
في بعضها حقًّا على العرش استوى	لكنه استولى على الأكوان
وأتى بتقرير العلو وأبطل الـ	ـلام التي زيدت على القرآن
من أوجه شتى وذا في كتبه	باد لمن كانت له عينان

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (ع/ ٢٩٣ب) الباقلاني الأشعري في كتابه

(١) هو محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني الكوفي صاحب أبي حنيفة، مات سنة (١٨٩هـ). انظر: السير (٩/ ١٣٤).

«التمهيد في أصول الدين»(١) وهو من أشهر كتبه «فإن قال قائل فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل معاذ الله، بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]، ولو كان في كل مكان لكان في جوف الإنسان وفي فمه وفي الحشوش والمواضع القذره التي يرغب عن ذكرها، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ثم قال(٢) تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، المراد أنه إله عند أهل السماء وأله عند أهل الأرض(٣) كما يقال فلان سيد(٤) مطاع في المصرين أي عند أهلهما، وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز وبالعراق موجودة، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، يعني بالحفظ والنصر والتأييد، ولم يرد أن ذاته معهم تعالى وقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، محمول على هذا التأويل.

وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] أنه عالم بهم وبما خفي من سرهم ونجواهم، وهذا إنما يستعمل (د/١٩٢ب) كما ورد به القرآن، فلا يجوز أن يقال قياسًا على هذا أن الله بالقيروان ومدينة السلام ودمشق، وأنه مع الثور والحمار وإنه مع الفساق ومع المصعدين إلى حلوان قياسًا على قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، فوجب التأويل على ما وصفنا، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه.

---

(١) (ص٢٦١-٢٦٢)، ونقله عنه ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٩٩)، وابن القيم في اجتماع الجيوش (ص٢٩٩-٣٠٣)، والذهبي العلو (٢/ ١٢٩٨-١٢٩٩).

(٢) هامش (ع): «كذا» فوق قال.

(٣) انظر: التفسير الصحيح لشيخنا الدكتور حكمت بشير (٥/ ٣١٨).

(٤) (ع، د): «سل» وهو تحريف.

كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ....

لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر، والله تعالى لم يزل قادرًا قاهرًا، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن، فبطل ما قالوه.

وقال في كتاب الذب عن أبي الحسن الأشعري[(١)]: «كذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صفات الله إذا صح، من إثبات اليدين والوجه والعينين ونقول إنه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام وإنه ينزل إلى السماء الدنيا وإنه مستوٍ على عرشه».

إلى أن قال: «وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير كما روي عن الزهري وعن مالك في الاستواء فمن تجاوز هذا فقد تعدى وابتدع وضل».

قال الحافظ الذهبي: «فهذا نفس هذا الإمام وأين مثله في تبحره وذكائه وبصره بالملل والنحل فلقد امتلأ الوجود بقوم لا يدرون ما السلف، ولا يعرفون إلا السلب ونفي الصفات وردها، صم بكم غنم عجم يدعون إلى العقل ولا يكونون على النقل، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

مات القاضي أبو بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة ثلاث وأربعمائة وهو في عشر السبعين (ع/ ٢٩٤أ) وقد سارت بمصنفاته الركبان»[(٢)].

❁❁❁

---

(١) سماه ابن تيمية: «الرد على من نسب إلى الأشعرى خلاف قوله»..انظر: نقض التأسيس (٢/ ٣٤)، واجتماع الجيوش (ص٣٠١)، والذي ذكره الشارح إنما هي رسالة لابن درباس عبد الملك بن عيسى، طبعت عدة طبعات أولها عام ١٩٤٨م بدائرة المعارف النظامية بحيدر أباد، ثم بتحقيق علي ناصر فقيهي، ثم حمدي السلفي، فالشارح وهم هنا، أما كتاب الباقلاني «الرد على من نسب إلى الأشعري خلاف قوله» فلم أعلم عنه شيئًا.

(٢) العلو للذهبي (٢/ ١٣٠١).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[1]:

وانظر إلى قول ابن كلاب وما يقضي به لمعطل الرحمن
أخرج من النقل الصحيح وعقله من قال قول الزور والبهتان
ليس الإله بداخل في خلقه أو خارج عن جملة الأكوان

قد تقدم نقل كلام ابن كلاب بما يغني عن الإعادة.

❁ ❁ ❁

قال[2]:

وانظر إلى ما قاله الطبري في التـ ـفسير والتهذيب قول معان
وانظر إلى ما قاله في سورة الـ أعراف مع طه ومع سبحان

أي وانظر إلى ما قاله الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره وفي تهذيب الآثار.

قال الذهبي في كتاب العلو[3]: «أخبرنا أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر[4] أبنا زين الأمناء الحسن بن محمد[5] أبنا أبو القاسم الأسدي[6] أبنا

---

(١) زيادة من (د).

(٢) زيادة من (د).

(٣) (٢/ ١٢٠٥).

(٤) أحمد بن هبة الله بن أحمد بن عساكر المسند الأجل، شرف الدين أبو العباس الدمشقي، وروى الكثير، وتفرد بأشياء، مات سنة (٦٩٩هـ). انظر: العبر (٣/ ٣٩٦).

(٥) الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر الدمشقي، ثقة نبيل كريم صيِّن، مات سنة (٦٢٧هـ). انظر: السير (٢٢/ ٢٨٤).

(٦) هو أبو القاسم الحسين بن الحسن بن محمد الأسدي الدمشقي الشافعي ابن البُنّ، قال الذهبي: «الشيخ الفقيه العالم المسند الصدوق»، مات سنة (٥٥١هـ). انظر: السير (٢٠/ ٢٤٦).

أبو القاسم ابن أبي العلاء[(١)] أبنا عبد الرحمن ابن أبي نصر[(٢)] أبنا أبو سعيد الدينوري! مستملي محمد بن جرير قال قُرِئَ على أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأنا أسمع في عقيدته[(٣)] قال: «وحسب امرىء أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر» انتهى.

تفسير ابن جرير مشحون بأقوال السلف على الإثبات.

نقل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩] عن الربيع بن أنس!! أن استوى بمعنى ارتفع[(٤)].

ونقل في تفسير ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤] في المواضع كلها أي علا وارتفع[(٥)].

وقد روى قول مجاهد ثم قال: «ليس في فرق الإسلام من ينكر هذا لا من يقر أن الله فوق العرش ولا من ينكره من الجهمية ونحوهم»[(٦)].

---

(١) علي بن محمد بن أبي العلاء المصيعي ثم الدمشقي الشافعي الفرضي أبو القاسم قال الذهبي: (الإمام الفقيه المفتي، مسند دمشق)، مات (٤٨٧هـ). انظر: السير (١٩/ ١٢).

(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن أبي نصر التميمي الدمشقي الملقب بالشيخ العفيف قال الذهبي: (الشيخ الإمام المعدل الرئيس مسند الشام)، مات سنة (٤٢٠هـ). انظر: السير (١٧/ ٣٦٦).

(٣) صريح السنة (ص٢٧) وإسناد الذهبي حسن.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٢٨).

(٥) ذكر الطبري الخلاف في معنى استوى في سورة البقرة، ورجح فيه قول أهل السنة الموافق للنصوص الشرعية واللغة العربية ثم أحال عليه في بقية المواضع.

(٦) لم أجد هذا القول في تفسيره، وإنما ذكر في تفسير: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩]، قولين في ذلك، والثاني فيهما هو قول مجاهد، ثم رجح الأول وقال عن خبر مجاهدًا: «فإن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عرشه قول غير مدفوع صحته لا من خبر ولا من جهة نظر...» انظر تفسير ابن جرير (٨/ ١٣٤).

و أما قوله: «ليس في فرق الاسلام من ينكر هذا...» إلخ في هذا الكلام نظر، فإن الجهمية من المعتزلة وغيرهم ممن ينكر العلو والاستواء هم من أوائل من ينكر ذلك.

وقال في كتاب «التبصير في معالم الدين»[1]: «القول فيما أدرك علمه من الصفات خبرًا وذلك نحو إخباره عَزَّوَجَلَّ أنه سميع بصير وأن له يدين بقوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] وأن له وجهًا بقوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧]، وأن له قدمًا بقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**حتى يضع الرب فيها قدمه**»[2] وأنه يضحك بقوله: «...**لقي الله وهو يضحك إليه**»[3]، وأنه يهبط إلى سماء الدنيا لخبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بذلك[4]، وأن له أصبعًا بقول رسوله: «**ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن**»[5].

فإن هذه المعاني التي وصفت ونظائرها مما وصف الله به نفسه ورسوله ما لا يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية (د/١٩٣ب)، لا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهائها إليه.

أخرج هذا الكلام لابن جرير القاضي أبو يعلى في كتاب «إبطال التأويل»[6] له وقال في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦

---

(١) (ص١٣٢).

(٢) صحيح ابن حبان (١/ ٥٠١)، ومسند أبي عوانة (١/ ١٥٨).

(٣) أخرجه الحارث في مسنده كما في المطالب العلية (١٣/ ٣٨٧) من طريق داود بن المحبر عن ميسرة عن أبي عائشة عن يزيد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة وابن عباس قالا: «خطبنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ خطبة فوعظنا...» الحديث.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٨٨).

(٥) أخرجه مسلم في القدر (٤/ ٢٠٤٥) برقم (٢٦٥٤)، بلفظ مقارب.

(٦) إبطال التأويلات (١/ ٤٨)، وعدم التكفير بالجهل إلا بعد قيام الحجة وبخاصة ما يتعلق بأسماء الله وصفاته، هو قول جمهور العلماء، أما من رد صفة من الصفات جهلًا مع إثبات جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة فليس بكافر، وجميع فرق المتكلمين فساق إلا الجهمية؛ لأنهم لا يثبتون شيئًا في حقيقة الأمر.
انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٤٢)، الفتح (١٣/ ٤١٨).

أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، يقول وإني لأظن موسى كاذبًا فيما يقول ويدعي أن له ربًّا في السماء أرسله إلينا»[1].

توفي ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة عشر وثلاثمائة.

❁❁❁

قال[2]:

وانظر إلى ما قاله البغوي في ... تفسيره والشرح بالإحسان

في سورة الأعراف عند الاستوا ... فيها وفي الأولى من القرآن

قال الإمام محيي السنة أبو محمد الحسين (ع/٢٩٥ب) بن مسعود البغوي في تفسيره[3] عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]: «قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد، وأولت المعتزلة الاستواء: بالاستيلاء.

وأما أهل السنة فيقولون الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف، يجب الإيمان به».

وقال في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩]: «قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف ارتفع إلى السماء»[4].

وقال في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠]: «[الأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها، ويكل علمها إلى الله ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدث على ذلك مضت السلف وعلماء السنة][5].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٦١).

(٢) زيادة من (د).

(٣) معالم التنزيل(٣/ ٢٣٥)

(٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ٧٨)، ونقله عنه ابن تيمية في الدرء (٢/ ٢١).

(٥) معالم التنزيل (١/ ٢٤١)، وقد سبق التنبيه بأن هذا الكلام ظاهر في التفويض، ولكنه لم يقصده كما سيأتي.

وقال في قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة:٧]: «أي من سرار ثلاثة إلا هو رابعهم بالعلم»[(١)].

قال البغوي في «شرح السنة»[(٢)] على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن...**» الخ، قال: «والإصبع المذكور في الحديث صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك كل ما جاء به الكتاب والسنة من هذا القبيل من صفات الباري، كالنفس والوجه، والعين، واليد، والرجل، والإتيان والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح.

قال الله تعالى لموسى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه:٤١]، وقال: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه:٣٩]، وقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧]، ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص:٧٥]، ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧]، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة:٢١٠]، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان:٥٩].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ينزل [ربنا كل ليلة إلى السماء حين يبقى ثلث]**[(٣)] **الليل الآخر**»[(٤)].

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٨/ ٥٤).

(٢) (١/ ١٦٨).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من (ع، د) والمثبت من شرح السنة للبغوي.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٣٨٤).

وروى عن أنس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع**][(١)] **رب العزة فيها قدمه**»[(٢)]، وفي [رواية أبي هريرة: «**حتى يضع الله رجله**»[(٣)].

وفي حديث أبي هريرة في آخر من يخرج من النار: «**فيضحك الله منه، ثم**][(٤)] **يأذن له في دخول الجنة**»[(٥)].

وفي حديث جابر: «**فيتجلى لهم يضحك**»[(٦)].

وفي حديث أنس وغيره: «**لله افرح بتوبة عبده من احدكم يسقط على بعيره وقد اضله بأرض فلاة**»[(٧)].

فهذه ونظائرها صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ورد بها السمع، يجب الإيمان بها وإمرارها على ظاهرها معرضًا فيها عن التأويل مجتنبًا عن التشبيه، معتقدًا أن الباري لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق، قال جل ذكره: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة، تلقوها جميعًا بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، كما أخبر تعالى

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من (ع، د) والمثبت من شرح السنة.
(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٥٣).
(٣) الجمع بين الصحيحين للحميدي (٣/ ٢٠٤).
(٤) ما بين معكوفتين سقط من (ع، د) والمثبت من شرح السنة.
(٥) أخرجه البخاري في الصحيح (١/ ٢٧٨).
(٦) أخرجه مسلم في الإيمان برقم (١٩١).
(٧) أخرجه البخاري في الدعوات (٥/ ٢٣٢٥).

عن الراسخين في العلم فقال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عليه، وليس لأحد أن يفسره إلا الله عَزَّوَجَلَّ ورسله[١].

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالًّا»، وأمر به أن يُخرج من المسجد[٢].

وقال الوليد بن مسلم: «سألت الأوزاعي وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف»[٣].

وقال الزهري: «على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم»[٤].

---

(١) أخرجه ابن قدامة في ذم التأويل (ص١٩) من طريق عثمان بن أحمد بن عيسى بن موسى قال: سمعت أبي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: «.... فذكره». وقول البغوي: «.... ويكل علمها إلى الله» إلخ، أي أن حقيقة صفات الله تعالى لا يعلمها إلا هو، ولم يقصد التفويض كما فهمه الشيخ العنقري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بدليل إيراده لهذا الأثر الذي يدل على أن معاني صفات الله تعالى ظاهرة لكل أحد، فلا تحتاج إلى تفسير لوضوحها، هذا الذي ترجح عندي من كلام البغوي، والله أعلم.

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص٦٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٢٠٩).

(٤) أخرجه الصابوني في «عقيدة أهل السنة أصحاب الحديث» (ص٢٤٩)، وأخرجه البخاري -معلقًا- (٦/ ٢٧٣٨) بلفظ: «من الله عَزَّوَجَلَّ الرسالة...»، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩)، وفيه أن الزهري حدث بحديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، فسأل الأوزاعي: ما هذا؟ فقال: «من الله العلم وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم، أمرو أحاديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاءت».

وقال بعض السلف: «قدم الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم»[(١)].

وقال أبو العالية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩]: «ارتفع فسوى خلقهن»، وقال مجاهد[(٢)]: «استوى: علا على العرش»[(٣)].

كان محيي السنة من كبار أئمة مذهب الشافعية، وهو الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي صاحب التفسير وشرح السنة والتهذيب في الفقه[(٤)] والجمع بين الصحيحين والمصابيح في الصحاح والحسان وغير ذلك.

تفقه على القاضي حسين[(٥)]، وبرع في هذه العلوم وكان علامة زمانه فيها، وكان دينًا ورعًا زاهدًا عابدًا صالحًا.

توفي في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة، وقيل سنة عشر[(٦)].

✿✿✿

وانظر إلى ما قاله ذو سُنَّة ... وقراءةِ ذاك الإمام الداني

قال الحافظ إمام القراء أبو عمرو [عثمان بن سعيد الداني[(٧)] صاحب التيسير

---

(١) انظر: الطحاوية (ص٢١٩ - مع شرح ابن أبي العز).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرد على الجهمية (٤/ ٢٣١٥).

(٣) من قول الشارح: «وقال البغوي في شرح السنة....» إلى هنا من (د) وهو ما بين معكوفتين ساقط من (ع) والمطبوعة، لأن الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ زاد هذا الكلام في ورقة ألحقها في النسخة الأصل، فنسخها صالح الدخيل، في النسخة التي تملكها ابن دحيان، وسقطت لما نسخها ابن حمدان.

(٤) طبع باسم «التهذيب» في فقه الإمام الشافعي، بتحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، طبع دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - منشورات محمد علي بيضون.

(٥) هو حسين بن محمد بن أحمد المروذي، شيخ الشافعية بخراسان، تفقه بأبي بكر القفال المروزي، وله «التعليقة الكبرى»، والفتاوى، وغير ذلك، وكان يلقب بـ«بحر الأمة»، مات سنة (٤٦٢هـ). انظر: السير (١٨/ ٢٦٠-٢٦١).

(٦) السير (١٩/ ٤٤٢).

(٧) عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي القرطبي ثم الداني، قال الذهبي (الإمام الحافظ)، مات سنة(٤٤٤هـ). انظر: السير (١٨/ ٧٧).

في أرجوزته][1] التي في عقود الديانة:

كلم موسى [عبده تكليمًا ... ولم يزل مدبرا حكيما][2]

كلامه وقوله [قديم][3] ... وهو فوق عرشه العظيم

والقول في كتابه المفضل ... بأنه كلامه المنزل

على رسوله النبي الصادق ... ليس بمخلوق ولا بخالق[4]

توفي الداني رَحِمَهُ اللَّهُ في شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة بدانية من الأندلس، ومشى السلطان أمام نعشه[5].

❁❁❁

قال[6]:

وكذاك سنة الأصبهاني أبي الشـ ... ـيخ الرضى المستل من حيان

قال محدث أصبهان[7] أبو محمد بن حيان رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب العظمة له[8]: (ذكر عرش الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وكرسيه، وعظم خلقهما وعلو الرب فوق عرشه....) ثم ساق جملة من الأحاديث في ذلك.

---

(١) ما بين المعكوفتين سقط من (ع، د) والمثبت من (م).

(٢) ما بين المعكوفتين سقط من (ع، د) والمثبت من (م).

(٣) ما بين المعكوفتين سقط من (ع، د) والمثبت من (م).

(٤) انظر: السير (١٨/ ٨٢). واختلف في تسمية الأرجوزة فسماها الذهبي «عقود السنة» وهي نحو ثلاثة آلاف بيت تشتمل على مسائل الاعتقاد وغيرها توجد منها نسخه في مكتبة الخزانة الملكية بالرباط قام بتحقيقها: وكاك الحسن، وحصل بها على درجة الدكتوارة.
انظر:السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني (١/ ١٠٧)، العلو للذهبي (٢/ ١٣٢٣ـ تعليق).

(٥) العلو للذهبي (٢/ ١٣٢٣).

(٦) زيادة من (د).

(٧) (د) «مع الطبراني» بعد كلمة «أصبهان» وهي عبارة مقحمة.

(٨) العظمة لابن حيان (٢/ ٥٤٣).

أبو محمد[١] عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري صاحب المصنفات السائرة، ويعرف بأبي الشيخ ولد سنة أربع وسبعين ومائتين وسمع في سنة أربع وثمانين وهلم جرًّا.

وكتب العالي والنازل ولقي الكبار، وسمع من جده لأمه الزاهد محمود (د/ ١٩٥أ) بن الفرج[٢] وإبراهيم بن سعدان[٣] ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن حفص الهمداني رئيس أصبهان[٤] وأبي بكر ابن أبي عاصم وأبي يعلى الموصلي وأبي عروبة الحراني! وكان مع سعة علمه وغزارة حفظه صالحًا خيرًا قانتًا لله صدوقًا، حدث عنه [أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي[٥]، وأبو بكر بن مردويه، وأبو سعيد الماليني[٦]، وأبو نعيم والفضل بن محمد القاشاني، وأبو طاهر بن عبد الرحيم الكاتب، وخلق كثير.

قال ابن مردويه: «ثقة مأمون صنف التفسير والكتب الكثيرة في الأحكام وغير ذلك» وقال أبو بكر الخطيب[٧]: «كان حافظًا ثبتًا متقنًا».

---

(١) المطبوعة «وأبو محمد» وهو خطأ.

(٢) محمود بن أحمد بن الفرج المديني أبو حامد، قال في طبقات المدنيين بأصبهان (شيخ ثقة مأمون)، مات سنة (٢٨٤هـ). انظر: تاريخ أصبهان (٢/ ٢٨٨).

(٣) إبراهيم بن سعدان بن إبراهيم المديني أبو سعيد الكاتب ثقة صاحب كتاب، سكن المدينة. مات سنة (٨٤هـ). انظر: تاريخ أصبهان (١/ ٢٢٧).

(٤) مات سنة (٢٨٥هـ). انظر: تاريخ أصبهان لأبي نعيم (٢/ ١٨١-١٨٢).

(٥) أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الشيرازي، محدث حافظ جوال. مات سنة (٤٠٧هـ). انظر: معجم المؤلفين (١/ ٢٦٤).

(٦) أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري الهروي الماليني الصوفي، وكان ذا صدق وورع وإتقان، حصَّل المسانيد الكبار، مات سنة (٤١٢هـ). انظر: السير (١٧/ ٣٠١).

(٧) هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر الإمام الأوحد العلامة المفتي صاحب التصانيف وخاتمة الحفاظ، مات سنة (٤٦٧هـ). انظر: السير (١٨/ ٢٧٠).

[وروى عن بعض العلماء قال: «ما دخلنا على الطبراني إلا وهو][1] يمزح أو يضحك، وما دخلنا على [أبي الشيخ إلا وهو يصلي».

قال أبو نعيم: «كان][2] أحد الأعلام صنف الأحكام والتفسير [وكان يفيد عن الشيوخ ويصنف لهم ستين سنة][3] وكان ثقة» قال الذهبي: «وله كتاب السنة وكتاب فضائل الأعمال [والسنة الكبير][4] وكان إمامًا في الحديث رفيع الإسناد.

توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة وهو في عشر المائة»[5].

۞۞۞

قال[6]:

وانظر إلى ما قاله ابن سُرَيجٍ البـ ـحـر الخصم الشافعي الثاني

سريج -بضم السين وفتح الراء وبعدها ياء ثم جيم-: وهو أبو العباس أحمد ابن عمر بن سريج[7] فقيه العراق.

قال أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني[8] «سألت أيدك الله بيان ما صح لدي من مذهب السلف وصالحي الخلف في الصفات، فاستخرت الله تعالى وأجبت

---

(١) سقط من (ع، د) والمثبت من (م).
(٢) سقط من (ع، د) والمثبت من (م).
(٣) سقط من (ع، د) والمثبت من (م).
(٤) سقط من (ع، د) والمثبت من (م).
(٥) العلو للذهبي (٢/ ١٢٧٠).
(٦) زيادة من (د).
(٧) شيخ الشافعية في زمانه ولي قضاء شيراز، مات سنة (٣٠٦هـ). انظر: العبر (٢/ ١٣٨)، شذارت الذهب (٤/ ٢٩).
(٨) كان سعد حافظًا متقنًا ثقة ورعًا كثير العبادة. مات سنة (٤٤١هـ). انظر: السير (١٨/ ٣٨٥).

بجواب الفقيه أحمد بن عمر بن سريج رَحِمَهُ اللَّهُ وقد سئل عن هذا -ذكره أبو سعيد عبد الواحد بن محمد الفقيه- قال سمعت بعض شيوخنا يقول:

سئل ابن سريج رَحِمَهُ اللَّهُ عن صفات الله تعالى فقال: حرام على العقول أن تمثل الله وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الألباب أن تصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله، وقد صح عن جميع أهل الديانة والسنة(١) إلى زماننا هذا أن جميع الآي والأخبار الصادقة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب على (د/ ١٩٥ب) المسلمين الإيمان بكل واحد منه](٢)، (ع/ ٢٩٦أ) كما ورد، وأن السؤال عن معانيها بدعة(٣)، والجواب كفر وزندقة مثل قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس واليدين والسمع والبصر وصعود الكلم إليه، والضحك، والتعجب، والنزول».

إلى أن قال: «اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابه في القرآن أن نقبلها، ولا نردها، ولا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولا نترجم عن صفاته [بلغة](٤) غير العربية، ونسلم الخبر الظاهر [والآية الظاهر تنزيلها».

(١) في اجتماع الجيوش: «والسنة والجماعة».

(٢) من قوله: «أبو بكر أحمد بن عبدالرحمن الشيزازي» وهو ما بين المعكوفتين إلى هنا سقط من (ع) والمثبت من (د، م).

(٣) لأن معانيها ظاهرة بمجرد تلاوتها، فمن سأل عن عما ظاهره واضح لا يحتاج الى تفسير، فقد تكلف وابتدع، ولأن القرآن نزل بلغة العرب، وقد نزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقرأه أصحابه وفهموه، وفي حديث أبي رزين «أو يضحك الرب عَزَّ وَجَلَّ» قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم» قال: «لن نعدم من رب يضحك خيرًا» ولا يفهم من كلام ابن سريج التفويض؛ لأنه إنما استنكر بدعة السؤال عن المعاني؛ لعدم وروده عن السلف فالصفات واضحة ظاهرة لا تحتاج إلى تفسير، بل قراءتها هو تفسيرها. وربما كان مراده بالمعاني هنا: الكنه والحقائق. وانظر: العلو الذهبي (٢/ ١٢١٦-تعليق).

(٤) ما بين معكوفتين سقطت من (ع).

كان ابن سريج إليه المنتهى][1] في معرفة المذهب، بحيث أنه [كان يفضل على جميع أصحاب الشافعي، حتى على المزني؟[2].

قال الإمام أبو][3] إسحاق صاحب التنبيه[4]: «سمعت أبا [الحسن الشيرجي[5] يقول: إن فهرست كتب أبي العباس][6] تشتمل على أربعمائة مصنف، وكان العلامة [أبو حامد الإسفراييني][7] يقول نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون الدقاق[8].

توفي سنة ست وثلاثمائة رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

۞۞۞

قال[9]:

وانظر إلى ما قاله علم الهدى	أعني أبا الخير الرضى النعمان
وكتابه في الفقه وهو بيانه	يبدي مكانته من الإيمان

---

(١) ما بين معكوفتين سقطت من (د).

(٢) هو إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى المزني المصري تلميذ الشافعي، وهو قليل الرواية، ولكنه كان رأسًا في الفقه. مات سنة (٢٦٤هـ). انظر: السير (١٢/ ٤٩٢).

(٣) ما بين معكوفتين سقطت من (د).

(٤) كتاب «التنبيه» في فروع الشافعية لأبي إسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي، المتوفي سنة (٤٧٦هـ)، هو أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعية، وله شروح كثيرة
انظر: كشف الظنون (١/ ٤٨٩-٤٩٠).

(٥) أبو الحسين الشيرجي الفرضي الحاسب، ذكره الشيرازي ضمن شيوخه. والشيرجي نسبه الى بيع دهن «الشيرج» وهو دهن السمسم.
انظر: الأنساب للسمعاني (٣/ ٤٩٤).

(٦) سقطت من (د).

(٧) سقطت من (د).

(٨) انظر: طبقات الفقهاء لأبي اسحاق الشيرازي (ص١٠٩).

(٩) زيادة من (د).

قال الناظم في الجيوش الإسلامية له(١): «كتاب لطيف في السنة على مذهب أهل الحديث، صرح فيه في مسألة الفوقية والعلو والاستواء حقيقة، وتكلم الله عَزَّوَجَلَّ بهذا القرآن العربي المسموع بالآذان حقيقة، وأن جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سمعه من الله سبحانه حقيقة...»، وصرح فيه بإثبات الصفات الخبرية، واحتج لذلك ونصره، وصرح بمخالفة الجهمية والنفاة(٢).

۞۞۞

قال الناظم(٣):

وانظر إلى السنن التي قد صنـ	ـف العلماء بالآثار والقرآن
زادت على المائتين منها مفرد	أوفى من الخمسين في الحسبان
منها لأحمد عدة موجودة	فينا رسائله إلى الإخوان

---

(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، (ص١١٢).

(٢) البيت في أكثر نسخ النونية هكذا:

وانظر الى ما قاله علم الهدى	أعنى أبا الخير الرضا العمراني

وبهذا يتضح المقصود، فإن العمراني هو أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد العمراني، من عمران -قرية باليمن-، شيخ الشافعية، ولد باليمن سنة (٤٨٩هـ)، وكان إمامًا زاهدًا ورعًا خيرًا، عارفًا بالفقه وأصوله، وهو من أعرف أهل الأرض بتصانيف أبي إسحاق الشيرازي.

والكتاب الذي قصده الناظم هو كتاب «الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار» (ص٦٠٧-٦٤٨)، طبع بتحقيق الدكتور سعود الخلف، طبعته أضواء السلف.

أما البيان الذي أشار إليه الناظم هو من مصنفاته في الفقه وهو شرح لكتاب المهذب للشيرازي في الفقه الشافعي.

قال السبكي في الطبقات (٧/ ٣٣٧):« ابتدأ بتصنيف « البيان» في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وفرغ من تصنيفه سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة» أ.هـ.

والكتاب مطبوع في عشر مجلدات.

مات العمراني سنة (٥٥٨هـ). انظر: طبقات ابن السبكي (٧/ ٣٣٦)، شذارت الذهب (٦/ ٣٠٩)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٧٨). النونية المحققة (٢/ ٤٠٥-٤٠٦ تعليق).

(٣) زيادة من (د).

والـلائـي في ضمن التصانيف التي ... شـهـرت فـلـم تحـتـج إلى حسبان
فـكـثـيرةٌ جـدًّا فـمـن يـك راغـبًـا ... فـيـهـا يجـد فـيـهـا هـدى الحـيـوان
أصـحـابـهـا هـم حـافـظـو الإسـلام لا ... أصـحـاب جـهـم حـافـظـو الكفران
وهـم الـنـجـوم لـكـل عـبـد سـائـرٍ ... يـبـغـي الإلــه وجـنــة الحـيـوان
وسـواهـم والله قـطـاع الـطـريـ ... ـق أئـمـة تـدعـو إلى الـنـيـران
مـا في الـذيـن حـكـيـت عـنـهـم آنـفـا ... مــن حـنـبـلـي واحــد بـضـمـان
بـل كـلـهـم والله شـيـعـة أحـمـدٍ ... فـأصـولـه وأصـولهـم سـيـان

أقول في كلامه نظر فإن عبد الله (د/١٩٦أ) ابن أبي داود والأثرم والخلال وعبد الله ابن الإمام أحمد وحرب الكرماني كلهم معدودون من الحنابلة، والأصحاب يذكرونهم في طبقات الحنابلة، وهو رَحِمَهُ اللَّهُ قد حكى كلام المذكورين، وهؤلاء وإن لم يكونوا متبعين للإمام أحمد على سبيل التقليد الصرف، فهم يعدون في الحنابلة (ع/٢٩٧ب) والله أعلم[١].

قوله:

مـنـهـا لأحـمــد عــدة مـوجـودة ... فـيـنـا رسـائـلـه إلى الإخــوان

منها رسالته إلى مسدد بن مسرهد[٢] وغيرها، وهي مذكورة في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي[٣].

---

(١) (ع) في الهامش مانصه: «ينظر (قول) الشارح [قول الناظم: ما فيهم من حنبلي واحد...] لا وجه له؛ لأن الذين ذكرهم الناظم أنهم ليسوا حنابلة، لم ينف عنهم إلا الاتصاف بتقليد أحمد، أما كونهم معدودين من الحنابلة، فهذا لا يخفى على من هو [كلمة غير واضحة] وإنما قصد الناظم: أنهم إذا لم يكونوا مقلدين، كان أقوى في الاحتجاج بأقوالهم، كما أشار إلى ذلك قوله: فأصولهم وأصوله سيان. فليتأمل».

(٢) هو مسدد بن سرهد بن سربل الأسدي البصري الحافظ أبو الحسن، ثقة حافظ، مات سنة (٢٢٨هـ).انظر:التقريب (ص٩٣٥).

(٣) ورسائل الإمام إلى إخوانه عديدة، منها:
١- رسالة إلى مسدد بن مسرهد، ذكرها ابن أبي يعلى بن الفراء في طبقاته (١/ ٢٤١). =

قال[١]:

وبـذاك في كـتـب لهم قـد صرحوا　　وأخـو الـعـمـايـة مـالـه عيـنـان
أتـظـنـهـم لـفـظـيـة جـهـلـيـة　　مـثـل الـحـمـيـر تـقـاد بـالأرسـان
حاشاهموا[٢] من ذاك بل والله هم　　أهـل الـعـقـول وصـحـة الأذهـان
فـانـظـر إلى تـقـريـرهـم لعلوه　　بـالـنـقـل والمـعـقـول والـبـرهـان
عـقـلان عـقـل بـالـنـصـوص مؤيد　　ومـؤيـد بـالمـنـطـق الـيـونـان
والله مـا اسـتـويـا ولـن يتلاقيا　　حـتـى تـشـيـب مـفـارق الـغـربـان
أفـتـقـذفـون أولاء بـل أضعافهم　　مـن سـادة الـعـلـمـاء كـل زمـان
بالجهل والتشبيه والتجسيم والتـ　　ـبـديـع والـتـضـلـيـل والـبـهـتـان
يـا قـومـنـا الله في إسـلامـكـم　　لا تـفـسـدوه بـنـخـوة الشيطان
يا قومنا اعتبروا بمصرع من خلا　　مـن قـبـلـكـم في هـذه الأزمـان
لم يغن عنهم كذبهم ومحالهم　　وقـتـالـهـم بـالـزور والـبـهـتـان

= ٢- رسالة عبدوس بن مالك، ذكرها ابن أبي يعلى في طبقاته (١/ ٢٤١).
٣- رسالة الحسن بن إسماعيل الربعي، ذكرها ابن أبي يعلى في طبقاته (١/ ١٣٠).
٤- رسالة محمد بن يونس السرخسي، أبو محمد بن حبيب الأندراني، ذكرها ابن الجوزي في مناقب أحمد (ص٢١٥).
٥- رسالة أحمد بن جعفر الأصطخري، ذكرها ابن أبي يعلى في طبقاته (١/ ٢٤).
٦- رسالة محمد بن عوف الطائي، ذكرها ابن أبي يعلى في طبقاته (١/ ٣٤٨).
٧- رسالة «الصلاة» رواية مهنا بن يحيى، ذكرها ابن أبي يعلى في طبقاته (١/ ٣٤٨).
انظر: مناقب الامام أحمد لابن الجوزي (ص٢٢٨)، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة لشيخنا عبدالإله بن سلمان الأحمدي (١/ ٣٣-٤٤).

(١) زيادة من (د).
(٢) الأصل أن تكون «حاشاهُمُ»؛ ولكن زيدت الواو لإشباع الضم، وهي بضم الميم صحيحة، وفي (د) «حاشاهم».

كلا ولا التدليس والتلبيس عنـ ـد الناس والحكام والسلطان
وبدا لهم عند انكشاف غطائهم ما لم يكن للقوم في حسبان
وبدا لهم عند انكشاف حقائق الـ إيمان أنهمُ على البطلان
ما عندهم والله غير شكاية فأتوا بعلم وانطقوا ببيان
ما يشتكي إلا الذي هو عاجز فاشكوا لنعذركم إلى القرآن
ثم اسمعوا ماذا الذي يقضي لكم وعليكم فالحق في الفرقان
لبستم معنى النصوص وقولنا فغدا لكم للحق تلبيسان
من حرف النص الصريح فكيف لا يأتي بتحريف على إنسان
يا قوم والله العظيمِ أسأتم بأئمة الإسلام ظن الشان
ما ذنبهم ونبيهم قد قال ما قالوا كذاك منزل الفرقان
ما الذنب إلا للنصوص لديكم إذ جسمت بل شبهت صنفان
ما ذنب من قد قال ما نطقت به من غير تحريفٍ ولا عدوان
هذا كما قال الخبيث لصحبه كلب الروافض أخبث الحيوان
لما أفاضوا في حديث الرفض عنـ ـد القبر لا تخشون من إنسان
يا قومِ أصل بلائكم ومصابكم من صاحب القبر الذي تريان
كم قدم ابن أبي قحافة بل غدا يثني عليه ثناء ذي شكران
ويقول في مرض الوفاة يؤمكم عني أبو بكر بلا روغان
ويظل يمنع من إمامة غيره حتى يرى في صورة الغضبان[1]
ويقول لو كنت الخليل لواحد في الناس كان هو الخليل الداني

---

(١) في (ع، د): «ميلان» وهو تصحيف، والتصحيح من نسخ النونية، وعدلت في هامش (ع) بخط مغاير لخط الشارح، وكأنه من تصحيح العنقري، والله أعلم.

لكنه الأخ والرفيق وصاحبي ... وله علينا منة الإحسان

ويقول للصدّيق يوم الغار لا ... تحزن فنحن ثلاثة لا اثنان

الله ثالثنا وتلك فضيلة ... ما حازها إلا فتى عثمان

يا قوم ما ذنب النواصب بعد ذا ... لم يدهكم إلا كبير الشان

فتفرقت تلك الروافض كلهم ... قد أطبقت أسنانه الشفتان

وكذلك الجهمي ذاك رضيعهم ... فهما رضيعا كفرهم بلبان

ثوبان قد نسجا على المنوال يا ... عريان لا تلبس فما ثوبان

والله شر منهما فهما على ... أهل الضلالة والشقا علمان

أقول: لم أقف (ع/٢٩٨أ) على تعيين هذا الرافضي[(١)] الذي قال هذا (د/١٩٧أ) القول، والمعنى أن هذا الرافضي قال لأصحابه لما أفاضوا في حديثهم عند القبر المكرم -صلى الله على صاحبه وسلم- يا قوم أصل بلائكم ومصابكم من صاحب هذا القبر لأنه كم قدم ابن أبي قحافة يعنى أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويثني عليه ويقول في مرض موته يؤمكم أبو بكر ويمنع من إمامه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقول: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»[(٢)]، ويقول للصديق يوم الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

---

(١) (ع) في الهامش بخط المؤلف «بلغ قراءة على مؤلفه».

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٤١٦) عن النضر بن شميل عن شعبة عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان قال سمعت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: « ثم أوصاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أقول خليلي وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر..... » الحديث، وإسناده ضعيف لحال سليمان بن أبي سليمان قال في التقريب: «مقبول» يعني حيث يتابع ولم يتابعه أحد.

و أخرجه أبو يعلى في مسنده (٩/ ٨٠) من حديث ابن مسعود وفي إسناده المغيرة بن مقسم مدلس وقد عنعن، فإسناده ضعيف، فالحديث حسن بطريقيه.

................وتـلـك فضيلة ما حـازهـا إلا فـتـى عـثـمـان

يعني أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه عبد الله بن عثمان فيقول ذلك الرافضي لأصحابه: ما ذنب النواصب (د/١٩٧ب) بعد هذا أي فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي قدم أبا بكر فلا لوم على النواصب[١].

قوله النواصب قال في القاموس[٢]: النواصب والناصبة وأهل النصب المتدينون ببغضه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنهم نصبوا له أي عادوه.

قوله:

وكـذلـك الجـهـمـي ذاك رضيعهم فـهـمـا رضـيـعـا كـفـرهـم بلبان

رضع أمه -كسمع وضرب- رضعًا، ويحرك ورضاعًا ورضاعة، ويكسران، ورضعا ككتف امتص ثديها قاله في القاموس[٣].

واللبان -بكسر اللام- قال الأعلم: هو للآدميين واللبن لغيرهم، وقد يكون جمع لبن في هذا الموضع.

قال ابن السكيت[٤] (ع/٢٩٩ب) يقال هو أخوه بلبان أمه، ولا يقال بلبن أمه، إنما اللبن الذي يشرب[٥] انتهى.

---

(١) هذا الكلام الذي أشار إليه الناظم يذكر في كتب الرافضة، وذكره شيخ الإسلام في رده على الرافضي. قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (٥/ ١٣٨): «... يُذكر عن بعض الرافضة أنه آذى الله ورسوله بسبب تقديم الله ورسوله لأبي بكر وعمر، وعن بعضهم أنهم كانوا يقرؤون شيئًا من الحديث في مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتوا على فضائل أبي بكر، فلما سمعها، قال لأصحابه: تعلمون -والله- بلائكم من صاحب هذا القبر، يقول: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر».

(٢) (ص١٧٧).

(٣) (ص٩٣٢).

(٤) انظر قوله في المصباح المنير (٢/ ٥٤٨).

(٥) والذي يظهر لي أن أهل اللغة ليسو على اتفاق في ذلك، فقد ذكر البخاري في بعض أبواب الصحيح =

أي: فعلى زعم الجهمي لا ذنب للمجسمة إذ قالوا بالنصوص الدالة على الاستواء والنزول والمجيء والصفات كالوجه واليدين والقدرة والإرادة والرضى والسخط والحب وغيرها مما تقدم(١).

قوله: «أبو قحافة(٢).....» قال في القاموس(٣): قحاف كغراب وبنو قحافة بطن من خثعم وأبو قحافة عثمان بن عامر صحابي والد الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٤).

=«إن لبن الفحل يحرم» يريد بالفحل الرجل تكون له امرأة ولدت ولدًا ولها لبن، وذكر ابن منظور في اللسان أن اللبن -بفتح اللام- الصدر، وقيل ما بين الثديين للإنسان وغيره. وأصل اللَّبان في الفرس موضع اللبب ثم استعير للناس.
انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٣٠) باختصار.

(١) ومعنى الأبيات: أن كل سني سلفي لا ذنب له عند الجهمية إلا أنه نطق بالنصوص، وقال بما قاله الله تعالى في كتابه ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتكون عداوتكم لهم لأجل النصوص التي رميتم من قال بها بالتجسيم والتشبيه.
وفي الواقع أنكم أيها الجهمية شابهتم الروافض حتى كأنكم وإياهم رضعتم من لبن واحد، لأن كلاكما اشترك في رد النصوص، فالجهمية ردت نصوص الصفات، والرافضة ردت نصوص فضائل الشيخين. انظر: الكافية الشافية (٢/ ٤١٠-٤١٢).

(٢) الذي في النونية «أبي قحافة» مجرورة بالإضافة وعلامة جره الياء؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والبيت هكذا:

كم قدم ابن أبي قحافة بل غدا ... يثنى عليه ثناء ذي الشكران

(٣) (ص١٠٩٠).

(٤) عثمان بن عامر بن عمرو القرشي التيمي والد أبي بكر،أسلم عام الفتح وهو أوَّل من ورث خليفة في الإسلام، مات سنة (١٤هـ). انظر: الإصابة (٢/ ٤٥٣).

قال[1]:

فصل

هــذا وسـابـع عـشـرهـا إخـبـارُهُ … سـبـحـانـه في محـكـم الـقـرآن

عـن عـبـده مـوسـى الـكـلـيـم وحربه … فـرعـون ذي الـتـكـذيـب والطغيان

تـكـذيـبـه مـوسـى الـكـلـيـم بقوله … الله ربـــي في الـــسـمـا نـبَّـانـي

ومــن المـصـائـب قـولهـم إن اعتقا … د الـفـوق مـن فـرعـون ذي الكفران

فــإذا اعـتـقـدتم ذا فـأشـيـاع له … أنـتـم وذا مــن أعـظـم البهتان

فـاسمـع إذا مـن ذا الـذي أولى بفر … عـون المـعـطـل جـاحـد الـرحمـن

وانظر إلى ما جاء في القصص التي … تحـكـي مـقـال إمـامـهـم بـبـيـان

والله قــد جـعـل الـضـلالـة قـدوة … بـأئـمـةٍ تـدعـو إلى الـنـيران

فـإمـام كـل مـعـطـل في نفيه … فـرعـون مـع نمـرود مـع هـامـان

طـلـب الـصـعود إلى الـسماء مكذبًا … مـوسـى ورام الـصـرح بالبنيان

بـل قـال مـوسـى كـاذبًـا في زعمه … فـوق الـسـمـاء الـرب ذو السلطان

فابـنـوا لـي الـصـرح الـرفـيـع لعلني … أرقــى إلـيـه بحـيـلـة الإنــسـان

وأظــن مــوسـى كـاذبًـا في قوله … الله فــوق الــعــرش ذو سلطان

وكـــذاك كـذبـه بـــأن إلهــه … نـــاداه بـالـتـكـلـيـم دون عـيـان

هـو أنـكـر الـتـكـلـيم والـفـوقـيـة الـ … عليـا كـقـول الجـهـم ذي صفوان

فـمـن الــذي أولى بـفـرعـونٍ إذا … مـنـا ومـنـكـم بـعـد ذا الـتـبـيـان

هذا هو الدليل السابع (د/١٩٨أ) عشر من أدلة علو الله على خلقه، وهو أنه

---

(١) زيادة من (د).

سبحانه أخبر عن عبده موسى الكليم وعدوه فرعون: أن فرعون اللعين كذَّب موسى في قوله ربي في السماء، وأنه بنى الصرح ورام الصعود إلى السماء، وقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، في قوله إن الله في السماء[1]، وقد قال أبو الحسن الأشعري في الإبانة[2] -لما ذكر بعض الآيات الدالة على علو الله تعالى على عرشه- قال: (وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ (ع/ ٣٠٠أ) أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، كذب موسى في قوله إن الله فوق السماوات) انتهى كلامه.

۞۞۞

قوله:

ومن المصائب قولهم إن اعتقا … د الفوق من فرعون ذي الكفران إلخ

أي من المصائب قول النفاة: إن اعتقاد العلو هو مذهب فرعون فإذا اعتقدتموه فأنتم[3] أشياع له وعلى مذهبه،كما قال بعضهم في تفسير قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:٣٧]: (فيما يقول من أن له ربًّا في السماء وما قال موسى له ذلك قط ولكنه لما قال له: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣]، قال موسى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشعراء:٢٤]، ظن باعتقاده الباطل (د/ ١٩٨ب) أنه لما لم ير في الأرض أنه في السماء فرام الصعود إلى السماء لرؤية إله موسى)[4] انتهى.

---

(١) انظر: تيسير الكريم المنان (ص٨٧٣).
(٢) (ص١٠٦).
(٣) المثبتة.
(٤) الوسيط للواحدي (٤/ ١٣).

ثم بين الناظم وجه أولويتهم بفرعون، وأن مذهبه جحد العلو؛ فإنه طلب الصعود إلى السماء مكذبًا لموسى ورام بناء الصرح، وقال أظن موسى كاذبًا في زعمه إن الله فوق السماء، وكذلك كذب فرعون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: إن الله تعالى ناداه وكلمه، فكان مذهبه إنكار التكليم والفوقية، كقول جهم وأتباعه، فقد تبين الآن من هو أولى بفرعون، وأن المعطلة أولى به في كل حالة، والله أعلم.

۞۞۞

قال الناظم:

يا قوم والله العظيم لقولنا ... ألف تدل عليه بل ألفان

عقلا ونقلا مع صريح الفطرة الـ ... أولى وذوق حلاوة القرآن

كل يدل بأنه سبحانه ... فوق السماء مباين الأكوان

أترون أنا تاركو ذا كله ... لجعاجع التعطيل والهذيان

يا قوم ما أنتم على شيء إلى ... أن ترجعوا للوحي بالإذعان

وتحكِّموه في الجليل ودقه ... تحكيم تسليم مع الرضوان

قد أقسم الله العظيم بنفسه ... قسمًا يبين حقيقة الإيمان

أن ليس يؤمن من يكون محكِمًا ... غير الرسول الواضح البرهان

بل ليس يؤمن غير من قد حكم الـ ... ـوحيين حسب فذاك ذو إيمان

هذا وما ذاك المحكِم مؤمنًا ... إن كان ذا حرج وضيق بطان

هذا وليس بمؤمن حتى يسلـ ... ـم للذي يقضي به الوحيان

يا قوم بالله العظيم نشدتكم ... وبحرمة الإيمان والقرآن

هل حدثتكم قط أنفسكم بذا ... فسلوا نفوسكم عن الإيمان

لكن رب العالمين وجنده ... ورسوله المبعوث بالقرآن

هم يشهدون بأنكم أعداء من ... ذا شأنه أبدًا بكل زمان
ولأي شيء كان أحمد خصمكم ... أعني ابن حنبلٍ الرضى الشيباني
ولأي شيء كان بعد خصومكم ... أهل الحديث وعسكر القرآن
ولأي شيء كان أيضًا خصمكم ... شيخ الوجود العالم الحراني
أعني أبا العباس ناصر سنة الـ ... ـمختار قامع سنة الشيطان
والله لم يك ذنبه شيئًا سوى ... تجريده لحقيقة الإيمان
إذ جرد التوحيد عن شركٍ كذا ... تجريده للوحي عن بهتان
فتجرد المقصود عن قصد له ... فلذاك لم ينضف إلى إنسان
ما منهم أحد دعا لمقالة ... غير الحديث ومقتضى الفرقان
فالقوم لم يدعوا إلى غير الهدى ... ودعوتم أنتم لرأي فلان
شتان بين الدعوتين فحسبكم ... يا قوم ما بكم من الخذلان
قالوا لنا لما دعوناهم إلى ... هذا مقالة ذي هوى ملآن
ذهبت مقادير الشيوخ وحرمة الـ ... ـعلماء بل عبرتهم العينان
وتركتم أقوالهم هدرًا وما ... أصغت إليها منكم أذنان
لكن حفظنا نحن حرمتهم ولم ... نعدُ الذي قالوه قدر بنان
يا قوم والله العظيم كذبتم ... وأتيتم بالزور والبهتان
ونسبتم العلماء للأمر الذي ... هم منه أهل براءة وأمان
والله ما أوصوكم أن تتركوا ... قول الرسول لقولهم بلسان
كلا ولا في كتبهم هذا بلا ... بالعكس أوصوكم بلا كتمان
إذ قد أحاط العلم منهم أنهم ... ليسوا بمعصومين بالبرهان
كلا وما منهم أحاط بكل ما ... قد قاله المبعوث بالقرآن

فلذاك أوصوكم بأن لا تجعلوا ... أقوالهم كالنص في الميزان
لكن زنوها بالنصوص فإن توا ... فقها فتلك صحيحة الأوزان
لكنكم قدمتم أقوالهم ... أبدًا على النص العظيم الشان
والله لا لوصية العلماء نفـ ... ـذتم ولا لوصية الرحمن
وركبتم الجهلين ثم تركتم النـ ... ـصين مع ظلم ومع عدوان
قلنا لكم فتعلموا قلتم أما ... نحن الأئمة فاضلو الأزمان
من أين والعلماء أنتم فاستحوا ... أين النجوم من الثرى التحتاني
لم يشبه العلماء إلا أنتم ... أشبهتم العلماء في الأذقان
والله لا علم ولا دين ولا ... عقل ولا بمروءة الإنسان
عاملتم العلماء حين دعوكم ... للحق بل بالبغي والعدوان
إن أنتم إلا الذباب إذا رأى ... طعما فيا لمساقط الذبان
وإذا راى فزعا تطاير قلبه ... مثل البغاث يساق بالعقبان
وإذا دعوناكم إلى البرهان كا ... ن جوابكم جهلا بلا برهان
نحن المقلدة الأُلى ألفوا كذا ... آباءهم في سالف الأزمان
قلنا فكيف تكفرون وما لكم ... علم بتكفير ولا إيمان
إذ أجمع العلماء أن مقلدًا ... للناس كالأعمى هما أخوان
والعلم معرفة الهدى بدليله ... ما ذاك والتقليد مستويان
حرنا بكم والله لا أنتم مع الـ ... ـعلماء تنقادون للبرهان
كلا ولا متعلمون فمن ترى ... تُدعون[1] نحسبكم من الثيران

---

(١) في الأصل «تدعوه»، وأشار محققو النونية أن هذه اللفظة محرفة، حيث وردت في نسخة واحدة، وبقية النسخ على ما أثبتناه هنا.

لكنها والله انفع منكم ... للأرض في حرث وفي دوران
نالت بهم خيرًا ونالت منكم الـ ... ـمعهود من بغي ومن عدوان
فمن الذي خير وانفع للورى ... انتم أم الثيران بالبرهان[(١)]

شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر (ع/ ٣٠٢أ) الأدلة الدالة على ثبوت العلو إجمالًا فقال:

يا قوم والله العظيم لقولنا ... .إلخ

أي أن الدلائل الدالة على علوه تعالى على (د/ ٢٠٠أ) خلقه ومباينته لهم من المعقول والمنقول والفطرة ألف دليل بل ألفا دليل[(٢)]؛ وذلك ظاهر بحمد الله لمن تتبعه، ثم شرع في بيان وجوب تحكيم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدق والجل والتسليم له والرضى بحكمه كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية[(٣)]: «أقسم سبحانه بأجل مقسم به، وهو

---

(١) معنى الأبيات: إننا تحيرنا معكم أيها المقلدة، فلستم من العلماء الذين يعرفون الهدي بدليله، ولا من العوام الذين ليس عندهم إمكانية التعلم، فيجب عليهم تقليد من وثقوا بعلمه.
فإذا كنتم لستم علماء ولا متعلمين فماذا تكونون؟
ما لكم شبهة إلا الثيران التي لا تعرف شيئًا إلا أنها تساق وتدرب على العمل، إلا أن الثيران أنفع منكم، لأنها مما يستفاد منها في الحرث وفي مصالح كثيرة.
أما أنتم فليس فيكم نفع، وإنما تضيقون المكان وتأكلون ما كان، فالثيران يحرث عليها وتدير الدالوب لاستنباط الماء، أما أنتم فالأرض تتأذى منكم لأنكم من المفسدين في الأرض بالكفر والضلال والإلحاد.
انظر: التعليق المختصر على القصيدة النونية للشيخ صالح الفوزان (١/ ٢٧٤-٢٧٥).
(٢) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٢٨٠-١٣٤٠).
(٣) الرسالة التبوكية (ص٢٥) بتحقيق محمد عزير شمس.

نفسه عَزَّوَجَلَّ على أنه لا يثبت لهم الإيمان ولا يكونون من أهله حتى يحكموا رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في جميع موارد النزاع في جميع أبواب الدين؛ فإن لفظة (ما) من صيغ العموم، ولم يقتصر على ذلك حتى ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه، بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجًا -وهو الضيق والحصر[1] من حكمه، بل يقبلون حكمه بالانشراح ويقابلونه بالقبول، لا يأخذونه عن إغماض ويشربونه على قذى؛ فإن هذا مناف للإيمان، بل لابد أن يكون أخذه بقبول ورضى وانشراح.

ومتى أراد العبد شاهدًا فلينظر في حاله، ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة:١٤-١٥].

فسبحان الله كم من حزازة في نفوس كثير منهم على[2] النصوص وبودهم أن لو تُرد، وكم من حرارة في أكبادهم منها وكم من شجى في حلوقهم من موردها ثم لم يقتصر سبحانه على على ذلك حتى ضم إليه قوله: ﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، فذكر الفعل مؤكدًا لهم بالمصدر القائم مقام (د/ ٢٠٠ب) ذكره مرتين، وهو الخضوع والانقياد لما حكم به طوعا ورضىً وتسليمًا لا قهرًا ومصابرةً كما يسلم المقهور لمن قهره كرها، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه» انتهى.

قوله:

ولأي شـيء كـان أيضًا خصمكم شيخ الـوجـود.................. إلخ

---

(١) الحصَر بفتح الأول والثاني: حصر صدره ضاق، والحصر ضيق الصدر، وإذا ضاق المرء عن أمر قيل حصر صدر المرء. انظر: لسان العرب (٣/ ٢٦٧) دار عالم الكتب.

(٢) الأصل: (..في نفوس كثير من النصوص)، والتصويب من الهامش بخط المؤلف.

يعني شيخ الإسلام أبا العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم أقسم أنه لاذنب له سوى تجريده لحقيقة الإيمان.

قوله:

إذ جرد التوحيد عن شرك...... ....إلخ

أي أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ جرد التوحيد عن الشرك وجرد الوحي عن البهتان والكذب[1]. وكذلك سائر العلماء الربانيين، لم يدعوا إلى اتباع غير الهدى، وأما أنتم فدعوتم إلى الآراء المتناقضة والأقوال المتهافتة، وهي أقوال الرجال التي ما أنزل الله بها من سلطان.

قوله:

ونسبتم العلماء للأمر الذي ....إلخ

أي أن العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كالأئمة الأربعة وغيرهم أوصوكم باتباع الكتاب السنة وترك أقوالهم إذا خالفت كتاب الله وسنة رسوله، كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن له أن يدعها لقول أحد»[2].

روى البيهقي في السنن عن الشافعي إنه قال: «إذا قلت قولًا وكان عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلاف قولي فما يصح من حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى فلا تقلدوني»[3].

---

(١) سبب عداوتهم له مع ما ذكره الشارح، نصره للسنة والطريقة السلفية، احتج عليها ببراهين وقدمات لم يسبق إليها وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابو، وجسر عليها هو، وهدم القباب وحارب الصوفية وسائر أصناف أهل البدع، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه وناظروه وكابروه، وهو مع ذلك ثابت لا يداهن ولا يحابي بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده وحده إليه ذهبته وسعة دائرته في السنن والأقوال مع ما اشتر عنه من الورع والخوف من الله والتعظيم لحرماته. انظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص٤٧٢).

(٢) الروح لابن القيم (ص٣٤٥).

(٣) القول المفيد (ص٥٦).

وقال الربيع عن الشافعي يقول: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقولوا بسنة رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ودعوا ماقلت»(١).

وقد تواتر عنه أنه قال: «إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط»(٢).

وقال مالك: «كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»(٣).

وقال أبو حنيفة: «إذا جاء الحديث عن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال»(٤).

وفي روضة العلماء: «سُئِلَ أبو حنيفة إذا قلت قولًا وكتاب الله يخالفه قال: اتركوا قولي لكتاب الله، قيل: إذا (د/ ٢٠١أ) كان قول الرسول يخالفه قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قيل إذا كان قول الصحابة يخالفه، قال: اتركوا قولي لقول الصحابة»(٥).

وقال أبو طالب عن الإمام أحمد: «إن قوما يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان، فقال أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره قال الله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ (ع/ ٣٠٤أ) عَنْ أَمْرِهِۦٓ

---

(١) أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ١٤٥) بإسناد صحيح عن الربيع، والربيع بن سليمان المرادي المصري، تلميذ الشافعي، مات سنة (٢٥٦هـ). انظر: الكاشف (١/ ٢٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٧)، شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٥٨)، منهاج السنة النبوية (٦/ ١٩١).

(٤) لم أجده.

(٥) القول المفيد للشوكاني (ص٥٤).

أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]، أتدري ما الفتنة الفتنة الكفر، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة:٢١٧]، فيدعون الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي» ذكر ذلك شيخ الإسلام(١).

وقال الإمام أحمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكًا والثوري والأوزاعي ولكن تعلموا كما تعلمنا»(٢).

قوله:

إذ أجمع العلماء أن مقلدًا ....إلخ

قد نقل هذا الإجماع الحافظ أبو عمر بن عبد البر(٣).

قوله:

.... مثل البغاث

قال الفراء بِغَاثُ الطير بفتح الباء وضمها وكسرها شرارها أومالا يصيد منها ثم قيل هو جمع بغاثة وهي اسم للذكر والأنثى مثل نعامة ونعام وقيل هو فرد وجمعه بغثان كغزال وغزلان قاله في مختار الصحاح(٤)، والعقبان جمع عقاب بضم العين طائر معروف.

---

(١) انظر: التقليد والإفتاء (ص٨٧).

(٢) إعلام الموقعين (٢/ ١٨٢).

(٣) قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٥): «ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣]، وأجمعوا على أن الأعمى لابد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبله إذا أشكلت عليه، فكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا؛ وذلك -والله أعلم- لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم والقول في العلم».

وانظر: إعلام الموقعين (٢/ ٩٩)، النونية (٢/ ٤٢٤- تعليق).

(٤) (ص٣٨).

قال الناظم:

فصل

هــذا وثــامــن عَـشـرِهـا تنزيهه ... سبحانه عـن مـوجـب النقصان

وعن العيوب وموجب التمثيل والتـ ... ـشبيه جـل اللهُ ذو الـسـلـطـان

وكــذاك نــزه نـفـسـه سبحانه ... عــن أن يـكـون لـه شـريـك ثـان

أو أن يـكـون لـه ظـهـير في الـورى ... سـبـحـانـه عــن إفـك ذي بهتان

أو أن يــوالــي خـلـقـه سبحانه ... مــن حــاجــةٍ أو ذلــةٍ وهـــوان

أو أن يـكـون لـديـه أصـلاً شافع ... إلا بــإذن الـــواحـــد المـنــان

وكــذاك نــزه نـفـسـه عـن والـدٍ ... وكــذاك عـن ولـدٍ هُـمـا نسبان

وكــذاك نــزه نـفـسـه عــن زوجـةٍ ... وكـذاك عـن كـفء يـكـون مـدان

ولـقـد أتـى الـتـنـزيـه عـمـا لم يقل ... كـي لا يــدور بخـاطـر الإنـسـان

فانظـر إلى التـنـزيـه عـن طعم ولم ... يـنـسـب إلـيـه قـط مــن إنـسـان

وكـذلـك الـتـنـزيـه عـن مـوت وعن ... نــومٍ وعــن سـنـةٍ وعــن غشيان

وكـذلـك الـتـنـزيـه عـن نسيانه ... والـــرب لم يـنـسـب إلى نسيان

وكذلك التنزيه عن ظلم وفي الـ ... أفـعـال عـن عـبـث وعــن بـطـلان

وكـذلـك الـتـنـزيـه عـن تـعـب وعن ... عـجـز يـنـافي قــدرة الـرحمـن

هذا هو الدليل الثامن عشر من أدلة علو (د/٢٠١ب) الله تعالى على خلقه وهو أنه سبحانه نزه نفسه عن موجب النقصان[1] وعما يوجب التمثيل والتشبيه، ونزه

(١) هذا نوع جديد من أدلة العلو لم يذكره ابن القيم في غيرها، ومع أنه استوفى أنواع تلك الأدلة في الصواعق، وهذا يقوي احتمال مجيء النونية بعد الصواعق.

سبحانه نفسه عن الشركة، وعن أن يكون له ظهير في الورى، أو أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه، أو أن يوالي خلقه من حاجة أو ذلة، وكذا نزه نفسه سبحانه عن الوالد والولد والزوجة والكفء، وكذا نزه نفسه سبحانه عما لم يقل، أي: نزه نفسه سبحانه عن أشياء لم يقلها أحد فيه تعالى، كالطعم والموت والنوم والسنة والغشيان والنسيان والظلم والتعب والعجز، فإذا كان سبحانه قد نزه نفسه عما يوجب النقص مما قيل وما لم يقل -ومعلوم أن القول بعلو الله تعالى على خلقه ومباينته لهم قد طبقت (ع/٣٠٥ب) شرق البلاد وغربها- فلأي شي لم ينزه نفسه سبحانه عنها في القرآن، وكذا لم ينزه الرسول ربه سبحانه عنها في السنة، بل دائما يبدي سبحانه في القرآن إثباتها بأنواع الأدلة، وكذا رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا سيما وتلك المقالة عند المعطلة كعبادة الأوثان أو كقول المثلثة عباد الصليب وهم النصارى، فلأي شيء لم يحذر الله تعالى خلقه عنها وينزه نفسه عنها كما نزه نفسه عما يوجب النقص أو التشبيه والتمثيل.

۞۞۞

قال الناظم:

ولقد حكى الرحمن قولًا قاله	**فِنْحَاص ذو البهتان والكفران**
إن الإله هو الفقير ونحن أصد	**حاب الغنى ذو الوجد والإمكان**
ولذاك أضحى ربنا مستقرضًا	**أموالنا سبحان ذي الإحسان**

أما قصة فنحاص المذكورة فهي على (د/ ٢٠٢أ) ما حكى ابن إسحاق في سيرته[١] قال: دخل أبو بكر بيت المدراس[٢] على يهود، فوجد منهم ناسًا كثيرًا كانوا قد

(١) (٢/ ٢٣٧).

(٢) هو البيت الذي يتدارس فيه اليهود كتابهم.
انظر: السيرة لابن إسحاق (١/ ٥٥٨ـ تعليق).

اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر من أحبارهم يقال له أشيع، فقال أبو بكر لفنحاص: ويلك يا فنحاص أسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر مابنا إلى الله من فقر وإنه، لفقير ومانتضرع إليه إلا كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء وماهو عنا بغني، ولو كان غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا قال: فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدًا وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدو الله. فذهب فنحاص إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يامحمد أنظر ماصنع بي صاحبك فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي بكر: **«ماحملك على ماصنعت؟»** فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدوا الله قد قال قولًا عظيمًا، إنه يزعم أن الله فقير وهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال وضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص وقال: ماقلت ذلك، فأنزل الله تعالى فيما قال ردًّا عليه وتصديقًا لأبي بكر: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران:١٨١]، وأنزل الله في حق أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦]، ثم قال فيما قال فنحاص وأحبار يهود (د/٢٠٢ب): ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ

﴿ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٧-١٨٨]، يعني فنحاص وأشيع وأشياعهما من الأحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران:١٨٧] أي يقول الناس علماء وليسوا بأهل علم لم يحملوهم على هدى وحق ويحبون أن يقول الناس قد فعلوا(١).

۞ ۞ ۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وحكى مقالة قائل من قومه ... إن العزير ابن من الرحمن

هذا وما القولان قط مقالة ... منصورة في موضع وزمان

يعني أن الله سبحانه قد حكى قول اليهود إن عزير ابن الله كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، وحكى مقالة فنحاص -لعنه الله-، وما القولان منصورين، فلو كانت المقالة المذكورة، وهي إثبات علو الله تعالى على خلقه، باطلًا لحكاها الله سبحانه ونهى عنها، لا سيما وتلك المقالة عند المعطلة كعبادة الأوثان أو كمقالة المثلثة عباد الصليب.

ولم تزل المعطلة ينبزون المثبتة بالألقاب القبيحة ويرمونهم بالعظائم والبهت والكذب الفاحش، وقد حكى الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب في طبقات الحنابلة(٢) في ترجمة شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٢٨-٨٢٩) من طريق ابن اسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس فذكره، وفي إسناده محمد بن أبي محمد.
قال الذهبي في الميزان (٤/ ٢٦): «محمد بن أبي محمد، مدني، عن سعيد بن جبير وغيره، لا يعرف، روى عنه ابن إسحاق» اهـ.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٤٦)، وانظر: السير للذهبي (١٨/ ٥١٢).

قال ابن طاهر[١]: وسمعت بعض أصحابنا بهراة يقولون:

لما قدم السلطان ألب أرسلان[٢] هراة في بعض قدماته، اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه، ودخلوا على الشيخ أبي إسماعيل الأنصارى وسلموا عليه، وقالوا قد ورد السلطان، ونحن [على][٣] عزم أن نخرج ونسلم عليه فأحببنا أن نبدأ بالسلام على الشيخ الإمام، ثم نخرج إلى هناك (د/٢٠٣أ)، وقد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنمًا صغيرًا من صفر، وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ، وخرجوا.

وخرج الشيخ من ذلك الموضع إلى خلوته، ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري، وقالوا: إنه مجسم، وإنه يترك في محرابه صنمًا يقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ على صورته، وإن يبعث السلطان الآن إليه يجد الصنم في قبلة مسجده، فعظم ذلك على السلطان، وبعث غلامًا ومعه جماعة، ودخلوا الدار وقصدوا المحراب، وأخذوا الصنم من تحت السجادة، ورجع الغلام بالصنم، فوضعه بين يدي السلطان.

فبعث السلطان بغلمان فأحضروا الأنصاري، فلما دخل رأى شيوخ البلد جلوسًا، ورأى ذلك الصنم بين يدي السلطان مطروحًا، والسلطان قد اشتد غضبه، فقال له السلطان: ما هذا؟

قال: هذا صنم يعمل من الصفر شبه اللعبة.

---

(١) هو محمد بن طاهر القيسراني المقدسي الصوفي، وقال شيرويه في تاريخ «همدان»: «كان ثقة صدوقًا حافظًا عالمًا بالصحيح والسقيم، حسن المعرفة بالرجال والمتون، كثير التصانيف، جيد الخط، لازمًا للأثر، بعيدًا عن الفضول والتعصب». مات سنة (٥٠٧هـ). انظر: السير (١٩/ ٣٦١ـ٣٧١).

(٢) محمد بن جغريبك داود ميكائيل بن سلجوق، أبو شجاع التركماني، السلطان الكبير العادل عضد الدولة، من عظماء ملوك الإسلام، وأبطالهم. مات سنة (٤٦٥هـ). انظر: السير (١٨/ ٤١٤)، ووفيات الأعيان (٥/ ٩٩).

(٣) سقط من جميع النسخ، والمثبت من طبقات ابن رجب.

فقال: لست عن هذا (ع/٣٠٧ب) أسألك.

فقال: عما ذا يسأل السلطان؟

قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا، وإنك تقول إن الله عَزَّوَجَلَّ على صورته.

فقال الأنصاري: ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النور:١٦] بصوت جهوري وصولة، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمر به فأخرج إلى داره مكرمًا.

وقال لهم: تصدقوني القصة أو أفعل بكم وأفعل، وذكر تهديدًا عظيمًا.

فقالوا: نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامة[1]، وأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم ووكل بكل واحد منهم فلم يرجع إلى منزله حتى كتب بخطه مبلغًا عظيمًا من المال يؤديه إلى خزانة السلطان جناية لما فعلوه، وسلموا بأرواحهم بعد الهوان العظيم» انتهى.

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، فلا يخفى ما افتروه عليه ورموه به من الإفك، وجعلوه يقول بالتجسيم وحاشاه.

وذكر ابن بطوطة في رحلته المشهورة قال[2]: «وكان دخولي لبعلبك عشية النهار وخرجت منها بالغد، ولفرط اشتياقي إلى دمشق، وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم، عام ست وعشرين وسبعمائة إلى مدينة (د/٢٠٣ب) دمشق الشام، فنزلت فيها بمدرسة المالكية المعروفة بالشرابشية».

---

(١) (ع، د) «بالعام»، وهو تصحيف، والتصويب من طبقات ابن رجب.

(٢) واسمها: «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» (ص١١٠) ومؤلفها الرحالة المعروف واسمه محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المشهور بـ«ابن بطة»، مات سنة (٧٧٩هـ). انظر: الدرر الكامنة (٤/ ٢٩٢)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٣٣٥).

إلى أن قال: «وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون».

إلى أن قال: «فحضرته يوم الجمعة، وهو يعظ الناس على منبر الجامع، ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء...».

إلى آخر ما هذى به ابن بطوطة.

أقول: واغوثاه بالله من هذا الكذب الذي لم يخف الله كاذبه ولم يستحي مفتريه، وفي الحديث: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[1]، ووضوح هذا الكذب أظهر من أن يحتاج إلى الإطناب، والله حسيب هذا المفتري الكذاب[2]، فإنه ذكر أنه دخل دمشق في ٩ رمضان سنة (٧٢٦) وشيخ الإسلام ابن تيمية إذ ذاك قد حبس في القلعة كما ذكر ذلك العلماء الثقات كتلميذه الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي[3] والحافظ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (٢/ ١٠٨٢).

(٢) رماه بالكذب البلفيقي أبو البركات المشهور بابن الحاج، وقال: «حدثنا بغرائب مما رآه، فمن ذلك أنه زعم أنه دخل القسطنطينية، فرأى في كنيستها اثنا عشر ألف أسقفًا، لكن برأه ابن مرزوق من الكذب، وعلل ذلك بأنه كان جوادًا محسنًا، وبأنه جال البلاد، ومات وهو متولٍ للقضاء»!! وهذا التعليل لا يدفع عنه الكذب، ونحن إنما أنكرنا الباطل الذي معه ولم ننكر الحق. والجرح الذي ذكره أبو البركات كان مفسرًا بما يقدح، فإنه لا يعقل وجود ما ذكره، وكذا ما ذكره عن شيخ الاسلام بأنه كان يخطب على منبر دمشق في سنة تاريخ ٩/ ٩/ ٧٢٦هـ مع أن شيخ الاسلام إذ ذاك في سجن القلعة. فإذا انضم ما ذكره أبو البركات إلى ما ذكره هذا المفتري عن شيخ الاسلام، دل على أنه كذاب أفّاك، مما يدفعنا أن نرتاب في أمر رحلته، ونشكك فيما قاله كله؟!. انظر: الدرر الكامنة (٤/ ٢٩٢)، ضوابط الجرح والتعديل لشيخنا عبد العزيز اللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٦٩).
وانظر في الرد على تلك الفرية: مجلة «العالم الإسلامي» س١: ٦٧-٨ (١٩٤٠) (ص٣٩٤-٣٩٩)، مجلة «المجمع العلمي» بدمشق جح١٧: ج ج٣-٤ (١٩٤٢) (ص١٣٢-١٣٤).

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، من أجل تلامذة الشيخ، نبغ في فنون كثيرة. مات سنة (٧٤٤هـ). انظر: ذيول العبر (٤/ ١٣٢).

أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في طبقات الحنابلة.

قال في ترجمة الشيخ من طبقاته المذكورة[1]: مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين. وزاد ابن عبد الهادي أنه دخلها في سادس شعبان.

فانظر إلى هذا المفتري!! يذكر أنه حضره، وهو يعظ الناس على منبر الجامع، فياليت شعري هل انتقل منبر الجامع إلى داخل قلعة دمشق، والحال أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لما دخل القلعة المذكورة في التاريخ المذكور لم يخرج منها إلا على النعش.

وكذا ذكر الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه قال: وفي يوم (ع/ ٣٠٨أ) الاثنين بعد العصر السادس من شعبان سنة (٧٢٦)، اعتقل الشيخ تقي الدين بن تيمية بقلعة دمشق، حضر إليه من جهة نائب السلطنة مشدالأوقاف[2] وابن الخطير! أحد الحجاب، وأخبراه أن مرسوم السلطان حضر بذلك، وأحضرا إليه معهما مركوبًا، وأظهر السرور بذلك.

وقال: أنا كنت منتظرا الذلك، وفيه خير كثير، وركبوا جميعًا (د/ ٢٠٤أ) من داره إلى باب القلعة، وأخليت له قاعة وأجري إليها الماء، ورسم له بالإقامة فيها، وكان معه أخوه زين الدين[3]، يخدمه بإذن السلطان، ورسم بما يقوم بكفايته انتهى كلامه.

---

(١) انظر: طبقات علماء الحديث (٤/ ٢٧٩-٢٩٦) والذيل على طبقات الحنابلة (٣/ ٣٣١)، والجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص٢٠٠).

(٢) مصطلح فقهي جرى استعماله من قبل متأخري الحنفية في العهد العثماني ولا يعرف عند غيرهم وهو يعني استحقاق الحراثة في أرض الغير، ويسمى أيضًا مشد المسكة.
انظر: فتح القدير (٥/ ٣٨٣)، مجمع الأنهر (١/ ٦٧١).

(٣) اسمه عبد الرحمن شقيق الشيخ، كان تاجرا، واشتهر بالديانه والأمانة وحسن السيره مات سنة (٧٤٨هـ). انظر: الدرر الكامنه (٢/ ٢٠٠).

فانظر كلام تلامذته وغيرهم من العارفين بحاله أهل الورع والأمانة والديانة يتضح لك كذب هذا المغربي عامله الله بما يستحق، والله أعلم[(١)].

وكم كذبوا عليه وبهتوه، وقالوه أشياء هو بريء منها، والأمر كما قال تلميذه الناظم:

فالبهت عندكم رخيص سعره حثوا بلا كيل ولا ميزان

ولله در القائل:

إن كان إثبات الصفات لديكم فيما أتى مستوجبا لومي

واصير تيميًا بذلك عندكم فالمسلمون جميعهم تيمي[(٢)]

وكذا كذبوا على غيره من علماء الإثبات، رحمهم الله تعالى وعفا عنهم[(٣)].

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لكن مقالة كونه فوق الورى والعرش وهو مباين الأكوان

قد طبقت شرق البلاد وغربها وغدت مقررة لذي الأذهان

فلأي شيء لم ينزه نفسه سبحانه في محكم القرآن

عن ذي المقالة مع تفاقم أمرها وظهورها في سائر الأديان

بل دائمًا يبدي لنا إثباتها ويعيده بأدلة التبيان

لا سيما تلك المقالة عندكم مقرونة بعبادة الأوثان

---

(١) وقد رد على هذه الفرية -أيضًا- عدد من العلماء المتأخرين.
انظر: الجامع لترجمة شيخ الإسلام (ص٣٩٨).

(٢) القائل هو محمد بن عبدالكريم الموصلي الطرابلسي. انظر: لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لابن فهد المكي (ص١٦٦).

(٣) (ع) في الهامش بخط المؤلف: «بلغ قراءة على المؤلف».

أو إنها كمقالة لمثلث ... عبد الصليب المشرك النصراني
إذ كان جسمًا كل موصوف بها ... ليس الإله منزل الفرقان[(١)]
فالعابدون لمن على العرش استوى ... بالذات ليسوا عابدي الديان
لكنهم عباد أوثان لدى ... هذا المعطل جاحد الرحمن
ولذاك قد جعل المعطل كفرهم ... هو مقتضى المعقول والبرهان
هذا رأيناه بكتبهم ولم ... نكذب عليهم فعل ذي البهتان
ولأي شيء لم يحذر خلقه ... عنها وهذا شأنها ببيان
هذا وليس فسادها بمبين ... حتى يحال لنا على الأذهان
ولذاك قد شهدت أفاضلكم لها ... بظهورها للوهم في الإنسان[(٢)]
وخفاء ما قالوه من نفي على الـ ... أذهان بل تحتاج للبرهان

مضمون هذه الأبيات أن القول (ع/٣٠٩ب) بعلو الله تعالى على خلقه صرحت

---

(١) قال ابن رشد في منهاج الأدلة (ص١٧٦): «والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية».
انظر الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٢٤، ١٣٣٦)، ومفاتيح الغيب للرازي (٧/ ٣٧٧)، والكافية الشافية (٢/ ٤٣٣)، والتعليق المختصر على القصيدة النونية للشيخ صالح الفوزان (١/ ٢٨٠).
(٢) يرى شيخنا عبدالعزيز الراجحي – حفظه الله –: أن كلمة «للوهم» في هذا البيت خطأ، فيكون البيت هكذا:
ولذاك قد شهدت أفاضلكم لها ... بظهورها للذهن في الإنسان
قال حفظه الله تعليقًا: «يعني أن أفاضل النفاة قد شهدوا مقالة العلو بظهورها للذهن في الإنسان» اهـ.
وقال الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله– في التعليق على النونية (١/ ٢٨٢): «وأفاضل هؤلاء الضلال –يعني حذاقهم وكبرائهم– شهدوا بظهور مقالة الإثبات في الكتاب والسنة، وخفاء ما قالوه من النفي والتعطيل» اهـ.
وعلى هذا فكلمة «للوهم» هي خطأ، كما يدل عليه سياق الأبيات. والله أعلم.

به الكتب الإلهية كالتوراه والإنجيل[(١)]، وكذا الفرقان يبدي إثباتها ويعيده بجميع أنواع الأدلة، فلو كان هذا كفرًا -كما زعمت المعطلة-؛ لنهى عنها القرآن لأنها عند المعطلة كالشرك وعبادة الأوثان.

وهذا أظهر من الشمس لمن له عينان، ونعوذ بالله من الخذلان.

قوله:

ولـذاك قد شهدت أفاضلكم..... .... إلخ

أي أفاضل النفاة قد شهدوا بظهور مقالة الإثبات في الكتاب والسنة وخفاء ما قالوا من النفي[(٢)] ....

(١) الرسل متفقون في أصول الدين، وإن تنوعت شرائعهم، ففي التوراة والإنجيل ما يوافق أخبار القرآن، من الأسماء والصفات والتوحيد بنوعيه كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]. فهذا في توحيد الألوهية. وقوله تعالى عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر:٣٦-٣٧]. فهذا دليل على أن موسى عليه السلام كان قد أخبر فرعون بأن له ربًّا في السماء.

وقد جاء في الحديث الصحيح «الأنبياء إخوة لعلَّات أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

والدين هنا هو التوحيد بأنواعه، ويدخل فيه ما أخبر الله عنه من أمور الغيب.

قال شيخ الإسلام في الصفدية: «وقيام الأفعال الاختيارية وقيام الصفات بالله تعالى فهو قول سلف الأمة وأئمتها الذين نقلوا الدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو القول الذي جاء به الإنجيل والتوراة».

درء التعارض (٥/ ٧٩) (٥/ ٢٣٣) (٥/ ٣١٠)، الصفدية (١/ ١٣٠)، دقائق التفسير (٢/ ٥٦) (٢/ ٢٢٨).

(٢) قال بعض كبار أصحاب الشافعي: «في القرآن ألف دليل أو أزيد على أن الله تعالى عالٍ على الخلق، وأنه فوق عباده» اهـ. وهذه الأدلة -كما ذكر ابن القيم- متنوعة كلها تدل على علو الله على خلقه واستوائه على عرشه.

انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٥٥)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٢١) (٥/ ٢٢٦)، إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٣٠٣).

كما قال السعد التفتازاني[(١)] في شرح المقاصد[(٢)]:

«فإن قيل إذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة، فما بال الكتب السماوية والأحايث النبوية مشعرة في مواضع لا تحصى بثبوت ذلك من غير أن يقع في موضع منها تصريح بنفي ذلك، وتحقيق[(٣)]، كما قررت[(٤)] الدلالة على وجود الصانع ووحدته وعلمه وقدرته وحقيقة المعاد وحشر الأجساد في عدة مواضع وأكدت غاية التأكيد، مع أن هذا أيضًا حقيق بغاية التأكيد والتحقيق لما تقرر في فطرة العقلاء مع اختلاف الأديان والآراء في من التوجه إلى العلو عند الدعاء، ورفع الأيدي إلى السماء» ثم أجاب عن ذلك التفتازاني بما يظهر ضعفه من أول وهلة، وكذا ذكر ذلك غيره.

---

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني عالم نحوى صرفي، من كبار الأشاعرة في القرن الثامن. مات سنة (٧٩١هـ). انظر: بغيه الوعاة (٢/ ٢٨٥).

(٢) (٤/ ٥٠).

(٣) (ع) في الهامش بغير خط المؤلف (كذا)، ولعل العبارة (..بنفي أو تحقيق).

(٤) (د، ع): «كررت» وهو تصحيف، والتصويب من شرح المقاصد.

قال الناظم:

فصل

هذا وتاسع عشرها إلزام ذي التـ ـعطيل أفسد لازم ببيان
وفساد لازم قوله هو مقتضٍ لفساد ذاك القول بالبرهان
فسل المعطل عن ثلاث مسائل تقضي على التعطيل بالبطلان
ماذا تقول أكان يعرف ربه هذا الرسول حقيقة العرفان
أم لا وهل كانت نصيحته لنا كل النصيحة ليس بالخوان
أم لا وهل حاز البلاغة كلها فاللفظ والمعنى له طوعان
فإذا انتهت هذي الثلاثة فيه كا ملة مبرأة من النقصان
فلأي شيء عاش فينا كاتمًا للنفي والتعطيل في الأزمان
بل مفصحًا بالضد منه حقيقة الـ إفصاح موضحة بكل بيان
ولأي شيء لم يصرح بالذي صرحتمُ في ربنا الرحمن
العجزه عن ذاك أم تقصيره في النصح أم لخفاء هذا الشان
حاشاه بل ذا وصفكم يا أمة التـ ـعطيل لا المبعوث بالقرآن[1]

هذا هو الدليل التاسع عشر (د/ ٢٠٥أ) من أدلة علو الله تعالى على خلقه وحاصله أن الناظم سأل عن ثلاث مسائل، وكلها مسلمة عند المنازعين:

وهو أن تسأل المعطل: هل تقول (ع/ ٣١٠أ) إن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرف ربه؟ فبالضرورة يقول: نعم، ثم سله هل كان في غاية النصح؟ فلا بد أن يقول نعم، ثم سله هل حاز البلاغة كلها؟ فلابد أن يقول نعم، فإذا أقر بهذه الثلاثة فقل له:

---

(١) في د: «بالفرقان».

فلأي شيء عاش منذ أرسله الله تعالى إلى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه، وهو يفصح بالإثبات ويعيد فيه في كل محضر ومجمع، ولأي شيء كتم النفي والتعطيل، ولأي شيء لم يصرح بما صرحتم به في ربنا تعالى، وهل كان عاجزًا عن أن يقول: استولى، وينزل أمره، أو ملك، ويقول: من الله، موضع أين الله، فلازم قولكم عدم معرفة الرسول بربه، أو عدم النصح أو عدم البلاغة، وهذا اللازم من أفسد اللوازم وأبطلها، فيدل على فساد لازمه وبطلانه؛ لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم(١).

۞۞۞

قال الناظم:

ولأي شيء كان يذكر ضد ذا ... في كل مجتمع وكل زمان

أتراه أصبح عاجزًا عن قوله اسـ ... ـتولى وينزل أمره وفلان

ويقول أين الله يعني من بلفـ ... ـظِ الأين هل هذا من التبيان

والله ما قال الأئمة كل ما ... قد قاله من غير ما كتمان

لكن لأن عقول أهل زمانهم ... ضاقت بحمل دقائق الإيمان

وغدت بصائرهم كخفاش أتى ... ضوء النهار فكف عن طيران

---

(١) النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفصح الخلق عبارة وبيانًا، وأعلم الخلق بربه، وأنصح الخلق للخلق، وقد اجتمع في حقه كمال العلم والقدرة والإرادة. فهو غاية كمال العلم، وبلغ الغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في القدرة على البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة يجب وجود المراد، فعلم قطعًا أن ما بينه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمر الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، ومنها العلو حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان مطابق لعلمه، فكل من ظن أن غير الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم منه بهذا أو أكمل منه بيانًا فهو من الملحدين لا من المؤمنين، و من المحال عقلًا أن يكون مع ذلك كله قد ترك هذا الباب ملتبسًا مشتبهًا، فلم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العُلا، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه. انظر: الفتوى الحموية (ص١٧٧-١٧٨).

حتى إذا ما الليل جاء ظلامه ... أبصرته يسعى بكل مكان

وكذا عقولكم لو استشعرتُمُ ... يا قوم كالحشرات والفئران

أنست بإيحاش الظلام وما لها ... بمطالع الأنوار قط يدان

الخفاش معروف تقدم تعريفه (د/٢٠٥ب) والحشرات، قال في القاموس[1]: «الهوام أو الدواب الصغار كالحشرة محركة فيهما» انتهى.

والفئران جمع فأر بالهمز وهو حيوان معروف.

يعني الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أن هؤلاء المعطلة ضاقت عقولهم عن حمل دقائق الإيمان، فصاروا كالحشرات والخفاش التي لا تسعى إلا بالليل؛ فإن هؤلاء المعطلة لم تحمل عقولهم ما في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما وصف الرب تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصار ذلك لبصائر المعطلة كالنهار لأبصار الخفاش والحشرات ونحوها، نعوذ بالله من عمى البصائر.

❁❁❁

قال الناظم (ع/٣١١ب):

لو كان حقا ما يقول معطل ... لعلوه وصفاته الرحمن

لزمتكم شنع ثلاث فارتَؤوا ... أو خلة منهن أو ثنتان

تقديمهم في العلم أو في نصحهم ... أو في البيان أذاك ذو إمكان

إن كان ما قد قلتم حقًّا فقد ... ضل الورى بالوحي والقرآن

إذ فيهما ضد الذي قلتم وما ... ضدان في المعقول يجتمعان

بل كان أولى أن يعطل منهما ... ويحال في علم وفي عرفان

---

(١) (ص١٥٠٩).

إما على جهم وجعد أو على النـ ـظام أو ذي المذهب اليونان
وكذاك أتباع لهم فقع الفلا صُمٌ وبُكمٌ تابعوا العميان
وكذاك أفراخ القرامطة الألى قد جاهروا بعداوة الرحمن
كالحاكمية الألى والوهُمُ كأبي سعيد ثم آل سنان[(١)]
وكذا ابن سينا والنصير نصير أهـ ـل الشرك والتكذيب والكفران
وكذاك أفراخ المجوس وشبههم والصائبين وكل ذي بهتان
إخوان إبليس اللعين وجنده لا مرحبًا بعساكر الشيطان
أفمن حوالته على التنزيل والـ ـوحي المبين ومحكم القرآن
كمُحَيرٍ أضحت حوالته على أمثاله أم كيف يستويان
أم كيف يشعر تائه بمصابه والقلب قد جعلت له قفلان
قفل من الجهل المركب فوقه قفل التعصب كيف ينفتحان
ومفاتح الأقفال في يد من له التـ ـصريف سبحان العظيم الشان
فاسأله فتح القفل مجتهدًا على الـ أسنان إن الفتح بالأسنان

أي إن كان حقًّا ما تقوله (د/٢٠٦أ) المعطلة لعلو الرب وصفاته لزمتم ثلاث شناعات[(٢)].

وقوله: (فارتؤوا......) أي اطلبوا رأيا تخلصون به من هذه الشنع؛ لأن

---

(١) في الأصل: «كالحاكمية والألى...» وهو خطأ، والصواب حذف الواو كما رجحه شيخنا، والبيت يستقيم بحذف الواو.
ومعنى البيت أن القرامطة والزنادقة جاهروا الله تعالى بالعداوة، كالعبيديين الذين جاهروا بذلك كما سيأتي، لكن الحاكمية كانوا قبل القرامطة، ولما ظهر القرامطة في البحرين كانت بينهم وبين العبيديين بمصر موالاة وعلاقة حميمة.

(٢) هي أن الرسول ﷺ، غير عارفٍ بربه، أو غير ناصح، أو غير فصيح!!

الكتاب والسنة ضد لما قالوه، والضدان لا يجتمعان، فكأن الكتاب والسنة على هذا سببًا لإضلال الناس، فكان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم، ويحالون في العلم والعرفان على جهم وجعد والنظام وحكماء اليونان والقرامطة ونحوهم.

وهذا معنى ما ذكره شيخ الإسلام في مقدمة الحموية[1] قال: «فلو كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون (د/٢٠٦ب) للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصًّا وإما ظاهرًا، فكيف يجوز على الله ثم على رسوله ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون (ع/٣٠٢أ) دائمًا بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده أن لا يبوحوا[2] به قط ولا يدلون عليه قط لا نصًّا ولا ظاهرًا، حتى يجيء أنباط الفرس[3] والروم وفروخ اليهود والفلاسفة، يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها، لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أُحِيلُوا في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يَدْفَعُوَا -بمقتضى قياس عقولهم- ما دل عليه الكتاب والسنة نصًّا أو ظاهرًا، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة

---

(١) (ص٢٢١).

(٢) في الحموية: «لا يبوحون»، وباح الشيء: ظهر، وباح بسره: أظهره. لسان العرب (٢/ ٢٣٩).
والمعنى هنا: لا يظهرونه ولا يجاهرون به.

(٣) قوم من العجم، يسكنون العراق، والنسبة إليه نبطي، ثم استعمل أخيرًا في أخلاط الناس من غير العرب.
والفرس بلاد واسعة لعدة مدن أشهرها الآن إيران، يدينون بدين المجوس (عبادة النار)، سقط جزء منها في عهد عمر ثم سقطت بقتل يزدجرد في عهد عثمان.
انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٢٣)، مراصد الاطلاع (٣/ ١٠١٢)، والأنساب (٤/ ٣٣٢)، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٩٨)، الفتوى الحموية (ص٢٢٢- تعليق).

ضررًا محضًا في أصل الدين[١]؛ فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معاشر العباد لا تطلبون معرفة الله وما يستحقه من الصفات نفيًا وإثباتًا لا من الكتاب ولا من والسنة ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقًّا له من الصفات فصفوه به، سواءً كان موجودًا في الكتاب والسنة، أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقًّا له في عقولكم فلا تصفوه به.

ثم هم هنا فريقان:

أكثرهم يقولون ما لم تثبته عقولكم فانفوه، ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافًا أكثر من جميع اختلاف الناس على وجه الأرض، فانفوه وإليه عند التنازع فارجعوا، فإنه الحق الذي تعبدتكم به، وما كان مذكورًا في الكتاب والسنة مما يخالف مقاييس عقولكم أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم، فاعلموا أني أمتحنتكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ووحشي الألفاظ وغرائب الكلام، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع طي دلالته على شيء من الصفات.

وهذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين، وهذا الكلام رأيته قد صرح بمعناه طائفة منهم، وهو لازم لجماعتهم لزومًا لا محيد عنه (د/ ٢٠٧أ)، ومضمونه أن

---

(١) لأنهم اعتقدوا أن ظواهر نصوص الكتاب السنة التي أخبرت بصفات الله تعالى، ظواهر كفرية يجب إبطالها بصرفها عن ظواهرها؛لأن ظاهرها غير مراد. فمن تمسك بالكتاب والسنة وقع في الكفر بدل أن يعصم من الضلالات، مع أن ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن رضي الله عنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ الآية: «تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألَّا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة».

كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، أو إلى مثل من يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة(١) والفلاسفة، وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين، وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة، ولا يرتفع الخلاف به؛ إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أمروا أن يكفروا بهم.

وقوله:

..................فقع الفلا ....

قال في القاموس(٢): الفقع ويكسر البيضاء الرخوة من الكمأة جمع كعنبة، ويقال للذليل هو أذل من فقع بقرقرة؛ لأنه لا يمتنع على من اجتناه أو لأنه يوطأ بالأرجل.

قوله:

..............أفـــــــراخ.......... ....

قال في القاموس(٣): «الفرخ: ولد الطائر، وكل صغير من الحيوان والنبات، جمع أفرخ وأفراخ وفراخ وأفرخة وفرخان، والرجل الذليل: المطرود» انتهى.

---

(١) قبيلة من قبائل الهند، تنسب إلى «براهما» أحد ملوكهم، ثم أصبح الاسم علمًا على ديانة ومذهب، ومن عقائدهم: إنكار النبوات.
انظر: المفصل (١/ ١٣٧)، والفرق وأصناف الكفرة (ص٣٦٦)، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٧٨)، التبصير في الدين (ص٨٩) ولسان العرب (١/ ٣٩٤).
(٢) (ص٩٦٦).
(٣) (ص٣٢٨).

قوله:

كالحاكمية(١) ....

هم شيعة الحاكم العبيدي المعتقدون فيه الإلهية(٢)، وهو أبو علي منصور بن

(١) (د، ع) والمطبوعة تصحفت إلى «والحاكمية»، والتصويب من أبيات النونية.

(٢) ويسمون بالعبيديين، ويسمون أنفسهم بالفاطميين أو العلويين ويدَّعون الشرف، ونسبهم يرجع إلى نسل ميمون القداح القرمطي الخبيث، وهم دولة باطنية كافرة ملحدة، هدفها القضاء على الإسلام وأهله وترك الناس كالبهائم بلا دين، وقد حكم هؤلاء بلاد مصر والمغرب وغيرها، وكان مدة حكمهم مائتي عام وثمانية وستين عامًا، وكانوا أربعة عشر مستخلفًا، وهم المهدي والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآخر والحافظ والظاهر والفائز والعاضد الذي سقط حكمه على يد صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأما عبيد فقد كان اسمه سعيدًا، فلما دخل المغرب سمى نفسه عبيد الله، ثم رقت به الحال الى أن ملك وتسمى بالمهدى، وكان زنديقًا خبيثًا عدوًّا للإسلام متظاهرًا بالتشيع مبطنًا الكفر، ثم هلك وجاء بعده ابنه المسمى بالقائم وكان شرًّا من أبيه، ثم قام بعده ابنه المسمى بالمنصور ثم المعز، وكانوا يضللون الناس، فتارة يزعمون لهم أن المهدي هو ابن رسول الله، وتارة هو رسول الله، وتارة يقولون هو الله الخالق الرازق -تعالى الله عن قولهم-.

وأمروا بسب الصحابة كتابة كما في أيام الحاكم، وقتلوا الفقهاء والصالحين، وكانوا يبعثون إليهم من يذبحونهم في فرشهم وهم نيام كما في أيام المهدي، وقد أمروا بشتم الأنبياء في أيام المهدي، وكان ينادي في أسواق المهدية: « العنوا عائشة وبعلها والعنوا الغار وما حوى ».

وفي أيام المعز كان يسره ما نزل بالمسلمين، وما أخذه الروم من بلادهم، وقد استدعى فقيه الشام أبي بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي المعروف بابن النابلسي في قفص خشب، فأمر بسلخه، فسلخ حيًا، وحُشِيَ جلده تبنًا وصلب.

قال أبو ذر الهروي: «سمعت أبا الحسن الدارقطني يذكره ويبكي ويقول: كان يقول وهو يسلخ ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨]».

وفي أيام الحاكم أمر بسب الصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على حيطان الجوامع كتابة، وفي الشوارع والطرقات، وبقي هؤلاء الملاعين مائتي عام وثمانية وستين عامًا.

انظر: مختصر الروضتين في أخبار الدولتين (ص١٥٦) وما بعدها، الخطط للمقريزي (١/ ٣٤٩).

نزار العزيز بن المعز لدين الله العبيدي[1]، لأتباعه فيه من الاعتقادات الخبيثة ما تصم عنه الآذان، ويقضي على معتقده بالزور والبهتان.

وقد ذكر طرفًا من ذلك الحافظ الذهبي والحافظ ابن كثير في تاريخهما[2] والإمام أبو شامة في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين[3] وغيرهما.

وأبو سعيد هو الحسن بن بهرام القرمطي رئيس القرامطة[4].

قال الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري[5] في تاريخه الكبير المسمى بالكامل[6] قال: «في هذه السنة -يعني سنة ثمان وسبعين ومائتين- تحرك قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة» ثم بسط القول في ابتداء أمرهم وحاصله:

---

(١) المصري الرافضي، بل الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية، أقاموه في الملك بعد أبيه.
كان شيطانًا مريدًا جبارًا عنيدًا، كثير التلون، سفاكًا للدماء خبيث النحلة، عظيم المكر، له شأن عجيب ونبأ غريب، وكان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكامًا يلزم الرعية بها، هلك سنة (٤١١هـ)
انظر: السير (١٥/ ١٧٣)، الخطط للمقريزي (١/ ٣٥٤).

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير: (١/ ٢٧) (٩/ ١٠٧) (١١/ ١٨٨، ١٩١) (١٢/ ٤٧٢) (١٢/ ٥٢٢) (١٢/ ٥٥٥) (١٢/ ٥٦٠) (١٢/ ٥٦٦) (١٣/ ٢٣٨) (١٣/ ٢٤١) (١٤/ ٦٠٢).

(٣) انظر: مختصر الروضتين في أخبار الدولتين (ص١٥٦)، وأبو شامة هو عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي نحوي مؤرخ، مات سنة (٦٦٥هـ). وانظر: شذرات الذهب (٧/ ٥٥٣).

(٤) كان يدعو الناس الى بيعة المهدي الفاطمي، فأرسل إليه المهدي يأمره بالإفساد في الأرض، وتخريب المساجد، مات سنة (٣٠١هـ).وسيأتي.
انظر: البداية والنهاية (١١/ ٩٦، ١٤٤)، معجم البلدان (٢/ ١٩٣).

(٥) هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجزري الشيباني، وكان إمامًا علامة إخباريًا أديبًا متفننًا. مات سنة (٦٣٠هـ). انظر: السير (٢٢/ ٣٥٣).

(٦) (٧/ ٤٤٤).

«أن رجلًا أظهر العبادة والزهد والتقشف، وكان يسف الخوص ويأكل من كسبه، كان يدعو الناس إلى إمام من أهل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأقام على ذلك مدة فاستجاب له خلق كثير، وجرت له أحوال أوجبت له حسن الاعتقاد فيه، وانتشر ذكرهم بسواد الكوفة.

ثم قال ابن الأثير بعد هذا في سنة ست وثمانين ومائتين[١] (د/٢٠٧ب): «وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين، واجتمع إليه ناس كثير من الأعراب والقرامطة، وقوي أمره فقتل من حوله من أهل تلك القرى، وكان أبو سعيد المذكور يبيع الناس الطعام ويحسب لهم بيعهم، (ع/٣١٣ب) ثم عظم أمرهم وقربوا من نواحي البصرة، فجهز إليهم الخليفة المقتدر بالله[٢] جيشًا فقاتلهم مقدمه العباس بن عمرو الغنوي[٣]، فتواقعوا وقعة شديدة وانهزم أصحاب العباس، وأسر العباس، وكان ذلك في آخر شعبان من سنة سبع وثمانين[٤] فيما بين البصرة والبحرين، وقتل أبو سعيد الأسرى وأحرقهم، واستبقى العباس، ثم أطلقه بعد أيام، وقال له امض إلى صاحبك وعرفه ما رأيت، فدخل بغداد في شهر رمضان من السنة وحضر بين يدي المقتدر فخلع عليه[٥].

ثم إن القرامطة دخلوا بلاد الشام في سنة تسع وثمانين ومائتين، وجرت بين

---

(١) من نفس الكتاب (٧/ ٤٩٣).

(٢) جعفر بن أحمد بن أحمد ابن المتوكل على الله الهاشمي العباسي البغدادي، بويع بعد أخيه المكتفي وهو ابن (١٣سنة)، قتل سنة (٣٢٠هـ). ينظر: السير (١٥/ ٤٣).

(٣) كان متقلدًا أعمال الحرب بديار مصر للمقتدر بالله الخليفة العباسي. مات سنة (٣٠٥هـ). انظر: الكامل (٨/ ١٠٧).

(٤) الكامل (٧/ ٤٩٨-٥٠٠).

(٥) أي ألبسه وكساه وأكرمه، وأعطاه من الجواهر.

الطائفتين وقعات يطول شرحها، ثم قتل أبو سعيد المذكور في سنة إحدى وثلاثمائة، قتله خادم له في الحمام، وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد[١] ولما قتل أبوه أبو سعيد كان قد استولى على هجر[٢] والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين[٣].

وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة في شهر ربيع[٤] الآخر منها قصد أبو طاهر وعسكره البصرة وملكها بغير قتال، بل صعدوا إليها بليل بسلالم الشعر، فلما صعدوا[٥] بها وأحسوا بهم ثاروا إليهم فقتلوا متولي البلد ووضعوا السيف في الناس، فهربوا منهم، وأقام أبو طاهر سبعة عشر يومًا يحمل منهم الأموال، ثم عاد

---

(١) أعرابي زنديق، ابن رأس القرامطة، سار الى مكة في سبع مئة فارس، فاستباح الحجيج كلهم في الحرم، واقتلع الحجر الأسود، وردم زمزم بالقتلى، وقتل في سكك مكة وما حولها زهاء ثلاثين ألفًا وسبى الذرية، وكان ذلك سنة (٣١٧هـ)، ولم يحج في تلك السنة أحد، وقتل أمير مكة ابن محارب، وعرى البيت وأخذ بابه. ثم جرت له مع المسلمين حروب أو هنته وقتل جنده، وطلب الأمان على أن يرد الحجر الأسود. ثم هلك بالجدري في سنة (٣٠٢هـ). انظر: السير (١٥/ ٣٢٠-٣٢٥).

(٢) قاعدة البحرين، وربما قيل الهجر، والصواب أن ناحية البحرين كلها هجر، وهي المعروفة الآن بمنطقة الأحساء، وكانت قد اشتهرت بالقلال والقرب التي يوضع فيها الماء، وجاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عندما رفعت إلى النبي ﷺ سدرة المنتهى فإذا بنقلها كأنه قلال هجر. انظر: معجم البلدان (٥/ ٤٥٢).

(٣) سميت بذلك لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء، ولما كانت سنة ثمان من الهجرة، وجه رسول الله ﷺ العلاء بن عبد الله الحضرمي إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام، أو الجزية، وكتب معه إلى المنذر بن ساوي والي سيبخت مرزبان هجر يدعوهما إلى الإسلام، أو الجزية، فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم.
انظر: معجم البلدان (١/ ٤١١-٤١٥).
أما ذكر الطائف هنا فلعلها طائف في الإحساء لا الطائف المعروفة، وقد بحثت في كتب البلدان فلم أجد إلا اسم طائف الحجاز. والله أعلم.

(٤) (ع) «ربيعي» والتصويب من (د).

(٥) تحرفت في (ع، د) إلى «حصلوا».

إلى بلده ولم يزالوا يعيثون في البلاد ويكثرون فيها الفساد من القتل والسبي والنهب والحريق إلى سنة سبع عشرة وثلاثمائة، فحج الناس فيها وسلموا في طريقهم، ثم وافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية فنهبوا أموال الحاج وقتلوهم، حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه وقلع الحجر الأسود وانفذه إلى هجر، فخرج إليه أمير مكة في جماعة من الأشراف فقاتلوهم فقتلهم أجمعين.

وقلع باب الكعبة وأصعد رجلًا ليقلع الميزاب فسقط فمات (د/٢٠٨أ)، فطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين في المسجد الحرام من غير كفن ولا غسل ولا صلاة على أحد منهم، وأخذ كسوة البيت فقسمها في أصحابه ونهب دور أهل مكة.

ثم ذكر ابن الأثير في سنة ستين وثلاثمائة(١) «أن القرامطة وصلوا إلى دمشق فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح(٢) نائب المصريين، ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عين شمس وهي على باب القاهرة، وظهروا عليهم ثم انتصر أهل مصر عليهم فرجعوا عنهم» انتهى.

قال ابن خلكان(٣): «وعلى الجملة فالذي فعلوه في الإسلام لم يفعله أحد قبلهم ولا بعدهم من المسلمين، وملكوا كثيرًا من بلاد العراق والحجاز وبلاد الشرق وبلاد الشام إلى باب مصر، ولما أخذوا الحجر تركوه عندهم في هجر، وقتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة، والقِرْمِطي بكسر القاف وسكون

---

(١) الكامل (٨/ ٦١٤).

(٢) هو جعفر بن فلاح الكتامي أبو علي أحد قادة المعز بن معد بن المنصور صاحب أفريقيه، فتح مصر ثم الشام، وقتل على يد القرامطه سنة (٣٦٠هـ)، وكان جليل القدر ممدوحًا. انظر: الحلة السيراء (١/ ٣٠٤)، البيان المغرب (١/ ٢٣١)، وفيات الأعيان (١/ ٣٦١).

(٣) انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٤٧-١٥٠).

الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة، والقرمطة في اللغة تقارب الشيء بعضه من بعض، يقال: خط مقرمط ومشي مقرمط إذا كان كذلك.

وكان أبو سعيد المذكور قصيرًا، مجتمع الخلق أسمر كريه المنظر، فلذلك قيل له قرمطي.

وقد ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني فصلًا طويلًا من أحوالهم (ع/ ٣١٤أ) في كتاب كشف أسرار الباطنية[١].

وأما الجنابي: فإنه بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الألف باء موحدة وهذه النسبة إلى جنابة وهي بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سيراف، والقرامطة منها فنسبوا إليها» انتهى كلام ابن خلكان رحمه الله تعالى.

قوله:

....ثم آل سنان

سنان هو البصري الذي كان بحصون الإسماعيلية بالشام وكان يقول (قد رفعت عنهم الصوم والصلاة والحج والزكاة)[٢].

(١) سبق أن عرفنا بهذا الكتاب، وانظر فيما يتعلق بأحوال الباطنية فضائح الباطنية للغزالي (ص٥٩) وما بعدها.

(٢) قال ابن العديم في تاريخه: «بلغني أنه أحل لهم وطء أمهاتهم وأخواتهم وبناتهم، وأسقط عنهم صوم رمضان»، انظر: السير (٢١/ ١٨٦)، واسم هذا الزنديق سنان بن سلمان البصري الباطني كبير الإسماعيلية، وهو صاحب الدعوة النزارية، مات سنة (٥٨٩هـ).

قال الناظم:

فصل

هذا وخاتم هذه العشرين وجهًا ... وهو اقربها إلى الأذهان

سرد النصوص فإنها قد نوعت ... طرق الأدلة في أتم بيان

والنظم يمنعني من استيفائها ... وسياقة الألفاظ بالميزان

فاشير بعض إشارة لمواضع ... منها وأين البحر من خلجان

فاذكر نصوص الاستواء فإنها ... في سبع آيات من القرآن

واذكر نصوص الفوق أيضًا في ثلا ... ثٍ قد غدت معلومة التبيان

واذكر نصوص علوه في خمسة ... معلومة برئت من النقصان

واذكر نصوصًا في الكتاب تضمنت ... تنزيله من ربنا الرحمن

فتضمنت أصلين قام عليهما الـ ... إسلام والإيمان كالبنيان

كون الكتاب كلامه سبحانه ... وعلوه من فوق كل مكان

وعدادها سبعون حين تعد أو ... زادت على السبعين في الحسبان

هذا هو الدليل العشرون من أدلة (د/٢٠٨ب) علو الله تعالى على خلقه، وهي النصوص الدالة على ذلك من الكتاب العزيز.

قوله:

فاذكر نصوص الاستواء .... إلخ

تقدم ذكر آيات الاستواء.

قوله:

واذكر نصوص الفوق أيضًا في ثلا ... ث................................ إلخ

وهي قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٨]، وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام:٦١] الآية.

قوله:

واذكر نصوص علوه في خمسة .... إلخ

وهي قوله تعالى في آية الكرسي: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وفي الرعد: ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩]، وقوله في الشورى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الشورى:٤]، وقوله تعالى في سورة غافر: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر:١٢]، وقوله تعالى في سورة سبح: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى:١].

قوله:

واذكر نصوصًا في الكتاب .... إلخ

تقدم الكلام في ذلك بما أغنى عن إعادته.

۞۞۞

قال الناظم:

واذكر نصوصًا ضمنت رفعًا ومعـ ـراجًا وإصعادًا إلى الديان

هي خمسة معلومة بالعد والـ حسبان فاطلبها من القرآن

وهي قوله تعالى عن (ع/ ٣١٥ب) عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء:١٥٨]، وقوله في سورة سأل (د/ ٢٠٩أ): ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج:٤]، وقوله في سورة السجدة: ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة:٥].

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، وقوله تعالى عن عيسى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

۞۞۞

قال الناظم:

ولقد أتى في سورة الملك التي ... تنجي لقاريها من النيران

نصان أن الله فوق سمائه ... عند المحرف ما هما نصان

قوله:

.... في سورة الملك ... . إلخ

روى أحمد والحاكم وأبو داود عن أبي هريرة مرفوعًا قال: «سورة في القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]»(١).

وعن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى ادخلته الجنة (تبارك)**» الآية، أخرجه الطبراني في الأوسط وابن مردويه والضياء في المختارة(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٩) والنسائي في الكبرى (١٠/ ٣٠٩) (٩/ ٢٦٢) والترمذي في جامعه (٤/ ١١) وأحمد في المسند (٢/ ٢٩٩) (٢/ ٣٢١) وغيرهم من طرق.
عن شعبة عن قتادة عن ابن عباس الجشمي عن أبي هريرة به، وإسناده ضعيف لحال عباس الجشمي قال في التقريب (ص٤٨٩): «مقبول» يعني حيث يتابع ولم أجد له متابعًا والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (ص١٩٦) ومن طريقه الضياء في المختارة (٥/ ١١٥) عن سليمان بن داود بن يحيى عن شيبان بن فروخ عن سلام بن مسكين عن ثابت عن أنس (.....فذكره)، وحسنه الحافظ الضياء المقدسي في المختارة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٢٧): «ورواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح».

والنصان هما قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك:١٦]، ﴿ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ﴾ [الملك:١٧] الآية؛ لأن (في) بمعنى (على) أو المراد بذلك (مطلق العلو) في الآيتين كما هو مبسوط في موضعه(١).

۞۞۞

قال الناظم:

ولقد أتى التخصيص بالعند الذي ... قلنا بسبع بل أتى بثمان

منها صريح موضعان بسورة الـ ... أعراف ثم الأنبياء الثاني

فتدبر النصين وانظر ما الذي ... لسواه ليست تقتضي النصان

وبسورة التحريم أيضًا ثالث ... بادي الظهور لمن له أذنان

ولديه في مزمل قد بينت ... نفس المراد وقيدت ببيان

لا تنقص الباقي فما لمعطل ... من راحة فيها ولا تبيان

في سورة الأعراف: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾، إلى قوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف:١٨٧]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٦]، وفي الأنبياء: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ (د/ ٢٠٩ب) وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ ﴾ [الأنبياء:١٩] الآية، وفي سورة التحريم: ﴿ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [التحريم:١١] الآية، وفي سورة المزمل: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل:٢٠]، وفي سورة القمر: ﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ [القمر:٥٥].

---

(١) انظر: نقض التأسيس لابن تيمية (١/ ٥٥٨) (٢/ ٣٣٦) (٢/ ٥٣٠)، مجموع الفتاوى (١٦/ ١٠١)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٠٣)، أضواء البيان (٨/ ٤٠٧).

قوله:

لا تنقص الباقي ....

هو بالصاد المهملة أي لا تنقص المواضع السبعة التي ذكرها الناظم؛ لأنه لم يذكر إلا بعضها، والله أعلم.

۞۞۞

قال الناظم:

وبسورة الشورى وفي مزمل ... سر عظيم شأنه ذو شان
في ذكر تفطير السماء فمن يرد ... علمًا به فهو القريب الداني
لم يسمح المتأخرون بنقله ... جبنًا وضعفًا عنه في الإيمان
بل قاله المتقدمون فوارس الـ ... إسلام هم أمراء هذا الشان
ومحمد بن جرير الطبري في ... تفسيره حكيت به القولان

يعني قوله تعالى في (ع/٣١٦أ) سورة الشورى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥] الآية، وقوله تعالى في سورة المزمل: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل:١٧-١٨] الآية[(١)].

---

(١) قال الطبري في الآية الأولى في تفسيره (٢٥/ ٧): «تكاد السموات يتشققن من عظمة الرحمن جَلَّجَلَالُهُ»، ثم أسند إلى ابن عباس أنه قال: «تكاد السموات يتفطرن من فوقهن» يعني من ثقل الرحمن وعظمته تَبَارَكَوَتَعَالَى. أما قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ الآية، ففي تفسيرها قولان:
الأول: أن الضمير في قوله: (به) يعود على اليوم في قوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ فيكون المعنى أن السماء تنفطر في هذا اليوم وتتشقق، وتكون (به) بمعنى (في). =

قال الناظم:

فصل

هــذا وحــاديــهــا وعــشــريــن الــذي ... قــد جــاء في الأخــبــار والــقــرآن

إتــيــان رب الــعــرش جــل جلاله ... ومجــيــئــه لــلــفــصــل بــالمــيــزان

فانظر إلى التقسيم والتنويع في القـ ... ـــرآن تــلــفــيــه صــريــح بــيــان

إن المجـــيء لـــذاتـــه لا أمـــره ... كــلا ولا مــلــك عــظــيــم الــشــان

اذ ذانــك الأمــران قــد ذكــرا وبيـ ... ـنهما مجــيء الــرب ذي الغفران

والله ما احتمل المجيء سوى مجيـ ... ء الـــذات بــعــد تــبــين الــبــرهــان

مــن أيــن يــأتــي يــا أولــي المعقول إن ... كــنــتــم ذوي عــقــل مــع الــعــرفــان

مــن فــوقــنــا أو تحــتــنــا أو [خلفنا] ... أو عــن شمــائــلــنــا وعـــن أيمــان

والله لا يـــأتـــيــهــم مـــن تحتهم ... أبـــدًا تـــعـــالى الله ذو السلطان

كــلا ولا مــن خــلــفــهــم وأمامهم ... وعـــن الــشــمــائــل أو عــن الأيمــان

والله لا يـــأتـــيـــهـــم إلا مـــن الـــ ... ـعلو الـــذي هــو فــوق كــل مكان

= الثاني: أن الضمير في (به) يعود إلى الله تعالى، وإن لم يسبق له ذكر، لأنه مفهوم من السياق، ويؤيده قوله تعالى بعده: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل:١٨] فيكون المعنى: انفطار السماء بالله عَزَّوَجَلَّ: تشققها عند نزوله لفصل القضاء بين عباده.

أما قول هراس في شرحه (١/ ٢٧٢): (...ولكن المتأخرين من مثل ابن كثير جبنوا عن إيراد هذا القول الثاني، ولم يصرح به إلا المتقدمون من جهابذة الإسلام!!)، قول مردود، فقد ذكر ابن كثير القولين، لكنه رجح الأول، إذ قال بعد إيراد القول الأول (٨/ ٢٨٣): (... ومنهم من يعيد الضمير على الله عَزَّوَجَلَّ، وليس بقوي، لأنه لم يجر ذكر له هاهنا)، يعني ليس بقوي من جهة اللغة، وإلا فابن كثير على عقيدة السلف.

انظر: عقيدة ابن كثير بين التأويل والتفويض لعبدالآخر الغنيمي (ص٦٧) وما بعدها.

هذا هو الدليل الحادي والعشرون (د/ ٢١٠أ) من أدلة علو الله تعالى على خلقه، وهو إتيان رب العرش جَلَّجَلَالُهُ ومجيئه الذي جاء في القرآن والأحاديث.

قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠] الآية، ويأخذ من القرآن أن المجيء لذاته لا أمر ولا ملك، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨] لأن المعطلة يفسرون المجيء والإتيان بمجيء أمره أو ملك، والمجيء في الآيه، وهي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنعام:١٥٨]، لا يحتمل غير مجيء الرب بذاته تعالى؛ لأن مجيء الملائكة قد تقدم، ومجيء الأمر وهو بعض الآيات تأخر، ومجيء الرب بينهما، فلا يحتمل ذلك غير مجيء الرب سبحانه[١].

قال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني في عقيدته[٢]: «ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، (ع/ ٣١٧ب) ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وكذلك يثبتون ما أنزله الله في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «فرق بين إتيان الملائكة، وإتيان الرب وإتيان بعض آياته، فقسم ونوع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدًا، فتأمله».
انظر: مختصر الصواعق (٣/ ٨٥٧).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٤٦)، ط. مكتبة الغرباء، بتحقيق بدر البدر.

تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ [البقرة:٢١٠]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [الفجر:٢٢]».

قال: «وأخبرنا أبو بكر بن زكريا! (د/ ٢١٠ب) سمعت أبا حامد بن الشرقي[(١)] سمعت حمدان السلمي[(٢)] وأبا داود الخفاف[(٣)] قالا سمعنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول قال لي الأمير عبد الله بن طاهر[(٤)]: يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا»[(٥)] كيف ينزل!! قال: قلت: أعز الله الأمير لا يقال لأمر الرب كيف، إنما ينزل بلا كيف».

قال: «وسمعت أبا عبد الله الحافظ[(٦)] يقول سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري[(٧)] سمعت إبراهيم ابن أبي طالب[(٨)] سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم

---

(١) أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري، واحد عصره حفظًا وإتقانًا ومعرفة. مات سنة (٣٢٥هـ). انظر: السير (١٥/ ٣٧)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤١).

(٢) أحمد بن يوسف بن خالد النيسابوري المعروف بحمدان السلمي، حافظ ثقة من الحادية عشرة، مات سنة (٢٦٣هـ). التقريب (ص١٠٢).

(٣) هو سليمان بن داود النيسابوري. قال ابن راهوية: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: الجرح والتعديل (٤/ ١١٥)، والثقات لابن حبان (٨/ ٢٨٢).

(٤) الأصل «أبو عبد الله»، وهو تصحيف، وعبد الله بن طاهر بن الحسين حاكم خراسان وما وراء النهر. تفقه وتأدب، قلده المأمون مصر وإفريقيا ثم خراسان وكان ملكًا مطاعًا سائسًا جوادًا. مات سنة (٢٣٠هـ). انظر: السير (١٠/ ٦٨٤).

(٥) صحيح سبق تخريجه.

(٦) في عقيدة الصابوني «الحاكم أبا عبدالله».

(٧) (ع) «يحيى بن إبراهيم» وهو تصحيف، وهو السلمي، المشهور بالمعدل، قال الذهبي: «الإمام الثقة». مات سنة (٣٤٤هـ). انظر: السير (/ ٥٣١٥٣).

(٨) هو إبراهيم بن أبي طالب بن محمد النيسابوري أبو إسحاق. مات سنة (٢٩٥هـ). انظر: السير (١٣/ ٥٤٧).

أبا عبد الله الرباطي[١] يقول: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق ابن إبراهيم فسئل عن حديث النزول أصحيح هو قال: نعم، فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا عبد الله تزعم أن الله ينزل كل ليلة قال: نعم، قال كيف ينزل: قال إسحاق: أثبته فوق، فقال: أثبته فوق، فقال إسحاق: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾، فقال الأمير عبد الله: هذا يوم القيامة فقال إسحاق: أعز الله الأمير من يجيىء يوم القيامة من يمنعه اليوم.

وقال أبو عثمان قرأت في رسالة أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان[٢] إن الله ينزل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة:٢١٠]، وقال: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]، نؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف، فلو شاء سبحانه أن يبين كيف ذلك فعل، فانتهينا إلى ما أحكمه وكفينا عن الذي تشابه، إذ كنا قد أمرنا به في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧]» انتهى.

فإذا قد ثبت (د/ ٢١١أ) مجيء الرب تعالى وإتيانه من الكتاب والسنة، فمعلوم أنه لا يأتي إلا من فوق تعالى الله عما يصفه به الجاحدون والمعطلون علوًّا كبيرًا.

(١) قال الخطيب: «كان ثقة فاضلًا مهمًّا عالمًا». مات سنة (٢٤٥هـ). انظر: السير (١٢/ ٢٠٧)، وتاريخ بغداد (٤/ ١٦٦).

(٢) اعتقاد أهل السنة (ص٣١-٣٢)، والإسماعيلي هو أحمد بن إسماعيل بن العباس الشافعي وهو أحد أئمة السنة في وقته، مات سنة (٣٧١هـ)، وجيلان -بالكسر- بلاد كثيرة، من وراء بلاد طبرستان. انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٧).

قال الناظم:

فصل
في الإشارة إلى ذلك من السنة

واذكر حديثًا في الصحيح تضمنت كلماته تكذيب ذي البهتان
لما قضى الله الخليقة ربنا كتبت يداه كتاب ذي الإحسان
وكتابه هو عنده وضع[1] على الـ ـعرش المجيد الثابت الأركان
إني أنا الرحمن تسبق رحمتي غضبي وذاك لرأفتي وحناني

يشير إلى حديث أبي الزناد[2] عن الأعرج[3] عن أبي هريرة (ع/٣١٨أ) قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش»** أخرجه البخاري ومسلم[4].

وذكره الذهبي في كتاب العلو[5] بلفظ آخر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي»**[6].

---

(١) (د) «موضوع» وهو تصحيف.
(٢) عبد الله بن ذكوان القرشي، أبو عبد الرحمن المدني المعروف بأبي الزناد، ثقة فقيه، من الخامسة مات سنة ثلاثين وقيل بعدها. التقريب (ص٥٠٤).
(٣) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني مولى ربيعة بن الحارث، ثقة ثبت عالم من الثالثة، مات سنة سبع عشرة. التقريب (ص٦٠٣).
(٤) أخرجه البخاري -بهذا اللفظ- كتاب التوحيد (١٣/ ٣٩٥)، وعزوه لمسلم وهم، وإنما خرج مسلم الآتي.
(٥) (١/ ٤٣١).
(٦) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٩/ ٢٦٩٤)، ومسلم في التوبة (٤/ ٢١٠٧).

قال: ولفظ حديث الثوري عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو مرفوع فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**»(١).

وفي حديث صفوان بن عيسى(٢) ثنا ابن عجلان(٣) عن أبيه(٤) عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي**»(٥).

۞۞۞

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٤١٧) من طريق وكيع وأبي داود الحفري عن سفيان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، ولم يذكر فيه لفظه: «... كتبه على نفسه»، وإنما أخرجها البخاري بلفظ (٦/ ٢٦٩٤): «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه...» الحديث، بدل «كتبه على نفسه....» والرواي عن الأعمش أبو حمزه وسفيان الثوري، وهذا لفظ أبي حمزة، واللفظ الذي ذكره الشارح ذكره الذهبي في كتاب العلو عن سفيان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، وقال هو لفظ سفيان!؟ وليس كذلك، وإنما هو لفظ أبي حمزة كما عند البخاري، وأما لفظ النسائي فهكذا: «لما فرغ الله من الخلق كتب على عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي».

(٢) صفوان بن عيسى القرشي الزهري، ثقة من التاسعة مات سنة مائتين وقيل: «قبلها بقليل أو بعدها». التقريب (ص٤٥٤).

(٣) محمد بن عجلان المدني صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة من الخامسة مات سنة ثمان وأربعين. انظر: التقريب (ص٨٧٧).

(٤) عجلان مولى فاطمة بنت عتبة المدني قال في التقريب (ص٦٧١): «لا بأس به من الرابعة».

(٥) أخرجه الترمذي في الدعوات (٥/ ٥٤٩)، وابن ماجه (١/ ٦٧) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ١٣٤) وغيرهم من طرق عن محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة به، وقال الترمذي «حديث حسن صحيح»، ولا يضر وجود محمد بن عجلان في السند؛ لأن هذا الحديث مما وافق فيه الثقات، وأما رواية صفوان بن عيسى التي ذكرها الشارح نقلًا عن الذهبي، فلم أجدها في شيء من كتب السنن والمسانيد بحسب اطلاعي، والله أعلم.

قال الناظم:

ولقد أشار نبينا في خطبةٍ نحو السماء بأصبع وبنان

مستشهدًا ربَّ السماوات العُلى لِيرَى ويَسمَعَ قولَه الثقلان

أتراه أمسى للسما مستشهدا أم للذي هو فوق ذي الأكوان

يعني حديث جابر في خطبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم عرفة، وقد تقدم.

۞۞۞

قال الناظم (د/ ٢١١ب):

ولقد أتى في رقية المرضى عن الـ ـهادي المبين أتم ما تبيان

نص بأن الله فوق سمائه فاسمعه إن سمحت لك الأذنان

يشير إلى حديث أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء والأرض، أغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل علينا رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ**» أخرجه أبو داود في سننه(١).

۞۞۞

قال الناظم:

ولقد أتى خبر رواه عمه الـ ـعباس صنو أبيه ذو الإحسان

إن السماوات العلى من فوقها الـ ـكرسي عليه العرش للرحمن

---

(١) أخرجه أبو داود في الطب (٤/ ١٧)، والنسائي في الطب (٩/ ٣٨١)، وكلاهما من طريق الليث ابن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرضي عن أبي الدرداء به. وزيادة بن محمد هو الأنصاري، قال عنه في التقريب (ص٣٥٠): «منكر الحديث».

والله فوق العرش يبصر خلقه ... فانظر إن سمحت لك العينان

يشير إلى حديث الأوعال، وهو حديث العباس بن عبد المطلب، قال: كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها فقال: «**ما تسمون هذه؟**» قالوا: السحاب قال: «**والمزن**» (ع/٣١٩ب) قالوا: والمزن قال: «**والعنان**» قالوا: والعنان، قال: «**هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟**» قالوا: لا ندري قال: «**إن بعد ما بينهما إما واحدة إما اثنتان أو ثلاثة وسبعين سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك**» رواه أبو داود وابن ماجه وله طرق[١].

قوله:

....صنو أبيه............

قال ابن الأعرابي الصنو المثل أراد مثل أبيه[٢].

وقيل في قوله تعالى: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد:٤] أن يكون الأصل واحدًا، وفيه النخلتان والثلاث والأربع[٣].

۞۞۞

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: شرح السنة للبغوي (٦/ ٣٤)، التبيان لابن الأنباري (١/ ٣٨).
(٣) انظر: العين للخليل بن أحمد (ص٥٣٣)، غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٢١٧)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٥٣).

قال الناظم (د/ ٢١٢أ):

واذكر حديث حصين بن المنذر الثـ	**ـقة الرضى أعني أبا عمران**
إذ قال ربي في السماء لرغبتي	**ولرهبتي أدعوه كل أوان**
فأقره الهادي البشير ولم يقل	**أنت المجسم قائل بمكان**
حيزت بل جهيت بل شبهت بل	**جسمت لست بعارف الرحمن**
هذي مقالتهم لمن قد قال ما	**قد قاله حقًّا أبو عمران**
فالله يأخذ حقه منهم ومن	**أتباعهم فالحق للرحمن**

يعني حديث حصين بن المنذر الخزاعي وهو ما رواه عمران بن خالد ابن طليق[١] حدثني أبي[٢] عن أبيه عن جده[٣] قال اختلفت قريش إلى حصين والد عمران، فقالوا: إن هذا الرجل يذكر آلهتنا فنحب أن تكلمه وتعظه، فمشوا إلى قريب من باب النبي ﷺ فجلسوا ودخل حصين، فلما رآه النبي ﷺ قال: «**أوسعوا للشيخ**» فأوسعوا له، وعمران[٤] وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم وقد كان أبوك جفنة وخبزًا؟ فقال: «**يا حصين كم إلهًا تعبد اليوم؟**» قال: سبعة، ستة في

---

(١) هو عمران بن خالد بن طليق. قال أبو حاتم: ضعيف الحديث، وقال أحمد: متروك الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بما انفرد به من الروايات.
انظر: الجرح والتعديل (٦/ ٢٩٧).

(٢) هو خالد بن طليق بن محمد، قال الدارقطني: ليس بالقوي، وذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا وقال الساجي صدوق يهم والذي أتي منه روايته غير الثقات.
ينظر: الجرح والتعديل (٣/ ٣٣٧).

(٣) طليق بن محمد بن عمران. ذكره ابن أبي حاتم والبخاري ولم يذكروا فيه جرحًا ولا تعديلًا. ينظر: الجرح والتعديل (٤/ ٤٩٩).

(٤) يعني بن حصين الصحابي المشهور.

الأرض وإلهًا في السماء قال: «**فإذا أصابك الضيق فمن تدعو؟**» قال: الذي في السماء قال: «**فإذا هلك المال فمن تدعو؟**» قال: الذي في السماء، قال: «**فيستجيب لك وحده وتشركهم معه؟**» قال: «**أما رضيت الشكر** -أو كلمة نحوها- **أو تخاف أن يغلب عليك**» قال: ولا واحدة من هاتين وعرفت أني لم أكلم مثله، فقال: «**يا حصين أسلم تسلم**» وذكر الحديث، أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد(١).

﴿ وقول الناظم:

حيزت ....**إلخ**

أي إذا قلت بما قال حصين بن المنذر قالوا حيزت، أي: قلت بأن الله في حيز (وجهيت) أي قلت بأن الله تعالى في جهة، و(شبهت) أي قلت بما يقتضي التشبيه، و(جسمت) أي قلت (ع/ ٣٢٠أ) بأن الله تعالى جسم، تعالى الله عن ذلك(٢).

۞۞۞

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٧٧) ومن طريقة ابن قدامة في إثبات صفة العلو واللفظ له (ص٧٥) من طريق رجاء بن محمد العذري عن عمران بن خالد بن طليق عن أبيه عن جده عن عمران بن حصين قال: «اختلفت قريش إلى حصين... فذكره» وإسناده ضعيف، عمران بن خالد وأبوه وجده ضعفاء.
وأخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٥٨)، ومن طريقه الطبراني في الكبير (١٨/ ١٧٤) عن أحمد ابن منيع عن أبي معاوية عن شبيب بن شيبة عن الحسن عن عمران، وهو مرسل، لأن الحسن لم يسمع من عمران بن حصين كما نص على ذلك العلائي في جامع التحصيل (ص١٦٤).
وأخرجه البزار في مسنده (٩/ ٥٣) عن عبد الله بن سعيد عن أبي خالد عن داود بن أبي هند عن العباس بن عبد الرحمن عن عمران بن حصين به، وإسناده ضعيف لحال العباس بن عبد الرحمن فإنه مستور كما في التقريب (ص٤٨٧) ولم يتابعه أحد.
والحديث حسن بمجموع طرقه.

(٢) (ع) في الهامش: «لو قال: [تعالى الله عما يقول الظالمون] لكان أسلم».

قال الناظم (د/ ٢١٢ب):

واذكر شهادته لمن قد قال ربـ ... ـي في السما بحقيقة الإيمان
وشهادة العدل المعطل للذي ... قد قال ذا بحقيقة الكفران
واحكم بأيهما تشاء وإنني ... لأراك تقبل شاهد البطلان
إن كنت من أتباع جهم صاحب التـ ... ـعطيل والبهتان والعدوان

يشير إلى حديث الجارية، وقد تقدم ببعض ألفاظه.

۞۞۞

قال الناظم:

واذكر حديثا لابن إسحاق الرضى ... ذاك الصدوق الحافظ الرباني
في قصة استسقائهم يستشفعو ... ن إلى الرسول بربه المنان
فاستعظم المختار ذاك وقال شأ ... ن الله رب العرش أعظم شان
الله فوق العرش فوق سمائه ... سبحان ذي الملكوت والسلطان
ولعرشه منه أطيط مثل ما ... قد أطّ رحل الراكب العجلان
لله ما لقي ابن إسحاق من الـ ... ـجهمي إذ يرميه بالعدوان
ويظل يمدحه إذا كان الذي ... يُروي يوافق مذهب الطعان
كم قد رأينا منهم أمثال ذا ... فالحكم لله العلي الشان
هذا هو التطفيف لا التطفيف في ... ذرع ولا كيل ولا ميزان

يعني الناظم حديث ابن إسحاق، وقد رواه الذهبي في كتاب العلو[1] فقال «أخبرنا التاج عبد الخالق[2]، ....

(١) (٢/ ٩٥٩).
(٢) عبد الخالق بن عبد السلام بن علوان البعلبكي الشافعي ولي قضاء بلده، وكان خيرًا صالحًا =

وبنت عمه ست الأهل[(١)] قالا: أبنا البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم[(٢)] أبنا عبد المغيث بن زهير[(٣)] أبنا أبو العز ابن كادش[(٤)] أنبأنا أبو طالب محمد بن علي[(٥)] أبنا أبو الحسن الدارقطني ثنا يحيى بن صاعد[(٦)] ثنا محمد بن يزيد أخي كرخويه[(٧)] ثنا وهب بن جرير[(٨)] ثنا أبي[(٩)] سمعت ابن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة[(١٠)] عن جبير

=متواضعًا زاهدًا، روى الكثير وتفرد في زمانه ورحل إليه مات سنة (٦٩٦هـ). انظر: معجم شيوخ الذهبي (١، ٣٥١)، الوافي بالوفيات (١٨/ ٩٢).

(١) ست الأهل بنت الناصح علوان بن سعيد البعلبكية، سمعت الكثير، وكانت دينة خيرة ماتت سنة (٧٠٣هـ). انظر: معجم شيوخ الذهبي (١/ ٢٨٣)، الدرر الكامنة (٢/ ٧٥).

(٢) عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي الحنبلي، كان فقيهًا إمامًا مناظرًا، مات سنة (٦٢٤هـ). انظر: السير (٢٢/ ٢٦٩).

(٣) عبد المغيث بن زهير بن زهير البغدادي الحربي. كان محدث بغداد، وأحد من عني بالأثر والسنة، لكن له أوهام وغلطات تدل على قلة علمه، وقد ألف جزءًا في فضائل يزيد أتى فيه بالموضوعات. مات سنة (٥٨٣هـ). ينظر: السير (٢١/ ١٥٩)، والعبر للذهبي (٣/ ٨٥).

(٤) أحمد بن عبيد الله السلمي العكبري، قال أبو سعيد السمعاني: كان ابن ناصر سيء القول فيه، وقال ابن الأنماطي: كان مخلطًا، مات سنة (٥٢٦هـ). انظر: السير (١٩/ ٥٥٨)، والميزان (١/ ١١٨)، ولسان الميزان (١/ ٣٢٧).

(٥) محمد بن علي بن الفتح الحربي العُشاري. قال الخطيب: «كتبت عنه وكان ثقة صالحًا» وكان أبو طالب فقيهًا عالمًا زاهدا خيرًا. مات سنة (٤٥١هـ). انظر: السير (١٨/ ٤٨).

(٦) يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب الهاشمي قال الدارقطني: ثقة ثبت حافظ. مات سنة (٣١٨هـ). انظر: السير (١٤/ ٥٠١).

(٧) محمد بن يزيد بن محمد أبو هشام العجلي الرفاعي الكوفي، قال البخاري: رأيتهم مجمعين على ضعفه وعن ابن نمير قال: كان أبو هشام يسرق الحديث، قال أيضًا: أضعفنا طلبًا وأكثرنا غرائب. انظر: السير (١٢/ ١٥٣)، ميزان الاعتدال (٤/ ٦٨).

(٨) وهب بن جرير بن حازم الأزدي البصري، ثقة من التاسعة، مات سنة (٢٠٦هـ). التقريب (ص١٠٤٣).

(٩) جرير بن زيد بن عبد الله الأزدي ثم العتكي، ثقة، اختلط بأخرة، فحجبه أولاده. مات سنة (١٧٠هـ). انظر: الكاشف (١/ ١٣٥)، وتهذيب الكمال (٢/ ٢٢٨).

(١٠) يعقوب بن عتبة بن المغيرة الثقفي، ثقة من السادسة، مات سنة (١٢٨هـ). التقريب (ص١٠٨٩).

عن أبيه عن جده قال: أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعرابي فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وضاع العيال وهلكت الأنعام ونهكت الأموال (د/ ٢١٣أ)، فاستسق الله لنا، فإنا لنستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال: «**ويحك أتدري ما تقول إن الله لايستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدري ما الله إن عرشه لعلى سمواته وأرضه هكذا**» قال: وأرانا وهب بيده هكذا وقال مثل القبة «**وإنه ليئط أطيط الرحل بالراكب**»[1].

قال الذهبي[2] هذا حديث غريب جدًّا، وابن إسحاق (ع/ ٣٢١ب) حجة في المغازي إذا أسند وله مناكير وعجائب، فالله أعلم هل قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا أم لا، والله عَزَّ وَجَلَّ ليس كمثله شيء جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه ولا إله غيره، والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل[3]، فذاك صفة للرحل والعرش ومعاذ الله أن نعده صفة لله عَزَّ وَجَلَّ، ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت، وقولنا في هذه الأحاديث إننا نؤمن بما صح منها وما اتفق السلف على إقراره وإمراره، فأما ما في إسناده مقال أو اختلف العلماء في قبوله أو تأويله، فإننا لا

---

(١) أخرجه أبو عوانه في مستخرجه (٣/ ٣٠) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٣٩) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٣) غيرهم، من طرق عن وهب بن جرير بن حازم عن محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده به.
وإسناده ضعيف، محمد بن اسحاق هو ابن يسار المدني، مدلس وقد عنعن، ولم أجد له متابعًا.
وقوله في الحديث: «... فإنا نستشفع بالله عليك» خطأ عقدي، فإنه جعل منزلة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كمنزلة الله في الاستشفاع، فأنكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الجملة ولم ينكر التي بعدها لأن الشافع والمستشفع كل منهما فقير إلى المشفوع عنده فهو الذي يرجى ولا عكس. والله أعلم.

(٢) في العلو (١/ ٤١٣).

(٣) **الأطيط**: صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها، وهو هنا صفة للعرش لا للرب تعالى، لأن استواء الله تعالى على عرشه يدور على أربعة معانٍ، ليس في شيء منها معنى الحاجة.
انظر: لسان العرب (٧/ ٢٥٦)، النهاية لابن الأثير (١/ ٥٤).

نتعرض له بتقرير بل نرويه في الجملة ونبين حاله، وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب[1].

۞۞۞

قال الناظم:

واذكر حديث نزوله نصف الدجى	**في ثلث ليل آخر أو ثان**
فنزول رب ليس فوق سمائه	**في العقل ممتنع وفي القرآن**

تقدم سياق حديث النزول.

قول الناظم:

فنزول رب ليس فوق سمائه	**.................................... إلخ**

هذا نحو ما ذكر شيخ الإسلام في كلامه على حديث النزول قال[2]: «سئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول فقال: ينزل أمره فقال له السائل فممن ينزل ما عندك فوق العرش شيء، فممن ينزل الأمر من العدم المحض! فبهت».

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

واذكر حديث الصادق ابن رواحة	**في شأن جارية لدى الغشيان**
فيه الشهادة أن عرش الله فو	**ق الماء خارج هذه الأكوان**
والله فوق العرش جل جلاله	**سبحانه عن نفي ذي البهتان**
ذكر ابن عبد البر في استيعابه	**هذا وصححه بلا نكران**

---

(١) انظر: الحطة في ذكر الصحاح الستة لصديق حسن (ص١١٣)، الأنوار الكاشفة للمعلمي (ص٩٢)، إنهاء الزكن بجواب إنهاء السكن لبديع الدين شاه الراشدي (ص١٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٩).

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب (د/ ٢١٣ب) الاستيعاب[١]: «روينا من وجوه صحاح أن عبد الله بن رواحة مشي ليلة إلى أمةٍ له، فنالها فرأته امرأته فلامته فجحدها، فقالت له إن كنت صادقا فاقرأ القرآن فإن الجنب لا يقرآ القرأن فقال:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

قالت امرأته: آمنت بالله وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه[٢].

۞۞۞

قال الناظم:

وحديث معراج الرسول فثابت ... وهو الصريح بغاية التبيان

وإلى إله العرش كان عروجه ... لم يختلف من صحبه رجلان

تقدم الكلام على المعراج بما أغنى (ع/ ٣٢٢أ) عن إعادته، والله أعلم.

۞۞۞

قال الناظم:

واذكر بقصة خندق حكما جرى ... لقريظة من سعد الرباني

شهد الرسول بأن حكم إلهنا ... من فوق سبع وفقه بوزان

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٢٨٧).

(٢) أخرج هذا الأثر ابن عساكر في تاريخه (٩/ ٢١٧)، والسبكي في الطبقات (١/ ٢٦٦) من طريق الزبير بن بكار حدثني موسى بن جعفر بن أبي كثير عن عبد العزيز بن أخي الماجشون عن الثقة «أن عبد الله بن رواحة مشي ليلة.....» الأثر.

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٦٩٧) من طريق حماد بن أسامة عن نافع قال: «كان لعبد الله جارية... فذكره» وفيه انقطاع. وضعف النووي هذا الأثر في المجموع (٢/ ١٦٣)، وقال الذهبي في العلو (١/ ٤٣٨): «روى من وجوه مرسله».

قال الشيخ موفق الدين بن قدامة[١]: قرأ على عبد الله بن منصور[٢] وأنا أسمع أخبركم أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار[٣] أنبأ محمد بن عبد الواحد[٤] أنبأ أبو بكر ابن شاذان[٥] أنبأ أبو عبد الله المغلس[٦] ثنا سعيد بن يحيى الأموي[٧] قال: حدثني أبي[٨] ثنا محمد بن إسحاق عن معبد بن كعب بن مالك[٩] أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة قال له رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لقد حكمت فيهم حكمًا حكم الله به من فوق سبعة أرقعة**»، وأصل القصة في الصحيحين[١٠].

۞۞۞

(١) في إثبات صفة العلو (ص١٠٨) رقم (٢٥)، وعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، كان ثقة حجة نبيلًا غزير الفضل.
مات سنة (٦٢٠هـ). انظر: السير (٢٢/ ١٦٥)، التقييد لابن نقطة (٢/ ٧٨).

(٢) عبد الله بن منصور بن الموصلي المعدِّل. سمع من النعالي. مات سنة (٥٦٧هـ) ولم أجد من جرَّحه، أو عدَّله. انظر: العبر (٤/ ١٩٧)، وشذرات الذهب (٦/ ٣٦٨).

(٣) المبارك بن عبد الجبار بن أحمد البغدادي الصيرفي المعروف بابن الطيوري. قال السمعاني: كان محدثًا مكثرًا أمينًا صحيح الأصول. مات سنة (٥٠٠هـ).
انظر: السير (١٩/ ٢١٣)، التقيد لابن نقطة (ص٤٣٨).

(٤) محمد بن عبدالواحد بن محمد بن جعفر، يعرف بابن زوج الحرَّة، كان يسكن التسترين، محلة بالجانب الشرقي، ولم أجد من ترجم له. انظر: إكمال الكمال (٢/ ٢١١).

(٥) أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان، قال الخطيب: كان ثقة ثبتًا كثير الحديث، مات سنة (٣٨٣هـ). انظر: السير (١٦/ ٤٢٩).

(٦) أحمد بن محمد بن المغلس البغدادي البزار. قال عنه الذهبي: الإمام المحدث الثقة. مات سنة (٣١٨هـ). انظر: السير (١٤/ ٥٢٠).

(٧) سعيد بن يحيى بن سعيد القرشي الأموي البغدادي. قال الحافظ: «ثقة ربما أخطأ من العاشرة». مات سنة (٢٤٩هـ). التقريب (ص٣٩٠).

(٨) يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، صدوق يغرب من كبار التاسعة، مات سنة (١٩٤هـ). التقريب (ص١٠٥٥).

(٩) معبد بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي، مقبول من الثالثة. التقريب (ص٩٥٨).

(١٠) سبق تخريجه.

قال الناظم:

واذكـر حديثًا للبراء رواه أصد ... ـحاب المسانـد منهم الشيباني
وأبو عوانة ثم حاكمنا الرضى ... وأبـو نعيم الحافظ الرباني
قد صححوه وفيه نص ظاهر ... ما لم يحرفه أولو العدوان
في شأن روح العبد عند وداعها ... وفراقها لمساكن الأبدان
فتظل تصعد في سماءٍ فوقها ... أخرى إلى خلاقها الرحمن
حتى تصير إلى سماء ربها ... فيها وهذا نصه بأمان

تقدم الحديث ببعض طرقه والله أعلم.

۞۞۞

قال الناظم:

واذكر حديثًا في الصحيح وفيه تحـ ... ـذير لذات البعل من هجران
من سخط رب في السماء على التي ... هجرت بلا ذنب ولا عدوان

يشير إلى حديث (د/ ٢١٤أ) أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعوا المرأة إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى**» أخرجه البخاري ومسلم(١).

۞۞۞

قال الناظم:

واذكـر حديثًا قد رواه جابر ... فيه الشفاء لطالب الإيمان
في شأن أهل الجنة العليا وما ... يلقون من فضل ومن إحسان

---

(١) مسلم في كتاب النكاح (٢/ ١٠٦٠)، وعزوه للبخاري وهم.

بيناهم في عيشهم ونعيمهم ... وإذا بنور ساطع الغشيان
لكنهم رفعوا إليه رؤوسهم ... فإذا هو الرحمن ذو الغفران
فيسلم الجبار جل جلاله ... حقا عليهم وهو ذو الإحسان

قد تقدم حديث جابر[(١)].

۞۞۞

قال الناظم:

واذكر حديثا قد رواه الشافعي ... طريقه فيه أبو اليقظان
في فضل يوم الجمعة اليوم الذي ... بالفضل قد شهدت له النصان
يوم استواء الرب جل جلاله ... حقا على العرش العظيم الشان

هذا الحديث ساقه الذهبي في كتاب (ع/ ٣٢٣ب) العلو فقال: «أخبرنا أحمد بن عبدالمنعم القزويني[(٢)] أنبأ محمد بن سعيد[(٣)] ببغداد وأنبأ علي بن محمد[(٤)] وجماعة قالوا أنبأ ابن الزبيدي[(٥)]. ح وأنبأ التاج أبو محمد المغربي[(٦)] أنبأ عبد الله بن أحمد

(١) وهو ضعيف.

(٢) أحمد بن عبد المنعم بن أبي الغنائم القزويني الطاوسي أبو العباس الصوفي، قال الذهبي: «وكان كامل البنية مصبرًا مليح الشيبة انتخبت له جزءًا».
مات سنة (٧٠٤هـ). انظر: الدرر الكامنة (١/ ١١٥).

(٣) محمد بن سعيد بن أبي البقاء الموفق النيسابوري الصوفي. قال الذهبي: «الشيخ الجليل الصالح المسند». مات سنة (٦٤٣هـ). انظر: السير للذهبي (٢٣/ ١٢٤).

(٤) علي بن محمد بن الحسين اليونيني الحنبلي. وقال الذهبي: «كان إمامًا محدثًا متقنًا». مات سنة (٧٠١هـ). انظر: الدرر الكامنة (٣/ ٥٨).

(٥) الحسين بن المبارك بن محمد الربعي البغدادي الحنبلي، قال الذهبي: وكان إمامًا ديِّنًا خيّرًا متواضعًا صادقًا. مات سنة (٦٣١هـ). انظر: السير (٢٢/ ٣٥٧).

(٦) عبد الخالق بن عبد السلام بن سعد البعلبكي، وقال الصفدي: تفرد في زمانه، ورُحل إليه». مات سنة (٦٩٦هـ). انظر: العبر (٣/ ١٤٨٠)، ومعجم الشيوخ للذهبي (١/ ٣٥١-٣٩٠)، والوافي بالوفيات (٨/ ٩٢-٩٧).

الفقيه ببعلبك قالوا أنبأ أبو زرعة أنبأ مكي بن منصور[1] وأبو بكر الحيري[2] ثنا أبو العباس الأصم. ح وأنبأ محمد بن الحسين! أنبأ ابن رفاعة[3] أنبأ الخلعي[4] أنبأ أبو العباس ابن الحاج الأشبيلي[5] حدثنا أبو الفوارس أحمد بن محمد الصابوني[6] إملاءً قالا: ثنا الربيع بن سليمان ثنا الشافعي أنبأ إبراهيم بن محمد[7] حدثني موسى بن عبيدة[8] حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة[9] عن عبد الله بن عبيد بن عمير[10] أنه سمع أنس بن مالك يقول: «أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة

(١) مكي بن منصور بن محمد بن علّان الكرجي أبو الحسن. قال الذهبي: «الشيخ الجليل الرئيس المسند المعمر». مات سنة (٤٩١هـ). انظر: السير (١٩/ ٧١).

(٢) أحمد بن الحسن بن أحمد الحرشي الحيري الشافعي مسند خراسان، القاضي أبو بكر النيسابوري، وصنف في الحديث وأصوله، وقرأ بالقراءات. مات سنة (٤٢١هـ) وله ست وتسعون. انظر: السير (١٧/ ٣٥٦).

(٣) عبد الله بن رفاعة بن غدير بن علي السعدي المصري الشافعي، قال الذهبي: «كان مقدمًا في الفرائض والحساب». مات سنة (٥٦١هـ). انظر: السير (٢٠/ ٤٣٥).

(٤) علي بن الحسن بن الحسين الموصلي المصري الشافعي، قال عنه الذهبي: «الشيخ الإمام الفقيه القدوة مسند الديار المصرية». مات سنة (٤٩٢هـ). انظر: السير (١٩/ ٧٤).

(٥) أحمد بن محمد بن الحاج الإشبيلي. قال الذهبي: «الإمام المحدث الثقة»، مات سنة (٤١٥هـ). انظر: السير (١٧/ ٣٢٩).

(٦) أحمد بن محمد بن الحسين بن السندي أبو الفوارس. قال الذهبي: «صدوق في نفسه وليس بحجة، وقد أدخل عليه حديث باطل فرواه». مات سنة (٣٤٩هـ). انظر: السير (١٥/ ٥٤١).

(٧) إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى المدني، متروك من السابعة. مات سنة (١٨٤هـ). التقريب (ص١١٥).

(٨) موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي أبو عبد العزيز المدني. ضعيف ولا سيما في عبد الله بن دينار وكان عابدًا». مات سنة (١٥٣هـ). التقريب (ص٩٨٣).

(٩) معاوية بن إسحاق بن طلحة القرشي أبو الأزهر التيمي، صدوق ربما وهم من السادسة. التقريب (ص٩٥٣).

(١٠) عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي أبو هاشم المكي، ثقة من الثالثة. مات سنة (١١٣هـ). التقريب (ص٥٢٤).

سوداء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما هذه؟» قال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك والناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى لكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو يوم المزيد فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما يوم المزيد؟» قال: إن ربك اتخذ في الجنة واديًا فيه كثب من مسك، فإذا كان يوم القيامة أنزل الله فيه من شاء من الملائكة وحوله الصديقون والشهداء، فيجلسون من ورائهم على تلك الكُثُبِ، فيقول الله تعالى أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقلون ربنا نسألك الرضى فيقول: رضيت عنكم ولكم ما شئتم ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم ربهم من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة».

إبراهيم وموسى ضعفاء، أخرجه الإمام محمد بن إدريس في مسنده[1]، وقد أخرجه الدارقطني من طريق حمزة ابن واصل المنقري[2] عن قتادة عن أنس، ومن طريق عنبسة الرازي[3] عن أبي اليقظان عثمان بن عمير[4] عن أنس.

[وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي[5] قال: حدثنا هشام بن خالد الدمشقي[6] وكان ثقة[7] ثنا] ....

(١) سبق تخريجه.

(٢) حمزة بن واصل المنقري البصري، قال العقيلي: مجهول في الرواية وحديثه غير محفوظ. انظر: الضعفاء للعقيلي (١/ ٢٩٢)، والميزان (١/ ٦٠٨).

(٣) عنبسة بن سعيد بن الضريس الأسدي أبو بكر الكوفي، ثقة من الثامنة. التقريب (ص٧٥٦).

(٤) عثمان بن عمير البجلي، أبو اليقظان الكوفي الأعمى، وكان شيعيًّا، ضعيف واختلط وكان يدلِّس ويغلو في التشيع، مات في حدود سنة (١٥٠هـ). التقريب (ص٦٦٧).

(٥) في الرد على الجهمية له (ص٩٠).

(٦) هو هشام بن خالد بن زيد الدمشقي، صدوق، مات سنة (٢٤٩هـ). التقريب (ص١٠٢١).

(٧) ما بين معكوفتين ساقط من (ع) و(د)، واستدركناه من الرد على الجهمية للدارمي.

محمد بن شعيب شابور[١] عن عمر مولى غفرة[٢] عن أنس، وأخرجه القاضي (د/ ٢١٥أ) أبو أحمد العسال[٣] في كتاب المعرفة[٤] له عن رجاله عن جرير بن عبد الحميد[٥] عن ليث بن أبي سليم عن عثمان بن أبي حميد وهو أبو اليقظان[٦] عن أنس، ورواه من طريق سلام بن سليمان[٧] عن شعبه وإسرائيل[٨] وورقاء[٩] عن ليث أيضًا.

وساقه الدارقطني من رواية شجاع بن الوليد[١٠] عن زياد بن خيثمة[١١] (ع/ ٣٢٤أ) عن عثمان بن أبي سليمان[١٢] عن أنس.

---

(١) (ع، د) «سابور» تصحيف، وهو قرشي، قال الحافظ: «صدوق صحيح الكتاب من كبار التاسعة». مات سنة (٢٠٠هـ). التقريب (ص٨٥٤).

(٢) عمر بن عبد الله المدني أبو حفص، ضعيف وكان كثير الإرسال، مات سنة (١٤٥هـ أو ١٤٦هـ). التقريب (ص٧٢٣).

(٣) محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني المعروف بالعسّال، ثقة مأمون حافظ متقن، مات سنة (٣٤٩هـ). انظر: السير (١٦/ ٦).

(٤) المعرفة لأبي أحمد العسال كتاب مفقود فيما أعلم.

(٥) هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي،ثقة صحيح الكتاب، قيل كان في آخر عمره يهم من حفظه، ومات سنة (١٨٨هـ). التقريب (ص١٩٦).

(٦) عثمان بن عمير أبو اليقظان، الثقفي الكوفي البجلي، ضعيف واختلط، وكان يدلس، ويغلو في التشيع من السادسة، مات في حدود الخمسين ومائة». التقريب (ص٦٦٧).

(٧) سلام بن سليمان بن سوار أبو العباس الثقفي، قالبن عدي: «منكر الحديث». انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ١٧٨).

(٨) إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيحي، ثقة تكلم فيه بلا حجة. التقريب (ص١٣٤).

(٩) ورقاء بن عمر بن كليب اليشكري أبو بشر الكوفي، صدوق في حديثه عن منصور لين من السابعة. التقريب (ص١٠٣٦).

(١٠) شجاع بن الوليد بن قيس السكوني،صدوق ورع له أوهام، مات سنة (٢٠٤هـ). التقريب (ص٤٣٢).

(١١) زياد بن خيثمة الجعفي الكوفي، ثقة من السابعة. التقريب (ص٣٤٤).

(١٢) هو أبو اليقظان ضعيف، تقدم.

والظاهر أن عثمان أبو اليقظان حدث به الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان[١] عن سالم بن عبد الله[٢] عن أنس بن مالك، وهذه طرق يعضد بعضها بعضًا، رزقنا الله وإياكم لذة النظر إلى وجهه الكريم» انتهى كلام الذهبي.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

واذكر مقالته ألست أمين مَن	**فوق السماء الواحد المنان**
واذكر حديث أَبي رزين ثم سقـ	**ـه بطوله كم فيه من عرفان**
والله ما لمعطل بسماعه	**أبدًا قوى إلا على النكران**
فأصول دين نبينا فيه أتت	**في غاية الإيضاح والتبيان**
وبطوله قد ساقه ابن إمامنا	**في سنة والحافظ الطبراني**
وكذا أبو بكر بتاريخ له	**وأبوه ذاك زهير الرباني**

يشير بقوله:

...............ألست أمين	**...............................إلخ**

إلى حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي من اليمن إلى رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذهبه في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها فقسمها رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أربعة: زيد الخير[٣]...

(١) عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسي، صدوق يخطئ، ورمي بالقدر وتغير بأخرة مات سنة (١٦٥هـ). التقريب (ص٥٧٢).

(٢) سالم بن عبد الله بن عصمة المحاربي الشامي، قاضي دمشق، ذكره ابن حبان في الثقات، وهو شيخ شامي. انظر: لعلل لابن أبي حاتم (١/ ٢٠٦). الثقات لابن حبان (٦/ ٤٠٧).

(٣) زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي، وسمي زيد الخيل لأنه كان إذا ركب الخيل خطت رجلاه الأرض، وقد وفد على النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة تسع وسماه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد الخير. =

والأقرع بن حابس[(١)] وعيينة بن حصن[(٢)] وعلقمة بن علاثة[(٣)] أو عامر بن الطفيل[(٤)] -شك عمارة[(٥)]- فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر من السماء صباح ومساء...**» الحديث رواه البخاري ومسلم[(٦)].

وحديث أبي رزين ساقه الذهبي في كتاب العلو[(٧)] فقال: «حديث سمعناه من أحمد بن هبة الله وجماعة (د/ ٢١٥ب) عن محمد بن عبدالواحد[(٨)] ثنا إسماعيل بن

=قال ابن أبي حاتم: ليس يروى عنه حديث، وكان شاعرًا خطيبًا شجاعًا كريمًا، يكنى أبا مكنف، وكان بينه وبين كعب بن زهير مهاجاة. مات زيد منصرفه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل مات في خلافة عمر. انظر: الإصابة (١/ ٥٥٥).

(١) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي المجاشعي الدارمي أحد المؤلفة قلوبهم، شهد مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتح مكة وحنين والطائف. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ١٩٣).

(٢) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، يكنى أبا مالك. أسلم بعد الفتح، وقيل قبله، وهو من المؤلفة قلوبهم. انظر: الاستيعاب (٣/ ٣١٦).

(٣) علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر العامري الكلابي، أسلم عام الفتح، وشهد حنينًا وأعطى يومئذٍ مائة من الإبل تأليفًا لقلبه، وقد ارتد في أيام الصديق، فبعث إليه سرية فانهزم، ثم أسلم وحسن إسلامه، ووفد على عمر في خلافته، واستعمله عمر -فيما يقال- على حوران فمات بها. انظر: الإصابة (٤/ ٥٥٣).

(٤) ذكر عامر بن الطفيل هنا غلط، نبه عليه الحافظ في الفتح (٧/ ٦٦٥)، لأنه مات قبل ذلك كافرًا، والشك ليس من عمارة، وإنما هو من عبد الواحد بن زياد العبدي، وهو من رجال الصحيحين وله مناكير، لكن البخاري ومسلم تجنبا في الجملة ما ينكر عليه. انظر: الميزان للذهبي (٢/ ٦٧٢)، فالصواب أن الرابع علقمة بن علاثه جزمًا.

(٥) عمارة بن القعقاع بن الضبي الكوفي، ثقة، أرسل عن ابن مسعود، وهو من السادسة. انظر: التقريب (ص٧١٣).

(٦) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند (٣/ ٤) وأصله في البخاري في المغازي (٣/ ١٣١٤) ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٤٢).

(٧) العلو (١/ ٢٧٤).

(٨) محمد بن عبد الواحد بن عبد الرحمن، المقدسي ضياء الدين، أبو عبد الله الجماعيلي الدمشقي =

علي! أنا محمد بن علي النحوي[١] أنا أبو بكر بن المقرئ[٢]. ثنا عبدان بن أحمد[٣] ثنا عمرو بن موسى! ثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء[٤] عن وكيع بن حدس عن أبي رزين العقيلي قال قلت: يارسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض قال: «**كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق العرش ثم استوى عليه**».

رواه الترمذي وابن ماجه وإسناده حسن[٥].

وقد رواه شعبة وغيره عن يعلى وقالوا: عدس بدل حدس.

ورواه إسحاق ابن راهوية عن عبدالصمد بن عبدالوارث عن حماد وعنده: «ثم كان العرش فارتفع على عرشه» ورى حرب عن ابن راهوية: (تحته هواء وفوقه هواء) يعني السحاب.

وقال أبو عبيد: (العماء): الغمام، وقال الحسن بن عمران الحنطلي الهروي !سمعت أبا الهيثم خالد بن يزيد الرازي ! يقول أخطأ أبو عبيد إنما العمى مقصور،

=الحنبلي صاحب التصانيف، والرحلة الواسعة.قال البرزالي: حافظ ثقة جبل، ديِّن خيِّر، مات سنة (٦٤٣هـ). انظر: السير (٢٣/ ١٢٦).

(١) محمد بن علي بن محمد النحوي المعلم الأصبهاني أبو مسلم، صنف في التفسير، وكان عارفًا بالنحو، غاليًا في الاعتزال، مات سنة (٤٥٩هـ).انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (١/ ١٨٨).

(٢) محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني بن المقرئ، قال ابن مردوية في تاريخه: «ثقة مأمون صاحب أصول». مات سنة (٣٨١هـ). انظر: السير (١٦/ ٣٩٨).

(٣) عبد الله بن أحمد بن موسى الأهوازي، الملقب بـ«عبدان»، قال الذهبي: «الحافظ الحجة العلامة». مات سنة (٣٠٦هـ). انظر: السير (١٤/ ١٦٨).

(٤) يعلى بن عطاء العامري القرشيقال ابن حجر: «ثقة من الرابعة». مات سنة (١٢٠هـ) التقريب (١٠٩١).

(٥) سبق تخريجه.

ولا يدرى أين كان الرب، يعني قبل خلق العرش، ويروى عن أبي رزين حديث طويل بإسنادين مدنيين في الباب (ع/ ٣٢٥ب)، لكنه ضعيف» انتهى.

قلت: هذا كلام الذهبي.

وقد ساقه بتمامه الناظم[١] في كتاب الهدي وقال[٢]: «هذا حديث كبير جليل ينادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة» إلى أن قال: «ولم يطعن أحد فيه ولا في أحد من رواته، فممن رواه الإمام بن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسند أبيه[٣] وفي كتاب السنة[٤]، ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل في كتاب السنة له[٥] والحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد العسال في كتاب المعرفة وحافظ زمانه وأبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني[٦] والحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب السنة[٧] وحافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى وجماعة من الحفاظ يطول ذكرهم»[٨].

---

(١) يعني أن الكلام الآتي هو كلام الناظم في كتاب زاد المعاد لا كلام الذهبي، كما يوهم إليه كلام المؤلف، فإن عبارته موهمه.

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٦٧٧).

(٣) مسند أحمد (٢٦/ ١٠٨).

(٤) لم أجده في كتاب السنة.

(٥) (١/ ٤١٩-جوابره).

(٦) في الكبير (١٩/ ٢٠٧).

(٧) في كتاب العظمة (١/ ٣٦٣).

(٨) منهم الطيالسي في مسنده (ص١٤٧)، والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات (٢/ ٢٣٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٧)، وابن الجوزي في المنتظم (١/ ١٢٢).

قال ابن منده: «روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني! وعبدالله ابن أحمد بن حنبل وغيرهما، وقد رواه بالعراق بمجمع من العلماء وأهل الدين جماعة (د/ ٢١٦أ) من الأئمة منهم أبو زرعة الرازي وأبو حاتم وأبو عبدالله محمد بن إسماعيل، ولم ينكره أحد، ولم يتكلم في إسناده، بل رووه على سبيل القبول والتسليم، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاهل أو مخالف للكتاب والسنة هذا كلام أبي عبد الله بن منده» انتهى كلام الناظم ملخصًا.

قوله:

وبطوله قد ساقه ابن إمامنا ....

أي ساقه عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة له.

قوله:

وكذا أبو بكر بتاريخ له ....

أي أبو بكر ابن أبي خيثمة[(١)] في تاريخه، وأبوه زهير بن حرب[(٢)].

۞۞۞

قال الناظم:

واذكر كلام مجاهد في قوله أقم الصلاة وتلك في سبحان
في ذكر تفسير المقام لأحمد ما قيل ذا بالرأي والحسبان
إن كان تجسيما فإن مجاهدا هو شيخهم بل شيخه الفوقاني

---

(١) أبو بكر بن أبي خيثمة صاحب التاريخ الكثير الفائدة، قال الخطيب: «كان ثقة عالمًا متقنًا حافظًا بصيرًا بأيام الناس». السير للذهبي (١١/ ٤٩٢).

(٢) زهير بن حرب بن شداد الحرشي النسائي أبو خيثمة البغدادي. قال الحافظ أبو بكر الخطيب: «كان ثقة ثبتًا حافظًا متقنًا». مات سنة (٢٣٤هـ). انظر: السير (١١/ ٤٨٩).

ولقد أتى ذكر الجلوس به وفي ... أثر رواه جعفر الرباني

أعني ابن عم نبينا وبغيره ... أيضا أتى والحق ذو تبيان

قد تقدم ذكر كلام مجاهد في ذلك، وبسطنا الكلام فيه بما أغنى عن الإعادة.

❁❁❁

قال الناظم:

والدارقطني الإمام يثبت الـ ... آثار في ذا الباب غير جبان

وله قصيد ضمنت هذا وفي ... ها لست للمروي ذا نكران

وجرت لذلك فتنة في وقته ... من فرقة التعطيل والعدوان

والله ناصر دينه وكتابه ... ورسوله في سائر الأزمان

لكن بمحنة حزبه من حربه ... ذا حكمة مذ كانت الفئتان

قال الذهبي في كتاب العلو[(١)]: «كان العلامة الحافظ أبو الحسن علي بن عمر نادرة العصر وفرد الجهابذة (ع/٣٢٧أ) ختم به هذا الشأن، فمما صنف كتاب الرؤية وكتاب الصفات، وكان إليه المنتهي في السنة ومذاهب السلف، وهو القائل ما أنبأني أحمد بن سلامة[(٢)] عن يحيى بن (د/٢١٦ب) بوش[(٣)] أنبا بن كادش أنشدنا أبو طالب العشاري أنشدنا الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

حديث الشفاعة في أحمد ... الى أحمد المصطفى نسنده

---

(١) العلو (٢/ ١٢٨٦).

(٢) هو أحمد بن سلامة بن ابراهيم أبو العباس الدمشقي الحنبلي، المنادى. قال الذهبي: «روى الكثير، وكان صدوقًا خيرًا سهل القياد حدث بالكثير» مات سنة (٦٧٨هـ).
انظر: معجم الشيوخ (١/ ٤٤)، الوافي بالوفيات (٦/ ٣٩٧)، المقصد الأرشد (١/ ١٠٠٣).

(٣) أبو القاسم يحيى بن أسعد بن يحيى بن محمد بن بوش البغدادي الأزجي الخبّاز.
مات سنة (٥٩٣هـ). ينظر: السير (٢١/ ٢٤٣).

وأمــــا حــديــث بــإقــعــاده على الـعـرش أيـضًـا فـلا نجحده
أمـــروا الـحـديـث عـلـى وجـهـه ولا تـدخـلـوا فـيـه مـا يـفـسـده[١]

توفي الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة خمس وثمانين وثلاثمائة انتهى[٢] كلام الذهبي.

ولم أقف على المحنة التي ذكرها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[٣] وهي التي جرت للدارقطني علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله أبي الحسن الدارقطني الحافظ الكبير أستاذ هذه الصناعة في زمانه، وقبلها بمدة وبعدها إلى زماننا هذا، سمع الكثير وجمع وصنف وألف وأجاد وأفاد، وأحسن النظر والتعليل والاعتقاد والانتقاد، وكان فريد عصره ونسيج وحده وإمام دهره في أسماء الرجال وصناعة التعليل والجرح والتعديل، وحسن التصنيف والتأليف والترصيف واتساع الرواية، والاطلاع التام في الدراية، له كتاب السير المشهور من أحسن المصنفات في بابه لم يسبق إلى مثله، ولا يلحق في شكله إلا من استمد من بحره وعمل كعمله، وله كتاب العلل بين فيه الصواب من الزلل والمتصل من المرسل والمنقطع والمعضل، وكتاب الإفراد الذي لا يفهمه فضلًا عن أن ينظمه إلا من هو من الحفاظ الأفراد،

---

(١) انظر: نسيم الرياض للخفاجي (٢/ ٣٤٣).

(٢) (ع) في الهامش «بلغ قراءة على مؤلفه».

(٣) الفتنة التي حدثت في عصر الدارقطني هي الاختلاف حول إجلاس النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على العرش، وكان عُمُرُ الدارقطني إذ ذاك إحدى عشرة سنة، يقول ابن كثير في البداية والنهاية -في حوادث سبع عشر وثلاثمائة (١١/ ١٩٣)-: «وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروذي الحنبلي، وبين طائفة من العامة، اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ فقال الحنابلة: يجلسه معه على العرش.

وقال الآخرون: المراد بذلك الشفاعة العظمى، فاقتتلوا بسبب ذلك، وقتل منهم قتلى.

فإنا لله وإنا إليه راجعون» انتهى.

والأئمة النقاد والجهابذه الجياد، وله غير ذلك من المصنفات التي هي كالعقود في الأجياد[١].

قال ابن الجوزي: «وقد اجتمع فيه مع معرفة الحديث، العلم بالقراآت والنحو والفقه والشعر مع الإمامة والعدالة وصحة العقيدة»[٢].

وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء السابع من ذي القعدة سنة٣٨٥هـ، وله من العمر تسع وسبعون سنة ودفن من الغد بمقربة معروف الكرخي.

***

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وقد اقتصرت على يسير من كثـ ـــير فائت للعد والحسبان
(د/ ٢١٧أ)
ما كل هذا قابل التأويل بالتـ ـحريف فاستحيوا من الرحمن

---

(١) العبر (٣/ ٢٨)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٩١)، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٥٠)، تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات ٣٨٥٠)، ط. تدمري، الإعلام (٤/ ٤٥٢)، معجم المؤلفين (٢/ ٤٨٠)، مفتاح السعادة (٢/ ١٤١).

(٢) المنتظم (٤/ ٣٧٨).

فصل

في جناية التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود والمقبول

شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر التأويل وما جنى على الشريعة المطهرة من البلايا والمحن والشرور والفتن، وذكر ما يقبل منه وما يرد قال:

هذا وأصل بلية الإسلام من ... تأويل ذي التحريف والبطلان

وهو الذي قد فرق السبعين بل ... زادت ثلاثا قول ذي البرهان

يشير إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة..**» الحديث[1].

۞۞۞

وهو الذي قتل الخليفة جامع القـ ... ـرآن ذا النورين والإحسان

يعني عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞۞۞

وهو الذي قتل الخليفة بعده ... أعني عليًّا قاتل الأقران[2]

وهو الذي قتل الحسين وأهله ... فغدوا عليه ممزقي اللحمان

وهو الذي في يوم حرتهم أبا ... ح حمى المدينة معقل الإيمان

حتى جرت تلك الدماء كأنها ... في يوم عيد سنة القربان

---

(١) سبق تخريجه، وله طرق كثيرة لا تخلو من مقال، وبمجموعها يرتقي إلى الصحيح.
انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٣٥٦).

(٢) قال شيخنا -حفظه الله-: «يعني أن التأويل هو الذي قتل».

أي وقعة الحرة، وذلك أن يزيد بن معاوية[١] وجه مسلم بن عقبة المري[٢] في جيش عظيم من أهل الشام، فنزل بالمدينة فقاتل أهلها فهزمهم وقتلهم بحرة المدينة قتلًا ذريعًا، واستباح المدينة ثلاثة أيام، فسميت وقعة الحرة لذلك، وفيها يقول الشاعر:

فإن تقتلونا يوم حرة واقم ... فإنا على الإسلام أول من قتل[٣]

وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين، ويقال لها: حرة زهرة[٤]، وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل (ع/ ٣٢٧ب) من مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقتل بها بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين، وهم ألف وسبعمائة، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان، وقتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل من قريش، سبعة وتسعون قتلوا جهرًا ظلمًا في الحرب وصبرًا. كذا ذكر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «التذكرة»[٥].

وفي كتاب: «آكام المرجان في أحكام الجان»[٦] للشيخ بدر الدين محمد بن عبدالله الشبلي الصفدي، الحنفي قال: «كانت وقعة الحرة لثلاث ليال بقين من ذي

---

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الخليفة أبو خالد القرشي الأموي، توفي سنة (٦٤هـ).
انظر: السير (٤/ ٣٥).

(٢) مسلم بن عقبة المري بن رباح المري أبو عقبة، كان قائدًا من الدهاة القساة في العصر الأموي، هلك في الطريق إلى مكة في أواخر سنة (٦٤هـ).
انظر: شذارات الذهب (١/ ٢٨٦)، الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢٢).

(٣) القائل هو محمد بن أسلم الساعدي. انظر: البدء والتاريخ (٦/ ١٤) ط. مكتبة الثقافة الدينية.

(٤) الحرة أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار، والحرار في بلاد العرب كثيرة، وأكثرها حوالي المدينة إلى الشام، ومنها: حرة (واقم) التي وقعت بها تلك المعركة، وهي إحدى حرتي المدينة، وهي الشرقية منها، و(زهرة) قرية صغيرة تضم حرة (واقم) ويطلق عليها حرة تغليبًا. وستأتي في كلام الشارح بعد قليل. انظر: اللسان (٣/ ١١٦)، معجم البلدان (٢/ ٢٨٧).

(٥) انظر: التذكرة للقرطبي (ص٦٨٩).

(٦) آكام المرجان في أحكام الجان (ص٢٠٤). ط.مكتبة القرآن.

الحجة سنة ثلاث وستين على باب طيبة، واستشهد فيها خلق كثير، وجماعة من الصحابة».

قال خليفة(١): «فجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمائة وستين»، وروي أن رسول الله ﷺ وقف على الحرة وقال: «**ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي**»(٢).

وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية، وأخرجوا مروان بن الحكم(٣) وبني أمية، وأمّروا عليهم عبدالله بن حنظلة الغسيل(٤)، ولم يوافق أهل المدينة أحدٌ من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا فيهم، فجهز إليهم يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة، فأوقع بهم.

قال السهيلي(٥): «وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف».

---

(١) في تاريخه (ص٢٣٧). وخليفة هو ابن خياط العصفري أبو عمر البصري الحافظ، ضُعِّف في الحديث، لكنه متقنًا عالمًا بأيام الناس وأنسابهم مات سنة (٢٤٠هـ)، تهذيب الكمال (٣/ ٣٤١).

(٢) أخرجه يعقوب بن سفيان كما في البداية والنهاية لابن كثير (٦ / ٢٣٣) من طريق إبراهيم بن المنذر عن ابن فليح عن أيوب بن عبدالرحمن عن أيوب بن بشير المعافري مرفوعًا، وهو مرسل.

(٣) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميه القرشي الأموي أبو عبد الملك، مات سنة (٤٥هـ). انظر: الكاشف للذهبي (٣/ ١١٣)، البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٦٥٧).

(٤) تحرفت في (ع ود) إلى «حنظلة بن عبدالله» وهو عبد الله بن حنظلة بن ابن عامر الأوس المدني من صغار الصحابة -ابن حنظلة غسيل الملائكة- كان من الخارجين على يزيد، فاستشهد يوم الحرة هو وبنوه جميعًا، رحمهم الله. انظر السير (٣/ ٣٢١).

(٥) في الروض الأنف (٣/ ٤٠٨).

قال شيخنا[١] الحافظ أبو عبد الله الذهبي: «هذا خسف ومجازفة»[٢].

والحرة التي تعرف بها هذا اليوم يقال لها: «حرة زهرة»، وعرفت حرة زهرة بقرية كانت لبني زهرة قوم من اليهود».

قال الزبير في فضائل المدينة[٣]: «كانت قرية كبيرة في الزمن القديم، وكان فيها ثلاثمائة صائغ، وكان يزيد قد أعذر إلى أهل المدينة وبذل لهم من العطاء أضعاف أضعاف ما يعطي الناس، واجتهد في استمالتهم إلى الطاعة والتحذير من الخلاف، ولكن أبى الله إلا ما أراد، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون»[٤] انتهى.

❁❁❁

وغدا له الحجاج يسفكها	ويقتل صاحب الإيمان والقرآن
وجرى بمكة ما جرى من أجله	من عسكر الحجاج ذي العدوان
وهو الذي أنشا الخوارج مثلما	أنشا الروافض أخبث الحيوان
ولأجله شتموا خيار الخلق بعـ	ـد الرسل بالعدوان والبهتان
ولأجله سل البغاة سيوفهم	ظنا بأنهم ذوو إحسان

(١) القائل هو بدر الدين الصفدي، ولايزال النقل من كتابه آكام المرجان.

(٢) لم أقف على كلام الذهبي هذا.

(٣) كما نقله عنه الصفدي في آكام المرجان (ص١٤٤) دار الكتب العلمية - بيروت، والزبير هو ابن بكار القرشي من أحفاد الزبير بن العوام وكتابه الذي أشار إليه الشارح من الكتب المفقودة، مات سنة (٢٥٦هـ).
انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٤٢).

(٤) وقعة الحرة يشكك فيها بعض العلماء، مع أنها ثابتة، لم أجد أحدًا من مؤرخي أهل الإسلام يشكك فيها، وقد ذكرها ابن كثير والذهبي وغيرهم، ولكن لما كانت الشيعة تبغض بني أمية كانت وقعة الحرة فرصة لا تعوض لتشوية سمعتهم بزيادة أمور ليست صحيحة، فلم يقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف كما ذكر الشارح، ولم يقتل جميع أشراف الناس، ولكن الذي أنكره العلماء هو استباحته للمدينة ثلاثة أيام، إن ثبت ذلك، والله أعلم.

ولأجله قد قال أهل الاعتزا ... ل مقالة هدت قوى الإيمان[١]
ولأجله قالوا بأن كلامه ... سبحانه خلق من الأكوان
ولأجله قد كذبت بقضائه ... شبه المجوس العابدي النيران
ولأجله قد خلدوا أهل الكبا ... ئر في الجحيم كعابدي الأوثان
ولأجله قد أنكروا لشفاعة الـ ... مختار فيهم غاية النكران
ولأجله ضرب الإمام بسوطهم ... صديق أهل السنة الشيباني
ولأجله قد قال جهم ليس رب ... العرش خارج هذه الأكوان
كلا ولا فوق السماوات العلى ... والعرش من رب ولا رحمان
ما فوقها رب يطاع جباهنا ... تهوي له بسجود ذي خضعان
ولأجله جحدت صفات كماله ... والعرش أخلوه من الرحمن
ولأجله أفنى الجحيم وجنة الـ ... ـمأوى مقالة كاذب فتان
ولأجله قالوا الإله معطّل ... أزلًا بغير نهاية وزمان
ولأجله قد قال ليس لفعله ... من غاية هي حكمة الديان
ولأجله قد كذبوا بنزوله ... نحو السماء بنصف ليلٍ ثان
ولأجله زعموا الكتاب عبارةً ... وحكاية عن ذلك القرآن
ما عندنا شيء سوى المخلوق والـ ... ـقرآن لم يسمع من الرحمن
ماذا كلام الله قط حقيقة ... لكن مجاز ويح ذي البهتان
ولأجله قتل ابن نصر أحمد ... ذاك الخزاعي العظيم الشآن[٢]

---

(١) في هامش (ع) تعليق على هذا البيت لكنه ليس واضحًا.

(٢) معنى الأبيات: أن أصل بلية الإسلام وما حصل فيه من مخالفات ومعاصٍ وبدع وقتل وسلب ونهب، كله بسبب التأويل المردود، وهو التأويل الفاسد. وذلك أن التأويل الباطل اتخذ مطية لكل ضلال.
=

إذ قال ذا القرآن نفس كلامه ما ذاك مخلوق من الأكوان

أي ولأجله قَتَلَ الواثقُ[١] أحمد بن نصر بن (ع/٣٢٨أ) مالك الخزاعي[٢]، وقصته معروفة ذكرها ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

= وقبل الكلام عن جناية التأويل الباطل الفاسد المردود الذي تسبب في تلك البلايا، لابد من بيان أن التأويل ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول: التأويل بمعنى التفسير، كقول ابن جرير: «تأويل قوله تعالى كذا» بمعنى: تفسير الآية.

القسم الثاني: التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهرة إلى معنى آخر غير مراد باللفظ، وهذا التأويل الباطل، وهو الذي استخدمه أهل الضلال في كل ما يخالف مذهبهم.

القسم الثالث: التأويل بمعنى ما يؤول إليه الشيء في المستقبل، وهذا حق، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فجميع النصوص التي أخبرت عن المستقبل، تأويلها يكون إذا وقعت في وقتها، ونصوص الآخرة تأويلها لا يحصل في الدنيا وإنما يحصل في الآخرة في وقتها.

أما جناية التأويل وبلاياه على انه الإسلام فكثير لا يحصى، من جناياته:

١- أنه فرّق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.

٢- ومن جناياته أنه قتل الخليفة الثالث والرابع عثمان وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والحسين بعدهما رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٣- ومن جناياته «وقعة الحرة» وقد تكلم عنها الشارح، بكلام مختصر.

٤- ومن جناياته ما جرى في مكة على يد الحجاج بن يوسف الثقفي حين قاتلهم وحاصرهم ونصب المنجنيف ورمى الكعبة، وقتل عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٥- ومن جناياته ظهور فرقة الخوارج، وهي فرقة ضالة كفرت كثيرًا من الصحابة، واستباحت دماء المسلمين بغير حجة، وكفروا بالمعاصي.

٦- ومن جناياته ظهور فرقة الروافض التي كفرت جميع الصحابة وزعموا أنه ارتدوا إلا نفرًا من آل البيت، وطعنوا في النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطعنهم في أبي بكر وعمر وعائشة وخيار الصحابة.

٧- ولأجل التأويل الباطل خرج البغاة على الأئمة ظنًا منهم أنهم محسنون، مع أن الظن لا يكفي في الحكم، بل لابد من قيام البرهان الشرعي، وهو الدليل القاطع، وهو ظهور الكفر البواح الظاهر الواضح بأن يرى بالعين؛ لأن احتمال الكفر والفسق، ولا يبيح الخروج.

(١) هارون بن محمد بن الرشيد أبو جعفر الخليفة العباسي، مات سنة (٢٣٠هـ). انظر: السير (٩/ ٢٨٦).

(٢) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي (٢٣١هـ). انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٥٩).

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في مناقب الإمام أحمد[١]: «أحمد ابن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي كان من أهل الدين والصلاح والأمارين بالمعروف وسمع الحديث من مالك بن أنس وحماد بن زيد وهشيم[٢] في آخرين، وقد روى عنه يحيى بن معين وغيره». وكان قد اتهم بأنه يريد الخلافة، فأُخِذَ وحمل إلى الواثق.

فقال له: «دع ما أخذت له ما تقول في القرآن؟». قال: «كلام الله»، قال: «أمخلوق هو؟». قال: «هو كلام الله». قال: «أفترى ربك في القيامة؟». قال: «كذا جاءت الرواية». قال: «ويحك كما يرى المحدود المجسم».

ودعا بالسيف وأمر بالنطع، فأجلس عليه وهو مقيد، وأمر بشد رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدوه، ومشى إليه حتى ضرب عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد، فنصب بالجانب الشرقي أيامًا، وفي الجانب الغربي أيامًا[٣].

أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز[٤] بإسناده عن أبي بكر المروذي قال: «سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل وذكر أحمد بن نصر فقال: رحمه الله ما كان أسخاه، لقد جاد بنفسه»[٥].

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص١٢٧، ٤٧٩، ٤٨٤، ٦١٢) ط. الخانجي.

(٢) هشيم بن بشير – بوزن عظيم – ابن القاسم السلمي، ثقة ثبت، كثير التدليس والإرسال الخفي. التقريب (ص١٠٢٣).

(٣) بقية الخبر: «.... وتتبع أصحابه فوضعوا في الحبوس».أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦/ ٤٠٢).

(٤) الشيخ الجليل الثقة أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد الشيباني البغدادي. توفي سنة (٥٣٥هـ). انظر: السير (٢٠/ ٦٩).

(٥) تاريخ بغداد (٦/ ٤٠٢).

قال الخطيب:

«ولم يزل رأس أحمد بن نصر منصوبًا ببغداد وجسده مصلوبًا بسر من رأى[١] ست سنين، إلى أن حط[٢]، وجمع بين رأسه وبدنه، ودفن بالجانب الشرقي في المقبرة المعروفة بالمالكية، ودفن في شوال سنة سبع وثلاثين»[٣].

۞۞۞

وهو الذي جرّ ابن سينا والأُلى	قالوا مقالته على الكفران
فتأولوا خلق السماوات العلى	وحدوثها بحقيقة الإمكان
وتأولوا علم الإله وقوله	وصفاته بالسلب والبطلان
وتأولوا البعث الذي جاءت به	رسل الإله لهذه الأبدان
بفراقها لعناصر قد ركبت	حتى تعود بسيطة الأركان
وهو الذي جر القرامطة الأُلى	يتأولون شرائع الإيمان
فتأولوا العملي مثل تأول	العلمي عندكم بلا فرقان

(١) هي مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة، وقد خربت، واستحدثها المعتصم، وسماها: «سُر من رأى»، وفيها لغات: سامراء بالمد، وبعضهم جعلها بالقصر فقال: سامرًا وبعضهم جعلها مقصور الآخر فقال: سُر من را، والنسبة إليها سامرائي، قال أبو عثمان المازني: قال لي الواثق: كيف ينسب الرجل إلى (سُرَّ من رأى؟) فقلت: سُرِّي يا أمير المؤمنين، يُنسب إلى أول الحرفين، كما قالوا في النسب إلى تأبط شرًّا: تأبطي.. وقد كانت مدينة عتيقة من مدن الفرس، تقبض الجزية من الروم لَمِلك الفرس. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٤٣).

(٢) أي: سقط. لسان العرب (٣/ ٢٢٤).

(٣) انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٤٠٢). لكن ظاهر الخبر يخالف الرواية السابقة التي فيها بأن الرأس نصب في الجانب الشرقي أيامًا والجانب الغربي أيامًا، لكن يجمع بينهما أن الرأس نصب أول الأمر في الجانب الشرقي أيامًا، ثم في الجانب الغربي أيامًا، ثم نقل إلى وسط بغداد لكي يراه الناس، واستمر معلقًا ست سنين إلى أن سقط، وجاء في بعض الروايات أنه كتب بجانب الرأس: «هذا جزاء من خالف أمر السلطان».

وهو الذي جر النصير وحزبه حتى أتوا بعساكر الكفران
فجرى على الإسلام أعظم محنة وخمارها فينا إلى ذا الآن

قوله:

.... وخمارها فينا إلى ذا الآن

أي أن فتن التتار لم تزل إلى زمان الناظم، وقد تقدم بعض ما فعلوه ببغداد في الفصل الذي أوله:

وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعًا للمسلمين فقال بالإمكان

وما جرى على الإسلام من هؤلاء الملاعين كثير شهير، فإن حديثهم يأكل الأحاديث، ولكن نشير إلى بعض ما جرى في عصر الناظم وقبله، وما فعله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، فإن له اليد البيضاء في جهادهم.

قرأتُ[١] في ترجمته لبعض أصحابه قال[٢]: «وفي أول رمضان سنة ثنتين وسبعمائة كانت وقعة شقحب[٣] المشهورة، وحصل للناس شدة عظيمة، وظهر فيها من كرامات الشيخ، وإجابة دعائه، وعظيم جهاده، وفرط شجاعته، ونهاية كرمه، ونصحه للإسلام وغير ذلك، ما يتجاوز الوصف.

(١) الضمير يعود على المؤلف.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي. انظر: «العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام بن تيمية» له (ص١٩١).

(٣) هذا هو اسم المعركة، وتعرف -أيضًا- بمرج الصفر، وشقحب اسم لعين ماء جنوب دمشق بعد قرية الكسوة على يمين الذاهب إلى حوران، ثم تحولت إلى قرية نسبت لهذا المكان.
انظر: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك لنجم الدين الطرسوسي (ص٨)، مجلة البحوث الإسلامية (١٠/ ٢١٥)، (٨١/ ٦٦٦).

قال[١]: بعض أصحابه، ثم ساق الله جيش الإسلام العرمرم المصري صحبة أمير المؤمنين والملك الناصر محمد بن قلاوون[٢] سوقًا حثيثًا للقاء التتار.

فاجتمع الشيخ بالخليفة والسلطان وأعيان الأمراء، وكلمهم بمرج الصفر[٣] قبلي دمشق، وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث (ع/ ٣٢٩ب) ساعات.

وبقي الشيخ هو وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائمًا بجهاده ولامة حربه، يوصي الناس بالثبات، ويعدهم النصر، ويبشرهم بالغنيمة والفوز بإحدى الحسنيين، إلى أن صدق الله وعده وأعز جنده وهزم التتار وحده.

ودخل جيش الإسلام إلى دمشق، والشيخ في أصحابه شاكي في سلاحه داخلًا معهم عالية كلمته مقبوله شفاعته مكرمًا معظمًا يقول للمداحين: «أنا رجل ملة لا رجل دولة».

وأخبرني حاجب من الحجاب ذو دين وأمانة[٤] وصدق قال: قال لي الشيخ يوم اللقاء: يا فلان، أوقفني موقف الموت فسقته إلى مقابلة العدو، وهم منحدرون

---

(١) يعني ابن عبدالهادي في العقود الدرية (ص١٩١).

(٢) الناصر محمد قلاوون ثالث سلاطين المماليك البحرية، أول حكمه كان سنة (٦٩٣هـ)، حقق عدة انتصارات عسكرية على جيش المغول والصليبيين، مات سنة (٧٤١هـ). انظر: خطط المقريزي (٢/ ٢٣٩)، وخطط الشام لعلي مبارك (١/ ٨٨-٩٨)، بدائع الزهور (١/ ٤٣١)، تاريخ ابن الفرات (٨/ ١٧٢)، النجوم الزاهرة (٩/ ٣-٢٤٢).

(٣) يطلق المَرْجُ -بالفتح ثم السكون، والجيم- على الأرض الواسعة التي فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب، (أي: تترك تذهب حيث شاءت)، وفي اللسان: المرجُ: «الموضع الذي ترعى فيه الدواب، ومَرَجَ الدابة يَمرُجُها إذاأرسلها ترعى في المرج». وهناك مروج كثيرة في أقطار كثيرة ذكرها الحموي مرتبة على حروف المعجم، ومنها مرج الصفر (بضم وتشديد الفاء) وهو في ناحية في مدينة دمشق. انظر: لسان العرب (١٣/ ٦٥)، معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ١١٨).

(٤) في (ع): «أمان»، والمثبت من (د).

كالسيل، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار، فرفع طرفه إلى السماء وحرك شفتيه، ثم انبعث وأقبل على القتال، ثم حال القتال والالتحام وما عدت رأيته حتى فتح الله، وانحاز التتار إلى جبل صغير عصموا أنفسهم به من سيوف المسلمين آخر النهار، وإذا بالشيخ وأخيه يصيحان تحريضًا على القتال، وتخويفًا للناس من الفرار.

فقلت: لك البشارة بالنصر، فهاهم محصورون بهذا السفح، وفي غد إن شاء الله يؤخذون عن آخرهم قال: «فحمد الله وأثنى عليه ودعا لي دعاءً رأيت بركته في ذلك الوقت وبعده».

وقال ابن فضل الله[١]: «وحُكي من شجاعته في مواقف الحروب نوبة شقحب ونوبة كسروان، ما لم يسمع إلا عن صناديد الرجال، وأبطال اللقاء، وأحلاس الحرب، تارة يباشر القتال، وتارة يحرض عليه.

وركب البريد إلى مهنا بن عيسى[٢] أمير العرب، واستحضره إلى الجهاد، وركب بعدها إلى السلطان واستنفره، وواجه بالكلام الغليظ أمراءه وعسكره.

ولما جاء السلطان إلى شقحب لاقاه إلى قرب الحرة، وجعل يشجعه ويثبته، فلما رأى السلطان كثرة التتار قال: «يا لخالد بن الوليد[٣]».

فقال له: «لا تقل هذا، بل قل: يا الله، واستغث بالله ربك وحده، ووحِّده تنصر، وقل: يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين».

---

(١) في مسالك الأبصار، ضمن الجامع لترجمة شيخ الإسلام (ص٢٦٠).

(٢) مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائي، حسام الدين، من آل فضل، ويلقب بـ «سلطان العرب» أمير بادية الشام، مات بالقرب من سليمة سنة (٧٣٥هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٣١٦-٣١٧).

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة، سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، أبو سليمان القرشي المخزومي المكي، توفي بحمص سنة (٢١هـ). انظر: السير (١/ ٣٦٦).

ثم صار تارة يقبل على الخليفة، وتارة على السلطان[١]، ويهديهما ويربط جأشهما، حتى جاء نصر الله والفتح.

وحكي[٢] أنه قال للسلطان: «أثبت فإنك منصور»، فقال له بعض الأمراء: «قل إن شاء الله»، فقال: «إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا»، فكان كما قال.

وقبل ذلك في نوبة غازان فعل من أنواع الجهاد وأنواع الخير، من إنفاق الأموال، وإطعام الطعام، وغير ذلك ما هو معروف مشهور.

فرحمه الله ورضي عنه.

۞۞۞

وجميع ما في الكون من بدع ... وإحداث تخالف موجب القرآن

فأساسها التأويل ذو البطلان ... لا تأويل أهل العلم والإيمان

إذ ذاك تفسير المراد وكشفه ... وبيان معناه إلى الأذهان

قد كان أعلم خلقه بكلامه ... صلى عليه الإله[٣] كل أوان

---

(١) السلطان كان محمد بن قلاوون، والخليفة كان هو المستكفي بالله، وقد كان الخليفة هو السلطان الأعظم، ولم يظهر لفظ «السلطان» كمصطلح سياسي في عصر الخلفاء ولا في عصر الدولة الأموية، وإنما ظهر في أواخر الدولة العباسية. و«السلطان» كمنصب سياسي جديد عدّل من تركيبة نظام الخلافة، فقد بقي الخليفة باعتباره يمثل منصبًا شرعيًّا، لكنه بات محجوبًا عن العمل بمقتضاه، أما السلطان فهو من يتولى الأمور فعليًّا بتفويض شكلي من الخليفة.
والعرب تقول: السلطان هو الحجة والبرهان، ولذلك قيل للأمراء سلاطين لأنهم الذين تقام بهم الحجة، ولذلك فإن السلطان هو من له قدرة الملك وقدرة من جعل ذلك له وإن لم يكن ملكًا، أما الخليفة فهو من يخلف غيره في الحكم، وقيل إن الخليفة هو السلطان الأعظم.
انظر: لسان العرب (٧/ ٣٢١) (٩/ ٨٤).

(٢) انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأبصار؛ لأحمد بن يحيى بن فضل الله اليعمري (ص٢٩٤-٣٠٦) ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام.

(٣) (ع): «الله» والمثبت من (د) ولعله هو الأنسب؛ حتى لا ينكسر البيت.

يتأول القرآن عند ركوعه وسجوده تأويل ذي برهان
هذا الذي قالته أم المؤمنـ ـين حكاية عنه لها بلسان
فانظر إلى التأويل ما تعني به خير النساء وافقه النسوان
أتظنها تعني به صرفا عن المعـ ـنى القوي لغير ذي الرجحان
وانظر إلى التأويل حين يقـ ـول علمه لعبد الله في القرآن
ماذا أراد به سوى تفسيره وظهور معناه له ببيان
قول ابن عباس هو التأويل لا تأويل جهمي أخي بهتان
وحقيقة التأويل معناه الرجو ع إلى الحقيقة لا إلى البطلان
وكذاك تأويل المنام حقيقة المرئي لا التحريف بالبهتان
وكذاك تأويل الذي قد أخبرت رسل الإله به من الإيمان
نفس الحقيقة إذ تشاهدها لدى يوم المعاد برؤية وعيان
لا خلف بين أئمة التفسير في هذا وذلك واضح البرهان
هذا كلام الله ثم رسوله وأئمة التفسير للقرآن
تأويله هو عندهم تفسيره بالظاهر المفهوم للأذهان
ما قال منهم قط شخص واحد تأويله صرف عن الرجحان
كلا ولا نفي الحقيقة لا ولا عزل النصوص عن اليقين فذان
تأويل أهل الباطل المردود عند أئمة العرفان والإيمان
وهو الذي لا شك في بطلانه والله يقضي فيه بالبطلان
فجعلتم للفظ[1] معنى غير معناه لديهم باصطلاح ثان

---

(١) (ع): «للّفظ» بثلاث لامات، وهو خطأ واضح عدل في (د).

وحملتم لفظ الكتاب عليه حتى[1] جاءكم من ذاك محذوران
كذب على الألفاظ مع كذب على من قالها كذبان مقبوحان
وتلاهما أمران أقبح منهما جحد الهدى وشهادة البهتان
إذ يشهدون الزور إن مراده غير الحقيقة وهي ذو بطلان

اعلم أن كلام الناظم في هذه الأبيات (ع/ ٣٣٠أ) هو معنى ما ذكره شيخ الإسلام في التدمرية فإنه قال[2]: «القاعدة الخامسة إنا نعلم ما أخبرنا من وجه دون وجه، فإن الله قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون:٦٨]، وقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، فأمر بتدبر (ع/ ٣٣١ب) القرآن كله، وقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

وجمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف على قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧]، وهذا هو المأثور عن أُبي بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس وغيرهم.

وروي عن ابن عباس أنه قال: «التفسير على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهله، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله من ادعى علمه فهو كاذب»[3].

---

(١) تحرفت في (ع) إلى «فتى».
(٢) التدمرية (ص٨٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٥٤).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٥٦) من طريق مؤمل عن سفيان عن أبي الزناد عن ابن عباس =

وقد روي عن مجاهد وطائفة: أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله(١).

وقد قال مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عن تفسيرها»(٢).

=به، إسناده حسن لحال مؤمل، وهو ابن اسماعيل البصري قال في التقريب (ص٩٨٧): «صدوق سيئ الحفظ من صغار التاسعة».

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٨٣)، وحكاه عن ابن عباس والربيع وغيرهم. وهذا هو القول الأول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾. والقول الثاني: أنه لا يعلم تأويله إلا الله تعالى، والأصل في ذلك هو الوقف على قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وما بعدها جملة مستأنفة، بمعنى أن أهل العلم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.

ولا منافاة بين القولين عند التحقيق، كما أشار الشارح إلى ذلك، فإن التأويل يطلق ويراد به في القرآن عدة معان: أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾، فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على لفظ الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها كأمور المعاد وغيرها لا يعلمها إلا الله تعالى، ويكون ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ مبتدأ و﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ خبره، أما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر، وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ أي: تفسيره، فالوقف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾؛ لأنهم يفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حال منهم، وساغ هذا، وهو أن يكون المعطوف دون المعطوف عليه كقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٥-١٦) ط. عالم الكتب.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٨) من طريق إسحاق بن راهويه عن محمد بن سلمة الحراني، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي قال حدثنا محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن مجاهد به، وإسناده ضعيف، ومحمد بن إسحاق المدني صاحب المغازي، صدوق مدلس وقد عنعن، وله طريق آخر عند ابن عساكر أشار إليها بعضهم، ولم يتيسر لي الوقوف عليها. وأخرجه أبو نعيم -أيضًا- (٣/ ٢٨٠) من محمد بن عبد الله الأنصاري عن الفضل بن ميمون قال: سمعت مجاهدًا يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة، وإسناده ضعيف، والفضل بن ميمون هو أبو سلمة شيخ لعارم، قال أبو حاتم: منكر الحديث وقال ابن المديني: لم يزل عندنا ضعيفًا ضعيفًا. انظر: الميزان (٣/ ٣٦٠)، لكن الأثر مشهور عن مجاهد.

ولا منافاة بين القولين عند التحقيق، فإن لفظ التأويل قد صار متعدد الاصطلاحات مستعملًا في ثلاث معان:

أحدها: وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأصوله: أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به(١).

وهذا الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها وهل ذلك محمود أو مذموم أو حق أو باطل.

والثاني: أن التأويل بمعنى التفسير(٢) وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير وأمثاله من المفسرين، واختلف علماء التأويل.

---

(١) هذا تعريف التأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين، وهو الذي يتمسك به نفاة الصفات والقدر ونحو ذلك، لكن هذا النوع من التأويل لا يخلو من ثلاث حالات:

الأول: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح في نفس الأمر، يدل على ذلك، وهذا هو المسمى عندهم بالتأويل الصحيح.

الثاني: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلًا وليس بدليل في نفس الأمر، وهذا المسمى عندهم بالتأويل الفاسد، والتأويل البعيد.

الثالث: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا عن دليلٍ أصلًا، وهذا الذي يسمى في اصطلاح الأصوليين «لعبًا».

وأكثر تأويلات المتكلمين للصفات هي من النوع الثالث؛ لأنهم اعتبروا أن العقل هو مصدر التلقي، وتقديم العقل على النقل عند التعارض، ولذلك اضطروا إلى التأويل، بل صرح بعضهم بأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة أصل من أصول الكفر.

انظر: درء التعارض (٥/ ٢٣٥)، مجموع الفتاوى (٥/ ٣٥) (٥/ ٣٤٩)، الفتاوى الكبرى (٥/ ١٥٦)، الإيضاح لقوانين الاصطلاح لأبي محمد ابن الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي (ص٢٠٠- بتحقيق الدلان)، شرح مختصر الروضة للطوفي (١/ ٥٦٨)، الموافقات للشاطبي (٣/ ٣٢٨)، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لمحمد الأمين الشنقيطي (ص٢٧٥) أضواء البيان له (١/ ٣١٥).

(٢) سواءً وافق ظاهره أو لم يوافقه، وهذا التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وهو الموافق لوقف من وقف من السلف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾.

انظر: الفتوى الحموية (ص٢٨٨)، جلاء الأفهام لابن القيم (ص٢٠٥).

ومجاهد إمام المفسرين. قال الثوري:إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به[(١)].وعلى تفسيره يعتمد الشافعي والبخاري وغيرهما، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد معرفة تفسيره.

الثالث: من معاني التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام[(٢)] كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣]، فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجنة النار ونحو ذلك كما قال في قصة يوسف لما سجد أبواه وأخوته: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف:١٠٠]، فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا، فالتأويل الثاني هو

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٦٥) من طريق عبيد الله بن يوسف الجبيري عن أبي بكر الحنفي، هو الحنفي الصغير عبيد الكبير بن عبد المجيد الحنفي عن سفيان به، وإسناده حسن، لحال الجبيري قال عنه في التقريب (ص٦٤٧): «صدوق من الحادية عشرة».

(٢) هذا النوع من التأويل يراد به أحد معنيين: الأول: أنه قد يراد به عين ما هو موجود في الخارج، وهو الذي أراده الشارح بقوله: (الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به) وكذلك قول ابن عيينه: «السنة هي تأويل الأمر والنهي». الثاني: أنه قد يراد بالتأويل هنا: العاقبة التي يرجع إليها؛ لأن التأويل في اللغة بمعنى المرجع والانتهاء، يقال: أوّل الحكم إلى أهله إذا أرجعه ورده إليهم. قال ابن فارس «ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ يقول: ما يؤول في وقت بعثهم ونشورهم إليه، فجميع ما أخبر الله به من أمور الغيب من جنة ونار وميزان وصراط ونحوها، هوالحقائق أنفسها التي ستنكشف في الآخرة لكل أحد، لا ما يتصور في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن، بل هو الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، فتأويل الصفات: هو الحقيقه التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال عنه مالك وغيره: « الاستواء معلوم والكيف مجهول...»، وهذا التأويل هو الذي يكون ظاهره هو المراد، هو الذي يتعلق بالأخبار، وقد تلاعبت به طوائف من الباطنية، ونفته طوائف من المعطلة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٥٨-١٦٢)، الفتوى الحموية (ص٢٩٠).

تفسير الكلام، وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه، أو تعرف علته (ع/ ١٣٣٢) أو دليله.

وهذا التأويل الثالث هو عين ما هو موجود في الخارج، ومنه قول عائشة: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن[1]، يعني قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ [النصر:٣].

وقول سفيان بن عيينة: «السنة هي تأويل الأمر والنهي»[2].

فإن نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به، ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر، والكلام خبر وأمر؛ ولهذا يقول أبو عبيد وغيره: الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة[3] كما ذكروا ذلك في اشتمال الصماء[4] لأن الفقهاء يعلمون تفسير ما أمر به ونهى عنه لعلمهم بمقاصد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (١/ ٣٥٠) باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٢).

(٢) لم أجد له تخريجًا فيما اطلعت عليه من المصادر ومعناه فيما يظهر: أن تأويل الأمر فعله وتأويل النهي تركه، مع أن الأمر قد يتضمن النهي كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ هو نهي بصيغة الأمر، أما الخبر فهو الإيمان به كما ورد، والله أعلم.

(٣) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (١/ ٢٧١) والنهاية لابن الأثير (٣/ ٥٠).

(٤) قال أهل اللغة في تعريف اشتمال الصماء الذي ورد النهي عنه في الحديث: هو أن يجلل جسده بالثوب لا يرفع منه جانبًا، ولا يبقي ما يخرج منه يده. وسميت صماء لأنه يسد المنافذ كلها، فتصير كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق. وأما الفقهاء فقالوا: هو أن يلتحف بالثوب، ثم يرفعه من أحد جانبيه، فيضعه على منكبيه فيصير فرجه باديًا، فعلى تقدير أهل اللغة يكون الاشتمال مكروهًا لئلا يعرض له حاجة فيتعسر عليه بإخراج يده فيلحقه الضرر، وعلى تفسير الفقهاء يحرم لأجل انكشاف العورة؛ أفاده النووي، ورجح الحافظ أن تفسير الفقهاء هو الموافق للحديث. انظر الفتح (١/ ٥٦٩)، لباس الرجل أحكامه وضوابطه في الفقه الإسلامي (٢/ ١٠٤٥).

(٥) الأصوليون يقولون: إذا تعارضت الحقيقه اللغوية مع الحقيقة الشرعية قدمت الحقيقة الشرعية، وتفسير الفقهاء هو التفسير الشرعي للحديث، والتفسير المبني على علة انكشاف العورة أولى من التفسير المبني على علة تعسر إخراج اليد.

كما يعلم أتباع بقراط[1] وسيبويه[2] ونحوهما من مقاصدهما ما لا يعلم بمجرد اللغة، ولكن تأويل الأمر والنهي لابد من معرفته، بخلاف تأويل الخبر إذا عرف ذلك.

فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله تعالى به من الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد.

ولهذا ما يجيء في الحديث يعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه، لأن ما أخبر الله عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر أن في الجنة لحمًا ولبنًا وعسلًا وخمرًا ونحو ذلك، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظًا ومعنى، ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته كحقيقته.

فأسماء الله تعالى وصفاته أولى، وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ولا حقيقته كحقيقته.

والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد، ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد مع العلم بالفارق المميز وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما في الشاهد وفي الغائب، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) انتهت إليه رئاسة الأطباء في عصره، ومات سنة (٣٥٧ق.م). انظر: الفهرست لابن النديم (ص٢٨٧) تاريخ الحكماء للقفطي (ص٩٠)، عيون الأنباء (ص٤٣)، طبقات الأطباء لابن جلجل (ص١٦-١٧).

(٢) عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري أبو بشر، إمام في النحو والأدب مات سنة (١٨٠هـ)، وله كتاب «سيبويه» في النحو. انظر: السير (٨/ ٣٥١)، معجم المؤلفين (٨/ ١٠).

فنحن إذا أخبرنا بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار علمنا معنى ذلك، وفهمنا ما أريد منا فهمه بذلك الخطاب، وفسرنا ذلك، وأما نفس الحقيقة المخبر عنها مثل التي لم تكن بعد وإنما تكون يوم القيامة، فذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] قالوا: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[١]. وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان»[٢]. فبين أن الاستواء معلوم وأن كيفية ذلك مجهولة.

ومثل هذا يوجد كثيرًا في كلام السلف، والأئمة ينفون علم العباد بكيفية صفات الله تعالى، وأنه لا يعلم (ع/٣٣٣ب) كيف الله إلا الله، فلا يعلم ما هو إلا هو، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» وهذا في صحيح مسلم[٣] وغيره، وقال في الحديث الآخر: «**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو نزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك...**» والحديث في المسند وصحيح أبي حاتم[٤].

وأطال الكلام وهو كلام نفيس وهو معنى كلام الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) مسلم (١/ ٣٥٢) في كتاب الصلاة.

(٤) أخرجه ابن حبان (٣/ ٢٥٣) من طريق يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمه الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود به.
قال شعيب: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح. انظر: صحيح ابن حبان (٣/ ٢٥٣- تعليق).

فصل

فيما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه

وعليكم في ذا وظائف أربعٌ ... والله ليس لكم بهن يدان

منها دليل صارف للفظ[1] عن ... موضوعه الأصلي بالبرهان

إذ مدعى نفس الحقيقة مدع ... للأصل لم يحتج إلى برهان

فإذا استقام لكم دليل الصرف يا ... هيهات طولبتم بأمر ثان

وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي ... قلتم هو المقصود بالتبيان

فإذا أتيتم ذاك طولبتم بأمر ... ثالث من بعد هذا الثاني

إن قلتم إن المراد كذا فما ... ذا دلكم أتخرص الكهان

هب أنه لم يقصد الموضوع لكن ... قد يكون القصد معنى ثان

غير الذي عنيتموه وقد يكو ... ن اللفظ مقصودًا بدون معان

كتعبد وتلاوة ويكون ذا ... ك القصد أنفع وهو ذو إمكان

من قصد تحريف لها يسمى بتأ ... ويل مع الإتعاب للاذهان

والله ما القصدان في حد سوا ... في حكمة المتكلم المنان

بل حكمة الرحمن تبطل قصده ... التحريف حاشا حكمة الرحمن

وكذاك تبطل قصده إنزالها ... من غير معنى واضح التبيان

وهما طريقًا فرقتين كلاهما ... عن مقصد القرآن منحرفان

---

(١) (د): «اللفظ».

حاصل كلام الناظم في هذا الفصل إلزام أهل التأويل أربعة لوازم، ولا سبيل لهم إلى دليل قاطع بها[1]:

الأول: المطالبة بدليل صارف للفظ عن موضوعه الأصلي، وهو أن الأصل في الألفاظ الحقيقة فالمدعي النقل عن الحقيقة يحتاج إلى دليل قاطع، فإذا أقاموا الدليل الموجب للصرف عن الحقيقة وهيهات، طولبوا بالأمر:

الثاني: وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي قالوه، فإذا أقاموا احتمالًا أو احتمالين أو ثلاثة، طولبوا بالدليل على أن المراد أحد الاحتمالات، وليس عندهم إلا التخرص والظن (ع/ ٣٣٤أ).

وإذا قدرنا أنه لم يقصد الموضوع فقد يكون القصد معنى آخر، كالتعبد ونحوه، وإذا كان المقصود بها التعبد والتلاوة، فذاك القصد أنفع، وهو ممكن وهو أولى من أن يكون القصد بإنزالها تحريفها المسمى بالتأويل.

وهذا قال الناظم:

والله مـا الـقـصـدان في حـد سـوا ....إلخ

أي أن حكمة المولى سبحانه تأبى ذلك، أي تأبى أن ينزلها سبحانه لقصد التأويل والتحريف أو أن ينزل ألفاظًا ليس لها معان. وإن كانت هاتان الطريقتان الباطلتان طريقتين لفرقتين منحرفتين عن مقاصد القرآن.

وقوله:

وعـلـيـكـم في ذا وظـائـف أربـع ....إلخ

تقدمت ثلاث منها ويأتي الرابع في الفصل بعده والله أعلم.

---

(١) انظر: مختصر الصواعق (١/ ٩٨).

قال الناظم:

فصل
في طريقة ابن سينا وذويه الملاحدة في التأويل

وأتى ابن سينا بعد ذا بطريقة أخرى ولم يأنف من الكفران
قال المراد حقائق الألفاظ تخييلا وتقريبا الى الأذهان
عجزت عن[1] الإدراك للمعقول إلا في مثال الحس كالصبيان
كي[2] يبرز المعقول في صور من المحسوس مقبولا لذي الأذهان
فتسلط التأويل إبطال لهذا القـ ـصد وهو جناية من جان
هذا الذي قد قاله مع نفيه لحقائق الألفاظ في الأذهان
وطريقة التأويل أيضًا قد غدت مشتقة من هذه الخلجان
وكلاهما اتفقا على أن الحقـ ـيقة منتف مضمونها ببيان
لكن قد اختلفا فعند فريقكم ما إن أريدت قط بالتبيان
لكن عندهم أريد ثبوتها في الذ هن إذ عدمت من الإحسان
إذ ذاك مصلحة المخاطب عندهم وطريقة البرهان أمر ثان
فكلاهما ارتكبا أشد جناية جنيت على القرآن والإيمان
جعلوا النصوص لأجلها غرضا لهم قد خرقوه بأسهم الهذيان

يعني الناظم أن ابن سينا وأمثاله من الملاحدة الفلاسفة، لما فتح المتكلمون باب التأويل الذي هو تحريف النصوص فإن حقيقة قول المتكلمين إن الرب لم يكن

(١) (د) «عجن».
(٢) في هامش (ع) كلام غير واضح.

قادرًا ولا كان الكلام والفعل ممكنًا[١] له ولم يزل كذلك دائماً مدة أو تقدير مدة لا نهاية لها، ثم إنه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك.

وجعلوا مفعوله هو فعله وإرادته بعلة أزلية قديمة[٢] والمفعول (ع/٢/١ب) متأخرًا، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح.

وكل هذا خلاف المعقول الصريح وخلاف الكتاب والسنة، وأنكروا صفاته ورؤيته وقالوا: «كلامه مخلوق»، وهو خلاف دين الإسلام.

والذين اتبعوا هؤلاء المتكلمين وأثبتوا الصفات قالوا: يريد جميع المرادات بإرادة واحدة، وكل كلام تكلم به أو يتكلم به إنما هو شيء واحد لا يتعدد ولا يتبعض وإذا رؤي بلا مواجهة ولا معاينة وإنه لم يسمع ولم ير الأشياء حتى وجدت لم يقم به أنه موجود، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك إلى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح والمنقول الصحيح.

فلما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء وأن هذا هو الإسلام الذي عليه هؤلاء علموا فساد هذا، أظهروا قولهم بقدم العالم، واحتجوا بأن تجدد الفعل بعد أن لم يكن ممتنع بل لابد لكل متجدد من سبب حادث، فيكون الفعل دائمًا ثم ادعوا دعوى كاذبة لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها، وهو أنه إذا كان الفعل دائمًا، لزم قدم الأفلاك والعناصر.

ثم لما أرادوا تقرير النبوة جعلوها فيضًا فاض من العقل الفعال أو غيره، من غير أن يكون رب العالمين يعلم له رسولًا معينًا ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد

(١) (د): «يمكنًا» وهو تحريف.

(٢) (د): «قديس» وهو تحريف.

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا يعلم الجزئيات ولا نزل من عنده ملك بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو العقل الفعال.

وأنكروا أن تكون السماوات تنشق وتنفطر وغير ذلك مما أخبر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وزعموا أن ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل إليهم بما ينتفعون به، من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق وعلمت الناس ما الأمر عليه(١).

وهذا معنى قول الناظم حكاية عن ابن سينا:

قال المراد حقائق الألفاظ تخييلًا وتقريبًا إلى الأذهان

لأن الجمهور لا يمكنهم إدراك المعقول إلا في مثال محسوس، فأبرزت الرسل المعقول في المحسوس حتى تقبله أذهان الجمهور.

فيقول الناظم:

هذا هو الذي قد قاله ابن سينا مع نفيه لحقائق الألفاظ في الاذهان

فالتأويل عند ابن سينا لأجل إبطال هذا القصد؛ ولهذا يحرم التأويل عند الفلاسفة إلا للعارف وأشار الناظم إلى ذلك بقوله:

فلذاك يحرم عندهم تأويله لكنه حل لذي العرفان

❁❁❁

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٥٤٥).

قال الناظم:

وتسلط الأوغاد والأوقاح والأرذال بالتحريف والبهتان
كل إذا قابلته بالنص قا بله بتأويل بلا برهان
ويقول تأويلي كتأويل الذ ين تأولوا فوقية الرحمن
بل دونه فظهورها في الوحي بالنص مين مثل الشمس في التبيان
أيسوغ تأويل العلو لكم ولا تتأولوا الباقي بلا فرقان
وكذاك تأويل الصفات مع انها ملء الحديث وملء ذي القرآن
والله تأويل العلو أشد من تأويلنا لقيامة الأبدان
وأشد من تأويلنا لحياته ولعلمه ومشيئة الأكوان
وأشد من تأويلنا لحدوث هذا العالم المحسوس بالإمكان
وأشد من تأويلنا بعض الشرا ئع عند ذي الإنصاف والميزان
وأشد من تأويلنا لكلامه بالفيض من فعال ذي الأكوان
وأشد من تأويل أهل الرِفض[1] أخبار الفضائل حازها الشيخان
وأشد من تأويل كل مؤولٍ نصًا بأن مراده الوحيان
إذ صرح الوحيان مع كتب الإله جميعها بالفوق للرحمن
فلأي شيء نحن كفار بذا التأو يل بل أنتم على الإيمان
إنا تأولنا وأنتم قد تأولتم فهاتوا واضح الفرقان
الكم على تأويلكم أجران حيث لنا على تأويلنا وزران
هذي مقالتهم لكم في كتبهم منها نقلناها بلا عدوان

(١) قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «بكسر الراء، وأصل الرفض: الترك، والمقصود بهم الروافض».

ردوا عليهم إن قدرتم أو فنحوا[1] عن طريق عساكر الإيمان
لاتحطمنكم جنودهم كحطم السيل ما لاقى من الديدان

الأوغاد: جمع وغد، وهو الذي (ع/٢/١٢أ) يخدم بملء بطنه[2]، والأوقاح جمع وقح، وهو الذي لا حياء[3] له، يعني أن الأوغاد والأوقاح والأرذال من الباطنية[4]

---

(١) في الأصل «فتنحوا»، وهو خطأ، وبه ينكسر البيت، والمثبت من الكافية الشافية (٢/ ٥١٠).
(٢) لسان العرب (١٥/ ٣٥٠)
(٣) انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٦٢)، القاموس المحيط (ص٣١٦)، تاج العروس (٤/ ٢٥١).
(٤) الباطنية: هم الذين ادعوا أن لنصوص الشريعة ظاهرًا وباطنًا، وزعموا أن عوام الناس هم المخاطبون بظواهر النصوص دون بواطنها، أما من ارتقى إلى علم الباطن فقد انحطت عنه التكاليف التي يسمونها: (الأغلال)، وزعموا أن نصوص الشرع عبارة عن رموز وإشارات لها تأويلات باطنة، وهي تخالف ما يعرفه المسلمون، واسم (الباطنية) في كلام الناس، يقال على صنفين: الأول: من يقول للكتاب والسنة باطن يخالف ظاهرها، فهؤلاء هم المشهورون عند الناس باسم (الباطنية) من القرامطة وسائر أنواع الملاحدة، وهؤلاء على قسمين: القسم الأول: يرى ذلك في الأعمال الظاهرة، كالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، وتحريم المحرمات من الفواحش، أما الظلم والشرك ونحو ذلك؛ فيرون أن الخطاب المبين لوجوب هذه الواجبات وتحريم تلك المحرمات ليس هو على ظاهره المعروف عند الجمهور، ولكن لذلك أسرار وبواطن كما يقولون: الصلاة معرفة أسرارنا، والصيام كتمان أسرارنا.
فهؤلاء زنادقة منافقون باتفاق من الأمة.
والقسم الثاني: الذين يقولون بالباطن المخالف للظاهر في العمليات، وأما العمليات فيقرونها على ظاهرها، وهذا قول عقلاء الفلاسفة المنتسبين للإسلام.
الصنف الثاني من الباطنية: الذين اهتموا بالأعمال الباطنة، لكن مع قولهم إنها توافق الظاهر، ومع اتفاقهم أن من ادعى باطنًا يخالف الظاهر فهو زنديق، فهؤلاء المشهورون بالتصوف، لكن يوجد فيهم من جنس ما يوجد في بقة الطوائف من البدع والنفاق، مثل من يرى الاستغناء بالعمل الباطن عن الظاهر -الإرجاء- ومن يدعي أن للقرآن باطنًا يخالف ظاهره ونحو ذلك من صنوف الزنادقة والمنافقين.
انظر: التبصير في الدين (ص٨٣) ورسائل إخوان الصفا (ص١٣٨)، والفتوحات المكية (٤/ ٢٦٣)، ونقض التأسيس (١/ ٢٥٩).

والفلاسفة وغيرهم، لما رأوا تأويل المتكلمين لعلو الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفوقيته على خلقه.

وكذا تأويلهم لصفاته تعالى فقال أولئك للمتكلمين: تأويلكم للعلو أعظم من تأويلنا للقيامة وأشد من تأويلنا لحياته سبحانه وعلمه ومشيئته، وأشد من تأويلنا لحدوث العالم بالإمكان، وأعظم من تأويلنا لكلامه بأنه فاض من العقل الفعال، وأشد من تأويل الروافض للأخبار التي في فضائل الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأشد من تأويل كل مؤول، لأنه قد صرح الوحيان وجميع الكتب الإلهية بالفوقية (ع/٢/٣ب) فلأي شيء نكفر بتأويلنا وأنتم مؤمنون؟ فنحن قد تأولنا كما تأولتم فهاتوا فرقًا واضحًا.

وهذا معنى قول الناظم:

هـذي مقالـتهم لكم في كتبهم .... إلخ

فردوا عليهم إن قدرتم وهيهات، وإلا فتنحوا عن طريق عساكر الإيمان،فهم الذين يردون على أولئك الأوغاد؛ وذلك أنهم قبلوا ما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إثباتًا بلا تأويل وتنزيهًا بلا تعطيل وقبلوا ما جاء عن الله ورسوله ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، والحمد لله وحده(١).

۞۞۞

قال الناظم:

وكـذا نطـالـبكم بـأمـر رابـع	**والله لـيـس لـكـم بـذا إمـكـان**
وهـو الجـواب عـن المعـارض إذ به	**الـدعـوى تـتـم سـليـمـة الأركـان**

---

(١) انظر: مختصر الصواعق (١/ ١٢٣-١٢٤).

لكن ذاعين المحال ولويسا ... عدكم عليه رب كل لسان
فأدله الإثبات حقًا لا يقوم لها ... الجبال وسائر الأكوان
تنزيل رب العالمين ووحيه ... مع فطرة الرحمن والبرهان
أنى يعارضها كُناسة هذه ... الأذهان بالشبهات والهذيان
وجعاجع وفراقع ما تحتها ... إلا السراب لوارد ظمآن
فليهنكم هذي العلوم اللاء قد ... ذخرت لكم عن تابع الإحسان
بل عن مشايخهم جميعا ثم وفقتم ... لها من بعد طول زمان
والله ما ذخرت لكم لفضيلة ... لكم عليهم يا أولي النقصان
لكن عقول القوم كانت فوق ... ذا قدرا وشأنهم فأعظم شان
وهم أجل وعلمهم أعلى وأشرف ... أن يشاب بزخرف الهذيان
فلذاك صانهم الإله عن الذي ... فيه وقعتم صون ذي إحسان
سميتم التحريف تأويلًا كذا ... التعطيل تنزيها هما لقبان
وأضفتم أمرًا إلى ذا ثالثًا ... شرًا وأقبح منه ذا بهتان
فجعلتم الإثبات تجسيمًا وتشبيهًا ... وذا من أقبح العدوان
فقلبتم تلك الحقائق مثل ما ... قلبت قلوبكم عن الإيمان
وجعلتم الممدوح مذمومًا كذا ... بالعكس حتى استكمل اللبسان
وأردتم أن تحمدوا بالإتبا ... ع نعم لكن لمن يا فرقة البهتان
وبغيتم أن تنسبوا للابتدا ... ع عساكر الآثار والقرآن
وجعلتم الوحيين غير مفيدة ... للعلم والتحقيق والبرهان
لكن عقول الناكبين عن الهدى ... لهما تفيد ومنطق اليونان
وجعلتم الإيمان كفرًا والهدى ... عين الضلال وذا من الطغيان

ثم استخفيتم عقولًا ما أرا د الله أن تزكوا على القرآن
حتى استجابوا مهطعين لدعوة التعطيل قد هربوا من الإيمان
يا ويحهم لو يشعرون بمن دعا ولما دعا قعدوا قعود[1] جبان

هذا هو الرابع من الأمور التي تقدمت (ع/ ٢/ ١٤أ) في الفصل قبله لأنه طالبهم بثلاثة أشياء[2] وبقي الرابع: وهو أنا نطالبهم بالجواب عن المعارض لهم وهو أدلة الإثبات وجوابهم عنها عين المحال.

وكيف يعارض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والفطرة كُنَّاسة الآراء والأذهان، وجعاجع وفراقع ما تحتها إلا السراب للوارد الظمآن.

فليهنهم الاعتياض بهذه العلوم التي قد ذخرت عن الصحابة والتابعين والأئمة المهديين، فإن الله تعالى صانهم ونزههم عن هذا الذي وقع فيه هؤلاء، نعوذ بالله من الخذلان[3].

وقوله:

سميتم التحريف تأويلا ....إلخ

أي أنهم سموا تحريفاتهم تأويلًا وسموا التعطيل تنزيها، وأضافوا إلى ذلك أمرًا ثالثًا أقبح وأشنع وهو أنهم سموا الإثبات تجسيمًا وتشبيهًا، فقلبوا الحقائق وجعلوا الممدوح مذمومًا، والمذموم ممدوحًا فدلّسوا ولبّسوا.

---

(١) (د): «قعود قعود» وهو سبق قلم.
(٢) وهي المطالبة بدليل صارف للفظ عن موضوعه الأصلي، فإن جاؤوا بالدليل الصارف،طولبوا بالأمر الثاني: وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي قالوه؛ فإن أقاموا احتمالًا أو احتمالين أو ثلاثة طولبوا بالأمر الثالث: وهو الدليل على أن المراد أحد الاحتمالات.
(٣) انظر: مختصر الصواعق (١/ ٩٨-٩٩).

وقوله:

واردتم أن تحمدوا بالاتباع .... إلخ

أي أنهم أرادوا أن يحمدوا باتباع الكتاب والسنة، وهم عن ذلك بمراحل وهذا معنى قوله:

وبغيتم أن تنسبوا للابتداع عساكر الآثار والقرآن(١)

وصرحوا بأن نصوص الوحيين لا تفيد اليقين وأن العلم واليقين إنما يستفاد من غيرهما كعقولهم ومنطق اليونان.

وقالوا: إذا تعارضت الأدلة اللفظية والقواطع العقلية -بزعمهم-، قدمنا القواطع العقلية، وجعلوا الإيمان كفرًا والهدى ضلالًا،ثم استخفوا أصحاب العقول الضعيفة الغير زكية(٢)، فاستجابوا مهطعين لدعوتهم واتبعوهم على تحريفهم وتأويلهم.

---

(١) تحرف أول هذا البيت هنا، وقمنا بتصحيحه من الأبيات السابقة.

(٢) في الأصل «الغير الزكية»، وهو خطأ.

فصل

في شبه المحرفين للنصوص باليهود وارثهم التحريف منهم وبراءة أهل الإثبات مما رموهم به من هذا الشُبَه

هـذا وثـم بـلـيـة مـسـتـورة ... فـيـهـم سـأبـديـهـا لـكـم ببيـان

ورث المحـرف مـن يـهـود وهـم ... أولو التحريف والتبديل والكتمان

فـأراد مـيراث الـثـلاثـة منهم ... فـعـصـت عـلـيـه غـايـة العصيان

إذ كان لفظ النص محفوظًا فما ... الـتـبـديـل والـكـتـمـان في الإمـكـان

فـأراد تـبـديـل المـعـانـي إذ هي ... المـقـصـود مـن تـعـبـير كـل لسان

فـأتـى إلـيـهـا وهـي بـارزة ... مـن الألـفـاظ ظـاهـرة بـلا كـتمان

فنفى حقائقها وأعطى لفظها ... مـعـنـى سـوى مـوضـوعـه الحـقـان

فجنى على المعنى جناية جاحد ... وجـنـى عـلـى الألـفـاظ بـالـعـدوان

وأتـى إلى حـزب الهـدى أعطاهم ... شـبـه الـيـهـود وذا مـن البهتان

إذ قـال إنـهـم مـشـبـهـة وأنـتـم ... مـثـلـهـم فـمـن الـذي يلحاني

في هـتـك أسـتـار الـيـهـود وشبههم ... مـن فـرقـة الـتـحـريـف لـلـقـرآن

مراد الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أن المحرف أي (ع/ ٢/ ٥ب) المؤول ورث التحريف من اليهود وهم أولو التحريف والتبديل والكتمان، فأراد المحرف ميراث الثلاثة منهم فعصت عليه ولم يمكنه ذلك؛ لأن لفظ النص محفوظ، قد تولى الله حفظه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، فعدل إلى تبديل المعاني؛ لأنها هي المقصودة بالتعبير، ولم يمكنه الكتمان -أيضًا-، فنفى حقائقها، وأعطى لفظها معنى

غير معناه الموضوع له، فجحد المعنى، وجنى على اللفظ بالعدوان، ثم بعد ذلك سمى أهل الإثبات والهدى: مشبهة، وأنهم مثل اليهود.

وهذا معنى قول الناظم:

....	.... فمن الذي يلحاني
في هتك أستار اليهود وشبههم	....

ومعنى «يلحاني..»: ينازعني، قال في القاموس[(١)]: «لاحا ملاحاة[(٢)] ولحاء نازعه» انتهى أي من ينازعني في هتك أستار المعطلة وتشبيههم باليهود[(٣)].

۞۞۞

ثم شرع الناظم في بيان شبههم المحقق باليهود فقال:

يا مسلمين بحق ربكم اسمعوا[(٤)]	قولي وعوه وعي ذي عرفان
ثم احكموا من بعد من هذا	الذي أولى بهذا الشبه بالبرهان
أمر اليهود بأن يقولوا حطة	فأبوا وقالوا حنطة لهوان
وكذلك الجهمي قيل له استوى	فأبى وزاد الحرف للنقصان
قال استوى استولى وذا من جهله	لغة وعقلا ما هما سيان
عشرون وجها تبطل التأويل باستولى	فلا تخرج عن القرآن
قد افردت بمصنف هو عندنا	تصنيف حبر عالم رباني
ولقد ذكرنا أربعين طريقة قد	أبطلت هذا بحسن بيان

(١) القاموس (ص١٧١٤).

(٢) (د): «ملاحات» وهو خطأ.

(٣) لأن اليهود وصفوه بالنقص، وهؤلاء عطلوه عن صفات كماله.
قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «الوصف بالنقص بمعنى التعطيل» اهـ.

(٤) (د): «فاسمعوا» وهو تحريف.

هي في الصواعق إن ترد تحقيقها	لا تختفي إلا على العميان
نون اليهود ولام جهمي هما	في وحي رب العرش زائدتان
وكذلك الجهمي عطل وصفه	ويهود قد وصفوه بالنقصان
فهما إذا في نفيهم لصفاته	العليا كما بينته أخوان

شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في إيضاح ما ذكره من شبه (ع/٢/١٦) المعطلة باليهود، وأنهم ورثوا منهم التحريف فذكر أن اليهود قيل لهم: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ فأبوا وقالوا: حنطة.

وكذلك الجهمية قيل لهم: ﴿استوى﴾ فأبوا وقالوا: استولى، وليس كذلك، فإن هذا من جهل الجهمي بمعنى استوى لغة وعقلًا وذكر أن تفسير الاستواء بالاستيلاء باطل من عشرين وجهًا، أفردها شيخ الإسلام في مصنف مفرد، وقد ساقها الناظم فيما تقدم وزاد وجهًا فصارت إحدى وعشرين وجهًا.

قوله:

ولقد ذكرنا أربعين طريقة... ....

أي وقد أبطلنا تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين طريقًا ذكرها الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في كتابه المسمى بالصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة[1] وهو في مجلدات في غاية الإجادة والنفاسة فجزاه الله عن الإسلام خيرًا.

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٨٠) وما بعدها.
ولكن يوجد إشكال؛ وهو أنه ذكر أولًا أن شيخ الإسلام أبطل تفسير الاستواء بالاستيلاء من عشرين وجهًا، وزاد الناظم عليها وجهًا واحدًا، فصارت إحدى وعشرين.
ثم ذكر ثانيًا أن الناظم أبطلها من أربعين طريقًا. وقد ذكر شيخنا في الجواب عن هذا الإشكال: «أن شيخ الإسلام ذكرها مجملة، فجاء الناظم فذكرها مفصلة، فصار كل وجه يحتمل وجهين أو أكثر، فصارت أربعين وجهًا». والله أعلم.

وقوله:

قد افردت بمصنف هو عندنا .... إلخ

يعني به شيخ الإسلام كما تقدم.

قوله:

وكذلك الجهمي عطل وصفه ويهود قد وصفوه بالنقصان

أي أن الجهمية شابهوا اليهود أيضًا، فالجهمية نفوا صفات الرب سبحانه، واليهود وصفوه بالنقصان فوصفوه بأنه فقير -تعالى الله عن ذلك- وأن يده مغلولة، ووصفوه بالندم والتعب -تعالى الله وتقدس عن إفكهم-.

فصل

في بيان بهتانهم في تشبيه أهل الإثبات بفرعون وقولهم: إن مقالة العلو عنه أخذوها وانهم أولى بفرعون وأنهم أشباهه

ومن العجائب قولهم فرعون مذ هبه العلو وذاك في القرآن
ولذاك قد طلب الصعود إليه بالصرح الذي قد رام من هامان
هذا رأيناه بكتبهم ومن أفواههم سمعًا إلى الآذان
فاسمع إذًا من الذي أولى بفر عون المعطل جاحد الرحمن
وانظر إلى من قال موسى كاذب حين ادعى فوقية الرحمن
فمن المصائب أن فرعونيكم أضحى يكفر صاحب الإيمان
ويقول ذاك مبدل للدين سا عٍ بالفساد وذا من البهتان
إن المورث ذا لهم فرعون حين رمى به المولود من عمران
فهو الإمام لهم وهاديهم بمتبوع يقودهم إلى النيران
هو أنكر الوصفين وصف الفوق والتكليم إنكارا على البهتان
إذ قصده إنكار ذات الرب فالتعطيل مرقاة لذا النكران
وسواه جاء بسلم وبآلة وأتى بقانون على بنيان
وأتى بذاك مفكرًا ومقدرًا ورث الوليد العابد الأوثان
وأتى إلى التعطيل من أبوابه لا من ظهور الدار والجدران
وأتى به في قالب التنزيه والتعظيم تلبيسا على العميان

وأتـى إلى وصـف الـعـلـو فـقـال ذا التجسيم ليس يليق بالرحمن

فـالـلفظ قـد أنشاه مـن تلقائه وكـسـاه وصـف الـواحـد المنـان

والـنـاس كلهم صبي العقل لم يبلغ ولـو كـانـوا مـن الشيخان

إلا اناسـا سـلـمـوا لـلـوحـي هم أهـل البـلـوغ وأعـقـل الإنـسـان

فأتى إلى الصبيان فـانـقـادوا له كـالـشـاء إذ تـنـقـاد لـلـجـوبـان

فـانظـر إلى عـقـلٍ صـغـيرٍ في يدي شيطان مـا يـلـقى مـن الشيطان

أي ومن العجائب أن المعطلة تزعم (ع/٢/٧ب) أن العلو مذهب فرعون، وهذا من قلب الحقائق وقد تقدم توضيح ذلك.

قوله:

إذ قـصـده إنـكـار ذات الـرب ....إلخ

أي إن قصد فرعون اللعين إنكار ذات الرب تعالى.

قوله:

وسـواه جـاء بـسـلـم وبـآلـة ....إلخ

أي: أن هؤلاء النفاة[١] وضعوا القوانين فيما جاءت به الأنبياء عن الله، فما وافق تلك القوانين قبلوه وما خالفها لم يتبعوه وتأولوه، أو فوضوه.

قوله:

وأتـى بـذاك مـفـكـرًا ومـقـدرًا ....

---

(١) هذا اللفظ يطلق على المعطلة الذين ينفون الأسماء والصفات كالجهمية، أو ينفون الصفات ويثبتون الأسماء كالمعتزلة، أو يثبتون الأسماء وينفون بعض الصفات دون بعض كالأشاعرة والماتردية، ويطلق على هؤلاء المتكلمون. انظر: السير (٢/ ٧٩).

أي: النافي فكر وقدر فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسله وأنه ورث بذلك الوليد بن المغيرة الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ الآية [المدثر:١٨].

ورحم الله الناظم، فلقد استعظم نسبتهم مذهب العلو إلى فرعون، فلو دفع إلى زمن من زاد في الطنبور نغمة وصنف مصنفًا في إيمان فرعون، وإن كان المحيي ابن عربي قد زعم ذلك فمذهبه معلوم ومشربه مذموم، فالله المستعان(١).

قوله: «......إذ تنقاد للجوبان» وهو الراعي.

---

(١) المؤلفات التي ذكرت صحة إيمان فرعون، كلها بدون استثناء مؤلفات لمتصوفة خرافيين، ليس لبعضهم من الإسلام حظ ولا نصيب، وكل من غلا في الإرجاء جره القول به إلى مثل هذه الضلالات، فإن من قال: إن الإيمان هو مجرد المعرفة القلبية -كما يقوله الجهم وأصحابه- لزم من ذلك أن يكون إبليس وفرعون وغيرهما من رؤوس الضلال مؤمنين كاملي الإيمان، وقد التزم قوم هذا القول الخبيث الذي هو من أخبث الأقوال فقالوا بإيمان فرعون، وإن كان مذهب متكلمي الجهمية قد اندثر، فإن مذهب متعبديهم باق إلى الآن، وهم المرجئة من غلاة الصوفية، القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، والأدلة على بطلان قولهم كثيرة جدًّا؛ منها الرد عليهم بالأدلة العامة، التي تدل على بطلان قول غلاة المرجئة في مسمى الإيمان، وكذلك الأدلة على بطلان قولهم في إيمان فرعون، كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢]، فهذه حجة قوية على أن فرعون يعرف صدق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنه مصلح، وأن ماعليه فرعون ضلال وباطل وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، وقوله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩١]، في آيات كثيرة تدل دلالة صريحة على كفر فرعون وبغيه وطغيانه، وكفر فرعون مما يعلم من دين الإسلام بالضرورة،لا يمتري في ذلك من له أدنى مسكة عقل.

فصل

في بيان تدليسهم وتلبيسهم الحق بالباطل

قالوا إذا قال المجسم ربنا حقا على العرش استوى بلسان
فسلوه كم للعرش معنى واستوى أيضًا له في الوضع خمس معان
وعلى فكم معنى لها أيضًا لدى عمرو فذاك إمام هذا الشان
بين لنا تلك المعاني والذي منها أريد بواضح التبيان

يعني أن المعطلة لشدة تدليسهم وتلبيسهم (ع/ ٢/ ١٨أ) قالوا إذا قالت المثبتة إن الله استوى على العرش فسلوه كم للعرش معنى واستوى كم معنى لها لدى عمرو أي عند عمرو وهو سيبويه إمام النحاة فإن اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر.

قال صاحب العواصم والقواصم: إذا قال لك المجسم: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] فقل استوى على العرش تستعمل على خمسة عشر وجهًا فأيها تريد[1] انتهى.

قال شيخ الإسلام في تفسير سورة الإخلاص[2]: ومن قال الاستواء له معان متعددة فقد أجمل كلامه فإنهم يقولون استوى فقط ولا يصلونه بحرف وهذا له

---

(١) انظر العواصم من القواصم (٢/ ٢٨٩) ونقله ابن القيم كما في مختصر الصواعق (٣/ ٩٣٨).
ولفظ: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ مجردًا يحتمل عدة معان، أما المعدى بحرف فهو بحسب الحرف المعدى به، أما المعدى بعلى كما في قوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ فلا يستعمل إلا في معنى واحد، وهو الفوقية، ولعل صاحب العواصم جمع معاني ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ المجردة والمعداة بحرف، فبلغت خمسة عشر. والله أعلم.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٧٤)، وانظر: درء التعارض (١/ ٢٧٩).

معنى ويقولون استوى على كذا وله معنى واستوى إلى كذا وله معنى واستوى مع كذا وله معنى فتنوع معانيه بحسب صلاته.

وأما استوى على كذا فليس في القرآن ولغة العرب المعروفة إلا بمعنى واحد قال تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود:٤٤]، وقال: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف:١٣].

وقد أتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الغرز قال: «بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله...»[(١)].

وقال ابن عمر: «أهل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحج فلما استوى على بعيره...»[(٢)].

وهذا المعنى يتضمن شيئين علوه على ما استوى عليه واعتداله أيضًا فلا يسمون المائل على الشيء مستويًا عليه.

ومنه حديث الخليل بن أحمد[(٣)] لما قال استووا، وقوله:

ثم استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق[(٤)]

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤)، والترمذي (٥/ ٥٠١)، وأحمد (١/ ٩٧) وغيرهم، من طريق أبي الأحوص عن أبي اسحاق الهمداني عن ابن أبي ربيعة قال: «شهدت عليًّا...» فذكره من قوله موقوفًا، وإسناده صحيح. انظر: مختصر الشمائل للألباني (ص١٢٣) برقم (١٩٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٩٨)، وأحمد (٢/ ٢٩) وغيرهم، من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر به، مع اختلاف في الألفاظ، وإسناده صحيح.

(٣) الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري إمام العربية ومنشئ علم العروض، وكان ورعًا قانعًا متواضعًا معدودًا في الزهاد، مات سنة بضع وستين ومائتين، انظر: السير (٧/ ٤٢٩).

(٤) كذا في (ع) والمشهور: قد استوى بشر... إلخ، وقد نسبه ابن كثير للأخطل في ديوانه. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٧).

هو من هذا الباب؛ فإن المراد به بشر بن مروان(١) واستواؤه عليها أي على كرسي ملكها لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء، بل استواء منه عليها، إذ لو كان كذلك لكان عبد الملك(٢) الذي هو الخليفة قد استوى أيضًا على العراق وعلى سائر مملكة الإسلام، ولكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان والشام ومصر وسائر ما فتحه ولكان رسول الله ﷺ قد استوى على اليمن وغيرها مما فتحه ومعلوم أنه لم يوجد في كلامهم استعمال الاستواء في شيء من هذا.

وإنما قيل فيمن استوى بنفسه على بلد فإنه مستوٍ على سرير ملكه كما يقال: جلس فلان على السرير، وقعد على التخت ومنه قوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف:١٠٠]، وقوله: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل:٢٣].

وقول الزمخشري وغيره: «استوى على كذا» بمعنى ملك(٣)، دعوى مجردة فليس لها شاهد في كلام العرب، ولو قدر ذلك لكان بهذا المعنى باطلًا في استواء الله على العرش؛ لأنه أخبر أنه ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقد أخبر أن العرش كان موجودًا قبل خلق السماوات والأرض كما

(١) بشر بن مروان بن الحكم الأموى، ولي العراقيين لأخيه عند مقتل مصعب بن الزبير، مات بالبصرة سنة (٧٥هـ)، رثاه كثير من الشعراء. انظر: السير (٤/ ١٤٥).

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموى، مات سنة (٨٦هـ).
انظر: السير (٤/ ٢٤٦).

(٣) انظر: أساس البلاغة، للزمخشري، مادة (سوى)، (ص٢٢٦).
تنبيه: جميع كلام الزمخشري عن الاستواء محذوف من كتاب الكشاف في طبعة دار الكتب العلمية.

دل على ذلك الكتاب والسنة[1] (ع/٢/٩ب)، فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه.

فكيف يكون الاستيلاء عليه مؤخرًا عن خلق السماوات والأرض.

وأيضًا: فهو مالك لكل شيء مستول عليه، لا يخص العرش بالاستواء[2] وليس هذا كتخصيصه بالربوبية في قوله: ﴿ رَبُّ ٱلْعَـرْشِ ﴾ [المؤمنون:١١٦] فإنه قد يخص لعظمته، ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال: رب العرش، ورب كل شيء وأما الاستواء المختص بالعرش فلا يقال استوى على العرش وعلى كل شيء، ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شيء، ولا وجد في كتاب ولا سنة كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة وفي كل شيء عامة.

وكذلك لفظ الخلق ونحوه من الألفاظ التي تخص وتعم كقوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق:١-٢] فالاستواء من الألفاظ المختصة بالعرش لا تضاف إلى غيره لا خصوصًا ولا عمومًا، وهذا مبسوط في موضع آخر» انتهى كلامه.

۞۞۞

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد (٦/ ٢٦٩٩)، (باب وكان عرشه على الماء)، وساق اللفظ عند الترمذي في المناقب (٢/ ٣٣).

(٢) كذا في (ع، د) ولعل الصواب الاستيلاء.

وأما قول شيخ الإسلام: «وأيضًا فهو مالك لكل شيء مستول عليه...» فمقصوده بالاستيلاء هنا القدرة؛ لأن المالك للشيء قادر عليه، فالله تعالى مالك لجميع المخلوقات، وله القدرة المطلقة في التصرف فيها؛ لأن القدرة من معاني الاستيلاء، وكأن هذا من باب التنزل مع الخصم، ولا يصح أن يكون مقصوده بالاستيلاء على المخلوقات: الغلبة؛ لأن الغلبة لا تكون إلا بين متنازعين غلب أحدهما الآخر، وصار الملك له، ولا منزاع مع الله فهو الخالق المالك سبحانه.

قال الناظم:

فاسمع فذاك معطل هذي الجعا ... جع ما الذي فيها من الهذيان
قل للمجعجع ويحك اعقل ما الذي ... قد قلته إن كنت ذا عرفان
العرش عرش الرب جل جلاله ... واللام للمعهود في الأذهان
ما فيه إجمالٌ ولا هو موهم ... نقل المجاز ولا له وضعان
ومحمد والأنبياء جميعهم ... شهدوا به للخالق الرحمن
منهم عرفناه وهم عرفوه من ... رب عليه قد استوى ديان
لم تفهم الأذهان منه سرير بلـ ... ـقيس ولا بيتًا على الأركان
كلا ولا عرشًا على بحر ولا ... عرشًا لجبريل بلا بنيان
كلا ولا العرش الذي إن ثل من ... عبد هوى تحت الحضيض الداني
كلا ولا عرش الكروم وهذه الـ ... أعناب في حرث وفي بستان
لكنها فهمت بحمد الله عر ... ش الرب فوق جميع ذي الأكوان
وعليه رب العالمين قد استوى ... حقًّا كما قد جاء في القرآن

أي أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الأعراف:٥٤] المراد به عرش الرب سبحانه واللام للعهد الذهني، ولا تفهم الأذهان من العرش غير ذلك كعرش بلقيس المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ [النمل:٢٣] ولا بيتًا على الأركان كما في قوله تعالى: ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة:٢٥٩]، ولا عرشًا على الماء المذكور في حديث رواه سنيد بن داود[١] في تفسيره مرفوعًا إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال:

(١) سنيد بن داود أبو علي المصيصي واسمه حسين، وسنيد لقب له.

اختلف الأئمة في توثيقه وتجريحه، فممَّنْ وثقه:

١. أبو حاتم قال: بغدادي صدوق.

٢. وقال أحمد: أرجو أن لا يكون حدث إلا بالصدق. =

«إن إبليس اتخذ عرشًا على الماء (ع/ ٢/ ١٠أ) مثل عرش الرحمن عَزَّوَجَلَّ» الحديث[(١)]**،**

= ٣. قال الخطيب: لا أعلم أي شيء نقموا على سنيد، وقد رأيت الأكابر من أهل العلم رووا عنه، ولم أسمع عنه فيه إلا خيرًا، وقد كان سنيد له معرفة بالحديث وضبطه.

وممن جرَّحه:

١. أبوداود قال: «لم يكن بذاك».

٢. وقال النسائي: «وليس بثقة».

٣. وقال أبو حاتم: ضعيف.

٤. وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: «رأيت سنيدًا عند الحجاج بن محمد، وهو يسمع منه كتاب الجامع لأبي جريح»، وفيه: «أخبرت عن الزهري، وأخبرت عن صفوان بن سليم قال: فجعل سنيدٌ يقول للحجاج: يا أبا محمد قل: ابن جريج عن الزهري، ابن جريج عن صفوان بن سليم قال: فكان يقول هكذا، قال عبد الله: ولم يحمده أبي فيما رآه يصنع بالحجاج، وذمه على ذلك».

والترجيح: الذي يظهر لي -والله أعلم- من خلال تلك الأقوال: القول بتوثيق سنيد، وأنه صدوق كما قال أحمد وأبو حاتم؛ أما جرح النسائي وأبو داود لسنيد فإنما هو جرح مبهم وليس بمفسر، والقاعدة في ذلك عند أكثر الأئمة تقديم التعديل على الجرح غير المفسر، اللهم إلا أن يكون مستندهم في التضعيف هو ما نقله عبد الله بن أحمد عن أبيه من تلك القصة التي تقدمت، وعاب فيها أحمد صنيع سنيد في تلقينه لحجاج؛ لأنه رأى أن ذلك خلاف الكمال في الأمانة التي ينبغي أن يكون عليه الراوي، وهذا الصنيع الذي وقع من سنيد مع الحجاج ليس هو بتلقين الكذب، وإنما هو تلقين لتدليس التسوية، وقد ذكر العلّامة عبد الرحمن المعلمي أن هذا التدليس في قصة سنيد والحجاج لا محذور فيه لاشتهار ابن جريج بالتدليس؛ وبذلك يتبين أن حجاجًا لم يتلقن غفلة ولا خيانة، وإنما أجاب سنيدًا إلى ما التمسه لعلمه أنه لا محذور فيه.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٨٧) من طريق روح بن عبادة عن أبي الزبير عن جابر بلفظ «عرش إبليس على البحر، ثم يبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده، أعظم فتنة» وإسناده ضعيف، روح ابن عبادة وهم في روايته عن أبي الزبير؛ فإنه لم يدركه وإنما يروي عنه بواسطة أبي المغيرة عن صفوان عن ماعز التميمي عن جابر به. وأما ماعز فإنه غير معروف كما في التعجيل (٢/ ٢٢٢).

و أخرجه أحمد في المسند -أيضا- (٣/ ٤٢١) من طريق أبي أحمد عن سفيان عن أبي الزبير به، وأبو أحمد لم أعرفه، فالحديث يحسن بمجموع طرقه، ويشهد لبعضه ما في صحيح مسلم (٨/ ١٩٠) -الجيل- من قصة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ابن الصياد حينما قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما ترى؟» قال: «أرى عرشًا على الماء» فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ترى عرش إبليس على البحر...» الحديث.

وهو حديث منكر.

ولا عرشًا لجبريل، ولا العرش المذكور في قولهم ثل عرشه أي ذهب سلطانه وجاهه ونحو ذلك ومنه قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كاد عرشي أن يثل»(١)، ولا عرش الكروم.

قال ابن عباس: «معروشًا ما يعرش من الكرم»(٢)، والعروش الأبنية وعرش البيت: سقفه ولا العروش التي هي البيوت من سقف ونحوه.

وهذا بحمد الله من أظهر المعارف التي لا تحتاج إلى الإسهاب والإطناب.

۞۞۞

قال الناظم:

وكذا استوى الموصول بالحرف الذي	ظهر المراد به ظهور بيان
لا فيه إجمال ولا هو مفهم	للاشتراك ولا مجاز ثاني

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٧٥) من طريق موسى بن سالم عن عبد الله بن عبيد الله بن العباس قال: كان العباس خليلًا لعمر، فلما أصيب عمر جعل يدعو الله أن يريه عمر في المنام، قال: فرآه بعد حول وهو يمسح العرق عن جبينه فقال: ما فعلت؟ قال: هذا أوان فرغت، وإن كاد عرشي ليهد لولا أني لقيته رؤوفًا رحيمًا».
وإسناده ضعيف، عبد الله بن عبيد الله لم يسمع من العباس.
وأخرجه ابن سعد أيضًا (٣/ ٣٧٥) من طريق أبي شهاب الحناط عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمارة بنحوه.
وأخرجه -أيضًا- (٣/ ٣٧٥) من طريق معمر عن قتادة عن الزهري عن ابن عباس به.
وجميع هذه الطرق لا تخلو من مقال، وهذه الروايات تدل على أن لهذا الأثر أصلًا، وقد بحثت طويلًا فلم أجد اللفظ الذي ذكره الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ، مع أنه هو المشهور.
ومعنى «يثل»: (أي: يهدم ويكسر، وهو مثل يضرب للرجل إذا ذل وهلك). النهاية لابن الأثير (١/ ٢١٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٣٦١). من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف، عطاء لم يسمع من ابن عباس.

تركيبه مع حرف الاستعلاء نص في العلو بوضع كل لسان[١]
فإذا تركب مع إلى فالقصد مع معنى العلو لوضعه ببيان
وإلى السماء قد استوى فمقيدٌ بتمام صنعتها مع الإتقان
لكن على العرش استوى هو مطلق من بعد ما قد تم بالأركان
لكنما الجهمي يقصر فهمه عن ذا فتلك مواهب المنان
فإذا اقتضى واو المعية كان معـ ـناه استوى متقدم والثاني
فاذا أتى من غير حرف كان معـ ـناه الكمال فليس ذا نقصان
لا تلبسوا بالباطل الحق الذي قد بين الرحمن في الفرقان
وعلى للاستعلاء فهي حقيقة فيه لدى أرباب هذا الشان

أما الاستواء المطلق: فله عدة معان[٢]؛ فإن العرب تقول استوى كذا أي انتهى وكمل ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص:١٤] وتقول استوى وكذا نحو قولهم استوى الماء والخشبه، واستوى الليل والنهار إذا ساواه، وتقول استوى إلى كذا إذا قصد إليه علوًّا وارتفاعًا نحو استوى إلى السطح والجبل واستوى على كذا أي ارتفع عليه[٣].

---

(١) قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «معناه: أن حرف «على» هو حرف استعلاء، فإذا سبق (استوى) بحرف (على) فهو نص في علو الذات باتفاق أهل اللغة» اهـ.

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ١٩٥).

(٣) الاستواء ينقسم إلى قسمين: مطلق ومقيد؛ أما المطلق فقد سبق، وأما المقيد: فهو ثلاثة أضرب: مقيد بـ(إلى) كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فهذا بمعنى: العلو والارتفاع بإجماع السلف كما ذكره ابن القيم في الصواعق.
والثاني: مقيد بـ(على) كقوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾، وقوله: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾، وهذا معناه العلو الارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.
والثالث: مقرون بواو «مع» التي تعدى الفعل إلى المفعول معه، نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى: ساواها. انظر: مختصر الصواعق (٣/ ٨٨٨)، مجلة البحوث (٦٧/ ١٦٢).

ولا تعرف العرب غير هذا، فالاستواء في هذا التركيب نص لا يحتمل غير معناه كما هو نص في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص:١٤] لا يحتمل غير معناه ونص في قولهم استوى الليل والنهار في معناه لا يحتمل غيره.

وقول الناظم:

تركيبه مع حرف الاستعلاء نص.......................... إلخ

أي أن استواء الرب سبحانه المعدى بأداة على المعلق بعرشه المعرف باللام المعطوف بثم على خلق السماوات والأرض المطرد في موارده على أسلوب واحد لا يحتمل معنيين البتة.

فاستواء الرب على عرشه المختص به الموصول بأداة على نص في معناه لا يحتمل سواه والله أعلم (ع/٢/١١ب).

۞۞۞

قال الناظم:

وكذلك الرحمن جل جلاله ... لم يحتمل معنى سوى الرحمن

يا ويحه بعماه لو وجد اسمه الر ... حمن محتملا لخمس معان

لقضى بأن اللفظ لا معنى له ... إلا التلاوة عندنا بلسان

فلذاك قال أئمة الإسلام في ... معناه ما قد ساءكم ببيان

ولقد احلناكم على كتب لهم ... هي عندنا والله بالكيمان

يقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك اسم الرحمن لا يحتمل معنى سوى اسم الرحمن.

قوله:

يا ويحه بعماه.......... ....

أي يا ويح المعطل بسبب عماه لو وجد اسم الرحمن محتملًا لخمسة معان لأظهرها وقضى -أي حكم- بأنه لا معنى للرحمن إلا التلاوة وقد قال أئمة الإسلام في معناه: ما ساءكم أيها المعطلة وهو موجود في كتبهم بالكيمان أي بالكثرة.

ولنذكر بعض ما ذكره العلماء في معنى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ كما أحال على ذلك الناظم، فهما اسمان مشتقان من رحم بجعله لازمًا بنقله إلى باب فعل بضم العين أوبتنزيله منزلة اللازم إذ هما صفتان مشبهتان وهي لا تشتق من متعد.

والرحمن أبلغ من الرحيم؛ لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالبا كما في قطع وقطَّع، ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيده زائده من المبالغة كحذر وحاذر، فإن حذر أبلغ من حاذر فالرحمن صفة في الأصل بمعنى كثير الرحمة جدًّا، ثم غلب على: البالغ في الرحمة غايتها، وهو الله والرحيم ذو الرحمة الكثيرة[١].

وقال الناظم في بدائع الفوائد[٢]: «أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت،فإنها دالة على صفات كماله،فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية[٣]، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه لا ينافي اسميته ووصفيته،فمن حيث هو صفة جرى تابعًا على اسم الله ومن حيث هو اسم في القرآن ورد غير تابع معنى كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٨٤)، أضواء البيان (١/ ٤٨)، إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش (١/ ٩)، شرح أسماء الله الحسنى للدكتورة حصة الصغير (ص١٢٦).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٨) وانظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص٢٧٥)، الكواشف الجلية للشيخ عبدالعزيز السلمان (ص٤٢٨).

(٣) لأن أسماء الله تعالى تدل على صفاته بأنواع الدلالات الثلاث، بدلالة المطابقة والتضمن والالتزام، وقد مضى التعريف بهذه الدلالات.

﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن:١-٢]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الملك:٢٠]، وهذا شأن الاسم العلم.

ولما كان هذا الاسم مختصًا به تعالى حسن مجيئه مفردًا غير تابع كمجيء اسمه (الله) كذلك وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن كاسمه (الله) فإنه دال على صفة الألوهية ولم يجيء قط تابعًا لغيره بل متبوعًا[1] بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ولهذا لا تجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الجمع بين الرحمن والرحيم، ففيه معنى بديع، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم وكأن الأول الوصف والثاني الفعل.

فالأول دال على الرحمة صفة أي صفة ذات له سبحانه، والثاني دال على أنه يرحم خلقه (ع/٢/١٢أ) رحمة أي صفة فعل له سبحانه فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧]، ولم يجيء قط رحمن بهم فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وهذه نكتة لاتكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها. مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها»[2] انتهى.

---

(١) في هامش (ع) «قوله: ولم يجئ قط تابعًا لغيره، بل متبوعًا. أقول: بل قد جاء تابعًا لغيره كقوله: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ قاله كاتبه»، ولعله من تعليق ابن سحمان.

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٨).

فصل
في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمال عدة معان حتى أسقطوا الاستدلال بها

واللفظ منه مفرد ومركب ... في الاعتبار فما هما سيّان
واللفظ في التركيب نص في الذي ... قصد المخاطب منه في التبيان
أو ظاهر فيه وذا من حيث نسـ ... ـبته إلى الأفهام والأذهان
فيكون نصًّا عند طائفة وعند من ... سواهم هو ظاهر التبيان
ولدى سواهم مجمل لم يتضح ... لهم المراد به اتضاح بيان
فالأولون لإلفهم ذاك الخطا ... ب وإلفهم معناه طول بيان
طال المراس لهم لمعناه كما اشـ ... ـتدت عنايتهم بذاك الشان
والعلم منهم بالخطاب إذ هم ... أولى به من سائر الإنسان
ولهم أتم عناية بكلامه ... وقصوده مع صحة العرفان
فخطابه نص لديهم قاطع ... فيما أريد به من التبيان
لكن من دونهم في ذاك لم ... يقطع بقطعهم على البرهان
ويقول يظهر ذا وليس بقاطع ... في ذهنه لا سائر الأذهان
ولإلفه بكلام من هو مقتد ... بكلامه من عالم الأزمان
هو قاطع بمراده وكلامه ... نص لديه واضح التبيان
(ع/ ٢/ ١٣ب)

ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في هذا الفصل أن الألفاظ قسمان: مفرد ومركب[١]، وأن المركب نص في الذي قصد المخاطب أو ظاهر[٢]، وأن ذلك من الأمور النسبية، أي بالنسبة للأفهام والأذهان، فيكون نصًّا بالنسبة إلى طائفة، وعند طائفة أخرى هو ظاهر[٣]، وعند غيرهم هو مجمل، والمجمل هو اللفظ المتردد بين محتملين فأكثر

---

(١) المفرد في الأصل مأخوذ من الإفراد، وعرفه أهل اللغة: بأنه اللفظ بكلمة واحدة، واللفظ ليس بمعنى التلفظ، بل بمعنى الملفوظ. وأما عند أهل المنطق: فهو ما لا يدل جزء لفظه على جزء معناه، وما لا يدل جزء لفظه الموضوع على جزئه.
أما المركب فعند أهل اللغة: هو اللفظ بأكثر من كلمة واحدة، وعند أهل المنطق: ما أريد بجزء لفظه الدلالة على جزء معناه.
وعند التأمل في كلا التعريفين اتضح لي أن تعريف اللغويين للمفرد والمركب أوضح وأشمل وأدق، وأما تعريف المنطقيين فإنها يميل إلى التعقيد.
والمفرد يقابل المركب تقابل العدم والملكة، والشارح إنها أراد بالمفرد ما يعنيه اللغويون.
انظر: التعريفات للجرجاني (ص٢٦٩، ٢٨٧)، كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ٤١٣-٤١٥)، المعجم الفلسفي (٢/ ٣٦٢-٣٦٣).

(٢) النص في اللغة: الكشف والظهور، ومنه: نصت الظبيه رأسها، أي: رفعته وأظهرته، ومنه منصة العروس.أما في الشرع: فهو ما عري لفظه عن الشركة فيه، ومعناه عن الشك. قال القرافي: «للنص ثلاث إطلاقات: احدهما: ما لا يحتمل التأويل،
والثاني: ما احتمله احتمالًا مرجوجًا كالظاهر،
والثالث: ما دل على معنى كيف ما كان» اهـ.
واحتمال تأويله وعدم احتماله يرجع إلى نظر العالم وتمكنه وفهمه.
انظر: المغرب للمطرزي (ص٤٥٣) ط. دار المعارف، روضة الناظر لابن قدامة (٢/ ٢٨)، شرح تنقيح الفصول للقرافي (ص٣٦)، شرح الكوكب المنير لابن النجار (٣/ ٤٧٨-٤٧٩) ط. جامعة أم القرى.

(٣) الظاهر: هو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع تجويز غيره، وقال بعضهم: ما لا دلالة له ظنية وضعًا أو عرفًا كالأسد؛ فإنه ظاهر في الحيوان المفترس، ويحتمل أن يراد به الرجل الشجاع مجازًا لكنه احتمال ضعيف، وحكمه أن يصار الى معناه الظاهر ولا يجوز تركه إلا بتأويل صحيح. =

على حد سواء[١]، وقيل: مالم تتضح دلالته[٢]، وقيل: ما أفاد جملة من الأشياء[٣]، وقيل: ما لا يفهم منه عند الإطلاق معنى[٤]. أي: معين وقيل: مالايفهم منه مراد المتكلم.

قوله: «فالأولون....» أي: الطائفة الأولى بسبب الفهم للخطاب والفهم للمعنى، وطول ممارستهم لمعناه لشدة عنايتهم بمعرفة الخطاب، وعلمهم بالمخاطب بكسر الطاء فيكون خطابه عندهم نصًّا قاطعًا.

وأما الطائفة (ع/٢/١٣ب) الأخرى فهم لنقصهم عن الأولين في تلك الخصال التي تقدمت يرون ذلك ظاهرًا أي بالنسبة إليهم لا إلى غيرهم.

وهذا معنى قول الناظم:

وليس بقاطع ....إلخ

= انظر: روضة الناظر (٢/ ٢٧-٢٨- مع شرح ابن بدارن) شرح كتاب الكوكب المنير (٣/ ٤٥٩-٤٦٠)، إرشاد الفحول (ص٢٩٨).

(١) انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٤١٤).

(٢) هذا قول ابن الحاجب. انظر: مختصر ابن الحاجب (٢/ ١٥٨- مع شرح العضد)، ونقله عنه ابن النجار في شرح الكوكب (٣/ ٤١٤).

(٣) قال الآمدي في المحصول: هو ما أفاد شيئًا من جملة أشياء وهو متعين في نفسه، واللفظ لا يعنيه. انظر: إرشاد الفحول للشوكاني (ص٢٨٣).

(٤) حكاه ابن قدامة في روضة الناظر (٢/ ٤٧- مع شرح ابن بدران). ولم بنسبه لأحد.
والذي ترجح عندي في تعريف المجمل هو ما ذكره الشوكاني في الإرشاد، حيث قال (ص٢٨٣): «هو ما دل دلالة لا يتعين المراد بها إلا بمعين سواء كان التعين بوضع اللغة أو بصرف الشرع أو الاستعمال، وحكمه التوقف فيه حتى يتبين المراد منه بدليل خارج عن لفظه، لعدم دلالة لفظه على المراد به، وامتناع التكليف بما لا دليل عليه».
وانظر: روضة الناظر (٢/ ٤٥- مع شرح ابن بدران)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٤١٤).

وأما كلام من هو مقتد بكلامه من العلماء فهو لإلفه بكلامه يقطع بمراده[(١)] وكلامه عنده نص واضح.

❁❁❁

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

والفتنة العظمى من المتسلق الـ	ـمخدوع ذي الدعوى أخي الهذيان
لم يعرف العلم الذي فيه الكلا	م ولا له إلف بهذا الشان
لكنه منه غريب ليس من	سكانه كلا ولا الجيران
فهو الزنيم دعي قوم لم يكن	منهم ولم يصحبهم بمكان
وكلامهم أبدا لديه مجمل	وبمعزل عن إمرة الإيقان
شد التجارة بالزيوف يخالها	نقدًا صحيحًا وهو ذو بطلان
حتى إذا ردت إليه ناله	من ردها خزي وسوء هوان
فأراد تصحيحًا لها إذ لم يكن	نقد الزيوف يروج في الأثمان
ورأى استحالة ذا بدون الطعن في	باقي النقود فجاء بالعدوان
واستعرض الثمن الصحيح بجهله	وبظلمه يبغيه بالبهتان
عوجًا ليسلم نقده بين الورى	ويروج فيهم كامل الأوزان

أشار الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)] بهذه الأبيات إلى القائلين بالإجمال وهم المدعون الذين لم يعرفوا العلم الذي فيه الكلام ولا إلف لهم به فهم غرباء منه ليسوا من سكانه ولا جيرانه، فإذا وجدوا الكلام فهو لديهم مجمل وبمعزل عن اليقين.

---

(١) (ع) «بمزاده»، والمثبت من (د).

(٢) هامش (ع) «بلغ على المؤلف».

قوله:

فهو الزنيم دعي قوم ....إلخ

قال في القاموس[١]: «الزنيم المستلحق في قوم والدعي مزنم كمعظم اللئيم المعروف بلؤمه أو شره» انتهى.

وفي مختار الصحاح[٢]: «الزنيم المستحلق في قوم ليس منهم لا يحتاج إليه فكأنه فيهم زنمة، وهي شيء يكون للمَعِزِ في آذانها كالقرط، وهي -أيضًا- شيء يقطع من أذن البعير ويترك معلقًا، وقوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٣]، قال عكرمة: هو اللئيم يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها»[٣] انتهى.

قوله:

شد التجارة بالزيوف..... .... إلخ

قال في القاموس[٤]: «والدراهم زيوفًا فصارت مردودة لغش درهم زيف وزائف أو الأولى ردية جمع زياف وفلان الدراهم جعلها زيوفا كزيفها هي..».

أي أن تجارته وبضاعته في العلم زيوف وهو يظنها نقودًا صحيحة، فلما ردت عليه ناله من ردها أشد الخزي وأعظم الهوان، فأراد تصحيحها وأنى ذلك، فصار يطعن في باقي النقود الصحيحة بجهله وظلمه، يبغيها عوجًا؛ حتى يسلم ذلك النقد الزائف بين الناس ويروج بين الجهال والطغام.

۞۞۞

(١) القاموس (ص١٤٤٥).
(٢) الصحاح للجوهري (ص١٤٩).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٨٨).
(٤) القاموس (ص١٤٢٩).

ثم قال الناظم:

والناس ليسوا أهل نقد للذي ... قد قيل إلا الفرد في الأزمان
والزيف بينهم هو النقد الذي ... قد راج في الأسفار والبلدان
إذ هم قد اصطلحوا عليه وارتضوا ... بجوازه جهرا بلا كتمان
فإذا أتاهم غيره ولو أنه ... ذهب مصفى خالص العقيان
ردوه واعتذروا بأن نقودهم ... من غيره بمراسم السلطان
فإذا تعاملنا بنقد غيره ... قطعت جوامكنا من الديوان
واللهِ منهم قد سمعنا ذا ولم ... نكذب عليهم ويح ذي البهتان

أي: أن أكثر الناس ليسوا بأهل معرفة للزيوف، اللهم إلا الواحد بعد الواحد بعد الواحد في الأزمنة.

والنقد الزائف هو الذي قد راج بين (ع/٢/١٤أ) الناس، فإذا أتى الناس غيره -ولو أنه ذهب مصفى خالص العقيان: أي الذهب، لأن العقيان هو الذهب-؛ ردوه واعتذروا بأن نقودهم من غيره، فإذا تعاملنا بغير ذلك النقد قطعت جوامكنا من الديوان(١).

---

(١) الجوامك جمع جامكية، وهي كلمة فارسية تعني ما يرتب من مال ومطعم وملبس وغير ذلك لمماليك السلطان، وأصبحت تطلق على ما يرتب للجنود، ويقال لمن يستحقها ويتناولها: أصحاب الجوامك.
ومعنى البيت: أننا إذا تعاملنا معهم بغير نقدهم، ولو كان صحيحًا قطعت أرزاقنا من قبل السلطان.
ومقصود الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أننا إذا تعاملنا معهم بنصوص الكتاب والسنة التي تخالف عاداتهم في تصويب أقوال الرجال حوربنا من كل جهة؛ لأن الناس والبلاد التي عاش فيها هؤلاء اعتادت على هذا الباطل، وراج عندهم كأنه هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإذا سمعوا من صاحب السنة والحديث استغربوا وتعجبوا من هذا القول الذي يخالف ما اعتادوا =

قوله: «والله منهم قد سمعنا ذا...» وبئس مافعلوا حيث اعتاضوا عن الآخرة بالدنيا[1].

۞۞۞

قال الناظم:

يا من يريد تجارة تنجيه من	غضب الإله وموقد النيران
وتفيده الأرباح بالجنات والحور	الحسان ورؤية الرحمن
في جنة طابت وطاب نعيمها	ما للفناء عليه من سلطان
هيِّئ لها ثمن تباع بمثله	لا تشتري بالزيف من أثمان
نقد عليه سكة نبوية	ضرب المدينة أشرف البلدان
أظننت يا مغرور بائعها الذي	يرضى بنقد ضرب جنكسخان[2]
منتك والله المحال النفس إن	طمعت بذا وخدعت بالشيطان
فاسمع إذا سبب الضلال ومنشأ التـ	ـخليط إذ يتناظر الخصمان
يحتج باللفظ المركب عارف	مضمونه بسياقه لبيان
واللفظ حين يساق بالتركيب	محفوف به للفهم والتبيان
جند ينادي بالبيان عليه مثل	ندائنا بإقامة وأذان
كي يحصل الإعلام بالمقصود من	إيراده ويصير في الأذهان
فيفك تركيب الكلام معاند	حتى يقلقله من الأركان

=عليه؛ لأن الضابط عند هؤلاء في معرفة الحق من الباطل هو قياس ما جاءهم على أقوال شيوخهم حتى ولو خالفت الكتاب والسنة، والله أعلم.

(١) لأن الذي أخذ النقد المزيف وترك الصحيح هو كالذي أخذ الدنيا وآثرها على الآخرة.

(٢) قال شيخنا عبدالعزيز الراجحي: «النقد الذي يضرب عليه جنكسخان هو الشرك والوثنية». اهـ.

ويـــروم مـنـه لـفـظـة قـد حملت ... مـعـنـى سـواه في كـلام ثـان
فـيـكـون دبـوس الـسـلاق وعـدة ... لـلـدفـع فـعـل الجـاهـل الـفـتـان
فيقول هذا مجمل واللفظ محتمل ... وذا مـن أعـظـم الـبـهـتـان
ويـذاك يفسد كل علم في الـورى ... والـفـهـم مـن خـبـر ومـن قـرآن
لـكـن إذا ماركبت زال الـذي ... قد كـان محتملا لـدى الوحدان
فـإذا تجـرد كـان محتملا بغير ... مـراده أو في كـلام ثـان
لـكـن ذا الـتـجـريـد ممتنـع فإن ... يـفـرض يـكـن لاشـك في الأذهـان
والمـفـردات بغير تـركـيب كمثل ... الـصـوت تـنـعـقـه بـتـلـك الـضـان
وهنالك الإجمال والتشكيك والتـ ... ـجهيل والتحريف والإتيان بالبطلان
فـإذا هـم فـعـلـوه رامـوا نقله ... لمـركـب قـد حـف بـالـتـبـيـان
وقضوا على التركيب بالحكم الذي ... حـكـمـوا بـه لـلـمـفـرد الـوحـدان
جـهـلًا وتجـهـيـلًا وتـدلـيـسًا وتد ... ـبـيـسًا وتـرويجًـا عـلـى العميان

يعني الناظم أن اللفظ حين يساق بالتركيب (ع/٢/١٥ب) فمحفوف به من القرائن ما يبين المراد وذلك معنى قوله:

جـنـد يـنـادي عـلـيـه...... ... .إلخ

أي فإذا أتى معاند وفك تركيب الكلام وقلقل أركانه، وأراد منه لفظة قد حملت معنى آخر في كلام ثان.

وقوله:

فـيـكـون دبـوس الـسـلاق ... .

قال في القاموس[1]: «دبوس كتنور واحد الدبابيس للمقامع كأنه معرب» [و]سلق العظم: التحاه، وفلانا طعنه[2].

فيقول يحتمل ويحتمل، وهذا اللفظ مجمل، فبذاك تفسد علوم الورى؛ لأن أكثر الألفاظ تقبل ذاك في الإفراد قبل التركيب، ولكن الأمر كما قال الناظم: التجريد ممتنع، وإن فرض فهو في الأذهان، وأما المفردات فهي كمثل الصوت تنعقه بالضان، وقصدهم بذلك التشكيك والتجهيل والتحريف والله المستعان (ع/ ٢/ ١٦أ).

---

(١) القاموس (ص٧٠٠).

(٢) الذي في القاموس (ص١١٥٤): «سلقه بالكلام: آذاه، واللحم عن العظم: التحاه، وفلانًا طعنه، كسلقاه» اهـ، وما بين معكوفتين زيادة للتمييز بين النقلين؛ لأن المؤلف ساقه مساقًا واحدًا، ولم يفصل بين النقلين، والله أعلم.

محتويات المجلد الثاني

تم بحمد الله المجلد الثاني، ويليه المجلد الثالث

وأوله: «في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ

بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني»

المفكرة

المـفـكـرة

المفكرة

المفكرة